الرومان ويهود اليمن

لغز الهيكل الثاني

فاضل الربيعي

الرومان ويهود اليمن
لغز الهيكل الثاني

(إسرائيل المُتَخيَّلة: مساهمة في تصحيح التاريخ الرسمي
لمملكة إسرائيل القديمة)

المجلد الأول

الكتاب الرابع



First Published in september 2019

BEIRUT — LEBANON

elrayyes@sodetel.net.lb
www.elrayyesbooks.com

ISBN: 978-9953-21-

الطبعة الأولى: أيلول (سبتمبر) ٢٠١٩

تصميم الغلاف والإخراج الفني: آرتيستو — علي الحاج حسن

المحتويات

شكر

الرومان والهيكل:
إطار تاريخي بديل للمقدمات التقليدية

ما يُصرّح به هذا الجزء من المجلد الأول (وهو الكتاب الرابع) وبصوتٍ قويّ هو الآتي:

لم تكن هناك (ثورة يهودية) على الرومان في فلسطين قط. كذلك فإنّ الرومان لم يُدمّروا (الهيكل) في أورشليم، بحسب المزاعم اللاهوتية، وليس هناك أي دليل حقيقي في التوراة أو السجلات الرومانية يؤكد هذه الواقعة. وبخلاف كل ما يُقال ويُكتب، سأكرّر ما يجب تكراره دون هوادة، ومنذ الآن في ضوء الأدلة القاطعة المُستلة من النقوش المسندية اليمنية والآشورية: لم تكن هناك ثورة يهودية في أورشليم بفلسطين المزعومة على الرومان على وجه الإطلاق، ولم تحدث في أي وقتٍ سابق من التاريخ المكتوب، ثورة على ملوك روما في مدينة/ معبد يهودي من معابد فلسطين القديمة، وبحيث إنهم هُزموا هناك بسهولة، أو أنهم هدّموا خلال التمرّد هيكل الرّب في جبل صهيون. هذه رواية لا أساس لها في التاريخ الروماني. كذلك لم يكن هناك أصلاً، ملوك رومان يقاتلون كهنة أورشليم في فلسطين، أو يفاوضونهم ويعقدون معاهدات صلح معهم في بلاد اليهودية. كل ما كُتب من

مؤلفات لاهوتية واستشراقية طوال القرنين الماضيين عن هدم الرومان للهيكل اليهودي، نجمت عنه أو سبّبته ثورة/ تمرد يهودي، إنما كان استناجاً مُستمداً من مصدر لا تاريخيّ هو سفر(المكابيين)، ومن مصدر آخر موازٍ له، يعرف باسم (تاريخ يوسفيوس)[١]. وهكذا، فكل الاستنتاجات الشاذّة، السائدة والمُهيمنة على السرد التاريخي حتى اليوم في الأوساط العلمية والأكاديمية عن هذه الثورة المزعومة، ليس أكثر من هراء لا قيمة علمية له. إن التاريخ الحقيقي المسكوت عنه يقول شيئاً مختلفاً ومغايراً.

ما حدث هو الآتي:

حسب رواية سترابون اليوناني[٢]، فقد قام الرومان في عصر الإمبراطور أغسطس (تقريباً عام ٢٧ ق.م) بغزو واسع النطاق لليمن. ويبدو من جملة معطيات، أن الرومان بقيادة إيغالوس استولوا على الموانئ والسواحل في الجنوب، ثم توغلوا عميقاً من عدن حتى مأرب، وأدّى الغزو - كما لم يكن في حسبان الغزاة - إلى اندلاع حرب أهلية طويلة، ستُعرف في التراث الأدبي التاريخي للعرب بـ(حروب ملوك الطوائف). وهذه الحروب هي التي يعرفها تاريخ بلاد اليهودية بـ(أرض حمير) التي أشار إليها بطليموس[٣] وتحدث عنها سفر المكابيين. لذلك، سأبدأ هذا الجزء من المجلدين من حيث انتهيت في الكتاب السابق (يهوذا والسامرة)[٤]، وقدمتُ فيه خلاصة رأيي القائل إن هذا التاريخ كما سرده اللاهوتيون، بوصفه تاريخ مملكة إسرائيل ويهوذا وانهيارهما، هو في الأصل تاريخ انهيار المملكة السبئية/ الحميرية الذي نجم عنه انقسام المملكة الإسرائيلية إلى مملكة شمالية (سبئية) وأخرى جنوبية (حميرية)، ثم بعد قرون طويلة من ذلك، وقع الغزو الروماني الذي أدّى إلى حدوث فوضى عارمة استمرت لوقت طويل. وبفعل الغزو الروماني، تفكّك عملياً النظام السياسي القديم كليّاً، ونشأ نظام يمكن تسميته نظامَ الفوضى القبلية، حيث نشبت الحروب المفتوحة، واللانهائية بين الحكام/ الكهنة (المحليون/ الأقيال: من مفردة قيل بمعنى الإقطاع الديني)، بعضهم ضد بعض ودون رحمة أو تهاون. إن التاريخ الرسمي للإمبراطورية الرومانية لا يعرف أي شيء عن ثورة يهودية ضد حامياته، لا في فلسطين، ولا في اليمن، ولا في أي مكان من العالم. وكل ما كُتب وقيل في المؤلفات التاريخية السائدة عن هذه الثورة/ التمرّد على

الرومان في فلسطين، هو نتاج قراءة مخياليّة لا أساس تاريخياً لها، ناجمة في الأصل عن الترجمة الرديئة من النص العبري لسفر المكابيين إلى اليونانية. وهذا السفر هو رجع صدى لرواية مؤرخ يُدعى يوسفيوس اليهودي (أو العكس، أي إن روايته هي ذاتها سفر المكابيين)، لأنهما في خاتمة المطاف نصّان متماثلان. بكلام موازٍ: إن سفر المكابيين ورواية يوسفيوس هما النص نفسه، من حيث روايتهما للوقائع ذاتها بشكل حرفي. وسأبرهن تالياً، أن المؤرخ يوسفيوس نفسهُ، شخص لا وجود له، وهو (تلفيق) روماني/ كنسي مسيحي متأخر/ ثم إسلامي مع العصر الفارسي، استسلم خلاله وتحت تأثيره مؤرخون من مختلف الديانات، أمام رواية كنسيّة مسيحيّة شائعة ولا أساس لها؛ إذ لا وجود لشخص يُدعى يوسفيوس.

إن روايته في الواقع سيرة شعبية كتبها كهنة يهود من حمير، تخليداً لذكرى قتال ملك سبأ إيلشرح يحضب الثاني ضد الرومان، وكانت تعرف – في الأصل – باسم سيرة يوسف بن كربون (وليس يوسفيوس). وهذا اللقب يعني يوسف من الكرب (في السبئية تعني بن: من، أي يوسف من المكاربة). ولأننا لا نملك أي نسخة عبرية من سفر المكابيين المفقود، فسنستخدم النسخة العبرية من نص يوسفيوس (يوسف بن كربون)[٥] حسب ضبط الطبري وابن خلدون لاسمه، وهما يؤكدان حرفياً أن اليونانيين ترجموا سفر المكابيين من العبرية إلى اليونانية. إن نسخة يوسفيوس في الواقع مطابقة لسفر المكابيين تماماً، وهذا كله فقط لأجل التأكد من الوقائع التي يسجلها السفر. إن قراءة نزيهة ومعمّقة يمكنها وحدها أن تكشف بجلاء الحقيقة المُغيّبة أو المسكوت عنها، القائلة إن هذا السفر الذي يصوّر الأحداث نص شعبيّ – دينيّ كتبه الكهنة اليهود في وقت متأخر، ويتحدث عن حروب اليهود اليمنيين ضد الغزو الروماني لليمن، وأطلقوا عليه اسم سيرة يوسف بن كربون.

مشكلة زمن النصّ وزمن الأحداث

يصطدمُ العرض التاريخي الراهن والسائد لقصة المكابيين، والرواية البديلة عنه على حدّ سواء، بمشكلة عويصة تتعلق بتحديد زمن كتابة هذا النصّ الدينيّ[٦]؛ وكذلك بتحديد زمن كتابة «كتاب يوسفيوس/ يوسف بن كربون». ويبدو لي من تحليل عميق للنصّين، أن علماء الآثار وكتّاب التاريخ التقليدي – وأطقم اللاهوتيين الاستشراقيين كذلك – أي كل هؤلاء

الذين روّجوا قصة الثورة اليهودية على الرومان في فلسطين، وخلال فترات مختلفة، هم من لفق (اخترع) تاريخ النصّين وحدّدهما في حدود عام ١٦٣ ق.م. إن هذا التاريخ لا أساس له، وهو باطل كليّة كما سأبرهن. في الواقع، استمدّ كل هؤلاء، هذا الرقم الافتراضي عن زمن الأحداث/ والسفر/ ثم كتاب يوسيفيوس «يوسف بن كربون» من افتراض أن أنطيخوس الوارد ذكره في السفر وكتاب يوسفيوس، هو ملك روماني (إمبراطور روما في هذا الوقت). وهذا غير صحيح البتّة، لأن أنطيخوس هذا شخص آخر (اخترعه) مُترجما النصّين من العبرية إلى اليونانية. وسأقدّم كل التفاصيل عن هذا الأمر تالياً. في الواقع، لا يوجد ملك روماني بهذا الاسم وفي هذا العصر.

لكل ذلك، أرفض رفضاً قاطعاً الزعم السائد والقائل إن أحداث السفر التوراتي (المكابيين) وتاريخ يوسفيوس حدثت عام ١٦٣ ق.م. وهذا مرة أخرى هو خلاصة تاريخ استشراقي/ لاهوتي لا أساس له قائم على فرضية مزيفة. في الواقع، يصوّر السفر ورواية يوسفيوس كذلك، كيف قاد الكهنة اليهود في مدن اليمن، معارك قاسية ضد ملوك القبائل الوثنية والمرتدة التي هلّلت للغزو الروماني الذي وقع عام ٣٣/ ٢٧ق.م،[٧] لا عام ١٦٣ ق.م، أي إن هناك فارقاً زمنياً هائلاً، وهذا بشهادة سترابون، وهو انتهى في مراحله الأولى باحتلال ميناء عدن، حيث توغل الرومان في مختلف المدن. وفي هذه الحالة، يكون الفهم اللاهوتي/ التوراتي/ الاستشراقي قد سبّب في حدوث فجوة هائلة تمتد أكثر من قرن كامل (تقريباً ١٣٠ سنة).

هذه هي المشكلة العويصة التي تجاهلها علماء الآثار وكتّاب التاريخ التقليدي. فما الزمن الحقيقي للأحداث التي يرويها السفر وتاريخ يوسفيوس، هل هو ١٦٣ أم ٣٣/ ٢٧ ق.م؟

من المؤكد، كما سنرى من روايتي التي سأرويها بصوتي لا بصوت اللاهوتيين عن تاريخ حملة الرومان على يهود اليمن، أن الرومان غزوا اليمن في عصر أغسطس ٣٣ ق.م، وأن حملتهم بدأت بعد مضي ٦ سنوات من توليه العرش، وهم انتصروا وتوغلوا عميقاً في مدن اليمن من عدن حتى شبوة ومأرب، ثم هزموا شرّ هزيمة. وليس دون معنى أن سترابون يؤكد أن هذه الهزيمة وقعت في مأرب كما سنرى. ويبدو لي أن القرآن قصّ علينا قصة صحيحة

عن هذا الانتصار ثم الهزيمة، لكن المسلمين، ويا للأسف، قرأوا نصّاً قرآنياً تعرّض لسوء فهم ناجم عن التلاعب في تحريك كلمات آياته، وذلك حين فهموا النصّ على النحو الآتي (قرآن/ سورة الروم،٢: ٥):

نقرأ في القرآن ما يأتي:

﴿غُلِبَتِ الرُّومُ فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُم مِّن بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ فِي بِضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِن بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ بِنَصْرِ اللَّهِ يَنصُرُ مَن يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾

من المهم للغاية أن نتساءل عن مغزى إفراد القرآن لسورة عن الروم، وهو يخاطب الوثنيين في الحجاز ويدعوهم إلى الإسلام؟ ما علاقتهم بالأمر، ولماذا ولأيّ غرض، وهل كانوا يجادلون في القصة وبحيث إن القرآن وجد ضرورة لفضّ النزاع بينهم من خلال سرد قصة الرومان؟ بكل تأكيد، كان ثمة سوء فهم سبّبه التحريك العشوائي للآية في وقت متأخر من الإسلام، فقد فهم المسلمون منطوق الآية هكذا: (هُزمت الروم وهم من بعد هزيمتهم سينتصرون). وهذا فهم خاطئ للواقعة التاريخية. الصحيح هو ﴿غلبتِ الرومُ﴾ [٨] أي انتصرت روما ﴿وهمْ من بعد غلبهم سيُغلبون﴾ أي (انتصر الرومان وهم من بعد انتصارهم سيُهزمون). ولأن النصّ القرآني يُشدّد على أنهم سيهزمون ﴿فِي بِضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ الْأَمْرُ﴾، فهذا يؤكد لنا بما لا لبس فيه أنه يصف هذه اللحظة، حين هُزم الغزو الروماني ببضع سنين بالفعل. ومع الأخذ بالاعتبار أن التنقيط والتشكيل في القرآن كان عملاً متأخراً قام به مسلمون لا يعرفون الواقعة بدقة، وكان قد مضى على وفاة النبي ونزول القرآن نحو ٤٠ عاماً، فإن الأصل في الآية يجب أن يكون هكذا:

(غلبتِ الرومُ وهمْ من بعدِ غَلبِهم سُيغلبون). أي انتصر الروم وهم من بعد انتصارهم سيُهزمون وخلال وقت قصير (في أدنى الأرض). أي في مكان قريب. وهذا المنطوق يتوافق مع واقعة غزو اليمن وفشله، فهم انتصروا ثم هُزموا على مقربة من الإسلام. وبطبيعة الحال، لن تكون هذه الآية القرآنية مفهومة أبداً، بالنسبة إلى عموم المسلمين، وبما يلبي شروطها السردية التي سجلت واقعة بعينها، إلا بالعودة إلى عصر هزيمة الرومان في اليمن، فهي حدثت في (أدنى الأرض).

واليمن هي أدنى الأرض - أقربها - بالنسبة إلى الحجاز. أمّا المؤمنون الذين سيفرحون، فهم يهود حمير بقيادة إيلشرح يحضب الثاني، وهذا ما يؤكده سفر المكابيين وكتاب يوسفيوس على حدّ سواء. لقد قاد كهنة أورشليم (الحميريون) المعارك الباسلة لصدّ الغزو الروماني ودحره، ونظموا مواجهات ناجحة ضد قبائل جنوبية وشمالية سارعت إلى التحالف مع الاحتلال، ولم يكن كل ذلك (ثورة يهودية في أورشليم) بفلسطين كما يصوّرها التاريخ الرسمي الإسرائيلي القديم. وحين نضع هذه الأحداث التي صاغها الكهنة بلغة شعبية بسيطة، داخل التاريخ السبئي - الحميري، تصبح الرواية مقبولة وصحيحة. لقد وصف سترابون[٩] وهو يروي تاريخ الغزو الروماني لليمن بقيادة إيغالوس، كيف أن إيلشرح واجه إيغالوس وهزمه. ولنلاحظ أن سترابون يسجل اسمه هكذا (*Ilasaros* السره/ إيلشرح - يحضب الثاني). وهذا ما يجب أن يذكّرنا بالقصة التوراتية/ القرآنية عن مواجهة داود وجالوت (وسأشرح بالتفصيل تالياً، أن جالوت التوراتي/ القرآني هو غالوس/ جالوتس). وإذا ما استخدمنا نصوص سترابون بنزاهة وموضوعية، نجد لديه وصفاً دقيقاً للحملة الرومانية على اليمن؛ فبعد سلسلة معارك خاضها إيغالوس (جالوت) ضد *Ilasaros*/ إيلشرح، تمكن الرومان من بلوغ مأرب).

يقول سترابون في هذا الصدد ما يأتي:

«ووصل- إيغالوس - مأرسب - مأرب التي كانت لقبيلة الرامانيتيين الخاضعة لإيلشرح- إيلسرح *Ilasaros*. فهاجم غالوس المدينة وحاصرها ٦ أيام، لكنه أُرغم على التراجع بسبب نقص المياه».

في هذا النصّ الصريح، يخبرنا سترابون اليوناني الذي يؤرخ لحملة الرومان على اليمن، أن غالوس/ إيغالوس هُزم أمام إيلشرح يحضب الثاني في مأرب. لقد أرغمه على الهروب من المدينة حين هاجمها وسعى للاستيلاء عليها. وهذا تأكيد قاطع أن الرواية التوراتية ورواية النقوش السبئية ورواية المصادر اليونانية القديمة تتطابق بنحو مذهل، وهي تتفق على أن أحداث ما زُعم أنها (ثورة يهودية ضد الرومان) هي معارك القبائل اليمنية الشمالية والجنوبية بقيادة إيلشرح يحضب الثاني ضد الغزو الروماني.

ما يثير فضولنا أكثر، أن وثائق الكنيسة اليونانية (والقبطية المصرية)[١٠] تؤكد أن أحد القساوسة، وهو أوريجانوس[١١] رأى بنفسه الأصلي العبري من سفر المكابيين، وأنه كان يُعرف باسم (سار بيت سابا)، وهي عبارة قال عنها العالم اللاهوتي دالمان*Dalman*[١٢] إنها محرَّفة عن الآرامية. فماذا تعني عبارة (سار بيت سابا)؟ لنلاحظ أن سترابون يسمّي إيلشرح (السره/ السرح/ السروس حسب التصويت اليوناني *Ilasaros* أي السرح/ الشرح). أمّا (بيت سابا)، فهي بكل تأكيد تعني (قبيلة سبأ). هذا يعني أن ما يسمى سفر المكابيين هو في الأصل (سيرة السره - السرح/ إيلشرح وقبيلة سبأ). وهذا يؤكد لنا بنحو قاطع، أن سفر المكابيين سيرة شعبية دينية عن المعارك التي خاضها إيلشرح يحضب الثاني ضد الرومان بقيادة غالوس (جالوتس/ جالوت). ثم في وقت متأخر عُرف سفر المكابيين في التاريخ الكنسي بـ (سفر الحشمونيين) لأن كل الكتابات العبرية والآرامية، لم تعرف لفظة مكابي/ مكابيين إلا في وقت متأخر جداً؛ بل هي استخدمت مصطلح (الحشموني) للدلالة عليه. وهناك كتاب عبري يسمى (يوسيبون *Josippon*: يهوه السبئيين)، وهو ترجمة بتصرف لكتاب «الحروب اليهودية» ليوسيفيوس، وهذا الكتاب كتب في القرن الرابع الميلادي، ويختم وصفه لحروب يهوذا بقوله: «والباقي مكتوب في سفر بيت الحشمونيين». هذا يعني أن كتاب «ملحمة اليهود» ليوسفيوس اليوناني المزعوم، هو في الأصل كتاب (يهوه السبئيين *Josippon*)، وأن هذا الكتاب هو سيرة إيلشرح يحضب وقبيلة سبأ خلال الحرب ضد الرومان. ولأن مصطلح (يهو/ سبئيون) هو ذاته مصطلح (اليهود السبئيون *Josippon*)، وهم من بيت حشمون (حشم) في مأرب مركز حكم إيلشرح يحضب الثاني، سيصبح مفهوماً لنا، أن كتاب (ملحمة اليهود) الذي كتبه يوسفيوس وسفر المكابيين هما النصّ نفسه، وهذا أمر تصدّق عليه الكنيسة القبطية. وهكذا يصبح مفهوماً لنا كذلك، أن سفر بيت سابا (سفر إلشرح وبيت/ قبيلة سبأ) هو سفر الحشمونيين الذين قادهم (السروس/ إلشرح *Ilasaros*/ إيلشرح يحضب الثاني). وهؤلاء الحشمونيون هم سكان مأرب من قبائل حاشد وبكيل (قبائل همدان العظيمة). وهاكم اسم القرية التي تدلّنا اليوم على وجودهم في مكانهم التاريخي: محافظة مأرب، مديرية رحبة، عزلة آل جميل، قرية القصر، محلة حشم. ها هنا مكان سكن الحشمونيين الأوائل في مأرب. في هذا الإطار التاريخي فقط، يمكننا أن نجزم بأن قصة هدم الهيكل الثاني، سواء في التراث الكتابي أو في الدراسات الدينية

اليهودية والمسيحيّة الكنسيّة، وكذلك في الأبحاث التاريخية، قد ارتبطت عضوياً بفصول الصراع مع الرومان في اليمن كما رواها سفر المكابيين ويوسفيوس، وهذا الحدث عُرف في سائر المؤلفات السائدة بـ (ثورة الحسيديّين) في أورشليم على الحامية الرومانية. وبحسب النصّ التوراتي المتأخر، يكون الهيكل الثاني قد دُمِّر خلال هذه الغزو. وكما سأبرهن في هذا الكتاب؛ فإن من دمّره ليس الرومان، بل قيل/ ملك يمني جنوبي من بدو قبائل تدعى قبائل (جندب/ جندبوس). ولأجل تأكيد وجود هذه الجماعة القبلية القديمة، هاكم نقش شلمانصر الثالث:

٨٥٨–٨٢٣ ق.م الذي يسجل اسم قبيلة «جندب»:

SHALMANESER III

*, I destroyed, I devastated, I burned with fire. 1,200 chariots, 1,200 cavalry, 20,000 soldiers, **of Hadad-ezer**, of **Aram** (? Damascus); 700 chariots, 700 cavalry, 10,000* soldiers of I**rhuleni** of **Hamath,** 2,000 chariots, 10,000 soldiers of Ahab, **the Israelite**, 500 soldiers of the **Gueans**, 1,000 soldiers of the Musreans, 10 chariots, 10,000 soldiers of **the Ir kanateans**, 200 soldiers **of Matinuba'il**, **the Arvadite**, 200 soldiers of the **Usanateans**, 30 chariots, [ ],ooo soldiers of Adunu-ba'il, the **Shianean,** 1,000 camels of **Gindibu', the Arabian**, [ ],ooo soldiers [of] **Ba'sa, son of Ruhubi**, the **Ammonite,—these twelve kings he brought to***

الترجمة:

لقد دمرت، أنا دمرت، أنا أحرقتُ بالنار. ١٢٠٠ مركوب و ١٢٠٠ من الفرسان المسلحين و٢٠٠٠٠ جندي من هدد عزر من أرام، و٧٠٠ مركبة و٧٠٠ من الفرسان المسلحين و١٠٠٠٠ جندي من جبل خولايني/ خولان ومن حمة و٢٠٠٠ مركوب و١٠ آلاف جندي من أخآب والإسرائيليين و٥٠٠ جندي من القنص/ قانص و١٠٠٠ من قبائل موسر (الموسريين) و١٠ عربات و ١٠ آلاف جندي من جبل (عر) الكنعانيين *the Ir kanateans* و٢٠٠ جندي من إيل متنية ومن أرفد *Arvadite*، ٢٠٠ جندي من الأوسانيين *Usanateans*، و ٣٠ عربة، وجنود با–إيلو– إيل عدينو/ عدين *Adunu-ba'il*، والشنانين (مفرد شنان) *Shianean*، و١٠٠٠ الإبل

من جندبو/ جندب *Gindibu*' العربي، والجنود [من] باعشة *Ba'sa* ابن رحاب والعمونيين، اثني عشر ملكًا أحضرهم لدعمه. لتقديم المعركة والقتال، جاؤوا ضدي.

لكن الثقة في الجبروت السامي الذي أعطاه آشور، السيّد وفي الأسلحة الجبارة التي قدمها نيرجال الذي يمشي أمامي، (أنا)، صارعتهم. من كركر، حتى مدينة غيلزو/ جلز، قمت بخداع ١٤٠٠٠ من محاربيهم قتلوا بالسيف. مثل أداد، أمطرت عليهم الدمار.

في هذا النقش نلاحظ وجود الإسرائيليين مع الكنعانيين والأوسانيين والعمونيين وقبائل جندب سوية. ماذا يعني هذا؟ هذ يعني أن قبائل جندب قبائل من بدو اليمن، الذين قاتلوا الرومان، وهم موجودون في المسرح التاريخي منذ عصر شلمانصر الثالث، أي قبل ٨٠٠ عام على الأقل من الغزو الروماني لليمن. وهذا هو بالضبط عصر المقاومة التي قادها إيلشرح يحضب الثاني. إن المزاعم الشائعة في سائر المؤلفات التاريخية الرسميّة وشبه الرسمية عن حقيقة ما جرى في هذا العصر، كما هو الحال مع رواية يوسفيوس[١٣]، نتاج تلقائي ومباشر للتلاعب في الترجمة عن اليونانية، ونتاج تأويلٍ تعسفيٍّ قامت به القراءة الاستشراقية التي جعلت من فلسطين مكاناً للأحداث. وبطبيعة الحال، فقد أدّى كل ذلك إلى اختراع مسرح آخر للأحداث التي سجلها سفرا المكابيّين الأول والثاني. ومن المؤكد أن أيّ بحث حقيقيّ وجاد في لغز الهيكل الثاني، يتطلب تفكيك لغز المكابيّين قبل كل شيء. فهل كان المكابيون بقيادة إيلشرح يحضب (الثاني) جماعة تاريخية، وهل خاضوا صراعاً حقيقياً مع الرومان، وهل قاموا بثورة في أورشليم، أم أنهم خاضوا صراعات مع جماعات قبلية موالية للرومان تسمّى ملوكها بأسماء رومانية؟ وأين عاشوا؟ هل هناك مكان حقيقي يدلّ على اسمهم؟ وهل حقاً عاشوا في فلسطين؟ وإذا ما كانوا قد عاشوا هناك ونجحوا في طرد الرومان من أورشليم، فلماذا تصمتُ السجلات الرومانية عن هذا الحادث الهلعيّ؟ وكيف يمكن تخيّل إمبراطورية عظمى مثل الإمبراطورية الرومانية، وهي تتجاهل أو تصمت عن ذكر ثورة كبرى على حاميتها في فلسطين، بل وتتجاهل ثورة من هذا النوع في عاصمة دينية هامة، يُطرد منها جنود الإمبراطورية بسهولة؟ ولماذا يسجل المؤرخون الرومان واليونانيون أخبار صراع إيلشرح يحضب و(ثورته)؟ وهل كان إيلشرح يحضب الثاني، الملك السبئي يحكم أورشليم في فلسطين؟ هذه أسئلة ثورية آن الأوان لأن تُطلق بقوة.

سأبرهن في هذه المساهمة الجديدة، المكرّسة لتصحيح تاريخ مملكة إسرائيل القديمة، أن سفر المكابيّين سيرة شعبية ذات طابع ملحميّ عن حروب الحكام/ الكهنة اليهود، أي الأقيال في اليمن، وهم الإقطاع الديني الذي حطّم نظام (البكر السبئي) في توارث السلطة الكهنوتية، ثم أصبحوا خلال الحروب الأهلية ملوك الطوائف في عصر مواجهة الغزو الروماني الذي وقع فعلاً ودُحر.

ما يلفت الانتباه، حقاً في رواية يوسفيوس (اليهودي اليمني) التي كتبها الكهنة باللغة العبرية، ثم ترجمت إلى اليونانية وأعيدت ترجمتها من اليونانية إلى العبرية ثانية في العصر البيزنطي، مع اعتناق بيزنطة المسيحية نحو ٣٣٠ م، ثم إلى بقية اللغات، أنهم يسمون مؤلفهم (تاريخ/ قصة/ ملحمة اليهود תולדות מלחמה 'הוד'ם). وهذا تعبير يدعم فكرة الرواية الشعبية لا التاريخية. ولأن النص العبري الأصليّ والقديم من سفر المكابيين مفقود، ولم تظهر أي إمكانية طوال السنوات الطويلة الماضية، للعثور على أي نسخة منه، فقد ظهرت مشكلة أخرى أمامنا، تتمثل بطريقة فهم أسماء المواضع والأشخاص بنحو صحيح، لأنها مرسومة بالتصويت اليوناني (إضافة السين اللاحقة مثلاً: يوسف - يوسفيوس، أنطاك/ انطاكيوس- أنطاخيوس). وعلى الأرجح، فقد أسهم مترجم النص القديم من العبرية إلى اليونانية في تحويله إلى نص مِخْيالي نموذجي، وذلك من خلال تحلّله من أي التزام بقواعد رسم الأسماء كما هي. إن سفر المكابيين (بالمدّ مكابيين/ مكابيين) من وجهة نظري، ملحمة شعبية تقليدية تروي سيرة حاكم/ كاهن - ملك يهودي متأخر، يدعى باسمه الدينيّ (يهوذا المكبيّ) أي المخلّص المقبيّ؛ قاد القبائل اليمنية السبئية الشمالية والجنوبية لصدّ الغزو الروماني ودحره. لقد قمتُ بمراجعةٍ متأنيةٍ وعميقةٍ وشاملةٍ للنصّ العبريّ من كتاب يوسفيوس، كذلك قمتُ بمطابقة الوقائع مع سفر المكبيّين، وخلصتُ إلى أنهما بالفعل، يمثلان نصّين مُتطابقين بنحو مدهش، مع الاعتراف بوجود تفاصيل محدودة الأهمية لم ترد في السفر، وسأعطي للقرّاء أمثلة عنها.

ومن المؤكد في ضوء هذه المراجعة الشاملة التي قمتُ بها، أن اسم المؤلف الصحيح هو: يوسف بن متته - متىّ - التاء الثانية في الاسم العبري هي حركة إعرابية - شدّة - ولذا فهو حسب النص الرسمي في الكتاب: יוסף בן -מתתי הו יוספוס פלוויוס : תולדות מלחמה

יהוד›ם עם הרומאים : يوسفيوس بن متىّ، وهو الفيلسوف: تاريخ/ قصة/ ملحمة اليهود مع الرومان. وحين قمت بمراجعة شاملة للنصّين، اكتشفتُ حجم الخدعة التي تعرض لها العالم كله. وبالطبع، فمن غير المنطقي تخيّل وجود شخص بهذا الاسم كان فيلسوفاً/ ومؤرخاً يونانياً متأخراً، وأنه يُدعى يوسف بن متّه (متته/ متّى) فهذا اسم عربي؟ لكن السؤال الذي يثيره الالتباس في الاسم هو الآتي: ما صلة (بن متّه/ متى) بكاتب السفر الإنجيلي سفر متّى، خصوصاَ أنه كتب روايته بعد مرور وقت طويل نحو ١٠٠ عام على الأقل من ظهور المسيح، أي أنه لم يكن شاهداً على الأحداث؟ وهناك ما يشبه الاتفاق في الكنيسة المسيحية، أن إنجيل متّى كتب بعد قرن على الأقل من ظهور المسيح. فما علاقة متّى هذا بأسرة متّى الكاهن اليهودي الذي قاوم الرومان في اليمن؟ هل هو من سلالته، أم أن هذا الكاهن اليهودي هو صاحب الإنجيل (الأصلي اليهودي)؟ إن تاريخ اليونان الثقافي لا يعرف يوسفيوس المؤرخ/ الفيلسوف، والتاريخ الفلسفي اليوناني لا يعرف قط فيلسوفاً يونانياً باسم عربي؟ وما علاقة اليونانيين أصلاً بتسجيل وقائع ثورة على الرومان، سواء في فلسطين أو في اليمن؟

هذا تداخلٌ ساذج في ترتيب العصور قام به اللاهوتيون وحسب، ودون أدنى مراعاة لأهمية تحقيب الأحداث بنحو صحيح. وكيف لنا أن نصدق أن مؤرخاً/ فيلسوفاً يونانياً كان يسجل وقائع تخصّ التاريخ الروماني في فلسطين أو اليمن وأنه عاشها، وأكثر من ذلك أن يؤرخ روايته بشهر عبري/ حميري؟ هذا غير منطقي، كأنك تقول للمسلم العربي اليوم، إن الطبري عاش في فارس في العصر الجاهلي، لكنه كتب روايته عن الأمويين في الشام بعد ٢٥٠ عاماً من الإسلام! إن الفاصل الزمني بين مؤرخ يوناني وحدث تاريخي روماني، سواء وقع في فلسطين أو في اليمن، يجعل من المستحيل تخيّل، مجرد تخيّل، أنه كان مثار اهتمام له، وبحيث يسجل روايته كما لو أنه كان هناك؟ وإذا كان هذا التصوّر الخيالي مقبولاً، فلماذا سجل يوسف بن متّه (متى) أسماء أبطالٍ وشخصياتٍ ومدناً سبئية/ حميرية؟ ما علاقة المؤرخ أو الفيلسوف اليوناني بأسماء المدن والقبائل السبئية؟ بل لماذا يؤرخ روايته بشهر حميري وليس بشهر يوناني/ روماني؟ هذا أمرٌ جدير بالاهتمام، وخليقٌ بنا أن نرى إليه على أنه خلاصة تلفيق لا أكثر. لهذه الاعتبارات كلها، من المؤكد، أن السفر- من هذا المنظور

حصراً – ليس سفراً دينياً مقدّساً، أو وثيقة تاريخية يمكن قبولها. ومع ذلك، يمكننا التعامل مع الوقائع التي يرويها على أنها تتضمن شيئاً من التاريخ الحقيقي. وحين نعيد بناء هذه الوقائع بتخليصها من الروح المثيولوجية التي طبعتها، ونعيد رسم أسماء الأماكن والأشخاص كما هي دون تصويت يوناني، نتمكن من الحصول على مادة مهمة للغاية، تتضمن وقائع حقيقية عن الدور الذي لعبه الكهنة اليهود في اليمن خلال الغزو الروماني.

إن الغزو الروماني لليمن هو من بين أكبر ألغاز التاريخ القديم، إذ لا توجد عنه أيّ وقائع أو معطيات مترابطة وكافية، تسمح باعتباره حدثاً تاريخياً. إنه الحقبة الغامضة أو المنسيّة من التاريخ. في الواقع، طبقاً للمعلومات التاريخية المؤكدة، فقد قام الرومان منذ وقت مبكر، بأول محاولة للاتصال بالسبئيين والحميريين في عصر الإمبراطور الروماني بطليموس الثاني[١٤] عام ٢٧٢ ق.م، أي بعد نحو ١٣ سنة تقريباً من توليه العرش في روما، حين أرسل بعثة بحرية لليمن. تمكن الرومان خلال هذه المحاولة المبكرة من بناء (وجود) دبلوماسي وعسكري محدود.

وقد يفسّر لنا هذا سبب وجود اسم (بطليموس) في سفر المكابيين الذي يسجل أحداثاً جرت بعد قرنين من هذه المحاولة. في الواقع، كانت ذكرى بطليموس الإمبراطور الروماني الحقيقي لا المُتخيّل، طاغية في الثقافة اليمنية، وبحيث استعاده كلٌّ من كاتب السفر التوراتي ويوسفيوس على حدٍّ سواء، ليجعلا منه بطل الأحداث التي رافقت الغزو الروماني المتأخر. بكلام آخر، كانت هناك حملة (دبلوماسية وعسكرية) مبكرة على اليمن، قامت بها روما خلال حكم بطليموس (أي عام ٢٨٥ ق.م) لتأمين تدفق البخور واللّبان لمعابد روما، وهو أمر مماثل تماماً لمسعى الإمبراطوريات المعاصرة لتأمين تدفق البترول من الخليج. لم تكن حملة بطليموس حربية (أيّ غزواً) وحسب، بل كانت كذلك بعثة دبلوماسية كبرى، هدفت إلى ضمان ولاء السبئيين والحميريين لروما في مواجهة فارس عند مضيق هرمز. وكما هو معروف، فقد كانت ثروات اليمن القديم من البخور تضاهي ثروة البترول اليوم. إنها وقود (محرّكات المعابد والحياة الدينية) في العالم القديم، ومن دونها لا وجود للمعابد ولا حياة دينية حقيقية، ولكم أن تتخيّلوا المعابد وبيوت العبادة وجثامين الموتى في روما وأثينا وبابل ومصر دون بخور. إنه أمرٌ مماثل لتخيّل مصانع ومنازل أوروبا دون وقود (بترول).

في وقت متأخر جداً، وفقط نحو عام ٣٣ ق.م، أي بعد ما يزيد على قرنين ونصف تقريباً من محاولة بطليموس، حدث أن روما مع صعود الإمبراطور أغسطس، قررت الشروع في حملة حربية جديدة لغزو سواحل اليمن، لتضع يدها على ثرواته من البخور واللّبان والذهب. وفي هذا العصر كانت فارس تمتلك نفوذاً قوياً في اليمن.

هذا هو الإطار التاريخي لمشكلة تحديد زمن كتابة السفر والملحمة.

ثمة مشكلة عويصة أخرى مؤلفة من معضلتين صغيرتين متلازمتين يثيرهما سفر المكابيين، ويتغاضى عنهما اللاهوتيون وكل أتباع المدرسة التوراتية في علم الآثار، وتتصلان بالتقويم الذي اعتمده السفر والملحمة، أي بالتاريخ الحقيقي للأحداث: متى وقع الغزو؟ في أي عام وأي شهر؟ إن سفر المكابيين وتاريخ يوسفيوس، يرويان بالتفصيل قصة هذا الغزو المتأخر، ويحدّدان تاريخه بالسنة والشهر، بيد أن اللاهوتيين التوراتيين استبدلوا بهما تاريخاً مزيفاً.

سأقدّم هنا تفاصيل المشكلة العويصة:

المعضلة الأولى التي تواجه القارئ تتمثل بالآتي:

أولاً:

إننا لا نعرف بالضبط، التقويم الذي اعتمده كاتب سفر المكابين وكاتب (تاريخ يوسفيوس). هل كان تقويماً حميرياً/ يمنياً، أم أنهما اعتمدا تقويماً سلوقياً، أم تقويماً بابلياً، أم اعتمدا تقويماً سلوقياً/ بابلياً؟ هناك فارق زمني بين كل تقويم من هذه التقويمات، وهل يمكن الافتراض أنهما اعتمدا تقويماً رومانياً؟ هذا أمر محيّر بالفعل، فهما يؤكدان معاً أن الأحداث جرت هكذا:

(في شهر كسلو/ كصلو כִּסְלֵו من عام ١٧٣) [١٥]

في هذه الجملة الغامضة، هناك شهر حميري (عبري) هو كسلو/ كصلو، لكننا لا نعرف

هل هي سنة سلوقية/ بابلية أم رومانية؟ إن الفارق بين التقويمين السلوقي والروماني يصل إلى ٢٤ عاماً. مثلاً: عام ١٤٨ في التقويم السلوقي/ البابلي يقابله عام (١٦٤ق.م). أما إذا افترضنا أنه يؤرخ بالسنة الحميرية، فذلك يعني أن الفارق بين هذا التقويم، والتقويم الروماني سيرتفع نحو ١١٥ سنة أو ١٠٩ وليس ٢٤ سنة! هذه مشكلة حقيقية وعويصة. لكن، لمّا كان كاتب السفر، وكذلك كاتب ملحمة اليهود المؤرخ يوسفيوس، يعتمدان التقويم الحميري للشهر، فمن المنطقي أن نفترض أنهما اعتمدا السنة الحميرية. أليس كذلك؟ فما داما اعتمدا الشهر الحميري، ففي هذه الحالة لا يبدو منطقياً أنهما اعتمدا سنة رومانية. وفي هذه الحالة أيضاً يكون علينا أن نعتمد التقويم الحميري، وأن نرفض التقويم الروماني الذي لفقّه اللاهوتيون. ومرة أخرى، فالفارق الزمني بين التقويمين الروماني والحميري يصل إلى حدود ١٠٩– ١١٥ عاماً تقريباً حسب تقديرات علماء الآثار[١٦]. وهذا يعني أن أحداث السفر (وملحمة اليهود ليوسفيوس كذلك) وقعت في حدود ٣٣ ق.م. وهذا العصر هو بالضبط عصر الغزو الروماني الذي بدأ مع الاستيلاء على ميناء عدن عام ٢٧ ق.م كما تقول الوثائق الرومانية، حين أمر الإمبراطور أغسطس الضابط إيغالوس غالوتس بإخضاع اليمن بالقوة الغاشمة. وهذا هو بالضبط عصر إيلشرح يحضب الثاني الذي قاتل إيغالوس حسب رواية سترابون. ولذلك كله، سأطرح فكرة وجود فارق زمني آخر بين التقويمين الميلادي والحميري، فهو ليس ١٠٩ أو ١١٥، فهذا تقدير عشوائي لا أساس له، والصحيح كما سأبرهن هو ١٣٩ سنة، والدليل على ذلك أن كاتب سفر المكبيّين وكاتب (ملحمة اليهود) يقولان إن الحملة استمرت حتى عام ١٧٢ حميري.

وإذا ما اقتطعنا ١٣٩ عاماً من الفارق، نكون أمام عام ٣٣ ق.م. وفي هذه الحالة فقط، سيتطابق التقويمان الميلادي والحميري. بكلام آخر: إن عام ١٧٣ الذي دوّنه كاتبا السفر والملحمة، هو عام ٣٣ ق.م، وهو ذاته العام الذي أصبح فيه أغسطس إمبراطوراً، وفيه قرر غزو اليمن. على هذا الأساس فقط، يمكن حلّ معضلة التقويم. لذا، يجب أن نقتطع تلقائياً ما يزيد على أكثر من قرن كامل من أي رقم يورده كاتبا السفر التوراتي ونصّ ملحمة اليهود. مثلاً، عندما يقولان (في عام ١٧٣ق.م) فهذا يعني تقريباً (عام ٣٣ ق.م أو ٣٢ ق.م)، لأن الفارق الحقيقي

بين التقويمين الميلادي والحميري هو ١٣٩ وليس ١٠٩ أو ١١٥ كما في الرواية التاريخية الشاذّة. الفارق الطفيفي هو عام واحد: ٣٢-٣٣.

ثانياً:

لكن ثمة معضلة أخرى تتصل بهذا التقويم الغامض الذي استخدمه محررا السفر و(ملحمة اليهود). إن التاريخ الحميري تاريخ تصاعدي، فالسفر يبدأ من عام ١٤٢ وينتهي عامي ١٧٢-١٧٣، بينما التقويم الروماني تقويم تنازلي، فهو يبدأ مثلاً، هكذا: ٣٣، ٣٢، ٣١، وينتهي عام ٣٠... إلخ. وفي هذه الحالة لن يكون بوسعنا استخدام الفارق النظري بين التقويمين، لأنهما يسيران في اتجاهين زمنيين مختلفين. أي إننا، إذا ما اقتطعنا ١٣٩ سنة من الفارق، فلن نتمكن من ردم الفجوة الزمنية. فما الحل؟

لأجل تقديم حلول عملية لهذه المشكلة، سأقدّم تصوراً جديداً ومغايراً.

دعونا - أولاً وقبل كل شيء - نبادر إلى رفض التاريخ الارتجالي، العشوائي الذي وضعه اللاهوتيون، وأن نعتمد - ثانياً - على التاريخ الحميري للنصّين (المكابيّين ويوسفيوس). هذا التاريخ يضعنا بشكل صحيح ضمن عصر أغسطس ٣٣ ق.م. في الواقع، كان الحميريون يؤرخون بتاريخ تصاعدي، وهذا ما يفسّر لنا واحداً من الأسباب الجوهرية للفارق بين السنة العبرية والسنة الميلادية، فهي تصل إلى أكثر من ١٠٠٠ سنة، بعكس التقويم الروماني التنازلي الذي ينتهي بالتاريخ الميلادي. لذا يجب علينا أن نتعامل مع التقويمين على أساس أنهما يسيران في اتجاهين زمنيين متغايرين، وأن التاريخ الصحيح للأحداث هو ٣٣ ق.م، ثم نبدأ العد التنازلي: ٣٢، ٣١، ٣٠، ٢٩ إلخ. ولتأكيد نظريتي هذه التي تقول إن كاتب سفر المكابيين يهودي حميري وإنه كتب النصّ بالعبرية، وإن يوسفيوس كاهن يهودي يمني وليس يونانياً (والأدق كانوا مجموعة كهنة كتبوا سيرة يوسف المكربي أو بن مكرب)، وإن البيزنطيين مع اعتناقهم للمسيحية بعد قرون من كتابة النصين ترجموهما إلى اليونانية، ثم لفّقوا (تاريخ) رواية المكابيين وتاريخ يوسفيوس، فإن سارد السفر التوراتي يؤكد بنفسه، من خلال رواية دقيقة لا لبس فيها، أنه يؤرخ لروايته بتاريخ حميري (تقويم يمني قديم) وليس

بتقويمٍ رومانيّ. بهذا المعنى، يصبح التقويم الميلادي للسفر ورواية يوسفيوس الذي وضعه اللاهوتيون (١٦٣ ق.م) تلفيقاً لا أساس له. وهاكم الدليل:

في الإصحاح الرابع (المقطع ٥٢ يقول حرفياً ما يأتي):

٥٢: وبكروا في اليوم الخامس عشر من الشهر التاسع، وهو كسلو في السنة المئة والثامنة والأربعين[١٧]

في هذا النصّ لا يؤكد المحرّر ما إذا كان يعتمد التقويم السلوقي/ البابلي، أو الروماني أو الحميري. لقد ترك فراغاً مخيفاً بعد الرقم (السنة المئة والثامنة والأربعين)، وعلينا تقع مسؤولية التأكيد القاطع لتاريخ وقوع الحدث. إذا كان الفارق بين التقويمين الميلادي والحميري هو ١٠٩، ففي هذه الحالة يكون الغزو قد استمر وتواصل حتى شهر أيلول/ سبتمبر عام ٣٩ ق.م (حين بكروا في اليوم الخامس عشر من كصلو/ כִּסְלֵו أيلول). وهذا غير مقبول، لأن الإمبراطور أغسطس حكم عام ٣٣ ق.م وأمر بالحملة فور توليه العرش. أمّا إذا اعتمدنا الفارق ١١٥، ففي هذه الحالة يكون الغزو قد وقع عام ٣٣ ق.م بالفعل، وهذا هو العام الذي تولى فيه أغسطس العرش الروماني، ثم اصطدموا بملك سبئي يُدعى إيلشرح يحضب. وفي هذا العصر كان إيلشرح يحضب الثاني أقوى أقيال/ ملوك سبأ وحمير (٤٠– ٢٠ ق.م). ومع ذلك لا بد من التساؤل: هل يمكن تخيّل مؤرخ/ فيلسوف يوناني، يؤرخ لروايته بتاريخ حميري/ يمني؟ إن شهر كسلو/ قصلو هو شهر حميري/ عبري/ يمني قديم لا مثيل لاسمه في التقاويم المعروفة، ويمكن أيّ متسائل أو مندهش أن يراجع قائمة الشهور العبرية والشهور الحميرية. وكما أشرت آنفاً، فإن واحدة من أعقد مشكلات هذا السفر، أنه يعتمد التقويم (الغامض).

وهذه هي ذاتها مشكلة ما يُدعى ملحمة يوسفيوس.

لكل هذه الأسباب، سأرسم إطاراً تاريخياً عمومياً للغزو الروماني، وإطاراً جغرافياً موازياً، وبحيث يتداخل الإطاران ويتشابكان، فقط لأجل فهم أعمق يتمكن القارئ من خلاله من التعرّف إلى الجغرافيا، أي الأرض/ مسرح الحرب والوقائع الحربية في آن واحد.

تاريخ روماني بتقويم يمني، كيف نفهم هذا؟

لقد افترض كلّ، ولنقلْ معظمُ المؤرخين الأجانب والعرب، أن اليمن تعرض لغزو روماني فاشل بقيادة إيلوس غالوس/ إيغالوس عام ٢٤–٢٥ ق.م. وهذا تاريخ مزيَّف آخر لا أصل له، اختلقه المؤرخون اللاهوتيون والتوراتيون وفرضوه بقوة السرد الكاذب على عقولنا طوال عقود، فقط لأنهم ظنوا أن الأحباش الذين ساندوا حملة الرومان وذكرهم إيلشرح يحضب الثاني في نقوشه، هم ذاتهم الغزاة الأحباش في هذا الوقت، أي عام ٢٤– ٢٥ ق.م. فماذا نفعل حيال التاريخ الرسمي الزائف؟ هل كانت هناك حملتان رومانيتان عسكريتان في زمن واحد، أم حملة واحدة؟ إنني، في ضوء تحليلي للوقائع، أجزم بأن هذا الغزو بدأ فعلياً مع تجهيز الحملة العسكرية عام ٣٣ ق.م، وهو انتهى بهزيمة مريعة للرومان. وسفر المكابيين يسجل ما يأتي: إن الأحداث وقعت عام ١٤٢ (دون تحديد نوع التقويم). بيد أن هذا التاريخ من وجهة نظري هو ٢٧ ق.م، بحساب الفارق بين التقويمين الروماني والحميري. هذا يعني أن أغسطس أمر بالحملة بعد بضع سنوات من توليه العرش.

استمرّ الغزو لعشر سنوات تقريباً، أي حتى عام ٢٠ ق.م، قبل أن يهرب إيغالوس بجيشه. وبسبب هذا الغزو ونتائجه المروّعة، اندلعت الحرب الأهلية، واستمرت من (١٤٢ –١٧٢ حتى حسب تاريخ المكابيين ويوسفيوس، أي طوال ٣٠ عاماً). بكلام آخر، ليس صحيحاً ما افترضه كتّاب التاريخ التقليدي، أن الرومان قاموا بحملتين عسكريتين، إحداهما عام ٥٠ ق.م، وأخرى عام ٢٤ ق.م، كما يزعم اللاهوتيون والتوراتيون وكتّاب التاريخ التقليدي، وليس صحيحاً كذلك أن الرومان قاموا بهذه الحملة عام ١٦٣ق.م كما تقول الروايات التاريخية الشاذة والشائعة.

هذه تواريخ مزيفة لا أصل لها. لقد استمدّ هؤلاء روايتهم عن هذا التاريخ من ظنٍّ لا أساس واقعياً له، يقول إن اسم أنطيخوس الوارد في سفر المكابيين، هو أنطيخوس إمبراطور روما عام ١٦٣ق.م. وهذا التلاعب بالتاريخ ناجم عن سوء فهم مؤسف ومؤلم، وفي الآن ذاته، ناجم عن نقصٍ فادحٍ في المعطيات. لكن الأهم من كل ذلك، أنه ناجم عن ضعف قاتل في تحليل/ تفكيك المعطيات التاريخية. في الواقع، لا توجد حملتان عسكريتان للرومان،

هناك حملة واحدة بدأت مع صعود أغسطس للعرش الروماني، في عام ٣٣ ق.م، وهي انتهت باحتلال ميناء عدن عام ٢٧ ق.م حين قامت نحو ١٢٠ سفينة حربية بقيادة إيغالوس (غالوس في المؤلفات العربية) بإنزال ناجح وتمكن الرومان من احتلال جنوب اليمن.

والخلاصة من هذا العرض لمشكلة تاريخ وقوع الحملة هي الآتية:

لقد حدث غزو روماني لميناء عدن، وصولاً إلى لحج وأبين ثم تعز عام ٢٧ ق.م. لكن إيغالوس، بعد سنوات من القتال العبثي والخسائر والشعور بأن لا جدوى من البقاء في اليمن، قرر الفرار من الجحيم، وكان قد توغل عميقاً حتى ضواحي صنعاء، فاضطر إلى ترك مأرب يوم شاهد جنوده يحطّمهم العطش والإرهاق[١٨]. في الواقع، كان إيغالوس في مواجهة خصم عنيد، هو إيلشرح يحضب الذي تخيّله الكهنة في أورشليم في صورة (يهوذا) أي المخلّص.

ما يؤكد نظريتي هنا، أن سترابون يقول حرفياً إن الإمبراطور أغسطس هو منْ كلّف إيغالوس/ غالوس، قيادة الحملة. وهاكم النص. يقول سترابون :

«نحن لم نتعرّف إلى كثير من السمات الفريدة للعربية – السعيدة/ اليمن – إلا بفضل الحملة التي شنّها الرومان على العرب منذ بعض الوقت، وقادها غالوس بأمر من أغسطس قيصر لدراسة هذه القبائل والأماكن في العربية وإثيوبيا أيضاً»[١٩].

لنلاحظ، أن سترابون يشرك إثيوبيا (الحبشة) في روايته عن الغزو، وهو ما يؤكد أن الرومان دبرّوا غزوهم بالتفاهم مع القوات الحبشية، وذلك ما تؤكده نقوش إيلشرح يحضب الثاني الذي تصدى للغزاة الأحباش ووكلاء الرومان. ولمّا كان الإمبراطور أغسطس قد حكم روما عام ٣٣ ق.م، وأمر بالغزو في وقت مبكر من حكمه (٢٧ ق.م)، فمن المؤكد أنه فعل ذلك اعتماداً على حلفائه الأحباش. في هذا الوقت، وكما رأينا في الصفحات السابقة، فإن كاتب سفر المكابيين وكاتب (تاريخ يوسفيوس) اعتمدا التاريخ الحميري في تسجيل الرواية التاريخية عن الغزو الروماني لليمن، وهما يؤرخان روايتيهما بـ (السنة مئة وثمانٍ وأربعين، بحسب النص). ولكل ذلك، أرفض رفضاً قاطعاً التصوّر السائد في كتب التاريخ عن حملتين

رومانيتين، وأقطع بوجود حملة واحدة انتهت بهزيمة ماحقة، وأرفض المزاعم أن أحداث سفر المكابيين كانت في عام ١٦٣ ق.م.

وهذا – مرة أخرى – تاريخ زائف اخترعه اللاهوتيون، ولا أساس له. وفي هذا العصر ٣٣ ق.م، كان إيلشرح يحضب هو الذي يعلن نفسه جهاراً نهاراً أنه (ملك سبأ). وبرأي بيستون، فقد كان إيلشرح يحضب (قيلاً) من أقيال قبيلة بكيل ضمن تحالف قبائل همدان[٢٠]، ولم يكن ملكاً. لكن بيستون يزعم دون وجه حق أن (لقب إيل شرح) لقب يوناني يعني المخلصّ، وهذا تأويل غير صحيح، لأن اللقب برأيي لقب دينيّ عربي قديم (الشرح) أي الفاتح: فتح الله (إيل/ شرح/ الله الفاتح/ المخلّص ومنه الآية القرآنية: ﴿ربّ اشرح لي صدري﴾، أي خلصني. افتح لي)[٢١]. وهذا هو جوهر الخلاص المسيحي: اشرح لي صدري (أي دلني/ ربّ دلني على الطريق القويم).

وأؤكد في هذا السياق بالآن ذاته، طبقاً للمعطيات التاريخية التي درستها بعمق، أن روما قامت قبل قرنين من هذا الغزو، أي عام ٢٧٢ ق.م، بأول وأكبر محاولة (دبلوماسية) ناعمة، للاستيلاء على اليمن، وقد تركت في ذاكرة اليمنيين ذكريات لا تُمحى. وهذه، كما أشرتُ من قبل، كانت محاولة الإمبراطور أنطيخوس. لكل ذلك، يجب على القرّاء الذين يقرأون التاريخ التقليدي أن يُراعوا هذه الحقائق، فما يسجله سفر المكابيين وتاريخ يوسفيوس على حدّ سواء، وقائع تتصل بحملة عسكرية رومانية متأخرة عام ٢٧ ق.م، وليس عام ١٦٣ق.م كما هو شائع، أي ليست بكل تأكيد عام ٢٥ ق.م. إن التاريخ المزيف الذي وضعه علماء الآثار وكتّاب التاريخ التقليدي للحملة اختراع لاهوتي/ توراتي لا أصل له، ويدحضه تماماً ما سجله محرّر السفر التوراتي، وكذلك يوسفيوس، القائل إن الحملة تواصلت حتى عام ١٤٨، وهما يقصدان أن هذا الزمن من التاريخ الحميري لا الروماني. وفي هذا العصر (نحو ٣٣ ق.م)، أي بعد ما يقرب من عشر سنوات من القتال في اليمن، كان ملك سبأ وذو ريدان، هو إيل شرح يحضب (الثاني *Ilasaros*)، وهذا الاسم هو الاسم ذاته الذي رسمه سترابون بدقة، بينما كان منافسه وخصمه في الجنوب القيل/ الملك نشأ كرب بن يهأمن[٢٢]. وما يؤكد ذلك، أن المؤلفين الأوروبيين يقولون في مؤلفاتهم إن إيلشرح يحضب زعيم قبلي لقبيلة بكيل من همدان (أنظر الهامش).

وبرأي جواد علي[٢٣]، فقد برهنت حملة الرومان، وكذلك حملة الحبشة التي تلازمت معها، وكانت وكيلة روما (التي ستصبح مع المسيحية وكيلتها الرسمية في المنطقة) أنهما رتبتا لحملة مزدوجة في هذا الوقت، و(أن حكومة سبأ وذو ريدان لم تكن حكومة قوية متماسكة، ولم تكن لديها قوات حربية قوية منظّمة ومدرّبة لمواجهة الغزو المزدوج). وهذا صحيح، فقد كان إيل شرح قيلاً (زعيماً دينياً محلياً ولم يكن ملكاً بالمعنى الحقيقي لكلمة ملك)، ولذا كانت قواته غير منظّمة، ذلك أن الدولة المركزية تفكّكت منذ وقت طويل، وبدأ الأقيال والأذواء في الشمال والجنوب، يظهرون في ميادين القتال كطامعين بالسيطرة على السلطة. وهذا الجانب من تطورات الصراع، كان يشكل عائقاً حقيقياً أمام إيل شرح يحضب الثاني ليفرض سيطرته كملك سبئي.

وهذا ما يؤكده سترابون في شهادته التاريخية كما أعاد جواد علي روايتها بصوته الخاص:

«حتى لقد زعم من أرّخ تلك الحملة من الكتبة اليونان، أن الرومان لم يقاتلوا العرب، ولم يصطدموا بقواتهم اصطداماً فعلياً على نحو اصطدام الجيوش، وأن المحاربين العرب، لم يكونوا يملكون أسلحة حربية من الأسلحة المعروفة التي تستعملها الجيوش، وأن كل ما كان عندهم هو الفؤوس والحجارة والعصي والسيوف، ولذلك لم يتجاسروا على الالتحام بالرومان. وقد لاقى الرومان من الحرّ والعطش والجوع، ما جعلهم يقرّرون التراجع والعودة إلى بلادهم، فهلك أكثرهم»[٢٤].

لقد عدتُ إلى أصل هذا النص الذي استخدمه جواد علي، ولكنه لم يعط القارئ التفاصيل التاريخية الضرورية، ربما لكثرة الوقائع التي كان يعالجها، وهذا أمر مفهوم ومقبول، كذلك لاحظتُ أن سترابون[٢٥] استخلص هذا الاستنتاج في ضوء تقارير صديقه الضابط الروماني قائد الحملة إيغالوس. لذلك كله، سأعيد قراءة رواية سترابون بصوتي، وسأعيد أيضاً رواية المؤرخ العراقي العظيم جواد علي.

يكتب سترابون ما يأتي: «وكانت هذه المنطقة – التي وقعت فيها أولى هزائم الرومان – تدعى أرارينا – إرن[٢٦] – وادي ارن[٢٧] –؛ وكان ملكها يدعى ملك سبأ – إيل سره/ س إيلشرح *Ilasaros* – وعبر هذه الأرض قدّر لغالوس/ إيغالوس أن يجتاز طرقات شديدة الوعورة،

استغرقت منه ٥٠ يوماً آخر حتى وصل مدينة نجران[٢٨] الواقعة في بلاد مسالمة وخصبة. فهرب ملك البلاد، وأُخذت المدينة بقوة السلاح. ومن هنا وصلت القوات بعد ٦ أيام إلى نهر وقعت عليه معركة الرومان مع البرابرة، فخسر فيها هؤلاء ما يقارب ١٠٠٠٠ مقاتل، بينما لم يخسر الرومان سوى مقاتلين اثنين».

طبقاً لهذا الوصف يكون الرومان بعد احتلال ميناء عدن قد اصطدموا بالملك السبئي إيلشرح يحضب الثاني في منطقة جبلية شديدة الوعورة الممتدة من عدن حتى نجران التي كان قد أخضعها طبقاً لما ورد في نقوشه، لكن الرومان سرعان ما اصطدموا بملك جنوبي/ حميري في نجران، بيد أنه هرب من مواجهتهم. وأخيراً، وقع الصدام مع إيل شرح حين توغل إيغالوس باتجاه صنعاء حتى اقترب من مأرب. ليس هذا الملك الذي هرب من مواجهة الرومان في نجران، سوى القيل/ الملك الحميري كرب ذو ريدان المنافس للملك إيل شرح يحضب السبئي/ الشمالي. وكان هذا قيلاً/ ملكاً منافساً زعم أنه (ملك سبأ وحمير). وهكذا كان على إيل شرح أن يقاتل ملوكاً منافسين في الشمال والجنوب، وفي الآن ذاته أن يقاوم الغزو الروماني/ الحبشي. وكان على الرومان أن يقاتلوا قبائل متصارعة مذبذبة الولاء، وكان مسرح القتال يصبح أكثر تعقيداً مع تواصل انهيار (الدولة) وانخراط القبائل في صراع مفتوح يقطع الأنفاس ويستحيل ضبطه. في هذا الوقت تمكن إيغالوس من الاستيلاء على مقاطعة استراتيجية في شمير مقبنة بمحافظة تعز اليوم، وتدعى حسب الرسم اليوناني (عشقة)، وهي ما يعرف اليوم باسم (العوشقة). هاكم ما يقوله سترابون:

«فهؤلاء البرابرة الذين لم يكونوا مقاتلين في أي حال من الأحوال، لم يكونوا يحسنون استعمال الأسلحة، خاصة الأقواس والرماح والسيوف والمقاليع؛ وكان أكثرهم مسلحاً ببلطات حربية حادة الطرفين. وبعد المعركة مباشرة تم الاستيلاء على مدينة تدعى آشكا/ عشقاله[٢٩]، كان الملك فيها قد غادرها هارباً.

ومن هنا وصل غالوس/ إيغالوس إلى مدينة أفرولا/ عفرولا/ المعافر[٣٠] فأخذها من غير قتال وترك فيها وحدة حماية. ثم أعدّ القمح والتمور مؤونة للطريق. ووصل مارشب/ مأرب[٣١] التي كانت لقبيلة الرامانيتين[٣٢] الخاضعة لإيل شرح[٣٣]. فهاجم غالوس المدينة وحاصرها ٦

أيام، لكنه أرغم على التراجع بسبب نقص المياه. وبحسب أقوال الأسرى، فقد كان على بعد مسير يومين عن البلاد التي تنتج البخور واللّبان[٣٤]، بيد أنه صرف ٦ أشهر في المعابر بسبب مخاتلة الأدلاء».

طبقاً لهذا الوصف، يكون الرومان قد توغلوا من عدن حتى بلغوا شبوة، وهي (مخزن) البخور الذي يُصدَّر عبر ميناء حضرموت[٣٥] التي كانت على مبعدة يومين منها تماماً، كما يقول سترابون وسفر المكابيين ويوسفوس، ثم اتجهوا صوب مأرب لقنال إيلشرح. كانت معارك الرومان قاسية بالفعل، ويبدو أن الطرق الوعرة في شبوة استنزفت قوات الرومان ووقتهم، وفي محاولة يائسة منهم للالتفاف على الطرق الجبلية، اضطروا إلى المسير ٦ أشهر متواصلة دون توقف تقريباً إلا في حالات استثنائية. لكنهم خلال القتال تمكنوا من الاستيلاء على إقليم المعافر (أفرولا/ المعافر) في تعز، قبل أن يقرّروا السير نحو مأرب. يذكّرنا هذا الوصف المذهل الذي كتبه سترابون، وفهمه كتّاب التاريخ التقليدي بشكل سيّئ، بوصفٍ رائع كتبته المغامرة/ السائحة البريطانية المعاصرة فريا ستارك[٣٦]، حين سعت عام ١٩٣٩ بيأس إلى الالتفاف على الطرق الوعرة من شبوة للوصول إلى حضرموت، وفقط لأجل أن تبرهن على أن وصف سترابون كان وصفاً مصيباً وصحيحاً. لقد حاولت ستارك، دون جدوى أن تصل عبر الطرق الالتفافية إلى ميناء حضرموت، ولكن عبثاً، وأخفقت محاولتها كما أخفق إيغالوس (وفي الكتاب السابق تحدثت طويلاً عن مغامرتها، فلا حاجة للتكرار).

يضيف سترابون واصفاً حالة قائد الغزو الروماني الذي تعرّض للخديعة من القبائل اليمنية الموالية للرومان[٣٧]:

«ولم يدرك – إيغالوس – أنه كان ضحية نيّةٍ شريرةٍ، إلّا في وقت متأخرٍ جداً، فعاد أدراجه عبر طرقات أخرى، فوصل نجران[٣٨] في اليوم التاسع حيث وقعت المعركة، ومن هنا وصل بعد أحد عشر يوماً إلى جبتا فريتا/ جبت[٣٩] الفرث، وقد دُعي المكان بهذا الاسم لأن فيه ٧ آبار».

يشير هذا النص بوضوح إلى أن الرومان اضطرّوا إلى التراجع صوب نجران، أملاً في الفرار من الجحيم. لقد وجدوا أنفسهم يحاربون في مأرب والمعافر ولحج وعدن ونجران، وكان ذلك يعني أنهم لم يعودوا ضحيّة خدعة أدلّاء؛ بل أصبحوا في قلب مغامرة جنونية

قادتهم إلى المجهول. وهكذا وجد الرومان أنفسهم بقيادة إيغالوس، وكأن كل واجبهم الحقيقي في هذا الوقت هو الحصول على فرصة، أي فرصة للفرار وحسب. وهكذا أيضاً كما يكتب سترابون:

«فقد انطلق - إيغالوس - من هناك عبر بلادٍ مسالمةٍ، فوصل إلى قرية خآلا/ الخال[٤٠]، ثم إلى قرية أخرى تدعى ملوفه/ معلافه[٤١] واقعة على نهر، وامتدت طريقه بعد ذلك عبر منطقة صحراوية ماؤها قليل، حتى وصل إلى قرية عكرة[٤٢]. وتقع هذه القرية في بلاد عبادة/ عبدت[٤٣] عند البحر. لكن طريق عودة غالوس استغرق ٦٠ يوماً، بعد أن صرف على المسير الأول ٦ أشهر».

في نهاية المطاف اضطر إيغالوس/ غالوتس إلى الفرار عبر لحج، ماراً بمديرية القُبيّطة في لحج (ومن اسم هذا المكان جاءت كلمة قبط في مصر: قُبيّط/ قبط)، قاصداً مقاطعة إسكندر في (تعز) أملاً بأن يتمكن من الوصول إلى باب المندب أو مضيق هرمز. ثم وجد نفسه وقد سار في طريقٍ تؤدي إلى عدن، وكان لا يزال يحلم بأن يتمكن من نقل معداته وحمولاته عبر البحر، وأن يعود هو وعدد قليل من جنوده عبر طريق (ضوران أنس) في ذمار لتجميع فلوله. وفي هذا الوقت تمكن من احتلال حصن عكرة. والمثير أن يوسفيوس يورد اسم القرية/ الحصن بهذا الاسم نفسه (عكرة). وهذا أدّق دليل يمكن الحصول عليه بأن كاتب تاريخ يوسفيوس يهودي يمني يعرف الجغرافية بعمق، وليس كاهناً يونانياً (يوسفيوس، ملحمة اليهود، ج١:١: ٣٣ - ٣٥)، وهي هناك حتى اليوم وتُدعى قرية/ حصن عكر. محافظة ذمار، مديرية ضوران انس، عزلة بني حاتم، قرية العر، محلة حصن عكر. فهل هذه مصادفة وحسب، أن يوسفيوس يتحدث عن (حصن عكرة) وجغرافيا اليمن تتحدث عن (حصن عكر)؟ كان إيغالوس بعد سنوات من القتال في اليمن، يُدرك أن حملته انتهت إلى الهزيمة، وكانت أحلام روما تتبدّد في الهواء، وبدا له أن بلوغ مضيق هرمز (أو باب المندب) هو النهاية السعيدة الوحيدة للمغامرة الفاشلة.

يضيف سترابون: «ومن هنا قاد قواته إلى ميوس هرموس/ ميناء هرمز في أحد عشر يوماً؛ ثم نقل أحماله إلى حيوانات نقل وسار براً إلى كوبتوس/ القُبيّطة[٤٤]، ومنها بلغ إسكندر[٤٥]

مع كل من ابتسم له الحظ ونجا من تلك الحملة. أما جنوده- الآخرون- فقد فقدهم، ليس بسيوف الأعداء، بل راحوا ضحية الأمراض، والنوازل، والجوع، والسير في مناطق خالية من الطرقات. أما ميادين القتال نفسها فلم تأخذ منهم سوى ٧ أشخاص. ولهذه الأسباب لم تأت هذه الحملة بفوائد تُذكر بالنسبة إلى معرفة هذه المناطق، مع أنها ساعدت على هذا بعض الشيء. أما سيليوس/ صيليوس[٤٦]، الذي تقع عليه مسؤولية فشل الحملة، فقد نال عقابه في روما، ومع أنه تظاهر بصداقته للرومان، إلا أنه إضافة إلى هذه الخيانة، أُتُّهم بجرائم أخرى وقُطع رأسه».

وسنرى تالياً أن سيليوس/ صليوس هذا ليس سوى قيل/ زعيم قبائل (الصلو) في تعز، ممنْ تعاونوا مع الرومان وعملوا معهم بوصفهم وكلاء ووشاة وجواسيس ومرشدي طرق. وهذا مغزى عبارة سترابون أن الرومان قطعوا رأسه في روما لأنه خدعهم. في هذا الوقت توغلت القوات الحبشية الموالية للرومان في معظم مدن اليمن الجنوبي، وصارت تتدخل في كل صغيرة وكبيرة في حياة اليمنيين كما ارتأى جواد علي:

«مع أنها دون الرومان في القوة وفي التنظيم الحربي بكثير. وتوغلهم هذا يدل على أن العربية الجنوبية لم تكن تملك إذْ ذاك قوة بحرية قوية، بحيث تقف أمام الأحباش، وتمنعهم من الوصول إلى السواحل، مع أن الأحباش أنفسهم لم يكونوا يملكون قوة بحرية يعتدّ بها. ولعل الرومان ساعدوهم في نزولهم في – اليمن –، لأنهم كانوا تحت تأثيرهم، كما صاروا تحت تأثير الروم، أي البيزنطيين من بعدهم، ولا سيما بعد دخولهم في النصرانية»[٤٧].

هذا الأمر يؤكد لنا، أن الغزو الروماني البحري تلازم مع غزو حبشي بحري/ بري، وأن الرومان قدّموا مساعدة لوجستية للأحباش للوصول إلى شواطئ عدن، لأنهم لم يكونوا يمتلكون القوة الكافية للغزو البحري. وفي هذا العصر أيضاً، عاشت مدن اليمن الممزقة في الأصل، نزاعاً قبلياً مأسوياً، فقد دخل ملك سبأ (أو هكذا سمىّ نفسه) إيل شرح يحضب وولي عهده، شقيقه وشريكه في الحكم (يأزل بين) في نزاع مع طامع جنوبي يدعى (شعر أوتر)[٤٨] الذي كان قيلاً من أقيال حمير، لكنه تسمّى بلقب ملك، وعيّن شقيقه يريم أيمن وليّاً للعهد. لقد كان هناك فعلياً، ملكان في الشمال السبئي، كلٌّ منهما يزعم أنه وشقيقه وليّ

عهده، ملكا سبأ وحمير، وفي الوقت نفسه ظهر قيل/ ملك آخر في الجنوب الحميري هو نشأ كرب بن يهنعم، يدّعي أنه وشقيقه ملكا سبأ وحمير. وفي الآن ذاته ظهر طامع آخر في الحكم في الجنوب الحميري (اليهودي) يُدعى إيل كرب ذي ريدان[٤٩]، زعم أنه أيضاً (ملك سبأ وحمير). والقيل/ الملك نشأ كرب هذا ذكرته النقوش السبئية باعتباره ابن ياسر يهنعم (الحميري)، أو ما يعرف في التراث الأدبي اليمني باسم (ناشر النعم/ ياسر يهنعم). في قلب هذه الفوضى، وحيث كل (قيل) يعلن عن نفسه أنه ملك سبأ وحمير، نشأ وضع معقد يصعب تفكيكه. كان الجنوبيون الحميريون فعلياً أصدقاء للرومان، وفي الواقع كانوا وكلاء وعملاء. أما الشماليون (السبئيون)، فقادوا المقاومة.

ولشرح هذا الجانب المعقد من الصراع، سأعيد ترتيب الوقائع:

إن طريقة رسم سترابون اليوناني لأسماء المواضع التي سار فيها إيغالوس/ غالوتس، تتماثل مع أسلوب مترجم نصّ يوسفيوس (كاتب تاريخ يوسفيوس) ومع أسلوب مترجم نصّ (سفر المكابيين) فهو يضيف تقليدياً، حرف السين اليوناني اللاصق إلى أواخر الأسماء مثل (كبت/ قبتس/ كبتوس). وهذا كافٍ ليتخيّل قارئ النصّ وكأن إيغالوس هرب نحو (بلاد القبط) أي مصر البلد العربي فوصل إلى الإسكندرية؛ وهذا غير منطقي، لأنه كما يخبرنا كان يتجه صوب القُبيّطة وإسكندر في طريق تعز/ الحديدة أملاً ببلوغ ميناء المخا، ثم مضيق هرمز لنقل معداته. بكلامٍ موازٍ، يستحيل تخيّل أن إيغالوس هرب نحو مصر ليصل إلى مضيق هرمز! في الواقع، اتجه إيغالوس من شبوة، وأخذ طريق لحج/ تعز، ومنها صوب ساحل الحديدة، مارّاً بمديرية القُبيّطة (كبتوس)، قاصداً طريق المخا أو عدن في الغرب، وذلك بسبب خيانة قبائل من مقاطعة نباطة، كما سنرى. وهؤلاء كانوا يظهرون تعاطفاً مع الرومان، ثم غدروا بهم حين خدعوا القوات وأجبروها على عبور مناطق وعرة ومجهولة. في هذا الوقت كان إيلشرح يحضب من أكبر (أقيال) الشمال السبئي، ولم يكن ملكاً، لكنه قاد المعارك ضد الرومان والأحباش الغزاة وتلقب بهذا اللقب، ثم وجد نفسه أمام منافسين كثر، من بينهم (ملكان/ قيلان)، أحدهما يدعى شعر أوتر، وآخر يدعى إيل كرب ذو ريدان (أي كرب الحميري). لقد كانا طامعين في استغلال المواجهة مع الغزاة الرومان، لفرض نفسيهما ملكين في الشمال والجنوب. وللدلالة على أن إيلشرح كان (قيلاً) ولم يكن ملكاً

خلال حقبة التصدي للغزو الروماني، فقد أشارت النقوش اليمنية إليه بوصفه (قيلاً)، بينما أشارت إلى والده (فرعم) بوصفه (ملكاً). ورد اسم فرعم ينهب والد إيل شرح يحضب في نقوش *Jamme 566* و *CIH 299*. لكن في نقش *Jamme 566* وردت إشارة إلى إيل شرح يحضب ويأزل بيَنْ، باعتبارهما ابنيْ فرع/ م ينهب، ولكن دون أي تأكيد أنهما كانا «ملكي سبأ». وحسب التعبير السبئي: «أملك سبا». إن النقوش في هذه الفترة تقول إن الملك هو (فرعم/ فرعن أي فرعون)، لكنها لا تذكر اسم إيلشرح، بما تؤكد أنه خلال هذه الفترة من حكم والده لم يكن ملكاً، أي أن لقب الملك يعود إلى «فرع/ م ينهب» الأب. هذا الأمر من شانه أن يفسّر لنا بعض الجوانب الغامضة من نصوص سترابون، فهو يذكر (ملك سبأ) تارة، وتارة أخرى (إيلشرح). وقد لاحظ فون وزمن[٥٠] *Wissman.H.Von* أن حمير تجنبت الصدام مع إيل شرح يحضب، لأنه كان يقود قبائل سبئية محتمية بمناطق جبلية حصينة. وفي نقش يعرف باسم نقش المعسال *al> AL-Mis* هناك رواية مهمة للغاية عن مطاردة قام بها ملك حمل اسم/ لقب ياسر يهنعم (الحميري) في ميناء عدن، لطرد الأحباش الذين دعموا الغزو الروماني. وهذا هو بالضبط اسم والد القيل/ الملك نشأ كرب (الثاني). لقد كان هذا معادياً للأحباش، لكنه لم يكن معادياً للرومان. ولذا حدث الصدام بينه وبين الشماليين. هذا الجانب المُعقد من الصراع يجب أن يؤخذ بالاعتبار، فجزء من قبائل الجنوب كان معادياً للأحباش، ولكنه بدا مُستعداً للتعامل مع الغزاة الرومان. وهذا الأمر له علاقة بجملة عوامل مركّبة، منها شعور الحميريين بالأنفة والعزّة ورفضهم الخضوع لحكم الأحباش، لكنهم يمكن أن يتفهموا بواعث الغزو الروماني والتعامل معه بوصفه غزو «دولة عظمى» لبلادهم.

أدّى هذا التدخل إلى تخلي عدد كبير من الأقيال (حسب المصطلح السبئي أقيال/ *ʾqwl-*)[٥١] عن مساندة القيل/ الملك الجنوبي اليهودي نشأ كرب. وهكذا نجد أنفسنا أمام قيل/ ملك حميري آخر يدخل في معادلة الصراع يُدعى ياسر يهنعم الحميري، وابنه نشأ كرب الذي كان قيلاً وولي عهد والده، يحاول فرض نفسه قوةً مُهيمنة على ميناء عدن لمصلحة الرومان، لكنه يكنّ كراهية خاصة للأحباش. في هذا الوقت كان نشأ كرب يسعى إلى فرض سيطرته في الشمال بتطويق مأرب وعزلها وفرض نفسه ملكاً؛ ولذا راح يتودّد إلى (الأذواء *ZA*) بأمل أن يساندوه في معاركه، لكن هؤلاء وجدوا أن فرصة سانحة تلوح أمامهم لحمل لقب

(قيل)، أي أن ينتقلوا إلى (رتبة قيل) إذا ما استغلوا حاجة الملك لهم. وهكذا قدّموا له الدعم المطلوب، ومكّنوه من الاستيلاء على مأرب، بينما كان منافسه شعر أوتر يقاتل الأحباش في ميناء عدن. وهؤلاء الأذواء هم الذين يسيطرون على ما تسميه النقوش المسندية (المحافد/ مفرد محفد) وهي دار الحكم الإقطاعي، أي مراكز السلطة على الأراضي، وهؤلاء كانوا الإقطاع غير الديني الذي يسيطر على مساحات صغيرة ومبعثرة من الأراضي. إن النقوش السبئية تستخدم اصطلاح *ZA* للدلالة على (ذي، ذو/ أذواء) مثل: ذي يزن، ذي جدن، ذي نؤاس، ذي فائش، ذي أصبح، ذي المنار. وهؤلاء هم الذين سيعرفون في التراث اليمني بـ(التبابعة/ مفرد تبّع)[٥٢]. كان (الأذواء) ينتسبون إلى ثماني قبائل قوية حسب القصائد اليمنية القديمة، وهم يؤلفون من منظور التشكيلات الاجتماعية، طبقتين رئيسيتين كان لكلٍ منها موقفٌ خاصٌّ من الحرب الأهلية، واحدة قاتلت حمير، والأخرى نأت بنفسها عن مقاتلَتهم. في الطبقة الأولى، كانت هناك القبائل التي تنتسب إلى ذي ثعلبان، وذي خلل، وذي سحر، وذي جدن (خولان) وذي صرواح (مأرب) وذي مقار، وذي حزفر، وذي عثكلان (عسقلان في النقوش الآشورية والتوراة). وفي الطبقة الثانية: ذو فراقد، ذو دفين، ذو يزن[٥٣]. وكما ارتأت نينا فكتورفنا[٥٤]، فقد كان «الأقيال هم طبقة الأعيان والأمراء، أي البيوتات الحاكمة». إنه لأمر مدهش أن نعلم أنّ سائر أسماء هذه القبائل التي ينتسب إليها الأقيال، تتردد في التوراة: مثلاً، عسقلان/ عثكلان، ذي يزن/ إزن، سحر/ سحر، جدن/ جد إلخ. ورد مصطلح (قيل/ أقول *ʾqwl*) في نقوش سبئية كثيرة، منها ما يعود إلى القرن الرابع والخامس قبل الميلاد (بشكل أخص في نقوش مملكة قتبان). وبعض الملوك في التاريخ السبئي القديم كانوا في مرتبة (الأقيال/ مفرد قيل) قبل أن يحملوا لقب ملك[٥٥]، كما هو الحال مثلاً مع الملك يريم أيمن ١٤٥ ق.م، ومع سعد شمس وابنه مرثد، وهم أصبحوا ملوكاً أو يحملون لقب ملك، فقط في سياق الصراع والاستيلاء على الأراضي، كما تدلّ على ذلك نقوش *Ja561-CIH53-CIH2,CIH296- CIH305-CIH312* التي ورد فيها لقب (قيل) في وصف الملك علهان نهفان. لقد كان هذا (قيلاً) من أقيال همدان قبل أن يعلن عن نفسه ملكاً على سبأ. هؤلاء بمجملهم، وتبعاً لمكانتهم الدينية والاجتماعية في القبيلة، كانوا يمثلون طبقة الإقطاع الديني/ وغير الديني الذي يفرض سيطرته المزدوجة على الأرض والسكان. وما يؤكد ذلك، أن أحد الأقيال، وكان من أكثرهم نفوذاً في هذا العصر، يدعى

شفع (الشفيع/ عت أشوع) الذي ذكرته نقوش جام ومنها *Ja 713 - Ja 708* وحده دون ذكر اسم الملك، كما هي تقاليد الدعاء الديني أو النذور، وهو ما يؤكد لنا بنحو حاسم، أن هؤلاء الأقيال تلقّبوا بلقب ملك للتعبير عن طموحاتهم في الصراع الدموي. لقد كان هذا (كاهناً) إقطاعياً أو إقطاعياً كاهناً، وسجل في نقوشه النذور التي قدمها بنفسه دون ذكر اسم أي ملك، كما هي تقاليد النقوش النذورية السبئية التي تبدأ بالدعاء للملك أولاً. هؤلاء هم الأقيال والأذواء الذين قادوا المعارك ضد الرومان والأحباش، طوال سنوات حكم إيلشرح يحضب الثاني ٤٠–٢٠ ق.م، وفي الآن ذاته قاتلوا إيلشرح نفسه، وكان مألوفاً أنهم حملوا لقب ملك في سياق تنافسٍ محمومٍ فيما بينهم. كان إيل شرح يحضب محارباً شجاعاً من محاربي قبائل سبأ، قاتل قبائل حمير وحضرموت في عهد والده فرعم عندما كان (قيلاً) ولم يصبح ملكاً بعد، وتمكن من صدِّ غاراتهم على سبأ، وأحبط محاولات غزوها، فأوقع بهم هزيمة منكرة. وفي نقش *Glaser 119* نقرأ خبر غزو إيل شرح يحضب لأرض حمير وحضرموت، أي كامل أرض الجنوب اليمني، ولكنه في هذا الوقت كان يسمّي نفسه (كبير أقين) حسب الاصطلاح السبئي، أي كبير الأقيال. وفي قلب هذا الصراع المتعدّد الأطراف، وقفت حضرموت إلى جانب شعر أوتر الحميري، كما يظهر من النقش *Glaser 825*، وذلك ما مكّنه من الاستيلاء على جزء من أرض حمير، ومن استمالة قسم من قبائل حمير إليه، بينما مال قسم آخر إلى إيل شرح يحضب. وهذا أمرٌ مفهوم، فقد كانت روابط حضرموت الأسرية والجغرافية بالجنوب، أقوى منها مع الشمال السبئي؛ ولذا انحازت حضرموت إلى الحميريين. في هذا الوقت استغلت قبائل ردمان[٥٦] الجنوبية فرصة الحرب بين الملك شعر أوتر، و«العز/ يلط» ملك حضرموت، فأغارت على أرض سبأ، وقصدت سد مأرب لتخريبه؛ بل إنها أغارت على معبد صرواح وقامت بتخريبه. أي قامت عملياً بتهديم (هيكل) السبئيين، وهو معبد الإله المقه.

إيل شرح وسترابون وامرؤ القيس

ما يمكن استخلاصه من التفاصيل الكثيرة والمتشعبة التي تسجلها النقوش عن هذه الحروب القبلية خلال الغزو الروماني هو الآتي: لقد سبّب الغزو الروماني، بالتلازم مع الغارات

الحبشية برّاً وبحراً انهيار اليمن ككيان سياسيّ، ولذا إنزلقت قبائله في صراعات قاتلة ومُميتة حول الأرض والنفوذ. وفي سياق هذه الأحداث، خُلع أمير صغير، ستكون قصة خلعه مدوّية في التاريخ الأدبي للعرب. هذا الأمير يدعى مراقس/ امرؤ القيس الذي كان قيلاً (ملكاً صغيراً في مقاطعة تتبع عدن. لقد سعى بعد خلعه إثر حملة شرح إيل يحضب الثاني إلى التواصل مع الرومان، قبل انسحابهم من اليمن مهزومين مُشتّتين، وفقط لأجل إعادته إلى عرشه؛ بينما كان إيل شرح يحضب يخوض معارك شرسة معهم لإرغامهم على الانسحاب النهائي من اليمن. ويبدو من سلسلة وقائع ترويها المصادر اليونانية/ الرومانية، أن امرأ القيس هذا كان من (وكلاء) الرومان، وضع نفسه وقواته في خدمة الغزو، وهو ما رأى فيه إيل شرح يحضب الثاني السبئي، تحدياً خطيراً، لأن امرأ القيس هذا كان يسيطر فعلياً على عدن، باعتباره زعيم قبيلة كندة، أي أنه سلّم فعلياً الميناء الجنوبي للرومان.

ورد اسم إيل شرح يحضب كملك مع أخيه يأزل بين في نقوش كثيرة جداً، منها النقوش *Glaser 220*. و *Jamme 574* و *Jamme 575* و *Jamme 5905* كما تنبئنا النصوص: *Jamme 578* و *Jamme 850* و *Jamme 581* و *Jamme 586* و *Jamme 589* بأن الملكين الأخوين في هذا العصر، حاربا ملكاً جنوبياً أطلق على نفسه لقب (كرب إيل ذي ريدان - أي كرب إيل الحميري) ومن كان معه من كتائب مُحاربة، دُعيت باسم (كل مصر/ كل مصرن) أي كل قبائل منطقة الجوف (معين مصرن)، وكذلك قبائل (أشعب/ قبائل مقاطعة شعوب في ضواحي صنعاء). ويظهر من النص، *Jamme 578* أن كرب إيل ذي ريدان هذا، بعد أن مُني بهزائم مُنكرة نبذته قبائل حمير، فاضطر إلى التراجع نحو أماكن أخرى، ليجمع فلوله ويضمّ إليه من بقي موالياً له، فاستطاع أن يجمع أعوانه وأنصاره. غير أن قوات الملكين إيل شرح يحضب وشقيقه يأزل بين، هاجمته وألحقت به هزيمة أخرى أشدّ فتكاً، اضطر خلالها إلى أن يلجأ إلى مخلاف (يكلى/ يكلا) وسط محافظة البيضاء ومخلاف البون[٥٧]، وهما من أهم (مخاليف/ ممالك الشمال). و«يكلا/ يكلى» هذا، أي المخلاف اليهودي، لا يزال حتى اليوم ضمن جغرافيا محافظة البيضاء وبالاسم نفسه (أخيراً قصفت القوات الأميركية قرية في يكلا/ يكلى)[٥٨].

وكنا قد رأينا في الكتاب السابق (الكتاب الثالث) أن يكلى[٥٩] اسم والدة ملك يهودي في

التوراة واسم مخلاف يمنيّ قديم في الآن ذاته، وهذا أمر مدهش حقاً، يكشف لنا عن عمق التطابق بين التاريخ السبئي والتاريخ التوراتي. وهكذا، وبالعودة إلى قصة إيل شرح يحضب الثاني وصراعه مع الرومان، فقد اضطرّ إيغالوس الروماني إلى التقهقر، ليجد بعد مصاعب كثيرة ملجأً حصيناً في ما يعرف اليوم بمحافظة البيضاء، حيث التجأ الى مقاطعة (يكلا: يكلى). في هذا الوقت، ومع تراجع الرومان باتجاه البيضاء، اضطر القيل/ الملك الحميري الموالي لهم والذي سمى نفسه كرب إيل الحمري ومعه قبائل «مصرن» إلى إعطاء الولاء للملكين السبئيين إيلشرح وأخيه يأزل بين، معترفاً بالسيادة لهما. وهكذا سجل الملكان إيلشرح وأخيه يأزل بين، أخبار انتصاراتهما كملكين سبئيين في نقش *Jamma 576* الذي يتحدث في سياق هذه المعركة عن أسرهما لملك/ قيل صغير يدعى امرأ القيس (مراقيس – مراقيس بن عوفم/ مرأقيس)، وهو الذي يُعرف في كتب الإخباريين العرب باسم الملك/ الشاعر امرئ القيس بن عوف ملك «خصصتن» في ضواحي عدن، حيث احتُجز في مدينة (مرب/ مأرب). إن أسطورة امرئ القيس الأمير الأسير في الأدب العربي القديم شديدة الارتباط بقصة الغزو الروماني، وصورته التي استخلصها الرواة من أشعاره، هي ذاتها صورة مراقيس هذا الذي خُلع ووقع في أسر إيل شرح يحضب قبل انسحاب الرومان. كان امرؤ القيس بن عوف الشاعر الذي يتحدث في قصائده عن (أرض حمير) أي أرض اليهودية خلال الغزو الروماني، أميراً (قيلاً من الأقيال ولم يكن ملكاً) ويُدعى في النقوش امرأ القيس بن عوف (مرأقيس بن عوفم). وهذا ما يتطابق بنحو رائع مع أخبار المؤلفين العرب القدماء[٦٠]، الذين سجلوا اسم الشاعر في هذه الصورة (امرأ القيس بن عوف).

وهو نفسه الملك المخلوع، والأمير الأسير كما رسم صوره نقاد الشعر العربي القديم (الجاهلي)، ولكن دون أن يعلموا أنه (قيل) من أقيال حمير الذين استسلموا للسبئيين خلال الغزو الروماني لليمن، ولم يكن ملكاً. هذا يعني دون ريب أنه كان على مقربة من زمن وقوع الغزو الروماني، وأن حادث أسره جاء في سياق تداعيات هذا الغزو. لقد ترك لنا التراث الشعري العربي القديم قصيدة شهيرة منسوبة إلى شاعر يمني يدعى امرأ القيس الكندي (الحميري) الذي عاش في عدن، يشكو فيها من أن المعادين للرومان من ملوك القبائل خلعوه عن عرشه. وما يؤكد ذلك قصيدة منسوبة إليه تقول: (إنّا لاحقان بقيصرا)،

أي إننا سنلحق بالرومان الذين انسحبوا من اليمن، لنطلب منهم أن يعود «امرؤ القيس» إلى عرشه. وأجزم في ضوء تحليلي للقصيدة أنها ليست من شعره، بل هي من تأليف شاعر إسلامي متأخر، خلّد هذه الواقعة التي تروي قصة امرئ القيس بن عوف (عوفم)، وهو نفسه امرؤ القيس الكندي الذي سجل الرواة اسمه دون تدقيق كافٍ. لقد أخطأ نقاد الشعر القديم ورواته حين تصوّروا وجود شخصين شاعرين بالاسم نفسه والواقعة نفسها. في الواقع، هما الأمير/ الشاعر نفسه، وليسا شاعرين في عصرين مختلفين، كما ظن البعض. بكلام آخر، إن امرأ القيس الكندي في الأدب العربي القديم، هو نفسه الأمير/ الشاعر امرؤ القيس بن عوف الكندي زعيم كندة. وهاكم الدليل: في نداء مؤثر يقول الشاعر/ الأمير امرؤ القيس بن عوفم لصاحبه، إنه سيلحق بالقيصر للرجاء أن يعيده إلى عرشه، وإن على صديقه أن لا يبكي بسبب أهوال الطريق وجسامة المهمّة [٦١].

قال:

ولو شاءَ كان الغزوُ من أرضِ حميرا	ولكنهُ عمداً إلى الروم أنفرا
بكى صاحبي لما رأى الدرب دونهُ	وأيقنَ إنّا لاحقان بقيصرا

يُلاحظ في القصيدة، أن الأمير المخلوع امرأ القيس (امرأ القيس بن عوفم ملك خصصتن *bn ʿwfm mlk Ḥṣṣtn Mrʾlqs*[1]) يؤكد أن الغزو الروماني وقع في (أرض حمير من أرض خصصت/ ن)، أي في ميناء عدن وفي موضع بعينه هو «خصاص»، ويكتب في النقوش «خصصتن». وهذا يؤكد أن الحدث لم يقع في الجزيرة العربية كما يُزعم، وأن الشاعر الذي سجل هذه الواقعة وثّق لحظة تاريخيّة مفصليّة في حياته كشخص، فهو لحق بالجيش الروماني المُنسحب، متوسلاً أن يعيدوه إلى عرشه قبل أن يغادروا «أرض حمير» نهائياً. وسأسجل هنا رأيي الخاص القائل إن هذه القصيدة كتبها شاعر يمني في العصر العباسي يخلّد فيها الواقعة على جري عادات الشعراء، ثم أضافها المحققون الاستشراقيون إلى ديوان امرئ القيس، فقط لأن اسمه ارتبط بها كملك/ قيل من أقيال قبيلة كندة (وليس كشاعر)، ودون مراعاة لهذا الجانب من التحقيق التاريخي. بكلام آخر، لم يكتب امرؤ القيس الأمير المخلوع هذه القصيدة، بل كتبها شاعر عباسيّ متأخر صوّر فيه محنة «أمير شجاع» آخر لا أكثر. كان امرؤ

القيس (مرأقيس) ملكاً صغيراً في مقاطعة تتبع عدن تدعى (خصص – خصصتن) ضمن مملكة عربية صغيرة، تعرف باسم مملكة كندة/ كدة في النقوش السبئية، وذلك حين وقع الغزو الروماني للميناء. أي إنه هو نفسه الشاعر امرؤ القيس بن عوفم الكندي.

في هذا الوقت كانت الحبشة الموالية لروما – قبل اعتناقها المسيحية – تواصل هجماتها وغاراتها في ساحل عدن لصالح الرومان. في الواقع كانت هناك قوات غازية رومانية – حبشية مشتركة (وكلاء روما في القرن الإفريقي) تقوم بمحاولة كبرى واستراتيجية لبسط سيطرة روما على سواحل البحر الأحمر، وبحر العرب في سياق الصراع مع فارس. ويتأكد لنا من النقوش السبئية، أن إيل شرح يحضب قرر خلع مرأقيس/ امرئ القيس أثناء معاركه مع الأحباش والرومان قرب عدن، لأنه شعر بوجود قوى في الجنوب اليهودي الحميري، مستعدة للتحالف مع الغزاة. ويتأكد لنا هذا الأمر بوضوح، حين نعلم أن امرأ القيس حين افتدته قبيلته وتمكنت من إطلاق سراحه، قرر أن يتجه بنفسه لمخاطبة القوات الرومانية ليعرض عليها التحالف مقابل إعادته إلى عرشه.

لقد ترك الغزو الروماني لليمن في الذاكرة المسيحية علامة دالّة لا تخطئها العين، حين استعار الرومان اسم امرئ القيس هذا، الذي يُرسم في النقوش في صورة (مرأقيس) ليحوّلوه إلى مرقس/ مرقص (وسيتحوّل في الثقافة المسيحية الأوروبية الحديثة إلى ماركس).

وحتى اليوم لا يزال لقب امرئ القيس في التقاليد المسيحية العربية متواصلاً بقوة زخم تاريخي مدهش، حتى إن كرادلة لبنان يحملون جزءاً من هذا اللقب مثل (المار بطرس، المار بشارة... إلخ). في الواقع، لا يوجد أي جذر للاسم في اللاتينية يؤدي إلى اسم مرقس أو ماركس أو مرقص أو مرّ، مار،؛ ولذلك لا بد من الافتراض أن الرومان خلال حقبة الغزو، عرفوا اللقب الديني (امرأ القيس/ أي الرجل الشديد) الذي كان شائعاً بين القبائل، وهم استعاروه خلال عصر اعتناق المسيحية، ليصبح (مرقس/ مرقص). وإذا لم يكن الأمر كذلك، فمن أين استعار الرومان هذا الاسم الذي نجده في صور مختلفة: مرقيوس/ مركيوس، وليصبح مع المسيحية صاحب إنجيل: إنجيل مرقس/ مرقص؟ إن النقوش اليمنية ترسم اسمه في هذه الصورة (مراقيس/ مرقس) كما في نقش جام[٦٢] *Jamma 576*.

إن جزءاً مهماً من واقعة أسره وسجنه في مأرب، يتصل بمسألة ارتداده عن اليهودية، وسنرى تالياً أن الرومان هم منْ شجع اليهود على التخلي عن اليهودية وفرضوا عليهم تناول لحم الخنزير. هنا مقتطف من نص نقش طويل للملك إيل شرح يحضب الذي قاد المعارك ضد الرومان والأحباش، يؤكد فيه أسر امرئ القيس (نص النقش كاملاً في الملحق):

١: إيلشرح يحضب وشقيقه يزأل بين، ملكي سبأ وذي ريدان ابني فرعم/ فرعون ينهب ملك سبأ، نذراً للإله المقه ثهوان سيّد أوام، تسعة أصنام من الفضة حمداً وشكراً، لأنه حمى (حفظ) وآزر عبده إيل شرح يحضب في هزيمة كل الجيوش والقبائل التي شنت الحرب في الشمال والجنوب والساحل، ٢: واليابسة، وبفضل عون الإله المقه، تمكّن من هزيمة ملك كدة (كندة) وقبيلة كدة (كندة) وتمكن من أسر أميرهم امرئ القيس بن عوفم (عوف) ملك (خصصتن) وكبار رجال قبيلة كدة (كندة) ووضعه في السجن بمدينة مأرب، وأخذوهم رهائن وأسرى.

هنا مقتطف من نص النقش السبئي:
ʾls^{2}rḥ Yḥḍb w-ʾ(ẖy)-(hw)[Yʾzl Byn mlky S^{1}bʾ]w-ḏ-Rydn bny Frʿm Ynhb mlk S^{1}bʾ [hqnyy ʾlmqh-Ṯhwn-bʿl-ʾwm ts^1]ʿtn ((s^{1}bʿtn)) ʾṣlmn ʾly ṣrfn ḥmdm b-ḏt hws^{2}ʿ w-hrdʾn ʿbd-hw ʾls^{2}rḥ Yḥḍb b-s^{2}kr kl ʾẖms^1 w-ʾs^{2}ʿb tns^{2}ʾw b-ʿly-hmw ḍrm bn ʾs^{2}ʿb s^{2}ʾmt w-ymnt w-b[ḥ]—

2 *rm w-ybs^{1}m w-l-ḏt hws^{2}ʿ-hmw (ʾlmqh) (b)-(ʾẖḏ) Mlkm mlk Kdt w-s^{2}ʿbn Kdt b-ẖfrt hẖfr Mlkm ʾlmqh w-m(l)k(nhn)* ***Mrʾlqs^1 bn ʿwfm*** *mlk Ḫṣṣtn w-ʾẖḏ-hw hwt Mlkm w-ʾkbrt Kdt b-hgrn Mrb ʿdy hgbʾw hwt ġlmn Mrʾlqs^1 w-whbw ʾwṯqm bn s^{2}ʿbn Kdt brw-hw w-bny mrʾs^1 w-ʾkbrt Kdt whb*

إن الفرضية المُحرجة التي أطرحها هنا، وتستدعي نقاشاً علمياً رصيناً تقول ما يأتي: لقد قاتل إيل شرح يحضب الثاني (كل الجيوش) في الشمال والجنوب، أي الرومان والأحباش والقبائل المتأغرقة، وتمكن من خلع أمير/ كاهن يهودي جنوبي مرتدّ عن اليهودية، وكان متحالفاً مع الرومان يدعى امرأ القيس بن عوف. إن اسم مرقس/ مرقص صاحب الإنجيل،

هو برأيي هذا الكاهن اليهودي المتحوّل إلى المسيحية (المتأغرق) الذي تلقب بهذا اللقب، وكتب رؤيته الدينية عن المسيح المخلص في أشعاره بوصفه كاهناً يهودياً مرتدّاً. ونحن نعلم من التاريخ الشعري القديم للعرب، أن الأنبياء والكهنة كانوا شعراء. إن الارتداد عن اليهودية كما يصوّره سفر المكابيين وملحمة يوسفيوس، لا يمكن فهمه، إلا بظهور تيار دينيّ جارف في قلب اليهودية المتداعية، وتحت ضغط الغزو الروماني، يطمح إلى الخلاص من التعاليم اليهودية المتشددة (المحافظة). إن تمرّد شاعر/ كاهن، أي نبيّ بالمفهوم اليهودي الشائع والإسلامي كذلك، يدفع إلى الاعتقاد أن اللقب الديني (مراقيس/ مرقس) ظل متوارثاً في التقاليد الدينية اليهودية/ المسيحية المبكرة في اليمن، وأن صاحب إنجيل (مرقس/ مرقص) لن يكون في النهاية سوى شاعر/ كاهن يهودي/ مسيحي يمني عاصر الغزو الروماني، أو كان على مقربة منه ويحمل اللقب نفسه. ليس ثمة في التاريخ المسيحي لفلسطين ما يشير إلى وجود لقب مرقس، أو لوقا، أو متى، أو بولص، بينما سأبرهن في هذا الكتاب أنها ألقاب دينية لجماعات مرتدّة عن اليهودية خلال الغزو الروماني. إن فهماً تاريخياً صحيحاً لنشأة المسيحية في موطنها التاريخي اليمن، لن يكون ممكناً إلا بإعادة بناء الرواية التاريخية عن الغزو الروماني لليمن، ثم صراع القبائل اليمنية حول أورشليم، وظهور جماعات مرتدّة عن اليهودية. كل ذلك حدث على امتداد سنوات الغزو. وأريدُ هنا أن أطرح تصوّراً ثورياً جديداً، يعارضُ كلَّ ما هو سائد في التاريخ المكتوب:

إن تاريخ فلسطين المسيحي حتى عام ٣٣٠م، لا يعرف أسماء مرقس/ مرقص، أو بطرس، أو متّى، أو لوقا، أو بولس، كأنبياء (حواريين)، أو يعرف أنهم منْ كتب الأناجيل؛ بينما نجد كهنة من يهود اليمن خلال الغزو الروماني يحملون هذه الأسماء/ الألقاب؛ بل إننا نجد هذه الأسماء كمقاطعات يمنية باسم بطرس، ولوقا، ومتّى. وسأقدّم في سياق هذه الفصول كل الأدلة عن ذلك. ولأن الصراع كان يتمحور حول أورشليم، كما يخبرنا سفر المكابيين، وتاريخ يوسفيوس كذلك، فهذا يعني أن جزءاً مهماً من الصراع مع الغزو الروماني، كان يدور في نطاق بلورة «دين جديد» يحلُّ محلّ اليهودية، الدين الشعبيّ في اليمن آنئذٍ. وهذا ما فعله الرومان دون هوادة. هذا هو الإطار التاريخي العام الذي جرى فيه الاحتلال الروماني لليمن، بأقل ما يمكن من التفاصيل المُتشعبة التي تخرج عن نطاق وظيفة هذا

الفصل. لقد اضطر الرومان، إثر ظهور دلائل ساطعة على فشل الغزو مبكراً، إلى أن يتركوا اليمن المتفكك لقدره الحزين، حيث تورطت قبائله في صراعات داخلية طويلة. ويبدو لي أن الحرب الأهلية الطويلة التي يصوّرها سفر المكابيين بدقة، كانت نتاجاً مباشراً من نتائج هذا الغزو.

وهذا هو المسرح الحقيقي لأحداث سفر المكابيين. وسأبرهن تالياً أن الملوك الذين دعموا وأيدوا وساندوا الغزو ثم المعارك مع القبائل، لم يكونوا بحسب الفهم الخاطئ والشائع ملوك روما، بل كانوا ملوكاً محليين (أقيالاً) في ممالك قبلية صغيرة، وبعضهم حملوا ألقاباً رومانية على جري عادات أهل اليمن. وبطبيعة الحال، فهذه التقاليد تنتمي إلى عصر سابق آخر، يوم احتلّ اليونانيون بقيادة الإسكندر الأعظم جزيرة سوقطرى عام ٣٠٠ ق.م.

آنذاك أصبح الإسكندر ذو القرنين ملكاً حميرياً باسم «الملك ذي القرنين»[٦٣]. لقد وصف كتّاب اليونان (المتأخرون) الحميريين بأنهم شعب عظيم، وأنه كان أكثر عدداً من السبئيين، وأنهم كانوا يسيطرون على تجارة البخور، وكانوا على صلات جيدة مع الرومان[٦٤]. وهذا ما يجب أن يؤخذ بالاعتبار في سياق فهم السيرة الشعبية المسمّاة (سفر المكابيين)، فقد كانت معارف اليونانيين ثم الرومان عن مملكة سبأ وحمير (ذي ريدان)، ومنذ القرن الثالث قبل الميلاد - تتسم بالعمق والتنوع، وبحيث إنها شملت الاهتمام بتسجيل أسماء المدن والقبائل، وتجاوزتها إلى تقديم صور شاملة عن النباتات والأعشاب، حين درس اليونانيون كل شجرة وكل نبتة تقريباً، وحددوا بدقة طرق استخدامها للعلاج. ثم بلغ اهتمام الرومان من بعدهم باليمن، ذروته حين أرسل الإمبراطور الروماني [٦٥] بطليموس الثاني ٢٨٥-٢٤٦ق.م، أول بعثة بحرية بقيادة الضابط الروماني (أرسطون)[٦٦] كان هدفها فتح الطريق التجاري بين اليمن في الجنوب وخليج السويس في الشمال، لتأمين تدفق الطيوب والتوابل. وفي رحلته هذه سجل أرسطون أسماء ممالك وقبائل اليمن، فذكر مملكة معين الجوف (معين مصرن) وسبأ وقتبان وحضرموت. ولعل أهم مؤلف ومؤرخ يوناني كتب بالتفصيل عن ثروات اليمن وسواحله وقبائله ونباتاته وأعشابه، واستند الرومان إلى مؤلفاته ودرسوها بعمق، هو أجاثارخيدس *Agatharchides* (القرن الثاني ق.م)[٦٧] بينما تُعَدّ مؤلفات المؤرخ الروماني بليني الأكبر (٧٩-٢٤ق.م) من أفضل المصادر الرومانية عن ممالك اليمن وقبائله.

والمدهش أن جزءاً من معارف بليني الأكبر في هذا العصر، كانت مُستمدة من تقارير عسكرية تخصّ الجيوش الرومانية التي سيطرت على أجزاء واسعة من اليمن خلال الغزو. ومن ذلك معلوماته التي أخذها عن تقارير إليوس غالوس، قائد الحملة العسكرية، تماماً كما فعل سترابون.

وفي هذه المؤلفات تشديد على أن الحميريين كانوا (الأكثر عدداً) وأن السبئيين (كانوا يملكون أشجار البخور ومناجم الذهب والعسل). أما المعينيّون «فيملكون الأشجار المثمرة والثروة الحيوانية»[٦٨]. وسأبرهن في هذا الكتاب أن الأحداث التي يسردها سفر المكابيين دارت في مسرح صغير لا يتجاوز حدود محافظتي إب وتعز، وأن رومية التي كانوا يرسلون إليها الرسل ليست روما؛ بل هي بلدة رومية اليمنية كما هو اسمها الآن، وكانت مركزاً لقوات رومانية لمراقبة صراع زعماء القبائل فيما بينهم. لقد أدّى الغزو الروماني بعد الإنزال الحربي في سواحل عدن إلى نشوب حرب أهلية، سيعرفها تاريخ العرب باسم (حروب ملوك الطوائف). وهذه هي حروب الأقيال والأذواء (التبابعة) الذين حمل بعضهم ألقاباً رومانية. وسأبرهن أن أباطور– مثلاً – الذي يُزعم أنه أنطيخوس الروماني وأن لقبه أباطور، هو ملك يمني صغير(قيل) حمل هذا اللقب، وبحيث إنه ترك اسمه هذا في مقاطعته التي تُعرف اليوم باسم «أباطور» لا أكثر ولا أقل. في هذا الوقت لم يكن هناك إمبراطور روماني يدعى أباطور، ويستحيل على أي باحث أو مؤرخ مختصّ في التاريخ الروماني، تأكيد وجود ملك روماني بهذا الاسم أو هذا اللقب في هذا العصر. لقد دخلت قصة الحروب المكابية في صلب التاريخ الرسمي الروماني والكنسيّ، وما من باحث في التاريخ القديم، إلا كرّر قصة ثورة اليهود المزعومة على الرومان في فلسطين وتهديم الهيكل. وكل هذا لا أساس له في التاريخ، لأن الرومان لم يكونوا – في الحقيقة – طرفاً مباشراً في هذه الحروب، ولم يواجهوا ثورة يهودية. ويمكنني، لتسهيل الأمر على القرّاء غير المتخصّصين، أن أعيد تلخيص القصة الحقيقية على النحو الآتي ببساطة أكثر:

في عام ٢٧ ق.م وقع غزو روماني مزدوج بالتحالف مع الأحباش استهدف ميناء عدن ومدن جنوب اليمن. سقط ميناء عدن بعد قتال شرس وطويل، ثم نجم عن ذلك اندلاع حرب أهلية طويلة وقاسية امتدت إلى كل مناطق الشمال، شعر الرومان خلالها بالمأزق.

وخلال عشر سنوات عقيمة ومخيفة قرروا ترك اليمن لقدره. وهكذا تواصلت حروب «ملوك الطوائف» التي دمّرت أورشليم إلى أن زالت من الجغرافيا. لقد شقوا صفوف القبائل وتركوها تتقاتل فيما بينها. لكن القبائل، مع ذلك، قاتلت الرومان بقيادة الملك السبئي إيل شرح يحضب الذي تسميه التوراة «يهوذا المكابي» أي «اليهودي المقبيّ/ من كلمة مقب التي تنطق اليوم: مقبنة». هذا كل ما في الأمر. وكما أشرتُ في مكان آخر من هذا الكتاب، لم يكن اسم السفر يُعرف باسم (سفر المكابيين). هذه تسمية أطلقت في وقت متأخر، وأن أصل الاسم هو (سفر السره/ السرح بيت سابا) أي سيرة إيل سرح - إيلشرح من بيت/ قبيلة السبئيين.

كذلك عُرف السفر باسم (سفر الحشمونيين/ اسم النسبة إلى حشم، وهي مركز حكم إيل شرح يحضب). ومع ذلك كله، ثمة أساس لاستخدام اسم (المكابيين) اسماً لهذا السفر؛ فقد وجد المسيحيون في وقت متأخر جداً نحو ١٢٠٠ ميلادي، أن الاسم المناسب هو (سفر المكابيين) لأنه يشير إلى أسرة (مكابية) قادت القتال. في نطاق هذا المبرر، يمكننا أن نلاحظ أن رواية ابن العبري الملطيّ المعروف باسم أبو الفرج غريغوريوس[٦٩]، تقترح علينا نطق اسم المكابي - مكبي (مفرد مكابيّين) في صورة (مقبيّ، مقبيّين). وهذا اقتراح مثير، وأمر بالغ الأهمية في تحليلنا كما سنرى. روى ابن العبري في كتابه (تاريخ مختصر الدول)[٧٠] قصة المقبيّين- المكبيّين هذه بصورة عرضية ودون تفاصيل، ونقل عنه مؤلفون قدماء تصوّره عن طبيعتها. وفي هذا السياق ثمة مزاعم شائعة وخاطئة، أن ابن العبري يوناني ولد في مالطا، كما تقول معلومات رسمية مكتوبة. في الواقع، لم يولد ابن العبري في مالطا أو ملطية، ولم يكن كاهناً يونانياً، بل هو كاهن يمني ولد في (ملطه) اليمنية. وهاكم اسم الموضع الذي ولد فيه: محافظة تعز، مديرية المواسط، عزلة أخمور، قرية أخمور خارج، محلة الملطة (ومنها أخذ لقبه الملطي وليس المالطي). ولنلاحظ أن البلدة التي عاش فيها تدعى أخمور (وهذا اسم عبري يرد في التوراة بمعنى إحمور/ حمير). بكلام آخر، جرى دون أي دليل علميّ اعتبار ابن العبري الملطيّ كاهناً يونانياً، وهو في الواقع مسيحي يمني أرثوذكسي من الموالين للكنيسة البيزنطية، أي من الروم الأرثوذكس. وكيف ليونانيٍ أن يضبط اسم مقبٍّ/ مكبّ بهذه الصورة الدقيقة، وبحيث يفرّق (يميّز) بين القاف والكافٌ؟ هذا يعني ببساطة، أن علينا

أن نأخذ عن مؤلف ولد في مسرح الصراع القديم، طريقة نطق الاسم مكابي، والصحيح مقبيّ (في اللغات الأجنبية عموماً لا وجود للفارق بين الكاف والقافK/ q). أمّا يوسيفيوس اليهودي يوسف بن متىّ الذي سجل روايته عن حروب المكبيّين، وسرد قصة تدمير الهيكل بتفاصيل مثيرة، فإن اسمه كما قلنا في صفحات سابقة، وحسب الرسم المعتمد في الكتاب هو يوسفيوس (أو يوسفيوس بن متّه – متى). إن رسم الاسم بهذه الطريقة (يوسفيوس) يؤكد أنه صيغة يونانية من الاسم يوسف، وهذا اسم يرتبط بالتراث اليهودي اليمني بقوة، مثلاً، الملك اليهودي يوسف أسار المعروف باسم ذي نواس الحميري ٥٢٤م، أو يوسف ذي يزن: سيف بن يزن ٥٧٩م.

ومع ذلك لدينا رواية أخرى مثيرة تؤكد أن اسمه يوسف بن كربون (الوزن العبري من كرب). في الواقع، شاعت هذه الرواية في المصادر الكنسيّة المتأخرة بفضل ابن خلدون[٧١]. أخذ ابن خلدون روايته بنقلٍ حرفيٍّ عن الطبري، وأطلق على كاتب سفر المكابيين اسم (يوسف بن كربون). والمدهش أن الطبري يؤكد أن السفر هو (سفر الحشمونيين) وأنه منسوب إلى بني حشمون (حشم).

والآن سأكتب نص الطبري بلغتنا المعاصرة لأجل أن يستوعبه أكبر عدد من القرّاء.

يقول الطبري ما يأتي:

إن «كاتب سفر يوسفيوس هو يوسف بن كربون، وكان من أقيال/ كهنة اليهود حين وقع الغزو الروماني، وعندما حاصره أبو طيطس (طيطس) فرّ إلى حصن جبلي. لكن يوسف تمكن من بناء علاقة مع ابن طيطس عندما طرد الإسرائيليين من أرضهم، وتمكن من البقاء في بيته الدينيّ».

وهنا النص الأصلي: يقول ابن خلدون نقلاً عن الطبري:

«ومؤلف الكتاب يسمى يوسف بن كربون، وزعم أنه كان من عظماء اليهود وقوادهم عند زحف الروم إليهم، وأنه على صولة فحاصره أسبيانوس أبو طيطش[٧٢] واقتحمها عليه عنوة وفر يوسف إلى بعض الشعاب وكمن فيها ثم حصل في قبضته بعد ذلك، واستبقاه ومن عليه

وبقي في حملته. وكانت له تلك وسيلة إلى ابنه طيطش عندما أجلى بني إسرائيل على البيت، فتركه بها للعبادة كما يأتي في أخباره».

كل هذا يؤكد أن الاسم الحقيقي ليوسفيوس، كما يقول كل من الطبري وابن خلدون والكنيسة القبطية، هو يوسف بن كربون. ولأن (كربون) لقب يمنيّ دينيّ قديم ينصرف إلى معنى الكاهن/ الملك (كرب/ مكرب، مثل كرب إيل)، فهذا يعني أنه كاهن من سلالة المكاربة، وهم بكل تأكيد كهنة اليمن فقط وملوكه، وليسوا كهنة أي مكان آخر أو ملوكه. ليس ثمة ملك مكربيّ (ملك/ كاهن) في هذا العصر سوى إيلسرح/ إيل شرح الذي كان كاهناً سبئياً – وابن كبير الكهنة – من الشمال، وهو أعلن عن نفسه مكرب سبأ وحمير، وهو أيضاً من بني حشم. أما اسم الملك/ الإمبراطور الروماني المزعوم طيطس الذي يقال في الرواية اللاهوتية الشائعة في الكتب التاريخية، إنه منْ أحرق الهيكل اليهودي في أورشليم، فليس سوى قيل/ ملك مقاطعة الطيط في شرعب الرونة (يرسم باليونانية طيطس/ تيتس).

وشرعب الرونة ملاصقة لما يعرف اليوم باسم مديرية العدين حيث جرت أحداث «حرق الهيكل». وهاكم اسم المقاطعة: طيطس: محافظة تعز، مديرية شرعب الرونة، عزلة بني الحسام، قرية المراهيض، محلة شعب الطاط. لقد وقع يوسف بن كربون في أسر قيل/ ملك صغير يحكم مقاطعة من مقاطعات تعز. وهكذا يصبح مفهوماً لنا، أن ما يُدعى سفر المكابيين، هو سيرة شعبية كتبها الكهنة اليهود تخليداً لذكرى معارك الكاهن المحارب إيلشرح يحضب، علماً أن كلمة (مكرب) تعني (كاهن). وهذا يعني أن لا وجود لمؤرخ يوناني يدعى يوسفيوس، وأن هذا الاسم استطراد في تلفيق قديم ناجم عن ترجمة نصّ ملحمة شعبية يهودية كتبها يهود اليمن، لتخليد ذكرى صمودهم أمام الغزو الروماني، وهم أطلقوا عليها اسم (السار/ السره/ السرح/ ءيل سرح بيت سابا: سيرة إيلشرح من قبيلة سبأ أو سيرة الحشمونيين). ولأن قساوسة الكنيسة هم من أطلق اسم (المكابيين)، وهم منْ (اخْتلق) مؤرخاً يُدعى يوسفيوس، فقد ظهر في صفحات التاريخ المسيحي والروماني (واليهودي) بطبيعة الحال، مؤرخ لا وجود له، بكلام آخر: إن المؤرخ اليوناني يوسفيوس شخص لا وجود له وهو (اختلاق) روماني/ مسيحي/ إسلامي متأخر.

خرافة الملك الروماني طيطس وتدمير الهيكل

سأروي هنا الرواية اللاهوتية/ الإستشراقية كما تروجها الكنيسة المصرية القبطيّة، وربما سائر كنائس روما اليوم عن «تدمير الهيكل»، وهي رواية لا أساس لها، ومبنيّة بالكامل على تأويل اللاهوتين الاستشراقيين الأوروبيين. لقد غرف المسيحيون الشرقيون من الإناء نفسه الذي شرب منه اللاهوتيون الأوروبيون، وراحوا جميعاً يكرّرون رواية مشكوكاً في أصلها. سأخذ أفضل نموذج لهذه الرواية كما كتبه كاهن مسيحي مصري معاصر، سرعان ما أصبحت روايته مصدر إلهام لسائر مسيحيّي العالم. يقول الأنبا إيسوذورس[٧٣] وهو يصف ما يدعى «ثورة اليهود على الرومان» في فلسطين المزعومة من خلال رواية مليئة بالأخطاء الإملائية والتراكيب اللغوية الضعيفة فالنبأ الأول أخبر به السيد المسيح ورد في «لوقا ٢١ : ٤٣» وهو قوله عن المدينة «ستأتي أيام ويحيط أعداؤك بمترسة ويحدقون بك ويحاصرونك من كل جهة». وقد تمت هذه النبوة ونذكر ما ورد في الفصل ٦ والفصل ٧ من تاريخ المؤرخ يوسيفوس فقال: «إن آخر من تملّك على اليهود أغريباس بن أغريبا بن أرسطوبولس ابن مريم زوجة هيرودس التي من نسل المكابيين، ولسوء طالع هذا الملك كان اليهود في زمنة في أشقى حال وفي فقر مدقع، وكانوا يغتالون بعضهم بعضاً غدراً وغيلة، فكان بعض من القتلة المأجورين يحملون سكاكين صغيرة ذات حدين تحت ثيابه، ومن كان له عدواً وأراد أن يقتله كان يؤجج – يقصد يؤلب – هؤلاء القتلة للتخلص من غريمه ويدفع له مبلغاً من المال، فيمشي القاتل المأجور بجانب الشخص المراد قتله وفجأة يفتك به ويختفى بين الجمع المزدحم في الأسواق والأزقة، وفي الغالب كان القاتل المأجور له أعوان ليسهلوا طريقه في الهرب».

دعونا نتأمل في هذه الرواية المسيحية المثيولوجية ونقوم بتفكيها. هل هناك ملك روماني اسمه أغريباس بن أغريبا بن أرسطو بولس بن مريم؟ هذا اسم عجيب لا تعرفه سجلات روما، كذلك فإن روما لم تعرف ملوكاً، بل عرفت «إمبراطوراً» بعد آخر كانوا يحكمون الإمبراطورية. وهل كان هناك ذات يوم ملوكٌ في روما، يعيشون وسط جماعات تصرع بعضها بعضاً بالخناجر؟ هذا أمر يستحيل تصديقه. وأخيراً، إذا كان هذا ابن مريم، فمن هي مريم الرومانية؟ إن تاريخ روما لا يعرف هذا النسب.

ما نقوم به هنا هو تفكيك الرواية المثيولوجية المسيحية والإسلامية واليهودية التلمودية بنزاهة وتجرّد ودون أيّ نوع من الضغائن الدينية. لنلاحظ أن الكنيسة الشرقيّة تربط بشكل تعسفيّ بين نبوءة المسيح كما سجلها لوقا، وبين يوسفيوس. لكن منْ هو يوسفيوس؟ هل هناك شخصٌ تاريخيٌّ وحقيقيّ، وكان مؤرخاً يونانياً أرخ لحدث روماني؟ سنرى من رواية الكنيسة المصرية، أن يوسفيوس هذا ليس مجرد مؤرخ يوناني، بل هو الذي قاد الحملة على الرومان، وهو منْ تحصّن في «الحصن» الذي انتهى بأسطورة «قلعة مسادا»، أي بانتحار كل اليهود المحاصرين! وهذا أمر عجيب آخر، فهل هو مؤرخ يوناني أم مقاتل ضد الرومان، وهل يمكن تخيّل وجود مؤرخ يوناني يقاتل ضد الرومان؟ هذا أمر خيالي، لأننا في هذه الحالة نخلط العصور بعضها ببعض، فيصبح اليوناني في قلب الروماني؟ هذا يعني أن الطبري ثم ابن خلدون كانا على حق، حين سجلا اسمه في صورة يوسف بن كربون، وليس يوسفيوس، وأنه كان يقاتل بالفعل ضد الرومان؟ لكن منْ هو يوسف هذا/ يوسفيوس؟ هل هو نفسه إيل شرح يحضب أم كاهن آخر؟

سأقوم بـ«تفكيك» الرواية المثيولوجية المسيحية إلى وحدات صغيرة لأجل تسهيل طريقة فهم النصّ:

١: «وحدث أن أغريباس عندما سافر إلى روما ليؤدي فروض العبودية والطاعة لسيده نيرون، وبقي *Gessius Florus* القائد الرومانى في مقاطعة يهوذا وحيداً، فانتهز اليهود الفرصة وحاربوه وقتلوا من الحامية الرومانية عدداً وافراً فهرب إلى قيصرية. وفي طريق رجوع أغريباس الملك من روما مرّ على قيصرية وأتى بالقائد مع قائدين آخرين ومعهم جيش كبير، فلما وصل الملك خرج لإستقباله وجوه المدينة شاكين من جور القائد *Gessius Florus* وظلمه، وقالوا إنهم شقوا عصا طاعة روما بقصد الاستقلال. فقال لهم: هذه حماقة، ونصحهم بأن يرتدّوا إلى الطاعة والسكون، ويتركوا العصيان فلم يسمعوا لنصحه، وكان قواد الرومان في أيديهم قرابين من نيرون لبيت «هيكل سليمان» فرفضوا قبولها بخشونة واغتاظوا فقتلوا حامليها مع كل الرومان الذين في المدينة».

إذا ما صدّقنا هذه الرواية المسيحية القابلة للتشكيك وحتى النقد، ففي هذه الحالة سيكون

علينا أن نصدّق تاريخاً قابلاً هو الآخر للتشكيك، ويقول بوجود «ملك روماني يُدعى أغريبا وهو ابن مريم»، وأنه اضطرّ إلى السفر إلى روما لتقديم الطاعة لنيرون! ثمة خطأ تاريخي في هذه الرواية؛ إذ طبقاً للتاريخ الرسمي الروماني، فقد حكم نيرون روما بين ٥٤-٦٨م، بينما تزعم الرواية اللاهوتية أن الأحداث دارت عام ١٦٣ ق.م. وفي هذه الحالة أيضاً تكون كل الأحداث، ومنها تدمير الهيكل، قد وقعت في هذا العصر! فأي التواريخ نصدّق؟ هل وقع حادث تدمير الهيكل في ٦٨ م، أم في ١٦٣ ق.م؟ الفارق الزمني هائل. هناك نحو ١٠٠ عام على الأقل بين التاريخين؟

لكن ماذا سيحدث لهذه الرواية الضعيفة الحجّة، لو أننا قرأنا اسم ملك أغريباس بحذف السين اللاحقة اليونانية في صورة «الغراب»، أي في صورة «الأغرب – دون سين يونانية»؟ ففي هذه الحالة سيكون لدينا اسم قابل للتصديق، هو ملك مقاطعة تدعى «الأغراب/ غراب». وبكل تأكيد سنحصل على فهم أفضل، فقائد مقاطعة «حصن الغراب» في ما يعرف اليوم بمديرية ماوية بمحافظة تعز كان موالياً للرومان، وهو الذي قصد مقاطعة «رومية» في محافظة البيضاء للقاء إيغالوس الذي كان يتمركز هناك بقواته بعد أشهر من الضياع في جبال البيضاء وضالع. في هذا الوقت لم يكن هناك نيرون يحكم روما، بل الإمبراطور الجديد الذي جاء بعده وهو أغسطس! وهكذا تصبح الرواية مفهومة لنا، فها هنا «قيل/ ملك قبلي» كان يحكم مقاطعة حصينة في مديرية ماوية بتعز، وكان يتحصن في «حصن الغراب»، وهو يزعم أنه «ابن أرسطو بولس بن مريم»، وهذا أمر مفهوم، فقد تأغرق – من كلمة إغريق – هذا القيل مثل سائر الأقيال في هذا العصر، ممنْ آمنوا بالفلسفة اليونانية التي جاء بها اليونانيون بعد احتلال الإسكندر لسوقطرى وعدن ٣٠٠ ق.م ومعهم بطبيعة الحال كثرة من الزعماء وقادة القبائل في اليمن، وفقط تحت تأثير العصر اليوناني؛ ولذا نسب هذا القيل/ الملك القبلي نفسه إلى أرسطو ومريم في آنٍ واحد. كما يصبح أمراً مفهوماً لنا أنه قصد مقاطعة رومية في محافظة البيضاء للقاء القائد الروماني إيغالوس، كما يصبح أمراً مفهوماً أن شكاوى قدمت له عند عودته من ظلم وجور زعيم قبلي صغير آخر يُدعى *Gessius Florus*. ليس هذا الزعيم سوى «قيل مقاطعة جاس»[٧٤] بحذف السين اليونانية المضافة. وجاس هذه من مقاطعات صنعاء القديمة التي تحدثت عنها كثيراً في مؤلفاتي (محافظة صنعاء، مديرية

بني ضبيان، عزلة بني ضبيان، قرية شروب، محلة جاس). والآن هل يمكن عاقلاً تصديق الجملة الآتية في النص الكنسيّ أعلاه: «وكان قواد الرومان في أيديهم قرابين من نيرون لبيت (هيكل سليمان) فرفضوا قبولها بخشونة واغتاظوا فقتلوا حامليها مع كل الرومان الذين في المدينة». هل قتل القادة الرومان كل الرومان لأنهم جاؤوا بالتقدمة الإلهية لهيكل سليمان التي أرسلها نيرون، أم أن اليهود الغاضبون هم من قتلوا كل الرومان؟ هذا غير منطقي. إن الصياغة الرديئة لنص يوسفيوس في أصل الترجمة (من العبرية إلى اليونانية ثم من اليونانية إلى العبرية، ثم لبقية اللغات) هي التي سبّبت في هذه الفوضى. في الواقع، وطبقاً لمراجعتي لنصّ المكابيين ويوسفيوس على حدّ سواء، فقد احتجّ اليهود بشدّة حين فرض إيغالوس عبر وكلائه وضباطه، تقديم لحم الخنزير بديلاً من «لحم الثور» في أورشليم؛ ولذا ثار اليهود وقام والد يهوذا بقتل كاهن يهودي مرتدّ تولى تقديم ذبيحة الخنزير. في هذا الوقت وقعت اضطهادات شنيعة ليهود اليمن، قتل خلالها الكثير من البدو الإرميين (وليس الرومان). وهؤلاء كانوا – كما قلت مراراً في كتبي – يرتبطون بقرابات دينية وأسرية بأسرة «ء ل رم» التي حكمت الجوف، وكانت أسرة من الكهنة.

والآن دعونا نفكّك المقطع الثاني كما في رواية الكنيسة القبطية المصرية/ الشرقية:

٢: «وكان الذي تجرأ على هذا العمل الفظيع، رئيس عصابة اسمه إيل عازر بن حنانيا الكاهن فلم يرض الأعيان بفعلته، وخافوا من سوء العاقبة وردّ فعل الرومان فشكوه لأغريباس، وطلبوا مساعدته في سحق العصاة والمتمردين فأرسل لهم قائداً ومعه ٣ آلاف جندي، فاستعانوا بهم وهجموا على إيل عازر ومن معه وحمى القتال فهزموا رجاله وأمسكوا معظمهم، أما إيل عازر عندما انهزم تراجع إلى أورشليم واستعان بأصحاب السكاكين الصغار وزحف على جند الرومان فهزمهم وفرّق شملهم وطردهم من المدينة بعد أن استولى عليها وحرق قصر الملك وأتلف أموالاً لا تحصى».

في هذا النص صحّحتُ رسم اسم إلعازر في صورة (إيل عازر/ الإله المعين/ المساعد من جذر كلمة أزر، بمعنى ساند، حمى، أعان)، فقط ليستقيم فهم النصّ. وهذا هو الرسم الدقيق للاسم، بمقاربته مع اسم إيل عازر الدمشقي (تكوين ٢٤/ قصة إبراهيم) واسم عازر بن

هدد في التوراة (مثلاً: مل ٦: ٨-٣٣) والنقوش الآشورية (شلمانصر الثالث) التي تسجله في صورة هدد عازر *Hadad–ezer* [٧٥]. ولأن عازر/ إيل عازر هنا يظهر كابن لكاهن يُدعى حنانيا؛ فهذا يعني أنه من أسرة يهودية قديمة؛ ذلك أن اسم الكاهن حنانيا، يرد في التوراة والسجلات الآشورية بوصفه كاهناً من كهنة منطقة الجوف اليمني! خذوا مثلاً هذا النص:

نقوش سرجون الثاني: صفحة ٣

«وفي السنة الثانية من حكمي، ثارت ضدي دمشق وسميرا وسميرا/ شميرا (*Samaria*) وأمر السبئي (*u'Sib*) بأن يقوم تورتان (*turtan*) بمساعدة شعننو (*Hanno's*) وتقدم نحوي للبدء بالمعركة والقتال. وبأمرٍ من سيدي آشور هزمتهم وهرب السبئي (*u Sib'*) وحده كراعٍ ضلّت عنه خرافه ومات*.وقبضتُ على حنانيا (*Hanüni*) بيدي هذه وأخذتهُ مقيداً إلى مدينتي آشور ودمرتُ مدينة (*Rapihu* رفح) وحطمتُها وأحرقتُها بالنار».

وبالطبع لا يمكن تصديق أن الكاهن حنانيا حليف السبئيين في عصر شلمانصر الثالث هو ملك روماني وليس كاهناً يمنياً! إن فحوى القصة واضح تماماً، فها هنا أحد أحفاد حنانيا ويدعى إيل عازر(إلعازر) يقاوم الرومان كما قاوم جدّه البعيد الغزو الآشوري، وهذا سلوك قبلي تقليدي حيث يرث الحفيد تراث أجداده في مقاومة الغرباء.

ولذلك شكا اليهود المرتدون عن اليهودية خلال عصر الغزو الروماني، لحاكم حصن الغراب (أغريبوس) المتأغرق، وحليف الرومان من بطش المقاومة التي كان يقودها إيل عازر (إليعازر بن حنانيا). وبطبيعة الحال، فهذه المقاومة ترتبط برفض تبديل لحم الذبيحة (الخنزير بدلاً من الثور). ولذا تراجع إيل عازر صوب أورشليم، وقاد مقاومة جديدة تقوم على أساس «استراتيجية الاغتيال» بالخناجر. وبكل تأكيد، فهذه صورة متكاملة لشعب يهودي يمني لا يزال حتى اليوم يضع الخنجر على خاصرته للزينة، لأنها رمز ديني/ تاريخيّ للمقاومة بالخناجر ضد الرومان. إن أفضل تفسير يمكن تقديمه لظاهرة «زينة الخناجر» على خصور اليمنيين المعاصرين، هو الذي يلاحظ أن الظاهرة ترتبط بذكرى «استراتيجية الاغتيال بالخناجر» لمقاومة الرومان والمرتدين عن اليهودية، ولكن من جانبٍ ثانٍ ولئلا يُساء فهمي، يجب أن نربط وجود الخنجر على خصور اليمنيين منذ القدم، كجزء من تقاليد

«زينة دينية» جذّابة، حتى إن شلمانصر الثالث (سليمانو) ترك لنا منحوتة له وهو يضع الخنجر اليمني في خصره[٧٦]. هذا يعني أن «الزينة الدينيّة» أخذت بُعداً جديداً مع مقاومة الرومان[٧٧]. يبقى أن أشير إلى العلاقة بين اسم الكاهن «شعنانو» الوارد في نقوش الآشوريين، وبين العيد المسيحي المعروف باسم عيد «الشعانين»، هو العيد المسيحي اليمني القديم الذي يرتبط بالاحتفال بالكهنة «الشعانين» أي الذين يشعّون نوراً. وسأفرد فصلاً خاصاً في المجلدات الخاصة القادمة[٧٨] بتحليل الأناجيل، لشرح طبيعة هذا الطقس.

والآن إلى المقطع الثالث من رواية الكنيسة المسيحية الشرقية:

٣: «وذهب أغريباس إلى روما وأشتكى للقيصر فاستشاط غضباً، وأرسل في الحال إلى *Cestius Gallus* جيستوس إيغالوس قائد فيالق الشرق وحاكم سورية الذي كان في ذلك الوقت راجعاً من حرب البارثين الفرس والأرمن، وأمره أن يخضع عصاة اليهود بحدّ السيف، وأخذ الملك أغريباس المنشور ورجع حاملاً إياه ووجد القائد إيغالوس *Cestius Gallus* في دمشق فسلمه أمر الإمبراطور ورافقهُ إلى أورشليم والفيلق الروماني يتبعهما *XIIe légion Fulminata* فخرج اليهود لقتالهم، فكادت الدائرة تدور عليهم لو لم يتقهقروا ويهربوا إلى المدينة، ويستعدوا بأبطالهم ورجالهم ويعيدوا الكرّة على الروم، فخاف القائد شرّهم وأمر الجيش أن يتقهقر فتعقبوه وقتلوا الكثير من جنوده».

هذا المقطع من الرواية المسيحية ينسف كل الأساس الزائف الذي قامت عليه أسطورة ثورة اليهود على الرومان في فلسطين، فكيف أصبح إيغالوس ٣٣م، فجأة قائد الحملة الرومانية، بينما كان يقال لنا في مقاطع سابقة إن ذلك حدث في عصر نيرون نحو ٦٨م؟

وماذا نفعل مع التاريخ الرسمي للكنيسة التي تقول لنا إن الحدث وقع في عصر أنطيخوس المزعوم عام ١٦٣ ق.م؟ هذه الفوضى تبدو غير قابلة للإصلاح. ومع ذلك سأعيد رواية هذا المقطع استناداً إلى التاريخ اليمني.

في الواقع، وخلال المعارك مع الرومان، نظم الكهنة اليهود اليمنيون مقاومة شرسة بكل ما لديهم من أسلحة؛ ولذا اعتمدوا استراتيجية ناجحة تقوم على أساس تنفيذ عمليات اغتيال

مدروسة بعناية. ويبدو أن ذلك كان مؤلماً للرومان وللخونة والمرتدّين من اليهود. ولذا ذهب قيل/ ملك مقاطعة «حصن الغرب» في ماوية بتعز إلى «رومية»، وهي مركز تجمع قوات إيغالوس في البيضاء المتاخمة لمحافظة إب. هاكم اسم المكان: محافظة إب، مديرية حبيش، عزلة ربع ظلمة، حيّ ظلمة، محلة الرومية. وفي هذا المكان يوجد حتى اليوم مركز حكم قديم يدعى «قيصر». هاكم اسم المكان: محافظة إب، مديرية جبلة، عزلة الشراعي، قرية المعاصر، محلة قيصر.

كل هذا يؤكد لنا أن قيل/ ملك «حصن الغراب/ أي أغرابيوس» ذهب إلى «رومية» في البيضاء ثم اتجه نحو إب ليلتقي إيغالوس في مقاطعة «قيصر». بكلام آخر، ذهب قائد مقاطعة «حصن الغرب» من تعز إلى إب للقاء إيغالوس الذي كان يتمركز بقواته هناك وليس للقاء القيصر، وهي تقع جغرافياً ضمن مقاطعة قديمة أوسع تدعى «رومية».

وهاكم المقطع الرابع من تأويل الكنيسة للقصة:

٤: «ورجع القائد إيغالوس *Cestius Gallus* إلى روما مخذولاً مهزوماً، فجهز نيرون جيشاً آخر من ٣ فيالق وأرسله تحت قيادة *Flavius Vespasien* أعظم قائد في جيوشه وأكثرهم خبرة بفنون القتال والكرّ والفرّ، فذهب يقود جيشه وصاحبه ولده تيتوس ودمسيانوس إلى اليهودية. أما اليهود فقد قسّموا قواتهم فرقاً فرقاً، الفرقة الأولى كانت في جهة طبرية والجليل تحت قيادة الكاهن يوسيفوس بن كربون، والفرقة الثانية مكانها كان في بلاد آدوم تحت قيادة العازر بن حنانيا الكاهن، والثالثة في أورشليم وما حولها بقيادة حنانيا الكاهن».

نفهم من هذا النصّ أن إيغالوس *Cestius Gallus* عاد إلى روما مخذولاً مهزوماً، وأن نيرون الإمبراطور جهّز جيشاً بديلاً من ٣ فيالق بقيادة فلافوس فيسباسين *Flavius Vespasien* لدعم الحملة الرومانية على اليمن. في هذا الوقت كان يوسف بن كربون يقود جماعات يهودية مقاومة. الآن أصبح يوسفيوس طبقاً لرواية الكنيسة هو يوسف بن كربون وهو قائد المقاومة! أين الخطأ في هذا السرد اللاهوتي؟

يكمن الخطأ في السرد المسيحي السائد للرواية المثيولوجية هنا:

أولاً: إن يوسفيوس بن كربون ليس مؤرخاً يونانياً، بل هو كاهن يهودي قاوم الغزو الروماني، وهو استعد لمواجهة إيغالوس. في هذه الحالة لن يعود هناك مؤلف يُدعى (يوسفيوس المؤرخ اليوناني)؟ فهل هو كاتب الملحمة الشهيرة عن سيرة إيلشرح يحضب وقبائل سبأ، أم هو مؤرخ يوناني، أم هو قائد جماعات يهودية مقاومة؟ هذا تناقض مخيف داخل الرواية الكنسية.

ثانياً: إن هذه الرواية تزعم دون أي دليل علميّ أن إيغالوس عاد إلى روما مهزوماً، وأن نيرون لهذا السبب وحده، جهّز حملة لدعم القوات هناك؟ أين يكمن الخطأ في هذه الرواية؟ ببساطة، يكمن في الحقائق الآتية التي يوثقها التاريخ الرسمي لروما، وهي أن نيرون صعد إلى عرش روما في عام ٦٨م، وأن إيغالوس عاد إلى روما عام ٢٥م، أي أننا أمام فارق زمني هائل يتجاوز ٤٠ عاماً بين الرجلين. في الواقع، عاد إيغالوس إلى «رومية» في محافظة البيضاء بعدما سمع من قيل/ ملك «حصن الغراب» الأنباء المزعجة عن المقاومة اليهودية الشديدة في تعز. وهكذا ترك مقاطعة «قيصر» في إب واتجه صوب «مقاطعة رومية» في البيضاء المجاورة ليكون أكثر قرباً من مسرح القتال في تعز.

فماذا لو أننا أعدنا صياغة النص في ضوء التاريخ اليمني ورواية يوسفيوس نفسه (وكذلك سفر المكابيين) ورواية سترابون اليوناني؟

هاكم روايتي – مع التأكيد أن لا وجود لمؤرخ يُدعى يوسفيوس – هذا تلفيق يوناني/ مسيحي قبطي/ مصري متأخر– وأن ما يُزعم أنه «تاريخه» هو في الواقع سيرة شعبية كتبها كهنة يهود لتمجيد ذكرى قتال السبئيين الإسرائيليين ضد الرومان في تعز. هكذا سأروي روايتي:

كان الكاهن يوسف بن كربون يقود جماعة من المقاومين اليمنيين اليهود في منطقة الجليل. والجليل هذه ليست «جليل فلسطين»، بل هي مقاطعة في الحدود الإدارية الحالية بين لحج وتعز تدعى الجليل. هاكم الاسم (محافظة لحج، مديرية حبيل جبر، عزلة حبيل جبر، قرية شعب الجليل). وهذا التصوّر يتوافق كلياً مع رواية الطبري (ثم ابن خلدون) أن الكاهن يوسف بن كربون قاد المقاومة في هذا الجزء من جغرافية اليمن. كل هذا يؤكد أن لا وجود لمؤرخ يوناني يُدعى «يوسفيوس»، وأن الكهنة اليهود كتبوا سيرته البطولية حين كان يقاتل

مع إيل شرح يحضب الثاني. أما الكاهن الثاني الذي أدى دوراً بطولياً في هذه السيرة الشعبية، فهو إيل عازر بن حنانيا، الكاهن اليهودي الذي ظل يقاتل في مقاطعة أدوم. وهاكم اسم أدوم: مديرية حزم العُدين، عزلة بني وائل، قرية الموسطة، محلة الأدوام. في هذا الوقت كان حنانيا الكاهن الأب يقود المقاومة داخل أورشليم. هذه هي الفرق الثلاث التي يتحدث عنها السفر (وملحمة يوسفيوس كذلك) وقد صوّرتها الكنيسة الشرقية على أنها فرق يهودية ضمن التاريخ الروماني في فلسطين.

دعونا الآن نعيد تفكيك الرواية المثيولوجية المسيحية، لأجل أن أستكمل تسجيل روايتي البديلة من هذا الحدث التاريخي الحقيقي، وهاكم المقطع الخامس:

٥: «وعندما أتى *Flavius Vespasien* بجيشه إلى طبرية ومعه أغريباس الذي جمع جنوداً من سائر الأمم الذين يبغضون اليهود لقتالهم، وكانت طبرية تحت حماية الجيش الذي يرأسه الكاهن يوسيفوس، فلما شاهد يوسيفوس كثرة الرومان وتنظيمهم الحربي خافهم، فانسحب إلى حصن في الجليل وتحصن به، فأرسل إليه القائد الرومانى يلاطفه ويطلب منه الصلح والاستسلام وتسليم الحصن حقناً للدماء، فرفض طلبه نزولاً لرغبة أعيان أورشليم وكبارها الذين رفضوا هذا العرض، مفضّلين الخوض في المعارك، فلما هاجمت الفيالق الرومانية الحصن خرج يوسيفوس بجنوده لقتالهم ودارت الحرب وحمي وطيسها، فلما شاهد *Flavius Vespasien* أن جيشه كاد أن ينهزم وأوشكت الدائرة تدور عليه، قام يحمّس من همّة جنوده في القتال ونزل إلى الحرب بنفسه وصاح فيهم، واندفع داخل خطوط اليهود مستقتلاً، فأصابته ضربة في ساقه كادت تقضي عليه، فلما شاهده جنده وقد أحدق الخطر بقائدهم، اندفعوا يقاتلون بشراسة كالنسور فاضطر اليهود إلى الانسحاب إلى داخل الحصن، واستمرت الحرب سجالاً مدة ٤٨ يوماً والمدفعية الرومانبة تقصف الحصن بالمجانيق وآلة العقرب، وتناقص عدد اليهود فكانت قواتهم ينقص عددها وتضعف قوتهم يوماً بعد يوم».

في هذا النصّ يتأكد لنا بنحو قاطع ولا لبس فيه، وبكل تأكيد لا نقاش حوله، أن يوسفيوس ليس مؤرخاً يونانياً، بل هو كاهن يمنيّ يهودي يُدعى يوسف بن كربون قاد جماعة ثورية يهودية ضد الرومان، ضمن فريق إيلشرح يحضب الثاني ولمصلحة سبأ وحمير، وقد اضطرّته

ظروف القتال إلى اللجوء لحصن جبليّ، وأن الضابط الروماني *Flavius Vespasien* باشر مفاوضات صعبة معه للاستسلام. هذا الحصن هو من حصون تعز/ لحج (في الجغرافية القديمة غير الإدارية أي المفتوحة الحدود)، وتحديداً في شِعب الجليل (والشِّعْب تفرّع صخري شديد الوعورة من الجبل). لكن بعد ٤٨ يوماً من القتال المرير، أصبح المقاومون اليمنيون اليهود في أشدّ حالات الإعياء والتعب والجوع. يؤكد النصّ أن الذين حاصروا الحصن لم يكونوا من الرومان وحسب، بل كان هناك ملك «حصن الغراب» الذي يسميه النص أغريباوس (الغراب بحذف السين اليونانية). وهذا حشد قواته ليطبق الحصار على الحصن، وهو كما قلنا ضمن ما يعرف اليوم بمديرية ماوية ضمن حدود تعز الإدارية الحديثة. ومن الواضح أن يوسف هذا جُرح في ساقه أثناء القتال. وهذا دليل آخر على أنه كان مقاتلاً لا مؤرخاً. أمّا «طبرية» المزعومة هنا، فليست سوى مقاطعة «الظبرة/ الطبرة» في محافظة لحج من مقاطعات مديرية القُبيطة، عزلة كرش وتدعى حتى اليوم باسم «قرية الظبرة». ولأن العبرية لا تعرف حرف الضاد، فقد رسم المترجم الاسم في صورة «طبرة/ طبرية».

والآن إلى المقطع السادس.

٦ : «فلما كان اليهود ذات ليلة في غفلةٍ من شدّة التعب تسلق الرومان أسوار الحصن وفتحوا باباً من الداخل، ومكنوا باقي الجيش الرومانى من الدخول خلسة وقاموا بقتل كل من فيه، ولم يبقَ غير الكاهن يوسيفوس ومعه أربعون شخصاً، ففروا من طريق نفق من الحصن واختبأوا في مغارة، ولما عرف قائد الرومان مكان وجودهم أرسل إليهم رسالة يؤمنهم على حياتهم إن أطاعوا واستسلموا، فقبل يوسيفوس الكاهن ذلك ورغب في الاستسلام، فوبخه رفقاؤه وخيّروه ما بين أمرين: إما أن يقتل نفسه أو يقتلوه هم فلاطفهم ليتركوا هذه الفكرة، فلم يوافقوه فاحتال على خلاص نفسه منهم وقال لهم : «إذا كنتم صمّمتم على الموت قبل أن يقبض علينا الرومان، فليقترع كل اثنين فمنْ وقعت عليه القرعة بالقتل يقتل صاحبه ثم يقتل نفسه، حتى لا يبقى منا أحداً»، فقبلوا مشورته وقتل بعضهم بعضاً إلى أن فني الجميع ما عدا هو ورجلاً آخر، فاتفق معه على أن ينجوا من الموت، وهكذا نفذ يوسيفوس الكاهن بحياته وخرج للقائد الرومانى ليصبح عبداً بقية حياته. وباستسلام يوسيفوس، أصبح شمال فلسطين والمنطقة الساحلية جنوب جافا «تل أبيب» من جديد تحت سيطرة الإمبراطورية».

هذه القصة اللاهوتية كما روّجتها الكنيسة القبطية المصرية في العالم كله، تحيلنا مباشرة على حدث «ملفق» في التاريخ الفلسطيني يُدعى «الانتحار الجماعي اليهودي في قلعة مسادا»[٧٩]. لقد روجت الكنيسة المصرية هذه القصة الزائفة على أنها وقعت خلال الاحتلال الروماني لفلسطين، بينما تقول روايتي المضادة أن ما يُدعى «حصن/ قلعة مسادا» ليس سوى حصن/ قلعة مسعدة (وليس مسادا باللفظ اليوناني)، وأن أحد الشهود على وقوع هذا الحادث الكاهن يوسف بن كربون، أي أنه ليس مؤرخاً يونانياً؟

سأكتب هنا روايتي المغايرة والمُختلفة عن رواية «حصن/ قلعة مسعدة» حيث وقع حادث الانتحار الجماعي لليهود اليمنيين الذين رفضوا الاستسلام للغزاة الرومان.

أسطورة «حصن مسادا»: الرواية المغايرة

وقع الحادث في السنة الأخيرة تقريباً من هزيمة إيغالوس وفراره من اليمن نحو ٢٤م، عندما حاصرت قوات من وكلائه اليهود المرتدين، جماعة يهودية مقاومة بقيادة كاهن يُدعى يوسف، وكان مسرح القتال قد انتقل من قلب تعز إلى تخوم إب، ثم استمرّ وتواصل فيها. تقع ما يُزعم أنها قلعة/ حصن «مسادا» وهي مسعدة «قلعة/ حصن مسعدة» حتى اليوم في محافظة إب، مديرية المخادر، عزلة بني سرحة، قرية الهوب، وتُدعى «محلة مسعدة» وفيها وقربها حصون وقلاع كثيرة، أي في المكان نفسه الذي دار فيه الصراع مع الرومان في عصر إيلشرح يحضب الثاني ٣٣م. لقد استخدمت النسخة الأميركية من الكتاب المقدس أو ما يعرف *New American Bible* كل النصوص اليونانية المُترجمة عن العبرية مع بعض المقتطفات ممّا وُجِد في الكتابات اليهودية، واعتبرت كل هذه المواد السردية أساساً مقبولاً لبناء «أسطورة مسادا». وفي الملاحظات الواردة في المقدمة، كُرِّسَت الفكرة الآتية:

في الفترة من ١٨٩٦-١٩٠٠م اكتُشف نحو ثلثي السفر التوراتي من سفر «المكابيين» بنصٍّ عبريٍّ في معبد يهودي بالقاهرة، غير أن النصّ اليوناني كان بالنسبة إلى اللاهوتيين الغربيين «الأوروبيين ممن يجيدون اليونانية» أكثر وضوحاً من النصّ العبري، ومع ذلك فإنّ ما ورد في النصّين، السفر الأول والثاني بدا متطابقاً. في هذا السياق، يوجد شبه إجماع على أن

النسخة الأصلية للسفر قد دُوِّنَت باللغة العبرية، ويقول القديس جيروم في هذا الصدد، إنه رأى الأصل العبري بنفسه ولديه النسخة العبرية، «وإنْ كنا لم نعد نسمع عنها فيما بعد إلا من خلال كتابات الربيين اليهود أنفسهم»[٨٠]. كل هذا يعني أن النص العبري من التوراة ذكر اسم «حصن مسعدة»، وأن الترجمة اليونانية حوّلته إلى «مسادا»، بما أن اللغات الأخرى لا تعرف حرف العين العربي/ ع وتقلبه إلى ألف/ أ.

هذا التفصيل اللغويّ الصغير مهمٌّ للغاية في سياق روايتي عن الحادث الذي جرت أسطرته في المخيال الأوروبي. ثمة تفصيلٌ دينيٌّ/ تاريخيٌّ مهمٌّ آخر سآخذه بالاعتبار هنا، لأجل أن أدعم نظريتي التي تقول إن مسرح المعارك ضد الرومان كان في اليمن بقيادة إيل شرح يحضب الثاني، وإن الرسم اليوناني لاسمه في صورة (السره/ السرح) دالٌّ عليه، وهذا التفصيل برأيي بمنزلة الدليل الأهم بين أدلة كثيرة على صحّة ما ذهبت إليه، وهو يؤكد أن «مسادا» هي «قلعة مسعدة» في إب، حيث انتحر يهود اليهود، مفضلين الموت على الاستسلام للغزاة. هاكم الدليل:

تتضمن التوراة سفراً متأخراً يُدعى سفر «سيراخ». فمن يكون سيراخ هذا وما علاقته بسرح/ إيل شرح؟ يكتب الاسم في العبرية في الصورة التالية: שירח (شيرح - ويلفظ سيرخ). ولأن لا أحد يعلم بدقة منْ هو سيراخ/ سيرح، فقد تفننت الكنيسة القبطية المصرية في «اختراع» تاريخ لا أصل له و«تلفيقه». ومع أن سفر سيراخ سفر حكمة ومواعظ ولا يتضمن أي وقائع تاريخية، فقد حظي بمكانة دينية في الكنيسة المصرية، حتى راح القساوسة يستلهمون منه الكثير من المواعظ التي تلقى في الكنائس، ولكن فات هؤلاء أن السفر يسرد أسماء مخلّصي إسرائيل، ابتداءً بموسى وصولاً إلى سمعان. فمن هو سمعان؟ ليس سمعان هذا سوى الأخ الكاهن الأكبر ليهوذا المكابي الذي قاد المعارك ضد الرومان. وهذا يعني أن السفر كتب في عصر إيل شرح يحضب أو بعده بقليل (نحو ٣٣ - ٢٤م). إن أي فرضية أخرى عن تاريخ أقدم للسفر المعروف باسم (سيراخ/ شرح) ستصطدم بهذه الحقيقة، فالسفر يسجل اسم آخر مخلصي إسرائيل الكاهن سمعان. إن أهمية الأصل العبري - في سياق روايتي المغايرة- تكمن في التأكُّد من أن كلاً من المترجم اليوناني القديم، أو المطلعين الأوائل على سفر المكابيين، اطلعوا على «سفر سيراخ/ سيرح/ شرح». سأعطي المثال الآتي عن

العلاقة بين اسم السفر «سيراخ» التوراتي وسيرة السرح/ السرخ «إيل شرح»، وأن حفيداً من أحفاده أو من أسرته/ قبيلته كتب سفراً دينياً هو مجموعة آيات من المواعظ والحكم الدينية باللغة العبرية، ثم ترجمه إلى اليونانية.

ما يهمّنا من هذا المثال الاسم «السرخ/ السرح/ إيل شرح»، ونحن نعلم أن العبرية لا تعرف حرف الخاء بنقطة من فوق، والحرف العبري هو حاء دون نقطة، ولكنه ينطق خاء «سرخ/ سرح». فهل من المنطقي تخيّل كاهن يهودي يوناني يؤلف سفراً يتحدث فيه عن آخر زعماء سبأ ممن قاتلوا مع إيل شرح؟ من المؤكد أن الذين إطلعوا على السفر بعد وقت طويل من وفاة مؤلفه، نهلوا من النبع الأصلي بالفعل، وصاروا شهوداً أمناء لوجود الأصل الذي دوَّنه الحفيد. إن كاتب هذا السفر ومُترجمه من العبرية إلى اليونانية حفيد متأخر لابن سيراخ أو سيراخ الكاهن اليهودي، ويُدعى «سمعان بن يشوع بن ألعازر بن سيراخ». والكتاب في الأصل «سفر حكمة ومواعظ» لا أكثر، لكن أهميته من منظور التحقيب التاريخي أنه يسجل اسم سمعان الكاهن بوصفه آخر مخلّصي إسرائيل. والمدهش أن هذا الحفيد هو سمعان بن يشوع بن سيرح/ سيرخ. تبدأ الإصحاحات الأخيرة فيه بذكر موسى نزولاً حتى حزقيا، ويوشيا وأخيراً سمعان، وهذا أمر يؤكد أنه سفر كتب في وقت متأخر جداً لأغراض الوعظ الديني، وليس «سفراً قديماً».

في مقدمة الترجمة اليونانية عن العبرية التي قام بها الحفيد، يشرح الكاتب متى ترجم جدُّه السفر إلى اليونانية ولماذا؟ أَمَّا هدفه، فكما يقول، أن يُعرِّف الشتات اليهودي بهذا العمل. لكن المشكلة العويصة التي تواجهنا مع هذا السفر، أن لا أحد يعرف تاريخه بدقة، وهناك تواريخ متناقضة ومُتضاربة تقدمها الكنيسة المصرية لا سبيل للتوفيق بينها. خذوا مثلاً هذه التناقضات كما في سردية الكنيسة القبطيّة:

«إن يشوع بن سيراخ هو أحد حكماء اليهود ممّن درسوا التوراة، وقد قيل عنه إنه (يشوع ابن سيراخ بن سمعون/ سمعان) وإنه مؤلف كتاب (مصباح الظلمة في إيضاح الخدمة)» .[٨١]

هذا غير منطقي لأن مؤلف هذا الكتاب: (مصباح الخدمة)، قسٌّ عاش في القرن ١٤ ميلادي أي قبل ١٢٠٠ عام من الآن، فكيف يكون كاتباً مشهوراً مات أثناء السبي في بابل ودُفِنَ

هناك، وأن يكون في الوقت نفسه مؤلف كتاب من القرن ١٤م؟ فهل عاش كاتب السفر عام ٥٣٩ ق.م؟ هذا غير مقبول. ومن المقدمة نفهم كذلك أيضاً أن السفر كتب باللغة العبرية، لكن الكنيسة المصرية تعتقد دون أي دليل، أن كتابة السفر العبري تمت في زمن «بطليموس أورجتيس الأول» ٢٤٦–٢٢١ ق.م، وهناك من يقول إن السفر كُتِب في فلسطين خلال الفترة من ١٩٠–١٧٠ ق.م. وهذه، كما يُلاحظ، تواريخ أخرى متناقضة ومُتضاربة، فكيف عاش في عصر السبي ثم في عصر سقوط بابل ٥٣٩ ق.م أو كتب السفر في فلسطين عام ١٧٠ ق.م؟ إن سردية الكنيسة القبطيّة المصرية قابلة للطعن والتشكيك بسبب الأخطاء التاريخية. في الواقع، عُرف سفر «سيراخ» باسم «سفر ابن سيره/ سرح» وليس سيراخ، وعُرف باسم «كتاب كل أمة/ قبيلة سيره- سيرح»، والترجمة الصحيحة من العبرية هي (كتاب سيرة قبيلة السرح/ إيلشرح). وهذا هو الاسم الحقيقي لسفر سيراخ التوراتي: سيرة قبيلة إيل شرح. ولعل النص اليوناني يؤكد هذا التأويل، فاسم السفر باليونانية هو «بر/ سيره/ سرح» أي بن إيل شرح. ولذلك يستحيل على أي مؤرخ نزيه وموضوعي تقبّل المزاعم القائلة إن كاتب السفر عاش في بابل وفي العصر البطلمي في آن واحد، والصحيح أن حفيداً لكاهن يهودي ينتسب إلى إيل شرح يحضب الثاني ٣٣ ق.م هو منْ عرض السفر المترجم للعبرية على يهود متأخرين في مصر، وقد رسم المترجمون اسمه في صورة سيراخ وهو سيرح/ إيلشرح.

وما يؤكد ذلك، أن السيرة تتضمن سرداً لوقائع لم تحدث إلا عام ٣٣ ق.م.

هذا المثال غرضهُ التدليل على أن الرواية المسيحية الراهنة هي رواية مثيولوجية متناقضة، مثلها مثل الرواية التوراتية والإسلامية.

والآن إلى المقطع السابع من السردية المسيحية لحادث قلعة مسعدة:

٧: «وأخيراً، انفجرغضب اليهود، الذي طال كبتهُ ضد الرومان، عن ثورةٍ عارمةٍ مكشوفةٍ في ٦٦ م، بسبب «جيسيوس فلوروس»، فأشعلت الجموع الغاضبة النيران في القصور والأبنية العامة. وبعد يومين فقط من الحصار، استولوا على قلعة «أنطونيا» وأشعلوا فيها النار وذبحوا حرسها، فأسرع جالوس بجيوشه من سورية، وحاصروا المدينة واقتحموا السور الثالث وأحرقوا ضاحية «بيزيتا» بالنار، ولكن عندما كانوا على وشك إعادة الهجوم على السور

الثاني، يبدو أن جالوس قد تملكه الرعب، وتحوّل انسحابه الجزئي إلى تراجع مشين، فتتبعه اليهود على الطريق إلى بيت حورون حتى أنتيبأترس/ انتيب أترس».

ما العيب في هذه الرواية؟

هناك عيوب كثيرة مدمّرة، مثلاً: هل من المنطقي تخيّل وصول إيغالوس من سورية بهذه السرعة؟ ومتى كان إيغالوس أصلاً هناك؟ إن التاريخ الرسمي الروماني لا يعرف هذه الواقعة. لقد أرسلت روما إيغالوس في حملة حربية لإخضاع اليمن وليس سورية؛ ولذا يستحيل تقبّل هذه المزاعم التي لا تؤيدها السجلات الرومانية. فما هي الحقيقة؟ في الواقع أسرع إيغالوس لتطويق الموقف المتفجّر بعد اندلاع الصراع بنحو فوضوي بين الوكلاء/ العملاء من اليهود المرتدين في مقاطعة «بيت الزيتة/ الزيت». هاكم اسم المكان: محافظة لحج، مديرية المقاطرة، عزلة الأكاحلة، قرية المسيجد، محلة الزيتون (الوزن العبري زيت/ زيتون، مثل حور/ حورون/ صور/ صورون). كان إيغالوس في هذا الوقت في مقاطعة تدعى «السوري/ مسوري». هاكم اسم المكان: محافظة ذمار، مديرية جهران، عزلة سفل جهران، قرية الحلة، محلة غول المسوري/ السوري (الميم الحميرية هي ألف ولام). أي إنه جاء مسرعاً من ذمار حتى لحج، وهذه مسافة واقعية. أما الاسم اليوناني الغريب أنتيباترس التي لاحق اليهود إيغالوس حتى تخومها، فهي ما يعرف اليوم باسم عدن أترس (عنة في أترس/ عدن أترس)[٨٢]، وهي اليوم ضمن شرعب السلام في المكان نفسه الذي توجد في حورون، أي ضمن جغرافية تعز.

على هذا النحو تصبح جغرافية القتال واقعية وحقيقية. لقد لاحق يهود اليمن جنود إيغالوس ووكلاءه حتى مقاطعة عدن أترس عند وادي عنت/ عنة (عنت في أترس).

٨: هاكم هذا المقطع من رواية الكنيسة المصرية لحصار قلعة (مسعدة/ مسادا باللغة اللاتينية).

فجأة - وكما في رواية الكنيسة المصرية - دخل الملك تيطس على خط الصراع (في الواقع لا يوجد ملك روماني بهذا الاسم). في هذا الوقت، وحسب زعم الرواية الأسطورية

للكنيسة، كان هناك قائد يُدعى «فسباسيان». وهذا القائد قرّر أن يحاصر أورشليم، ليسحق المقاومة اليمنية. «بدأ «فسباسيان» زحفه من الشمال وتقدم في خطوات وئيدة ولكن ثابتة، ولكنه استُدعي فجأة إلى روما ليصبح إمبراطوراً – والحرب ما زالت مشتعلة – ولذا انتقلت مسؤولية حصار أورشليم والاستيلاء عليها إلى ابنه تيطس. ولا وجه للمقارنة بين النكبات الكثيرة التي حلّت بالمدينة على مدى تاريخها الطويل، وتلك النكبات التي حلّت بها في هذا الحصار المريع. لم تكن المدينة – في أي وقت من الأوقات – بمثل تلك الروعة، ولم تكن تحصيناتها بمثل تلك القوة، أو عدد سكانها بمثل تلك الكثرة. وكان الوقت عيد الفصح، وبالإضافة إلى الجمهور الذي احتشد فيها لهذه المناسبة، فإن أعداداً غفيرة قد هرعت إلى هناك هرباً من الجيش الروماني الزاحف، فكانت الخسائر في الأرواح فادحة، وقد قدر اللاجئون إلى تيطس، وعدد القتلى بستمئة ألف نسمة، ولكن يبدو أنه عدد مبالغ فيه».

هذه الرواية الخالية من أيّ منطق تاريخي، أصبحت تاريخاً رسمياً في الكنيسة المصرية. في الواقع كل هذا خيالٌ ناجمٌ عن سوء الترجمة من العبرية إلى اليونانية، ثم من اليونانية إلى العبرية مرة أخرى. ليس ثمة تيطس ولا فسباستيان في التاريخ الروماني. وهل من العقل في شيء تخيّل إمبراطور روما وهو يخوض الحرب بنفسه ثم يترك ابنه في مسرح القتال؛ بينما كان يقال لنا إن إيغالوس هو قائد الحملة؟ إذا كان تيطس هو إمبراطور روما فبماذا نفسر رسالة بولس الرسول له (رسالة بولس الرسول الى تيطس/ الإصحاح الأول)؟[٨٣]

هل هذا يعني أن بولس وجه رسالة إلى الإمبراطور؟ لماذا يخاطب تلميذ المسيح إمبراطوراً رومانياً؟ ومع ذلك ثمة خطأ فاضح؛ إذ طبقاً للرسالة، فإن الحدث يكون في هذه الحالة قد وقع قبل ١٠٠ عام من الميلاد حين وجه بولس رسالته إلى طيطس؛ بينما نعرف من سفر المكابيين ورواية يوسفيوس المزعوم ورواية الكنيسة القبطية المصرية، أن طيطس عاش في عصر إيغالوس ٢٤م.

فهل كان هناك ملك روماني يدعى طيطس عام ٢٤م أم في عام ١٠٠ ميلادي؟ هذا هراء. ليس «الملك طيطس» هذا سوى قيل/ ملك مقاطعة «الطيط» بإلحاق السين اليونانية: «طيطس» وهي من مقاطعات تعز: محافظة تعز، مديرية شرعب الرونة، عزلة بني الحسام،

قرية المراهيض، محلة شعب الطاط. أي إنه قيل/ ملك حميري دخل على خط الصراع، عندما كان السيّد الروماني إيغالوس يبحث عن وسيلة للفرار من اليمن.

والآن إلى المقطع التالي (التاسع) من سردية الكنيسة المصرية:

٩: «ومن تبقّى من اليهود فقد انتشر الشرّ بينهم ولعب الشيطان برؤوسهم، فقد حدث أن رئيس عصابة في الجليل جمع حوله أدنياء اليهود وأوباشهم، وقوي بعد أن جمع – من – حوله المجرمين فدخل إلى أورشليم وفتك بأهلها لفرض سيطرته على كل من يخالفه، فقاومه حنانى/ حنانيا الكاهن، ولكنه لم يستطع السيطرة عليه واشتكى إليه أهل المدينة، فبعث يستنجد بـ*Flavius Vespasien* فلم ينجده، ولما رأى أن – من في داخل المدينة كانوا – منقسمين، تركهم القائد الرومانى ليزداد انقسامهم بدون تدخل منه، لأنه رأى مصلحته أن يقتل اليهود بعضهم بعضاً. واتجه بقواته إلى بلاد آدوم، فانتصرعلى فرقة اليهود الثانية التي كانت في بلاد آدوم تحت قيادة إلعازر بن حناني/ حنانيا الكاهن في بضعة أيام».

طبقاً لهذا النصّ؛ فإن منْ فتك بالمدينة المقدّسة أورشليم، قيلٌ يمنيٌّ حظي بإسناد ودعم من يهود مرتدّين عن اليهودية وليس الرومان الغزاة، وأن منْ قاومه إلى النهاية كاهنٌ يمنيّ يهودي مؤمن هو حنانيا/ حناني. ولأن الكاهن عجز عن طرد اليهود المرتدّين عن اليهودية من المدينة المقدّسة أورشليم، فقد اضطر إلى الاتصال بالرومان لردع عملائهم ووكلائهم، لكن هؤلاء لم يستجيبوا لتوسلاته. وعلى العكس من تمنيات الكاهن حنانيا/ حناني، فقد ارتأى القائد/ الضابط الروماني المزعوم الذي يعرف في نصوص الكنيسة بـاسم *Flavius Vespasien* أن من المناسب ترك يهود اليمن يغرقون في انقسامهم ويقتل بعضهم بعضاً. وهكذا زحف الضابط الروماني صوب أدوم (وهي كما قلنا مراراً في هذه المؤلفات تدعى اليوم الأدوام في مديرية حزم العُدْين)[٨٤]، أي في الفضاء الجغرافي لمسرح القتال. وبطبيعة الحال، يستحيل تخيّل، مجرد تخيّل، أن لروما ملوكاً لا عدّ ولا حصر لهم يتصارعون فيما بينهم حول أورشليم.

يكشف هذا النصّ بجلاء لا مثيل له، أن الرومان لم يدمروا أورشليم ولم يحرقوا/ يحطموا الهيكل هناك، وأن منْ فعل ذلك هم يهود مرتدّون عن اليهودية بقيادة قيل/ ملك حميري

كان يحكم مقاطعة في تعز «شرعب الرونة» ويُدعى قيل/ ملك طيط «طيطس بالرسم اليوناني» (محافظة تعز، مديرية شرعب الرونة، عزلة بني الحسام، قرية المراهيض، محلة شعب الطاط).

ولو كان طيطس هذا ملكاً رومانياً كما يُزعم في المؤلفات التاريخية التقليدية؛ فلماذا اضطر كاهن أورشليم إلى التوسل بضابط صغير يدعى فاستبيان أن يردع الملك؟ هل من المنطق في شيء أن يتوسل كاهن أورشليم لضابط روماني صغير، أن يردع ملكاً رومانياً ويمنعه من تهديم المدينة المقدّسة؟ في الواقع، توسل يهود اليمن في أورشليم، بضابط روماني أن يردع القيل/ الملك الحميري/ الجنوبي/ اليهودي المرتد وعميل الرومان، عن تهديم أورشليم بهذه الطريقة الوحشية.

والآن إلى المقطع العاشر من رواية الكنيسة القبطية المسيحية:

١٠: «وفي سنة ٦٨ قام *Flavius Vespasien* بإخضاع *Antip atris*، و*Lydda*، ويبة ونيكوبليس[٨٥]، ثم عبر السامرة/ شميرا نحو القدس، ولم يتبق غير أورشليم أمام القائد الروماني *Flavius Vespasien* وعندما بدأ يوجه قواته إليها، وردت أنباء بموت نيرون وقيام الفيالق الجرمانية بتعيين قائدها *otho* إمبراطوراً، فغضبت الفيالق السورية من ذلك وبايعوه إمبراطوراً، فُشطر الجيش قسمين: قسماً – الصحيح قسمٌ– تركه تحت قيادة ابنه تيتوس/ طيطوس وأمره بقتال اليهود وأخذه معه إلى روما لطرد غريمه من على كرسي الإمبراطورية الرومانية، فطرده واستولى على العرش».

هذا المقطع الفوضوي من السرديّة المسيحية مليء بالمشكلات اللغوية والتاريخية. ولو أننا ضربنا صفحاً عن الصياغات اللغوية الركيكة في النص والأخطاء النحوية؛ ليتعيّن علينا أن نقف بحزم في وجه الأخطاء التاريخية، لأن الحدث كله يرتبط بإيغالوس، وهذا ضابط روماني كبير عاش عام ٣٣م. ومن المستحيل تخيّل حملته وقد استمرت حتى صعود نيرون عام ٦٨م (أي طوال ٣٥ سنة)، بينما يسجل التاريخ الروماني أن الحملة انتهت عام ٢٤م. أمّا الضابط الروماني المزعوم *Flavius Vespasien* الذي استغل خلافات اليهود وانقساماتهم واحتل *Antip atris*، و*Lydda* (لدّة وأنتبأترس/ عنت في أترس) فقد كان برأينا ملكاً/ قيلاً

من أقيال حمير، كان ينشط في مقاطعات أخرى على تخوم لحج/ وتعز. إن هذين المكانين بصياغاتهما اليونانية يبدوان كموضعين أسطوريين لا وجود لهما في أيّ جغرافيا، ولكننا بقليل من الصبر سنكتشف أنهما في المكان نفسه. ولأجل تأكيد هذا التصوّر، سأورد هنا ما يقوله الإصحَاحُ الثَّانِي من إنجيل لوقا أن «لدة» هذه هي قرب يافا (٣٨ وَإِذْ كَانَتْ لُدَّةُ قَرِيبَةً مِنْ يَافَا/ إليافا). وها هنا إليافا/ يافا (محافظة تعز، مديرية الشمايتين، عزلة المداحج، قرية علياقه). وهنا «لدّة» محافظة تعز، مديرية الشمايتين عزلة الزعازع، قرية الأعمور، محلة اللود/ اللودة؟ وهنا أترس: محافظة تعز، مديرية شرعب السلام، محلة «عدن أترس». وبالطبع لا يعرف التاريخ الروماني ولا تاريخ فلسطين وجغرافيتها بطبيعة الحال، مثل هذه الوقائع ولا أسماء هذه المواضع، ولم يحدث قط في تاريخ روما العسكري والسياسي أن حصل انشقاق داخل الجيش في فلسطين، وبحيث إن أحد الملوك أخذ ابنه معه لينصّبه إمبراطوراً. هذا خيال ما بعده خيال.

ما جرى هو التالي حسب روايتي المضادة:

لقد نجم عن سلوك الضابط الروماني الوحشي (وهو ضابط روماني مزعوم لا وجود لاسمه في أي وثيقة تاريخية رومانية)، وهو في الحقيقية قيل/ ملك قبلي، انقسام داخل الجماعات المؤيدة له، ولذا نصّب ابنه طبقاً لنظام البكر السبئي بديلاً منه كملك/ قيل على مقاطعة الطيط/ الطط (طيطوس). والآن وقد أصبح قيل/ ملك طيطوس/ تيتوس الجديد هو الملك خلفاً لوالده في رومية بمحافظة البيضاء، فقد جاء بنفسه لإحراق هيكل الرّب بأورشليم في إب المجاورة. هذا تصوّر أكثر عقلانية من تخيّل إمبراطور روما وقد جاء بنفسه فقط، لأجل أن يدمرّ «هيكل اليهود». والآن: هل في هذا التخيّل أي منطق تاريخيّ معقول: روما العظيمة تأتي بشخص إمبراطورها، وفقط لأجل «تهديم» معبد يهودي؟ إن سجلات روما تخلو من أي تسجيل لهذا الحادث ولا تعرفه.

في هذا الإطار تقول رواية الكنيسة حرفياً:

١١: «ونتيجة للهزيمة المتواصلة انقسم اليهود إلى فرق عديدة، فقد جمع رجلاً – الصحيح رجلٌ– اسمه شمعون عصابة حوله وقام ليغزو البلاد، ويستولي عليها ويفتك بأهلها ويتلف

مزروعاتهم وينهب أموالهم فقوي أمره، فاتجه إلى أورشليم وضايق أهلها فأصبحوا في بلاء مزدوج وضيّق من الخارج والداخل وكانوا قد سئموا ظلم حناني/ حنانيا الكاهن وظنوا أن شمعون سيكون أفضل وطأة ورفقاً بهم من حناني/ حنانيا، ففتحوا له أبواب المدينة وعندما تمكن من السيطرة عليها أضاف عليهم ثقلاً فوق ثقل وأذاقهم الذل وسمع العازر بن حناني/ حنانيا قائد جيش بلاد أدوم بمصائب أورشليم، فأسرع لإنقاذ أهلها من مخالب هذين الزعيمين، فلما وصل لم يتمكن من طردهم وأصبح حملاً ثالثاً يتطلب أموالاً وغذاءً لجيشه. أما تيتوس/ طيطوس فكان في هذه الفترة في بلدة قيسرية/ قيصرية ينتظر وصول الفيالق المقدونية والدانوبية *Ve légion Macedonica* و*legio X Fretensis* ويُعدّهم للحرب ثم زحف حتى وصل إلى جبل الزيتون ونصب معسكر جيشه في اتجاه شعار/ شعر إله اليهود المقدس وشعار النسر الرومانى علامة الدمار والخراب والعظمة الرومانية في ٢٨ ماي سنة ٧٠م».

سأعيد رواية هذا الجانب من السردية المسيحية المشوّشة وغير المعقولة بصوتي:

في الواقع قام سمعان ابن الكاهن اليهودي[٨٦] (متّى بن يوحنا بن سمعان بحسب ما سجله محررّ سفر المكابين) الذي نظم المقاومة اليهودية/ الحميرية – السبئية اليمنية ضد الرومان، بسلسلة أعمال قتالية ضد الكهنة اليهود المرتدين، وتمكن من تحرير «أورشليم». ويبدو أن اليمنيين خلدوا اسمه في عشرات الأماكن التي تحمل اليوم اسم سمعان، مثلاً: محافظة أبين، مديرية الوضيع، عزلة الوضيع، قرية سمعان. في هذا الوقت كان ملك/ قيل مقاطعة «طيط/ طيطس» ينتظر الدعم العسكري من الجماعات التي كانت تتمركز في مقاطعات كثيرة منها «مقاطعة مذاب: مدب» في ضواحي صنعاء التي أصبحت في الترجمة اليونانية «دانوب/ م/ دوب»، وهكذا زحف بمقاتليه صوب جبل الزيتون (الزيتة: بيت زيت: محافظة تعز، مديرية شرعب السلام، عزلة بني وهبان، قرية المحدادة، محلة الزيتة)، ونصب خيمته قبالة جبل شعر. وهذا المكان هو اليوم – من الناحية الإدارية – ضمن محافظة إب، ويُدعى «مديرية الشعر». هذا يعني أنه زحف بقواته من تعز حتى تخوم إب.

١٢: «ومن الأسباب التي جعلت القائد الروماني تيطس يسرع في الزحف على العاصمة

أورشليم، هو طمعه ورغبته في رجوعه إلى روما على أثر جلوس والده على كرسي العرش، فلما شاهد زعماء اليهود الثلاثة المنقسمين، جيش الرومان أمام سور المدينة كفوا عن محاربة بعضهم البعض وأصطلحوا واتفقوا على قتال العدو، هاجمت الفيالق الرومانية القدس في ٣٠ ماي من الشمال والتحم الفريقان ببعض، فانهزم اليهود وانسحبوا إلى المدينة ثم أخرجوا قوة من المدينة في غفلة من الرومان، ودارت من خلف صفوف الرومان ككمين ثم استأنف اليهود القتال مرة أخرى وخرجوا من المدينة».

لقد اخترعت الكنيسة المسيحية ملكاً على عرش روما (من المفروض أن هناك إمبراطوراً لروما لا مجرد ملك) يجلس على عرشه وينتظر ابنه الذي تركه في ميادين الحرب. إن سجلات روما العسكرية المعروفة جيداً للعلماء لا تعرف هذه الواقعة. في الواقع، تعرض قيل/ ملك طيط/ طيطس لهزيمة منكرة إثر هجوم مباغت قام به المقاومون اليمنيون اليهود بعد أن وحّدوا صفوفهم، وتجاوزوا الانقسامات القبلية في سبيل صدّ الغزو الروماني ووكلائه من اليهود المرتدّين؛ ولذا تراجع ملك مقاطعة طيط نحو رومية في البيضاء بعد فشل هجومه على أورشليم في إب. المثير للدهشة أن الكنيسة من خلال هذه السردية المشوشة، تزعم أنه هاجم «القدس» مع أن النص الأصلي يتحدث عن «أورشليم».

١٣: «ولما التقى الفريقان في هذه المرة قام الكمين بالهجوم على مؤخرة جيش الرومان وحصروهم في الوسط وكادوا بهذه الحيلة أن يفنوهم عن آخرهم، ولكن عندما عاد اليهود إلى المدينة عاد الزعماء إلى التشاحن والتنافر والخلاف وبدأوا يفتكون ببعضهم البعض.

وطيلة فترة القتال، كان إذا ضايقهم الرومان يصطلحون مع بعض، وإذا كفّ الرومان عن قتالهم قاتلوا بعضهم البعض، فكانت الدماء لا تنقطع وتسيل دائماً عند اليهود. وفي ٦ أغسطس عزّز الرومان حصارهم للمدينة، فاستعملوا كبش حديد وغيره من الآلات والأبراج والمجانيق واقتربوا من أسوار المدينة ومن الحصن وكانت بارتفاع الأسوار».

هذا الوصف لأسوار أورشليم الشاهقة ينسف من الأساس أي مزاعم أن «القدس» هي «أورشليم»؛ ذلك أن القدس العربية لا تعرف مثل هذه الأسوار، ولم يعثر المنقبون الإسرائيليون في أعماق مسجد «قبة الصخرة» على أي أثر لأي سور، كذلك إنّ حصار

مدينة مثل القدس التي بُنيت قديماً فوق هضبة، لا يتطلب بناء أسوار شاهقة، أو استخدام مثل هذه الأسلحة الفتّاكة لتهديمها، الأمر الذي يعني أن الوصف ينصرف لمدينة جبلية حصينة؛ علماً أن القدس القديمة لم تعرف وجود أي «حصن» أو «أسوار ضخمة» يصعب التغلب عليها إلا بالمنجنيق وأكباش الحديد. المدهش حسب هذا الوصف أن الأسوار والحصون كانت بذات الارتفاع. لقد قام علماء الآثار الإسرائيليون طوال ٧٠ عاماً، بتنقيبات وحفريات منظمة، ولم يعثروا على أي «حصن»، ولم يجدوا أي أثر «لأسوار ضخمة». يبقى أن نعلم أن أحد أبواب الهيكل كان يُدعى «الجميل». هاكم وصف الإنجيل[٨٧]:

(وَصَعِدَ بُطْرُسُ وَيُوحَنَّا مَعًا إِلَى الْهَيْكَلِ فِي سَاعَةِ الصَّلاَةِ التَّاسِعَةِ. ٢ وَكَانَ رَجُلٌ أَعْرَجُ مِنْ بَطْنِ أُمِّهِ يُحْمَلُ، كَانُوا يَضَعُونَهُ كُلَّ يَوْمٍ عِنْدَ بَابِ الْهَيْكَلِ الَّذِي يُقَالُ لَهُ «الْجَمِيلُ»). ويبدو أن ذكريات أورشليم لم تفارق الذاكرة الجمعيّة لليمنيين القدماء، فبنوا موضعاً سمّوه «الجميل» في محافظة تعز، مديرية الشمايتين، عزلة الرجاعية، قرية الضياء، محلة الجميل. وفي الكتب القادمة سأعرض المفاجأة بالأسماء الكاملة لأسوار أورشليم كما سجلتها نصوص التوراة باللغة العبرية.

١٤: «وكانت تحت الأبراج بكرات ترفع الرجال للقتال من فوقها، فلما رآها اليهود قلقوا وأحسّوا بالخطر فاتحدوا وخرجوا لقتالهم وأحرقوا هذه الآلات وفرّقوا الروم عن الحصن، ثم رجعوا إلى المدينة وبدأ الرومان يبنون آلات أخرى، أما اليهود فرجعوا للتقاتل مع بعضهم البعض، وكانوا حينها يعانون من نقص الغذاء، فشعر تيتوس/ طيطس بانشغالهم، فدفع الكبش خلسة في خدعة إلى السور الأمامي (كانت الحصون لها اثنان أو أكثر من الأسوار بحيث إذا سقط السور الأول أمكن المحاربين الدفاع عن أنفسهم من وراء السور الثاني) وهدم جانباً كبيراً من السور الأمامي، فهرب اليهود الذين كانوا يحتمون فيه ويحاربون منه إلى السور الثاني، (ويعتقد أن السور الثاني هو الذي كان يحمي الهيكل)».

طبقاً لمحتوى هذا المقطع من السرديّة؛ فإن من حاصر أورشليم وضربها بالمنجنيق هو قيل/ ملك مقاطعة طيط/ طيطس اليهودي المرتدّ، ولكن المقاومين تمكنوا من إبعاده عن أسوار المدينة.

لكن، ومع ذلك نشب نزاعٌ داخليٌّ شديد في صفوف اليهود وعادوا لقتال بعضهم بعضاً. إن فهماً سليماً لمضمون هذا الجانب من السردية، يستدعي رؤية الجانب القبليّ في الصراع، فاليهود المقاومون كانوا شماليين وجنوبيين (سبئيين وحميريين)، وهؤلاء كانوا يواصلون خلافات قديمة أسرية وقبلية ودينية برغم أنهم ينتسبون إلى أب أعلى واحد هو «عاب». بيد أن ما يجب ملاحظته بحذاقة في هذا الجانب من السرد الديني، أن المجتمع القرابي يظل – كما في الحالة اليمنية – مجتمعاً انقسامياً حتى في أسطع لحظات توحده.

بكلام آخر، حافظ المجتمع القرابي على «انقساماته» حتى وهو يتوحد في مواجهة الرومان، وهذا أمر لا يمكن رؤيته في تاريخ فلسطين أبداً. في هذا السياق، لنلاحظ أن الوصف يشدد على وجود أسوار شاهقة متداخلة وأن أحدها كان يحيط بالهيكل، وهذا بكل تأكيد ما يصعب تخيّله في معمارية قبّة الصخرة في القدس.

١٥: «وأمر تيتوس/ طيطس أن تنقل الأحجار والأنقاض بعيداً وتوسع هذه الفتحة، ليتمكن الجيش من الهجوم والانسحاب أي الكرّ والفرّ. ولما شاهد اليهود انهيارهم، تصالحوا مع بعض وفرّقوا أبطالهم على جهات المدينة وصبروا على القتال، ولكن جحافل جيوش الرومان في تشكيلاتهم المخيفة تقدمت، ودفعوا بالكبش إلى السور الثاني، فسقط منه جانب أيضاً، فتراكض اليهود نحو منطقة الثغرة وصدّوا هجوم الرومان».

هذا الوصف يستحيل ولا بأيّ صورة من الصور تطبيقه على معمارية «مسجد الأقصى/ الصخرة» في القدس، حيث يفتش الإسرائيليون هناك عبثاً عن هيكل سليمان، ذلك أن هيكل أورشليم كان محاطاً بسورين شاهقين؛ فإذا ما حُطّم الأول، يمكن المدافعين أن يتحصنوا خلف السور الثاني. ومع ذلك، من المهم ملاحظة أن المجتمع الانقسامي اليهودي عاد إلى التوحد من خلف هدف وحيد هو مقاومة الرومان، ولذا كفوا عن الاحتراب فيما بينهم وأعادوا توزيع قواتهم، وهذا في الواقع سلوك مألوف عند قبائل اليمن حتى اليوم، بخلاف عرب شمال الجزيرة العربية الذين يحوّلون انقساماتهم القرابيّة إلى معضلة غير قابلة للحل؛ فإذا ما اختلفوا فيما بينهم؛ فإنهم قد يصبحون أشدّ عداوة من الغزاة أنفسهم، فلا يقبلون بصلح أو تفاهم أو تهدئة.

١٦: «وفي هذا الوقت دفع تيطس/ طيطس بالكتيبة ١٠ من الفيلق *Ve légion Macedonica* التي جاءته وهجمت بكل قوة على اليهود ففرق - ففرّقت - شملهم، حينئذ كفّ تيتوس/ طيطوس عن الحرب حتى لا يسفك مزيد - مزيداً - من الدماء، وأمر يوسفيوس المؤرخ اليهودي أن ينصح قومه ويتكلم معهم في أمر الصلح من أسفل السور، ففعل ونصحهم مرشداً حتى لا ينتهي وجود الأمة اليهودية على أرضهم، وأثناء كلامه بكى الذين سمعوه لشدة تأثير أقواله عليهم. أما بعض اليهود فتضايقوا منه ورشقوه بالحجارة من أعلى السور حينئذ قال لهم: «تقسون، ليتم ما حكم الرب به عليكم من هلاك هذه المدينة وخراب هذا القدس الجليل إذْ سفكتم فيه دم البار» (يشير بكلمة البار إلى يعقوب الذي كان يطلق عليه هذا الاسم دون غيره). فلذلك قد قست قلوبكم وصارت كالحجارة لأن الحجر يؤثر فيه الماء، إذا تواتر انصبابه عليه وأنتم لا تنجح فيكم المواعظ مع كثرتها ولا تنتفعون بها ولا تلين قلوبكم ولا تخضع».

استناداً إلى هذا النصّ، يصبح «يوسفيوس» فجأة، أحد أهمّ الكهنة الذين قادوا المقاومة ضد الرومان. وفي هذه الحالة فهو ليس مؤرخاً يسجل الأحداث، بل قائد/ زعيم يروي ما حدث. وفي هذه الحالة أيضاً يكون علينا أن نعتبر «يوسفيوس» المؤرخ اليوناني المزعوم، هو الكاهن «يوسف بن كربون» الذي قاد المقاومة ضد الرومان، ثم استسلم لهم خلال حصار قلعة «مسادا/ مسعدة» حين انتحر كل اليهود بقتل بعضهم بعضاً. وهذا هو الكاهن الذي يقول النصّ أنه أقنع اليهود المحاصرين بالانتحار الجماعي. هذا النصّ يوطد بصورة مذهلة تصوّرنا السابق والقائل أن لا وجود لمؤرخ يوناني يُدعى يوسفيوس، وأن هناك «كاهناً مقاوماً» استسلم للرومان يدعى يوسف بن كربون، ثم قام الكهنة بعد عقود من الحادث بكتابة سيرته البطولية، بالتلازم مع سرد قصة المقاومة البطولية التي قادها إيل شرح يحضب الثاني. وما يؤكد أنه «كاهن» الخطبة البليغة والمؤثرة التي ألقاها على مسامع اليهود، حين دعاهم إلى الاستسلام والكفّ عن مقاومة الرومان.

١٧: «ولما رأى تيتوس «طيطوس» الدموع تنهال على خدي يوسفيوس المؤرخ اليهودي الذي كان مرافقاً له ومشاهداً الأحداث، رقّ قلبه وأمر بإطلاق الأسرى اليهود وأحسن إليهم، ولكن عامّة الشعب تأثر من خطاب يوسفيوس ورغب كثير منهم الخروج إلى معسكر

الرومان، ولكن منعهم العصاة في الداخل كما نكلوا وقتلوا كل من حاول الخروج. ولما يئس تيتوس/ طيطوس من طاعة اليهود وإتمام الصلح عزم على هدم سور المدينة الثالث فقسّم عسكره على أربع جهات للمدينة، ليهدم بها الأسوار من كل جانب، فاضطر أن يخرج عصاة اليهود ويقاتلوهم في ذلك اليوم في بسالة مدهشة، وقتلوا من أعدائهم أفراداً لا تحصى وأحرقوا الكباش، ثم أمر جنوده في ٦ أغسطس بتدمير معبد سليمان وإحراقه، لمنع اليهود من الاحتماء بداخله وفي ٢٨ أغسطس كان المعبد – قد – احترق كلياً هو وقصر هيرود الأكبر، ودمرت أسوار القدس ودكّت المدينة بالأرض. وبهذا العمل أنهى الرومان تمرّد اليهود في الشطر الأكبر من فلسطين، ولم تبق إلى المنطقة الجنوبية حول حصن مسادة تواصل للتمرد والعصيان، والتي سيخضعها الرومان بعد عامين من سقوط بيت المقدس».

يؤكد لنا هذا النصّ كما دوّنته الكنيسة القبطية بقلم أحد رهبانها، أن منْ أحرق «الهيكل» هو طيطوس (قيل/ ملك مقاطعة الطاط) وكيل الرومان وعميلهم، هو يهودي مرتد، وليس ضابطاً رومانياً، لأن روما لا تعرف ضابطاً بهذا الاسم قط. المثير للدهشة أن النص يصرّ على مماهاة اسم «أورشليم» باسم «القدس»، فبدلاً من التقيّد بسياق الرواية عن إحراق «مدينة أورشليم» و«الهيكل»، نرى كاتب النصّ يسجل الآتي: «ودمرت أسوار القدس ودكّت المدينة بالأرض»، علماً أن القدس لا تعرف مثل هذه الأسوار والحصون. وهكذا، تكون الرواية المسيحية/ القبطية الأرثوذكسية قد أسهمت في التلفيق الإسلامي/ اليهودي الأوروبي، بتحويل القدس إلى «أورشليم» دون أي سند ديني أو تاريخي أو معماري/ أركيولوجي.

١٨: «وبعد احتلال بيت المقدس عاد «تيتوس: طيطس» إلى روما سنة ٧١م ليحتفل بنصره وهو يحمل معه كنوز هيكل سليمان والآلاف من اليهود العبيد الذين عرضهم على شعب روما في موكب نصر لم تشهد روما مثله، وقام الرومان بعدها بإنشاء مقاطعة اليهودية التابعة لسورية، وقام حاكمها *Lucius Flavius Silva* بإكمال القضاء على اليهود، ومنع اليهود من ممارسة شعائرهم الدينية في القدس».

هذا هو المقطع الأخير من النصّ، حيث يبلغ التلفيق والتزوير ذروتهما، لأن طيطس لم يعد

إلى روما، لسبب بسيط أن منْ أرسلته روما هو إيغالوس وكان هو تابعاً له/ وكيلاً وعميلاً. في الواقع عاد طيطس إلى البيضاء (رومية) بعد أن أحرق أورشليم ودمّر «الهيكل». لكل ذلك، فما يُدعى سفر المكابيين مرة أخرى، هو سيرة شعبية بطولية كتبها كهنة يهود اليمن لتخليد ذكرى قتال اليسار/ إلسرح السبئي. وهذه السيرة الشعبية تروي جزءاً من تاريخ طويل لحرب أهلية نشبت بين قبائل الشمال والجنوب، حين سعت بيأس وفي آخر محاولة تاريخية إلى إعادة تأسيس مملكة حمير(الثانية) في نهايات عصر الغزو الروماني لليمن.

نخلص من كل ذلك أن كتاب يوسفيوس في الأصل سيرة شعبية عن حروب ومعارك إيل شرح يحضب التي عاشها، وشاهدها وشارك فيها كاهن يهودي يدعى يوسف بن كربون. ثم جاء الكهنة اليهود المتأخرون، ليكتبوا سيرته في سياق تخليد ذكرى الملك السبئي إيلشرح يحضب.

والآن، سنبدأ من النقطة المركزية في هذا النقاش:

من هم المكابيون؟ ولماذا أطلقت الكنيسة على السفر اليهودي اسم «مكابيين»؛ بينما كانت تملك نسخة عبرية تؤكد أن الاسم الحقيقي هو «الحشمونيون»؟ من أين أخذوا اسمهم؟ وكيف يجب أن يُرسم الاسم وينطق؟ هل هم (مقبيّون) كما اقترح علينا ابن العبري[٨٨]؟ أم (مكابيّون) كما يرتئي الكهنة والحاخامات وحتى قساوسة الكنيسة القبطية المصرية؟ وهؤلاء لديهم ما يكفي من مبررات للإيمان بصحة السفرين الأول والثاني، بما أن للأحداث الدائرة في أورشليم علاقة بالتاريخ الروماني (والسلوقي) في مصر. سأطرح تصوّراً جديداً ومغايراً، يمكنه أن يُسهم في وضع نهاية مقبولة للجدل حول أحداث السفرين، وحول أصل تسمية المكابيين وقصة الهيكل، ومن أجل حلّ لغز ملحمة يوسفيوس نهائياً، وذلك من خلال إعادة بناء الرواية التوراتية، وهذه المرة بالاستناد إلى ما يتوافر من نقوش وأدلة أثرية.

ولكي تكون أطروحة هذا الكتاب مفهومة بدقة، فعلى القارئ أن يعود إلى الكتب الثلاثة السابقة، لأجل أن يتمكن من الحصول على رؤية متكاملة للتاريخ التوراتي/ السبئي. ورد الاسم مقب/ مقبي في نقش سبئي[٨٩] يعرف باسم *as-Sawdā᾽ 51 CIH 604; RES 2876* بهذه الصورة [٩٠] (*Mqbb* –[......]مقب). وفي نقش أخر[٩١] يعرف باسم (السوداء) *YM 11749 TYA 14* في صورة (مقبن). وهذا ما يؤكد صحّة قراءة ابن العبري للاسم.

والآن مرة أخرى: لمّا كانت أحداث السفرين تدور في أورشليم اليهودية، أي أورشليم التي لم تسقط في قبضة المرتدين عن اليهودية أو الوثنين، وظلت - باستثناء فترات قصيرة متقطعة - تتبع مملكة حمير الجنوبية طوال ٣٠٠ عام متواصلة بعد زوال المملكة السبئية الموحدة عام ٦٠٥ ق.م، فليس من سبيلٍ لفهم النصين واستيعابهما، إلا بوضع الأحداث برمتها داخل التاريخ السبئي/ الحميري. وهذا ما عالجته بالتفصيل في الكتب السابقة، وهي تشرح وتوضّح طبيعة الأحداث وتسلسلها وجغرافيتها في اليمن. وفقط من أجل أن يتمكن القارئ من استيعاب هذا الجانب من النظرية، سأعيد التشديد على أن أحداث السفرين دارت في أرض مملكة يهوذا، أي مملكة حمير (بلاد اليهودية) وليس في فلسطين. وفي هذا السياق، سأقدّم كل الدلائل على أن حروب المكابيّين، دارت في الدور الأخير من ملوك حمير (نهايات مملكة حمير/ الرمزية، أو ما يعرف عند المؤرخين الكلاسيكيين العرب والمسلمين بمملكة حمير الأصغر). إن ما يقصده الإخباريون العرب والمسلمون بـ(حمير الأصغر) هو بالضبط مملكة حمير الثانية. وكما قلتُ مراراً في مؤلفاتي، فهذه مملكة رمزية لم تقم في أرض الواقع. وأعيد التأكيد هنا، أنني لا أوافق المصادر التاريخية الاستشراقية التي تحدّد تاريخ ظهور مملكة حمير الثانية في حدود ١٢٠ق.م؛ وأرى أن هذه المملكة ظهرت في القرن الثالث قبل الميلاد (٣٠٠ ق.م) على أنقاض مملكة سبأ الموحدة (٦٥٠-٣٠٠ ق.م).

وكل هذا يعني حسب روايتي، ما يأتي:

بعد أن انهارت مملكة سبأ وحمير الموحدّة عام ٦٠٥ ق.م (حسب التاريخ الرسمي الذي أعترض عليه) تحت ضربات الغزو الآشوري، واصل الحميريون اليهود دون هوادة القتال من أجل مملكتهم الأولى طوال ٣٠٠ عام. لكنهم لم يتمكنوا من إعادة تأسيسها إلا رمزياً، بسبب حدّة الانقسام وظهور الأقيال/ الملوك، الذين راح كل منهم ينصّب نفسه ملكاً رمزياً على سبأ وحمير ويلقّب نفسه بهذا اللقب. وهكذا، ومع وقوع الغزو الروماني ٢٧ ق.م، بزغ الحلم من جديد وسط المأساة، وبحيث اعتبر إيلشرح يحضب الثاني نفسه، أنه هو المخلّص (يهوذا المقبيّ/ المكبي) من إقليم مقب/ مقبن في تعز، وهي كما قلتُ مراراً في مؤلفاتي «أرض اليهودية» القديمة، وتُدعى اليوم «شمير مقبنه»، وأنه الذي جاء لينقذ شعب بني إسرائيل المُمزق.

شمير «مقبنة» وسفر المقبيّين / المكابيّين

سوف أكشفُ في هذا الكتاب أن لاسم (المكابيّين– المقبيّين) صلة بموضعٍ مهم للغاية في محافظة إب، مديرية العدين، عزلة خبا، وتحديداً في قرية حرض، يدعى حتى اليوم باسم محلة المقب (*Mqbb* المقبن – المكبن، النون الكلاعية أداة تعريف متأخرة مثل صنعا – صنعن، عدن – عدنن)، وأن هناك موضعاً آخر في المكان نفسه يُدعى (مقبن) تماماً كما في نقوش المُسند اليمني. لقد انتقل هذا الاسم إلى أماكن ومواضع كثيرة، منها أجزاء تتبع مملكة حمير القديمة في الجنوب اليمني، والذي يعرف اليوم باسم مديرية (مقبنة – مقبن). وكما سجلتُ في الكتاب السابق، فإن هذا الجزء من الجغرافيا اليمنية، أي (مقبنة) يضمّ ما يدعى السامرة أو جبل شمير، وهو يدعى شمير مقبنة (مخلاف شمير مقبنة[٩٢]: شمير المقبيين). ولنلاحظ، إنّ التوراة تتحدث عن مدينة بُنيت فوق جبل شمير، وهذه المدينة أصبحت فعلياً عاصمة مملكة إسرائيل في الشمال التي احتفظت بها بعد الانشقاق، بوصفها قطاعاً من ضمن أملاكها بعد انتزاعها من أيدي خصومها الجنوبيين في يهوذا، لكنها عادت وأصبحت مرة أخرى من ممتلكات مملكة الجنوب بعد زوال مملكة إسرائيل. في الواقع، لا توجد مدينة قديمة في فلسطين تدعى شمير (وكان اسمها السامرة) بُنيت فوق جبل، بينما يعرف تاريخ (وجغرافية اليمن) مدينة قديمة تدعى شمير في تعز أرض اليهودية القديمة، وقد بُنيت فوق جبل وكان اسمها القديم طبقاً للنقوش الآشورية يُدعى (السامرة). وعبثاً كلّ وأي محاولة للبحث خارج هذا التاريخ الحقيقي وهذه الجغرافيا الواقعية عن مدينة تُدعى السامرة. وكنا رأينا في المؤلفات السابقة، أن جبال شمير هذه لا تزال باسمها القديم غربيّ تعز، حيث نشأت هناك مملكة قديمة، ودرج الكتّاب القدماء في اليمن على تسميتها بهذا الاسم في تأكيد صريح على أنها كانت مملكة يمنية صغيرة، وهي تدعى اليوم مديرية شمير مقبنة. أخذت مقبنة اسمها هذا – في الأصل – من اسم (مقب – مكب). وفي الكتاب السابق قدّمت كل الدلائل على أن السامرة اسم قديم لشمير حسب التوراة، وأن الاسم الذي عُرفت به هو (شمير). وبحسب النطق اليمني التقليدي، فإن الاسم هو المقبيين/ المكبيين من الأصل (مقبن/ مكبن).

وفضلاً عن وجود اسم هذا المكان في تعز، فهو موجود في مكان آخر مجاور، يُدعى مقبن، ضمن مديرية العُديْن في محافظة إب. لكن اسم شمير مقبنة، مع ذلك كله، ظهر بعد مرور وقت طويل على الصراع الذي دار في الأصل، بين ملوك إسرائيليين شماليين وجنوبيين تسمّوا بأسماء رومانية، وقدّموا أنفسهم وكلاء لروما وفي خدمتها. وبين الكهنة اليهود الذين عارضوا سلوك الملوك/ الأقيال وقادوا مقاومة شجاعة وبطولية.

وفي حروب المكابيين التي قادها كاهن يدعى يهوذا المكابي - المقبي، وهو كما يسميه سترابون (والطبري) إيلشرح، وقعت أحداث مأسويّة كثيرة، فقد صُرع كهنة كبار وهُدم الهيكل، ولكن كهنة الجنوب اليهودي في النهاية، انتصروا على الملوك الشماليين والجنوبيين الصغار (المتأغْرقون) أي الذين كانوا على ولاء لروما، وأصبحوا مواطنين (رعايا) في الإمبراطورية الرومانية. لقد استولى الرومان على أجزاء واسعة من إب وتعز، وهما اليوم محافظتان متجاورتان، وفقط بعد سقوط ميناء عدن في قبضتهم، ثم بعد تفكك اليمن إثر هذا الاحتلال، حيث سقطت البلاد في مستنقع حرب أهلية طاحنة. حين وصل الغزاة الرومان إلى هذا الجزء من اليمن، نظّم كهنة أورشليم بقيادة الكاهن الحميري يهوذا المكبي (إيلشرح يحضب الثاني) مقاومة بطولية انتهت بانتصار لامع. لكن الحدث صُوِّر، كما لو أنه انتصار يهودي على روما. أمّا الحقيقة التي سأكشف عنها؛ فهي تقول ما يأتي:

إن الحروب المكابية هي حروب سبط - قبائل يهوذا، أي قبائل (حمير) اليهودية أكبر أسباط بني إسرائيل، ضد ملوك (حكام/ كهنة) أقيال من بقايا مملكة إسرائيل ومن بقايا مملكة حمير، كانوا متأغرقين وخضعوا لروما، ثم تحالفوا مع قبائل وثنية، ويهودية شمالية وجنوبية مرتدة عن الدين اليهودي. ولهذا السبب أطلق محرر السفر على البطل لقب (يهوذا)، أي إنه أضفى على إيل شرح صفة تمثيليّة، فهو (يهوذا) السبط الأكبر في بني إسرائيل. والسؤال الذي يجب طرحه هنا: هل إيل شرح يحضب (الثاني) الذي قاد المقاومة ضد الغزو الروماني، هو نفسه، حقاً (يهوذا) المكبي - المقبيّ؟ إن التاريخ اليمني المسجل في النقوش، لا يذكر اسم يهوذا المكبيّ، ولكنه يروي تفاصيل متشعبة عن دور بني حشم/ الحشمونيون بقيادة إيلشرح/ إيل شرح في هذه العصر. وبرأيي، إن اسم يهوذا المقبي/ المكابي هو اللقب الديني الذي أطلقه الكهنة على إيل شرح يحضب (الثاني). وهذا ما سأعالجه في الفصول الآتية.

كان الغزو الروماني لليمن يهدف إلى تحقيق أمرين رئيسيين:

أولهما:

أن تتمكن روما من الحصول على الذهب لتمويل حروبها في الشرق ومواجهة فارس، وأن تتمكن من تأمين تدفق البخور والطيوب لمعابدها دون أي مخاطر. وهذا يعني السيطرة فعلياً على ممرات التجارة الدولية وطرقها عبر البحر الأحمر وبحر العرب نحو الهند. في الواقع، لا يوجد في العالم القديم، بلدٌ لديه جبال من الذهب والفضة والبخور سوى اليمن، وهو حتى اليوم بلد ثروات أسطورية غير مكتشفة. وقد وصف الهمداني بدقة كيف نهب الفرس (جبال الفضة) من اليمن[٩٣].

ثانيهما:

أن تتمكن من تجنيد مرتزقة يمنيين لقتال فارس. وهذا ما قاومه كهنة أورشليم بشدة رافضين أي تورط لليهود في الصراع، أو التنازل عن ثروات مدنهم من الذهب. ولهذا الأمر دلالته، ففي هذا العصر كانت فارس تمتلك نفوذاً هائلاً في اليمن، وتُقيم أفضل الصلات والروابط مع قبائله، وكانت روما تطمح إلى تحويل ولاء القبائل بشكل شامل، وبحيث تصبح أداتها في الصراع ضد فارس. وهذا وحده ما يفسر لنا مغزى ظهور(المجوس) للتبشير بظهور يسوع؟ فما علاقة الفرس بيسوع، ليبشروا بولادته في نهاية العصر الروماني (عصر هزيمة جالوس/ جالوت) لو لم يكونوا هناك؟ إن فهماً خلّاقاً للقصة الإنجيليّة عن مجيء المجوس للتبشير بالمسيح، يجب أن يضع الواقعة (بافتراض أنها واقعة تاريخية) ضمن تاريخ سبأ وحمير، حين فرضت فارس نفوذاً هائلاً في هذا العصر على اليمن. وحين أدركت فارس أن هزيمة الرومان وانسحابهم من مدن اليمن نجم عنه تحوّل أعداد هائلة من يهود الجنوب الحميري إلى المسيحيّة، أي ارتدادهم عن اليهودية وتمسّكهم بالإيمان الإسرائيلي القديم عن المسيح المخلص، فقد استغلت هذا المزاج الديني الشعبي، فأرسلت كهنتها ليبشروا بولادته. لقد هرب الرومان من اليمن، ولكنهم سبّبوا ارتداد اليهود (الحميريين) عن اليهودية، أي الذين كفروا بها (وهؤلاء هم الكفار الذين عناهم القرآن وسفر المكابيين). إن تاريخ فلسطين لا يعرف أيّ وجود للمجوس أو الفرس في هذا العصر، بينما كانوا في

الواقع يعززون نفوذهم في اليمن ويحفرون التلال وينتزعون أحجار الجبال، بحثاً عن الذهب والفضة كما يخبرنا الهمداني.

وسأعود إلى هذا الأمر لمزيدٍ من الشرح والتحليل في مجلد خاص حول الأناجيل.

كانت روما في هذا العصر، ومنذ حملة أنطيخوس ٢٨٥ ق.م، تطمح إلى بناء علاقات قوية مع ممالك اليمن القديمة، من بقايا ممالك سبأ وحمير وقتبان وأوسان وحضرموت، تمكنها من ربطها بشبكة المصالح الرومانية في المنطقة، وهي بذلك كانت تقتفي أثر الحملات اليونانية التي توّجها الإسكندر الأعظم باحتلال سوقطرى/ سوقطرة عام ٣٠٠ ق.م. لقد تعرض اليمن القديم خلال العصر الهلنستي الطويل اليوناني/ الروماني/ البيزنطي، لحملات يونانية ثم رومانية متتابعة، يعرف الباحثون في التاريخ بعضها جيداً، بينما ظل الجزء الأهم منها مجهولاً، واكتفت المصادر اليونانية والرومانية، بدلاً من سرد الوقائع عن هذه الغزوات، بوصف المناطق الساحلية من اليمن، أو تسجيل أسماء بعض المدن والقبائل. أما عن عمق اليمن، فهناك ما يشبه الصمت، وهو ما يدلّ على أن هذه الحملات استهدفت السواحل[٩٤].

مع ذلك، لا يعدم المرء رؤية إمكانية من نوع ما، للحصول على معلومات غنية، تخصّ القبائل والممالك منذ القرن الخامس ق.م، أشارت إليها كثرة من المصادر اليونانية ثم تالياً الرومانية[٩٥]. كان اليمن القديم في عيون اليونانيين (بلد الأحلام)، وكان رجال القوافل، المعينيّون والسبئيون، يصلون بانتظام منذ العصر اليوناني إلى سواحل المتوسط[٩٦]. بدأ الاهتمام اليوناني باليمن، بعد سلسلة معارك خاضها اليونانيون ضد الفرس ٤٩٠-٤٨٠ ق.م. وفي هذا العصر كتب هيرودوت كتابه (الكتاب الثالث من مؤلفه: التحقيقات التاريخية) عن ثروة العرب من الطيوب والبخور، وكان يعني ثروات عرب اليمن[٩٧]. في هذا السياق التاريخي من الأطماع والأهداف، وقع الغزو الروماني الذي سجله سفر المكابيين، وبالطبع بعد قرون. أعني أن السفر كُتب من داخل إطار تاريخي معلوم، هو خلاصة لعاملين ثقافيين يوناني/ روماني. كان المكابيون - المقبيون، كهنة أورشليم، يعيشون في الأصل في ما يعرف اليوم بمديرية العُديْن، ثم انتشر اسمهم في بقاع كثيرة من اليمن، وذلك مع انتصاراتهم اللامعة بقيادة أسرة يهوذا المكابي، حتى ظهر مخلاف/ مملكة شمير (ما يعرف

اليوم باسم شمير مقبنة) في وقت متأخر، لتخليد ذكرى انتصار الكهنة الجنوبيين على ملوك القبائل في تعز «أرض اليهودية القديمة». وهذه المملكة – المخلاف القديم (والمديرية اليوم أي مقبنة) تعدّ تاريخياً من أكبر مديريات اليمن، وفيها آثار تاريخية موغلة في القدم، وتتكون إدارياً من ٢٩ عزلة جبلية، حيث إنّ عزلة الملاحظة أكثرها سكاناً (١٤٩ ,٢٢ نسمة حسب تعداد ٢٠٠٤م)، فيما عزلة الأقحوز أكبر العزل مساحة (١٨٠ كم٢). وفي هذه المديرية أكثر من ٢٠٠ قرية مأهولة بالسكان الذين يعتزّون بأصولهم القديمة القبلية والجهوية والدينية اليهودية وإنْ دون إعلانٍ صارخ لهويتهم. ومديرية مقبنة اليوم، من أجمل مديريات محافظة تعز وأشهرها، وتعدّ من أكبر المديريات على مستوى اليمن، حيث تبلغ مساحتها الإجمالية ١١٦٨كم٢، فيما يزيد تعداد سكانها على ٣٠٠ ألف نسمة حسب آخر تعداد سكاني. تقع مقبنة (مقبّة – مقب بإسقاط النون الكلاعية) غرب مركز مدينة تعز، وتبعد عنه بنحو ١٨ كيلومتراً تقريباً، وحدودها مع محافظتي إب والحديدة، فإلى شمالها مديريتا حيس وجبل رأس من محافظة الحديدة، وإلى الجنوب محافظة إب حيث مديرية الوازعية وجزء من مديرية جبل حبشي، ومن الشرق مديريتا شرعب الرونة وأجزاء من مديرية جبل حبشي، ومن الغرب مديريتا المخا وموزع.

وتمتد حدود المديرية من وادي نخلة شمالاً إلى وادي موزع جنوباً، وتنقسم إلى ثلاثة مخاليف هي: مخلاف شمير ومخلاف الضريبات ومخلاف ميراب، وكان اسمها كما جاء في كتب التاريخ العربي الكلاسيكية «مخلاف شمير». وكلمة مخلاف تعني تجمّع قبائل أو مزارع. يقول ياقوت الحموي (معجم البلدان): إن أبناء قحطان الذين ينتسب إليهم اليمانيون، كانوا عندما يجتمعون في موضع يعمّرونه – يعمرونه –، ويسكنون فيه ويتعاقب زعماؤهم على زعامته بالوراثة، سمّوا ذلك المكان «مخلافاً»، أي أن يخلف الابن أباه [٩٨]. وحول تسمية «مخلاف شمير»، فهو حسب كتب الأخبار الكلاسيكية[٩٩]، نسبة إلى أول وأشهر من سكنوا المديرية، وهو«شمير بن صعب بن الحارث بن زيد بن ذي رعين». وأنساب القبائل اليمنية التي سكنت مقبنة، تعود في أصولها القديمة إلى أول من سكن المديرية من قوم شمير بن صعب بن الحارث وقوم قبيلتي الأشاعر والركب. وهاتان قبيلتان ورد اسماهما في التوراة (في صورة سبط أشير/ أشعر[١٠٠]، والركب/ ركب). ومن كلمة مخلاف، اشتق

العرب في الحجاز كلمة (خليفة). وهكذا؛ إذا ما تقبلنا اقتراح ابن العبري القائل، أن أصل الاسم هو مقب، وقمنا بمعاملة الاسم «مقبنة» على أنه ينبني على كلمة «مقب» هذه، وأن النون اللاصقة وسط الاسم هي النون الكلاعية – أداة التعريف المنقرضة – أي: المقب (والهاء الأخيرة تقليد صوتي قديم – مثل: بيش، بيشه)؛ فإن الاسم يصبح واضحاً أمامنا. ها هو أصل الاسم مقب (من مقبن). وهذه المديرية اليوم، هي الموطن القديم لما يعرف بالمقبيّين– المكبيّين، وذلك ما سيتأكد لنا عند تحليل السفر. ولتأكيد وجود علاقة دلالية بين اسم مقب (واسم النسبة مقبي– مكبي)، نجد الاسم حتى اليوم في هذا المكان حيّاً، فمديرية مقبنة تشتهر بصناعة الجبن الذي يُدعى الجبن المكبيّ؟ وهو من أجود الأنواع التي يقبل عليها اليمنيون في الأسواق. وتستخدم في صناعة الجبن المكبيّ طريقة فريدة، فهم يضيفون إليه نكهة عود السدر المدخّن، أو ما يسمى العُلب، فيميل لونه إلى الاصفرار، بينما تجفّ أقراصه وتتماسك أكثر. وتُعَدّ مقبنة مملكة الجبن المكبيّ، وتنتشر صناعته في مناطق العراف والعوشقة والأقحوز والبرقة والبرح والجمعة والمقيصع والصعيْرة والكمب، وهذه مواطن اليهود القدامى في تعز.

وهنا نشأت أعياد وطقوس ما يعرف عند العرب القدماء بـ (عيد الأقط[١٠١] أي الجبن) وهو ذاته العيد الآشوري (الأكيتو[١٠٢]/ الأقطّو) الذي يُحتفل به في نيسان/ أبريل باعتباره بداية السنة الجديدة. وإذا ما تجوّلنا في أسواق هذه المناطق من تعز، نشاهد النساء اليمنيات بائعات الجبن المكبيّ هناك. وتزعم بعض التأويلات الشعبية الرائجة أن الاسم مأخوذ من كلمة (مكبّ)، بمعنى أن صانع الجبن، يقلب الطبق الذي يُطهى فيه اللبن على وجهه. وهذا تأويل متأخر وساذج لا قيمة له، والصحيح أن الكلمة تضرب بجذورها في مجتمع إنتاج واستقرار، ظهر في هذا المكان وعُرف نسبة إليه. واليمنيون غالباً ما ينطقون القاف كافاً: مقب – مكب. وأشير هنا إلى صيغة أخرى من اسم المكابيين – المقبيين، نجدها في محافظة إب، مديرية العدين، عزلة غابر، قرية غابر، محلة المقبابة (مقب). وهناك موضع آخر في عزلة أخرى من المديرية نفسها يُدعى (مقبن). وهاكم الاسم مرة أخرى: مديرية العُديْن، عزلة جبل بحري، قرية المثاير، محلة المقبنّ (ولنلاحظ كيف دخلت النون في الاسم: مقب). بهذا المعنى، يصبح للاسم قدسيّة دينية لأنه يرتبط بعيد ديني هو عيد (الجبن/ الأقط

كما يسميه المؤلفون الكلاسيكيون العرب). وعلى الأرجح، تأثر اليمنيون بفعل الغزوات البابلية/ الآشورية (نحو ٩ حملات سجلت التوراة منها ستّاً فقط) بعبادات بلاد ما بين النهرين وطقوسها، فأصبح عيد (الجبن/ الأكيتو/ الأقطو/ الأقط) يوماً مقدّساً؛ فسموه (المقبّ) أي اللبن المسكوب بعد الطهي. وكل ذلك يعني أن للاسم جذوراً ثقافية في بيئة حقيقية، وأن المكابيين جماعة تاريخية حقيقية وليست من صنع الخيال. وهؤلاء المقبيّون هم سكان مقبن في مديرية العدين، قبل أن ينتشروا في ما يعرف بمقبنة القديمة، وهي اليوم مركز المديرية التي تحمل الاسم نفسه، وكانوا في الماضي جزءاً من سكان مملكة يهوذا – مملكة حمير. لقد تمكنت حمير بعد انتصارها من ضمّ العاصمة السياسية القديمة السامرة (جبال شمير)، بينما ظلت أورشليم هي العاصمة الدينية المشتركة للإسرائيليين في الشمال، واليهود في الجنوب الحميري.

كانت المشكلة التي واجهت دارسي سفر المكابيّين من قبل، أن السفر ينطوي على سرد خيالي لثورة يهودية شعبية ضد الرومان في أورشليم.

وسيتضح لنا من تفكيك السفر، أن سارد النصّ قدم سرديّة تمزج الأساطير بالتاريخ، وأن واجبنا يتحددّ في النقطة الآتية: يجب أن ننزع القشرة المثيولوجية الرقيقة عن النص، وأن نُعيد تركيب الرواية بلغة التاريخ، وفقط على أساس أن ما حدث كان صراعاً قبلياً داخل بلاد اليهودية في تعز نجم عن الغزو الروماني الفاشل. ولذلك، فإن السفر من وجهة نظرنا، يتناول أحداثاً تاريخية حقيقية وليست من نتاج خيال أحد، وهي جرت بين يهود أورشليم في مديرية العُديْن، ضد حكام/ كهنة (أقيال/ ملوك) ممالك يمنية صغيرة مجاورة، كان الرومان قد نصّبوهم ولاة على مناطق ذات ثروات عظيمة، وهؤلاء أصبحوا مواطنين روماناً وحملوا أسماءً رومانية، وهم من خاض باسم الرومان حروبهم ضد كهنة أورشليم، لانتزاع الذهب من المدينة المقدّسة والاستيلاء على ثروات مدن اليمن لمصلحة الرومان.

ليس دون معنى أن الرسول بولس، وهو أحد كتبة الأناجيل المسيحية، عندما ألقي عليه القبض من جانب وكلاء روما، قال لهم إنه مواطن روماني، وإنه يريد التحدث إلى المحتجّين من اليهود اليمنيين، بلغتهم ثم تكلم بالعبرية، وهو ما أثار الدهشة، فكيف لمواطن روماني

أن يخاطب المحتجّين بالعبرية[١٠٣]؟ وليس دون معنى أيضاً أن نبيّ الإسلام محمد، بحسب الرواية الإسلامية التقليدية، أرسل مندوباً عنه إلى صنعاء يدعى وبرة بن يوحنس الخزاعي الأنصاري[١٠٤] ليبني جامع صنعاء (لاحظ صيغة الاسم يوحنس/ يوحنا). كل هذا يعني أن تقاليد حمل أسماء أو ألقاب رومانية ظل متواصلاً لوقت متأخر مع العصر البيزنطي. وأريد أن أنبّه إلى أن الأسماء الرومانية للشخصيات الواردة في سفر المكابيين، ليست دليلاً على أنها شخصيات ملوك في الإمبراطورية الرومانية، بل هي شخصيات يمنية. كذلك فإنّ الأسماء التي ترد في النص مثل أنطاكية وسورية إلخ، هي ترجمات خاطئة لأسماء مدن ومواضع يمنية، وليست دليلاً كذلك على أن الرومان كانوا في سورية في عام ١٦٣ ق.م حسب القراءة اللاهوتية للسفر، فهذا أمر يخالف وقائع التاريخ، لأن الأحداث جرت حسب التاريخ الحميري نحو ١٤٢، ما يقابل ٢٧ ق.م.

وهل دون معنى أن محمد يرسل يمنياً يحمل اسماً رومانياً ليبني جامع صنعاء؟ لماذا حمل والد هذا الوالي اسماً رومانياً/ يونانياً : يوحنس؟ هذا يعني أن هناك تقاليد يمنية قديمة ظلت مستمرة حتى الإسلام، تبيح حمل ألقاب أو أسماء رومانية/ يونانية.

هذا هو التاريخ الحقيقي لبداية التورط الروماني في اليمن بعد سقوط ميناء عدن.

لكن، وحسب مزاعم مترجم النص التوراتي من العبرية إلى اليونانية، فقد أرسل الرومان من أنطاكية تعزيزات عسكرية، لمساندة حملة حربية هدفت إلى إخضاع مملكة اليهودية، وأن ذلك جاء في سياق الحروب الرومانية ضد فارس، وقطع الطريق عليها ومنعها من التمدّد في سواحل البحر الأحمر، تماماً كما فعلت سائر الإمبراطوريات في الشرق. من المؤكد أن محرّر النصّ (أو المترجم على الأرجح) هو منْ خلط بين دور الحامية الرومانية في أنطاكية، خلال الحروب الفارسية – الرومانية ثم (البيزنطية) نحو عام ٦٣ ق.م، وبين أحداث سفر المكابيين التي تتحدث عن غزو روماني لليمن في هذا الوقت. وبهذا المعنى، فإن أحداث السفر أحداث داخلية وقعت في منطقة العُديْن، حين سعى ملوك صغار من ملوك اليمن، للاستيلاء على الذهب من مكان يدعى نطاقية/ نطاكية. وهذا الاسم ترجم في النص اليوناني إلى (أنطاكية). هذا مجرد مثال على طبيعة الإشكاليات التي سيواجهها أي قارئ لسفر المكابيين.

كانت روما بحاجة ماسّة إلى الذهب لتمويل حملتها على فارس، ولم يكن هناك مكان – في العالم القديم كله – لديه ثروة هائلة من الذهب والفضة والأحجار الكريمة والنادرة، سوى مدن اليمن المتفككّ.

يؤكد لنا سترابون هذا الجانب الخفيّ من أهداف الغزو، فهو يقول[١٠٥]:

«نحن لم نتعرّف إلى كثير من السمات الفريدة للعربية – السعيدة/ اليمن – إلا بفضل الحملة التي شنّها الرومان على العرب منذ بعض الوقت، وقادها غالوس بأمر من أغسطس قيصر لدراسة هذه القبائل والأماكن في العربية وإثيوبيا أيضاً. فقد رأى أغسطس أن التروغلوديتي/ طروق لوديتي[١٠٦] (طروق لودية المتاخمة لمصر/ مصرن الجوف) تقع في جوار البدو، وأن أودية البدو[١٠٧] الذي تفصل التروغلوديتي (طروق لودية) ضيّقة جداً. ولذلك عزم على أن يجعل من البدو أصدقاء أو خاضعين. كما كان لديه على وجه العموم اعتبار آخر: منذ القدم شاعت عنهم شائعة تفيد بأنهم يملكون ثروات مهولة، لأنهم كانوا يبادلون بخورهم وأفاويهم/ اللبان، و– لديهم – حجارتهم الثمينة والفضّة والذهب، لكنهم لم ينفقوا يوماً أي شيء من هذا على التبادل. وعلى هذا النحو رام أغسطس أن يكتسب بهؤلاء أصدقاء أثرياء، أو يخضع أعداءً أثرياء. وقد عزّز عزم أغسطس العون الذي كان ينتظره من النباطيين، فقد كان هؤلاء «أصدقاءه»، ووعدوا بتقديم كل عون ممكن للرومان».

ما يقوله هذا النصّ واضح تماماً: كان الرومان يراهنون على قبائل مقاطعة نباطة في لحج، لأنها قدمت نفسها خلال الغزو كأصدقاء (حلفاء) للرومان، ثم عملوا معهم مرشدي طرق– أدلاء–، لكن هؤلاء سرعان ما غدروا بهم وأذاقوهم مرّ الكأس.

المدهش في هذه الرواية أنها تتطابق مع رواية سفر المكابيين، فقد غدرت قبائل مقاطعة نباطة بيهوذا وأشقائه. وسنرى ذلك عند تحليل نصّ السفر. يضيف سترابون في وصف خداع قبائل نباطة في لحج ما يأتي:

«وفي هذه الظروف شنّ غالوس حملته. لكن سيليوس/ صيليوس/ الصلو، حاكم نباطة خدعه. فمع أن سيليوس/ صيليوس/ الصلو وعد غالوس بأن يكون دليله في حملته، وأن

يزوّد قواته بكلّ ما هو ضروري، وأن يساعده في شتّى المجالات، إلا أنه خدعه وخانه في كل شيء؛ لم يرشده إلى الطريق البحرية الآمنة، ولا إلى الطريق البرية الآمنة، ففي البرّ قاد الرومان إلى أماكن ليس فيها طرقات، أو إلى طرقات التفافية عبر أماكن قاحلة؛ وفي البحر قادهم على امتداد سواحل صخرية خالية من المراسي، أو عبر مياه ضحلة، أو بين صخور تحت الماء. لكن الأذى الأكبر تلقاه الرومان في هذه الأماكن من المدّ والجزر[١٠٨]».

كان النباطيون بقيادة قيل/ ملك مقاطعة الصلو (صيليوس) في لحج/ تخوم تعز، يعملون مع الرومان بوصفهم أدلّاء (وعملاء)، لكنهم كانوا – في الواقع- يقومون بخداعهم؛ ولذا قادوهم عبر طرقات وعرة أنهكت قواهم. ومقاطعة الصلو (سيليوس) تقع اليوم ضمن التقسيم الجغرافي الجديد لليمن في تعز على الحدود مع لحج. كان الرومان في هذه الظروف القاسية بقيادة إيغالوس، يأملون أن يتمكنوا من العودة إلى ميناء عدن عبر لحج، أو الوصول إلى سواحل الحديدة وتعز (ميناء المخا)، لكنهم وجدوا أنفسهم يتوغلون عميقاً ويبتعدون عن المكان المقصود.

وبرأي سترابون، فقد كانت:

«خطيئة غالوس الأولى أنه أمر ببناء سفن قتالية، مع أن أي حرب بحرية لم تكن تنتظره. ففي البرّ لم يكن العرب مقاتلين شجعاناُ، لأنهم على وجه العموم كانوا تجاراً، فما بالك في البحر. ولكن غالوس أمر ببناء ٨٠ سفينة بثلاثة أنساقٍ من المجاديف، وبنسقٍ واحد من المجاديف، وسفناً خفيفة في كيل باترا/ غيل باترا[١٠٩] قرب القناة القديمة التي تصل النيل[١١٠] بالخليج»[١١١].

ما إن أدرك غالوس الخديعة حتى بنى ١٣٠سفينة شحن، وأبحر عليها ومعه ١٠٠٠٠ من جنود المشاة الرومان الذين كانوا مقيمين في مصر (معين مصرن/ الجوف). لقد قرّر سحب قواته من الجوف، وأن يعيدهم إلى روما عبر عدن أو ميناء المخا. لكنه وبدلاً من بلوغ ميناء عدن أو المخا، وجد نفسه وقد أصبح في عمق ما يعرف اليوم بمحافظة أبين، وسط جو بدويّ مخادع ومعادٍ. والمثير للدهشة أن إيغالوس أخذ معه نحو ١٥٠٠ من المرتزقة اليهود، والبدو الذين قبلوا الانضمام لحملة الرومان ضد فارس، وأن يكونوا في عداد المقاتلين. وهذا ما يؤكده سترابون [١١٢]:

«إضافة إلى الحلفاء؛ كان بين هؤلاء الأخيرين ٥٠٠ يهودي، و١٠٠٠من النباطيّين كان يقودهم سيليوس/ صيليوس. وبعد معاناة مريرة، وشظفٍ وحرمان وصل غالوس في اليوم الخامس عشر إلى لوكوس كوموس[١١٣]، وهي مركز تجاري كبير في أرض النباطة. وبسبب الإبحار غير الموفق، وليس بسبب أي عدوّ كان، خسر غالوس كثيراً من السفن؛ بل غرق بعضها مع طاقمه. وكان غدر سيليوس/ صيليوس هو السبب في وقوع هذه الخسائر، فقد أعلن هذا أنه لا توجد طرق برية إلى لوكوس كوموس (قوم اللوق/ لوقا)، مع أن التجار مع قوافلهم من الجمال يأتون من بيترا إلى هنا ويذهبون من هنا إلى بيترا بسهولة وأمان، ولا تقلّ حشودهم من الجمال والناس عن حشود الجيوش».

لنلاحظ في هذا النصّ المدهش، أن هناك نحو ١٠٠٠ فارس (مرتزق) من البدو كانوا في مصر(مصرن/ معين الجوف) و٥٠٠ يهودي. وبطبيعة الحال، يستحيل على القارئ تخيّل أن هؤلاء كانوا في مصر البلد العربي التي كانت تحت سلطة الرومان، وهي مركز إمبراطوريتهم، فكيف لعاقل أن يصدق أنه سحبهم من مصر بينما كان يقاتل في اليمن (أو في فلسطين كما تزعم الرواية الشائعة)؟ وكيف وصلوا بهذه السرعة بعد أن أمر بسحبهم، ولماذا يسحبهم من مصر أصلاً وهي مركز الإمبراطورية؟ ولماذا قرر إعادتهم مرة أخرى إلى روما؟ الأدقّ أن هؤلاء كانوا في (مصرن) مملكة الجوف القديمة القريبة من لحج، وكان عليه أن يسحبهم بسرعة. وهل لعاقل أن يصدّق أن هناك مكاناً يدعى لوكوس كوموس في أرض نباطة قرب مصر البلد العربي؟ في الواقع، هناك موضع في لحج يدعى بالاسم نفسه (أرض نباطة). وعند تخوم لحج/ أبين، يوجد تجمّع بدويّ ضخم كان يسيطر على تجارة البخور بواسطة الإبل، يدعى تجمع بدو بني اللوق (لوقوس). أما كلمة (كوموس)، فهي التحريف اليوناني لكلمة (قوم) العربية بحذف السين اليونانية: أي قوم بني لوق. والترجمة الصحيحة لعبارة (لوكوس كوموس هي: قوم بني اللوق). ومن هنا جاء اسم لوقا صاحب الإنجيل، فهؤلاء كانوا من المرتدّين عن اليهودية ووكلاء للرومان. وسنرى تالياً، كيف أن هذه الجماعات المرتدّة شرعت في تناول لحم الخنزير بعد أن فرضه الرومان على اليهود بالقوة.

بهذا المعنى، وصف سترابون محنة إيغالوس في هذا الوقت بدقة مذهلة؛ لكنه بعد أن شعر بخيانة النباطيين من بدو لحج، قرر سحب بعض جنوده المرضى من الجوف (معين مصرن)

بأمل أن تقلهم القوارب الصغيرة من ميناء عدن، ولذا بنى بعضها بثلاثة أنساق، والبعض الآخر بنسق واحد، ولم يكن لديه أي حل آخر، لأنه لم يكن يعرف أي طريق بري من (قوم بني اللوق) في لحج. وهذا يعني بكل تأكيد أنه استخدم الوديان لا الطرق البرية للوصول إلى البحر. وفي هذه الحالة، فقد كانت قوارب النسق الواحد وسيلة فعالة في نقل المرضى من الجنود، فهي قوارب صغيرة يمكنها أن تبحر في الوديان الغزيرة المياه بسهولة؛ بدلاً من الطرق البريّة المرهقة التي لا يقوى الجنود المرضى والجرحى على اجتيازها. ولنلاحظ أيضاً، أن في عداد الجنود والمحاربين الذين قرر إيغالوس سحبهم من الجوف (مصرن) نحو ٥٠٠ يهودي كانوا ضمن قوات الغزو. فماذا يفعل اليهود مع إيغالوس، ولماذا كانوا ينسحبون معه من مصرن، إذا ما كانت هناك ثورة يهودية ضد الرومان؟ أليسوا يهوداً مرتدين عن اليهودية إذن، وأضحوا موالين للرومان؟ سنرى في سفر المكابيين كيف أن قبائل نباطة غدرت باليهود وبشقيق يهوذا المقبي/ المكبيّ وقتلته؛ بينما يقول لنا سترابون إنهم تلاعبوا بالرومان وغدروا بهم أيضاً، وقادوهم في طرق وعرة وصعبة أدّت إلى إنهاكهم. لكن سترابون يوضّح بدقة معنى هذا السلوك، حين يؤكد أنهم كانوا يراهنون على إضعاف الجانبين المتحاربين لانتزاع السيطرة والانفراد بحكم اليمن[١١٤]:

«وعلى وجه العموم، وقع هذا كله لأن الملك عبادة/ عبدت لم يول أهمية للشؤون العامة، خاصة العسكرية منها – وهنا تكمن حالة الضعف المشترك لدى الملوك العرب – وترك كل شيء لسيليوس/ صيليوس. وكان هذا غدّاراً مخاتلاً في كل شيء، وأنا أرى أنه سعى إلى استكشاف هذه البلاد، لكي يخضع مع الرومان عدداً من مدنها وقبائلها، ثم ينصّب نفسه ملكاً عليها كلها بعد أن يهلك الرومان من الجوع والعطش والأمراض، وسوى ذلك من المآسي التي دبرها هو نفسه».

قبل تحليل هذا النص سأطرح تساؤلاً ثورياً جديداً:

لماذا يُقال لنا إن عبادة ملك الأنباط كان في بتراء الأردن (شرق الأردن)؟ وإنه قاتل الرومان؟ منْ الذي قصّ هذا المقطع من التاريخ وألصقه بتاريخ الأردن؟ بينما يخبرنا سترابون أن موضع بتراء قرب لحج والملك عبادة هو أحد ملوك أبين، وأن قبائل النباطيين هنا – وليس

الأنباط - تلاعبت بالرومان. كل هذا جزء من جغرافية اليمن وليس الأردن ولا فلسطين بطبيعة الحال. هذا هو الملك عبادة وها هنا الرومان وها هنا لحج اليمن. ويؤكد لنا هذا النص أيضاً أن بدو لحج/ أبين بقيادة الصلو (صيليوس) سعوا بكل وسائل الخداع إلى فرض أنفسهم ملوكاً لليمن الممزق، بما في ذلك إيهام الرومان بأنهم عملاء لهم.

وهذا السلوك يستحيل فهمه بعمق إلا بوضعه في السياق ذاته من الخداع الذي مارسه هؤلاء مع إيلشرح يحضب (يهوذا المكبيّ) وأخوته، فقد أصغوا إلى العرض التفصيلي والمُسهب الذي قدمه هؤلاء عن معاناتهم مع الرومان والقبائل المتحالفة معهم، ومع ذلك، ومن دون أن يكشفوا عن أي موقف صريح، أبدوا له ولأخوته، ما فُهم منه أنه نوع من (تعاطف) شكليّ. لقد كان هؤلاء قادرين بنحو مذهل على خداع الجميع، الرومان والقبائل المتحالفة والمتصارعة معهم على حدٍّ سواء، وكل ذلك لغرض وحيد، هو إضعاف الجميع وأن يتمكنوا في النهاية من فرض أنفسهم قوةً وحيدة. كان إيغالوس في هذا الوقت شخصاً مُمتحناً في شرفه العسكري كضابط روماني، وقد شعر بأنه بات ضحية خدعة متواصلة، وأن صيليوس (الصلو) زعيم النباطيين، يلعب معه لعبة مميتة وقاتلة.

يضيف سترابون[١١٥]:

«ومع ذلك نزل غالوس في لوكوس كوموس (قوم بني اللوق)، لكن قواته كانت قد أصيبت باثنين من الأمراض المحلية[١١٦]، الأسقربوط، ووهن في الساقين، ويظهر المرض الأول في ارتخاء عضلات الفم، والثاني في وهن حركة الساقين بسبب الخواص المدمرة التي تحملها مياه المكان وأعشابه. وعلى أي حال، كان غالوس مرغماً على أن يقضي الصيف هناك والشتاء بانتظار شفاء جنوده المرضى، ولنقل شحنات البخور واللبان من لوكوس كوموس إلى بيترا/ بتراء، ومن هناك إلى رينوكولورا[١١٧] الواقعة في فينيقيا[١١٨] على مقربة من مصر[١١٩]، ثم من هناك إلى المدن الأخرى. ولكن أكثر هذه الشحنات ينقل الآن في النيل[١٢٠] إلى إسكندر[١٢١]؛ وينقلونها من العربية[١٢٢] والهند[١٢٣] إلى ميسو هورموس[١٢٤]، ثم يحملونها على الجمال إلى كوبتوس[١٢٥] في منطقة طيبة[١٢٦] على قناة النيل، ومنها إلى إسكندر».

بحسب هذا النصّ اضطر إيغالوس إلى البقاء لوقت طويل في لحج، ضمن مضارب بدو بني

اللوق (قوم لوقا)، بعد أن أدرك أن سيليوس/ صيليوس قد غدر به وخانه. ليس سيليوس/ صيليوس هذا هو سوى (قيل) مقاطعة الصلو[١٢٧] المتاخمة لمحافظة لحج. ومن المؤكد أنه كان طامعاً في أن ينتقل إلى مرتبة (ملك) من خلال التحالف مع الرومان. كانت قبائل مقاطعة نباطة قرب لحج، جماعة أشرار مخادعة، سعت بكل الوسائل للتلاعب بالمتصارعين في المسرح اليمني، وبطبيعتهم البدوية المتأصلة في التودد للأقوياء، فقد أظهر هؤلاء ما يكفي لزرع الثقة بهم، سواء في قلوب الرومان أو في قلوب خصومهم اليهود، لكنهم في الواقع كانوا يتلاعبون بالطرفين. وبالطبع، يستحيل على أي جغرافي قديم أو معاصر أن يتمكن من السير من (فينيقيا/ لبنان المزعوم) إلى مصر (كبتوس) وأن ينقل شحنات البخور واللبان من الإسكندرية عبر النيل، ثم ينقلها من الإسكندرية إلى (العربية)، ومنها إلى الهند، ثم من هناك إلى كبتوس عبر هرموس (هرمز)؟ هذا وصف جغرافي خيالي. لكننا، إذا ما وضعنا هذه الأسماء دون التصويت اليوناني (إسقاط السين اللاصقة)، نحصل على جغرافيا أقل جموحاً وخيالية وأكثر واقعية، فقد كان إيغالوس يأمل نقل شحنات البخور واللبان إلى روما عبر ميناء (هرمز/ هرموس) وكان عليه أن يأخذ طريق القبيّطة في لحج (كبتوس). ولأجل هذه الغاية، فقد كان عليه أن يمرّ بالطريق الصحراوي مرغماً.

وهذا الطريق تغيرّ في وقت تالٍ حسب سترابون، حين راح اليمنيون ينقلون البخور عبر خطوط برية أكثر فاعلية، ستعرف بطريق شبوة. لقد أصبحت شبوة في وقت من الأوقات مخزناً هائلاً لتجميع البخور، وكان يُنقل في السابق إلى ميناء قنا بحضرموت، لكن ظروف القتال والحروب الأهلية الطويلة وصعود قوى جديدة، فرضت على اليمنيين أن يشقوا طرقاً جبلية/ صحراوية جديدة تمرّ بـ (العربية – صحراء مأرب –) وقرية آل هند في صعدة (التي يسميها الرومان الهند) وهناك ستجري عمليات جمع وتكديس البخور قبل أن ينقل إلى الحديدة وميناء المخا (باب المندب) عبر قوافل الجمال التي ستشق طريقها من لحج حتى تعز والحديدة. وهذا ما يفسّر لنا بعض أوجه الصراع حول التجارة الدولية بين قبائل الشمال والجنوب. لقد استبدل الشماليون بالطريق الجنوبي لتصدير البخور عبر موانئ حضرموت، طريقَ الشمال الذي يسيطر على ساحل الحديدة. أمّا «فينيقيا» الواردة في وصف سترابون، فهي تصحيف من المترجم لاسم مقاطعة (بني قين/ بنيقيا) وهم من بدو لحج الذين كانوا

يعملون في قوافل نقل البخور بواسطة الجمال، وكانوا يعرفون باسم تجمع بدوي لقراهم هناك (بني النيق/ بنيقي).

لقد خاب أمل إيغالوس نهائياً حين اكتشف خدعة قبائل نباطة بقيادة قيل/ ملك قبائل الصلو (صيليوس)، وكان عليه أن يفتش عن حليف آخر يساعده في بلوغ الموانئ. وبالمناسبة، هذا هو الأساس التاريخي للأسطورة الملفقة، التي لا أساس لها عن وجود «شعب فينيقي». لقد استمدّ اللاهوتيون والتوراتيون من علماء الآثار قصة «شعب فينيقيا» من هذا النصّ التوراتي لا أكثر. وبمقدار ما يبدو هذا الجانب المعقد، ولكن التقليدي والمألوف في سلوك قبائل البدو وكأنه استثنائي ومثير للحيرة، فإنه يكشف عن الطبيعة المركبة للصراع القبلي الذي فجّره الغزو الروماني. كان إيلشرح يحضب الثاني الذي تسمىّ بـ (ملك سبأ) يقاتل في جبهات عدّة ضد الغزاة الرومان والأحباش والقبائل اليهودية المرتدة، وضد جماعات أخرى مخادعة وشريرة تريد أن تلعب مع كل أطراف الصراع، ومن بين هذه الجماعات قبائل مقاطعة نباطة في لحج. في هذه الظروف بدأ الرومان يخططون للهروب من الجحيم اليمني. لكن إيغالوس كان مُلزماً بأن يرسل شحنات (البخور واللبان) والمرتزقة إلى روما. لقد بدا عاجزاً عن تنفيذ هذه المهمة، لأنه لم يتمكن قط من العودة إلى ميناء عدن، ولأن القيل الحميري، أي ملك الصلو (صيليوس) سار به في طرقات وعرة وصعبة، حتى بلغ محافظة أبين، بدلاً من الذهاب في طريق أقصر وأسهل من لحج صوب عدن. وكانت تلك ذروة مأساة إيغالوس وجنوده (جالوت وجنوده)[١٢٨] وشعورهم باليأس. كانت لدى إيغالوس فضلاً عن المتاعب وقسوة الطرق، معضلة أخرى تتعلق بمرض مزدوج أصاب جنوده الذين تراخت أقدامهم وسال اللعاب لا إرادياً من أفواههم، وكانت تلك علامات مرضين خطيرين. ولذا اضطر إلى أن يمضي الشتاء والصيف كله في مقاطعة بيترا (البتراء) وعلى مقربة من الجوف (مصرن). يقول سترابون نقلاً عن تقارير عسكرية أخرى تتضمن تفاصيل مثيرة ما يأتي[١٢٩]: إن إيغالوس وبعد أن يأس تقريباً من العودة إلى ميناء عدن لنقل شحنات البخور واللبان، أو إعادة قسم من جنوده المرضى، قرر أن يغادر محافظة أبين (مضارب بدو بني اللوق/ لوكوس). ولذا[١٣٠]:

«وبعد أن ترك لوكوس كوموس – قوم لوق – من جديد، سار غالوس عبر أماكن اضطر فيها بسب مخاتلة الأدلاء، إلى نقل الماء على الإبل، ولذلك لم ينجح في الوصول إلى أرض

أريتيس/ عريضي[١٣١] قريب عبادة/ عبدت، إلا بعد أيام كثيرة. والحقيقة أن أريتيس/ عريضي استقبله بودّ وعلى الرحب والسعة وقدّم له الهدايا، لكن غدر سيليوس/ صيليوس[١٣٢] جعل عبور هذه البلاد مضنياً، فقد صرف غالوس ٣٠ يوماً حتى عبر البلاد التي لم يكن فيها سوى الحنطة الرومية وقليل من الثمر، والسمنة البقرية بدلاً من زيت الزيتون، لأنهم ساروا في أرض ليس فيها طرقات، ولكن يشغل المنطقة التالية التي وصلوا إليها البدو الرحل، والشطر الأكبر منها هو صحراء حقيقية».

يؤكد نص سترابون هنا صحّة الاستنتاج الذي خرجنا به، فقد أقام إيغالوس في مضارب بدو قوم بني اللوق/ لوقوس كوموس طوال فصول الشتاء والربيع والصيف أملاً في أن يتمكن من الحصول على فرصة للهرب، وهؤلاء البدو هم أنفسهم ويا للسخرية منْ خدعه وتلاعب به. لقد كان عليه أن يمضي بعد هذه الإقامة الطويلة نحو ٣٠ يوماً أخرى ليتمكن من العثور على طريق في المتاهة اليمنية. وهكذا تمكن أخيراً من الوصول إلى شخص يرتبط بنسب قرابة من (قيل الصلو) يدعى القيل/ الملك عبادة (عبدت) قيل مقاطعة العريضة (أريتيس)، وهذا استقبله بودّ ورحب به. ومقاطعة عريضة (عريضي/ أريتيس) تقع في تعز (مديرية مقبنة، عزلة الأقحوز، قرية الجعشاشة، محلة العريضة). في هذا العصر عاشت اليمن فعلياً، تحت نفوذ الفرس غير المباشر. لقد أدرك الفرس مبكراً محنة الرومان في اليمن، ويبدو أنهم تركوهم في (المستنقع) وكانوا يعزّزون سرّاً علاقاتهم مع القبائل. هذا ما قد يفسر لنا جزئياً معنى وجود (مجوس) من الكهنة يتنبأون بظهور المسيح حسب ما يقول سفر متى حرفياً[١٣٣]. فما علاقة فلسطين بالمجوس؟ في هذا العصر كانت المجوسية هي الدين الرسمي في فارس. فهل يكون منطقياً التفكير – مجرد تفكير– في أن مجوس فارس تنبأوا بظهور المسيح في فلسطين في هذا الوقت الذي كانت فيه سورية كلها، بما فيها قطاعها الجنوبي فلسطين تخضع للسيطرة الرومانية؟ وكيف وصل المجوس إلى أرض أعدائهم وتنبأوا هناك؟ هذا غير منطقي ولا يمكن قبوله بأي صورة من الصور. هؤلاء المجوس هم (البعثة الدينية) التي أرسلتها فارس في إطار توطيد صلاتها مع قبائل اليمن خلال الغزو الروماني. لكن أرض اليمن في المقابل ظلت تشكل بالنسبة إلى الرومان نقطة وثوب استراتيجية نموذجية في أي حرب مع فارس. لقد أدّى سوء فهم، وصعوبة استيعاب مضمون سفر المكابيين إلى

حصول خطأ في تسجيل التاريخ، فجرى تخيّل الغزو الروماني لسورية الذي وقع فعلياً عام ٦٣ ق.م وكأنه وقع عام ١٦٣ق.م، أي قبل نحو قرن كامل من تاريخ وقوعه. ونحن نعلم من السجلات التاريخية الرومانية، أن روما لم تغزُ بلاد الشام إلا في هذا الوقت المتأخر، حين دخلت القوات الرومانية مدينة حلب وتقدمت في عمق سورية بقيادة بومبيوس (بومبي الأحول)[١٣٤] حسب المزاعم الرائجة.

والمثير للدهشة أن لقب الأحول في اللاتينية يعني (سترابو/ سترابون/ *Strabo*)، وهو ذاته لقب المؤرخ الذي ترك لنا شهادته عن الغزو الروماني. بقي أن أتقدّم بتوضيح ضروري، أن هذا الالتباس هو الذي دفع مترجمي السفر إلى ترجمة كلمة (הַרְטֻמִּים ها/ رطمي- الرطمي) إلى (كبير المجوس)، وهذا ما أرفضه على ما بينتُ في مؤلفاتي[١٣٥]، لأن المجوس والمجوسية في فارس لم يكن لهما وجود في هذا العصر، وهم ظهروا في عصر زرادشت المتأخر نحو ٦٠٠ ق.م، أي قبل قرنين من هذا الحدث[١٣٦]. فضلاً عن ذلك، لا توجد في أصل النصّ كلمة (كبير) المنسوبة إلى المجوس، وكيف لعاقل أن يتخيّل أن كلمة (رطمي) تعني «مجوسي/ مجوس»! هذا تلفيق ما بعده تلفيق. إن الخلاصة الرائعة التي يخرج بها سترابون عن ممالك اليمن، تؤكد لنا أن معارف اليونانيين ثم الرومان بهذه الممالك ونظام حكمها وثروتها، هي معارف ذات طابع ميداني استقصائي:

«لقد كان النباطيون والسبئيون من أول قبائل العربية السعيدة فوق سورية[١٣٧]. لكنهم كانوا في أحيان كثيرة يشنون عليها غزوات نهب وسلب، إلى أن أخضع الرومان هذه البلاد لسلطانهم».

لنلاحظ في هذا النصّ نوع سوء الترجمة وطبيعته، فهو يقول إن بدو اليمن يسكنون جغرافياً (فوق سورية) وإنهم ظلوا يواصلون غاراتهم على تخومها حتى بعد مرور وقت طويل من انهيار ممالكهم. فهل هذا منطقي؟ وكيف يمكنهم أن يجتاحوا كامل الجزيرة العربية ليصلوا إلى حدود سورية؟ هذا غير منطقي، ولا معنى أصلاً لهذه الهجمات. وبماذا تنفعهم، أي ما هي المكاسب التي يمكن أن يجلبها غزو من هذا النوع؟ وكيف لهم أن يبلغوا سورية البلد العربي؟ هذا يعني أن عليهم أن يسيطروا على كامل شبه الجزيرة العربية، قبل أن يقوموا بهجماتهم على الأراضي السورية شمال الجزيرة العربية. هذا أمر غير واقعي ولا

يعرفه التاريخ. وهل حدث في التاريخ أن السبئيين وبدو لحج احتلوا شبه الجزيرة العربية ثم هاجموا سورية؟ في الواقع كان هؤلاء يشنون هجماتهم على مركز تجمع القوات الرومانية في مكان يدعى (مسوري/ سوري) في تعز.

وهذا منطقي، أن يهاجم بدو لحج/ أبين موقعاً رومانياً في تعز. وحرف الميم في اسم سوري/ مسوري هو أداة التعريف اليمنية (م بعير/ البعير، م رجل/ الرجل- ويرسم الحرف هكذا/ ءم). بكلام آخر، يقول سترابون إن السبئيين ومعهم أنباط لحج يقطنون في أماكن/ مرتفعات في أعلى مسوري/ سوري في تعز. وهذا دقيق جغرافياً.

يضيف سترابون[١٣٨]:

«ويخضع هؤلاء وسورية الآن للرومان. ومدينة نباطة الرئيسة هي المدينة التي تدعى بيترا، وتقع في مكان مستوٍ أملس، تحرسه الصخور من جوانبه كلها؛ وهذا المكان من الخارج شاقولي شديد الانحدار، وفي داخله ينابيع مياهها غزيرة وصالحة للاستخدام المنزلي وريّ البساتين. والشطر الأكبر من المكان الممتدّ وراء أسوار المدينة، صحراوي مقفر خاصة باتجاه اليهودية. وهنا يمتدّ أقصر طريق إلى هركونت/ هر – كنتة[١٣٩]، إذ لا يستغرق اجتيازها سوى ٣-٤ أيام، وخمسة أيام إلى دغل النخيل. والمدينة يحكمها دائماً ملك ينتمي إلى سلالة ملكية. ويساعد الملك حاكم، هو عادة أحد أصدقائه، وكان هذا يُدعى «أخا» الملك. وفي المدينة نظام دولة رائع. فأثينودوروس الفيلسوف ومرافقي، زار البيترائيين ومكث عندهم، وتحدّث عن بناء دولتهم بإعجاب شديد. وعلى حدّ قوله، إنه أدرك هنا كثيراً من الرومان والأجانب الآخرين، وقدّر له أن يتابع هناك الدعاوى القضائية التي كان يرفعها الأجانب بعضهم ضدّ بعض، وضدّ السكان المحليّين، لكن السكان المحليّون لا يدّعي واحدهم على الآخر أمام القضاء أبداً، بل يعيشون في سلام ووئام»[١٤٠].

إن الوصف الرائع الذي يعرضه سترابون علينا لمكان يُدعى (كنه/ هر- كنت) بوصفه أقصر طريق يفصل بينه وبين نباطه، لا يمكن أن ينطبق إلا على مقاطعة (كنه) في الضالع التي سعى إيغالوس عبثاً للالتفاف عليها من طرق جبلية في لحج وشبوة، وها هو يجد نفسه على مبعدة ٣ أو ٤ أيام منها. ولنلاحظ أنه يسميها «هر» أي جبل باللغة العبرية. وكنه

هذه هي اليوم هناك في محافظة الضالع، وهي محاطة بسلسلة جبال شاهقة تدعى «حيد كنه، أي جبال كنه الشاقولية». لقد كان إيغالوس المسكين الضائع والتائه في جبال ووديان اليمن على مبعدة ٣-٤ أيام فقط من حضرموت لنقل شحنات البخور واللبان والجنود المرضى.

ومن المؤكد أن نظام الحكم الذي أثار إعجاب الفيلسوف اليوناني فأثينودوروس، صديق سترابون، وتأكيده أنهم يعيشون في جغرافية جبلية شديدة الوعورة وغزيرة المياه، وبحيث إن الجبال الشاهقة تبدو شاقولية وشديدة الانحدار نحو الصحراء، هي جغرافية لا علاقة لها بسورية ولا بفلسطين؛ بل بمكان آخر، هو الضالع/ لحج/ أبين حيث قبائل نباطة وبتراء وبني اللوق، ولا يمكن هذه الجغرافيا أن تكون بأي صورة من الصورة جغرافية فلسطين. المثير للدهشة والاستغراب، أن كتّاب التاريخ التقليدي ودون أي تفحص أو معاينة أو نقد للنصّ، سلّموا بحقيقة مزيفة تقول إن النباطيين كانوا يهاجمون سورية في هذا العصر، وهذا غير معقول بأي مقياس، لأن الحاجز الجغرافي الهائل الذي يفصل بدو اليمن عن سورية، يجعل من المستحيل عليهم فعل ذلك. والآن، بوجه العموم، يمكن هذا الإطار التاريخي أن يبدو مناسباً لأجل فهمٍ أعمق لمضمون السفر.

يروي سفر المقبيّين الأول[١٤١]، حسب التاريخ الرسمي السائد والقراءة الاستشراقية/ اللاهوتية كذلك، أحداث حقبة تمتد أربعين عاماً من جلوس أنطيوخس أبيفانيوس على العرش. وكما يُزعم غالباً، فقد كان أنطيوخس هذا مضطهد اليهود (أنطيوخس الرابع السلوقي ١٧٥ ق.م وهو اضطهد اليهود في روما وليس في أي مكان آخر). لكن، لا يوجد أي دليل على أن هذه الأحداث وقعت في عهده. إن أي افتراض بوجود علاقة بينه وبين أحداث السفر هو تلاعب بالتاريخ، فالفارق بين عصره وأحداث السفر تصل إلى أكثر من قرن ونصف (١٥٠ عاماً تقريباً). إن افتراض وجود علاقة بين السفر وعصر أنطيوخس، مبنيٌّ بالكامل على فهم خاطئ لاسم ورد في السفر، يوحي بأنه ينتسب إلى هذا العصر. وحسب الرواية الرسمية السائدة فقد تفجرت الأحداث الدامية، بعد أن طلب الرومان الغزاة من الكاهن اليهودي اليمني متنيا - متنيه (متّى) أن يقدّم الذبيحة المقدّسة بشعائر وثنية، حتى يقتدي يهود اليمن بسلوكه الدينيّ. وأريدُ هنا تذكير القرّاء بأن اسم يوسفيوس المؤرخ اليهودي هو يوسف بن متّه- متّى (متيه

برسم الاسم من دون النون الكلاعية: مته – متنيه وهذا حسب ما ورد في مؤلفه). وهذا أمر له أهميته القصوى في فهم الحدث، فكاتب الملحمة يدعى بن متّى، وقائد التمرد في سفر المكابيين يدعى بن متّى! هذا يؤكد لنا أن رواية الطبري وابن خلدون، القائلة إن كاتب السفر والملحمة يدعى يوسف، وتأكيد الوثائق الكنسية القديمة أن السفر، كان في الأصل العبري يدعى سفر (سفر بيت سابا/ سفر قبيلة سبأ) هي رواية حاسمة لجهة نفي وجود مؤرخ يدعى يوسفيوس.

لكل ذلك، سأقول إن النصّين (السفر والملحمة) هما سيرة شعبية كتبها الكهنة اليهود لتخليد ذكرى صراع إليسار– السره/ اليشرح ضد الرومان. لقد نشأ سوء فهم للنصّ العبري الأصلي من «ملحمة اليهود»، وبحيث اعتقد المترجم أن الكاتب يدعى يوسفيوس؛ بينما الحقيقة تقول إن النصّ هو «سيرة يوسف من بيت/ قبيلة سابا/ سبأ»، وهو من الحشمونيين. وهذه السيرة وضعها كهنة يهود اليمن، لا مؤرخ/ يوناني.

هذه الإيضاحات ضرورية وحاسمة لأجل فهم صحيح للإطار التاريخي.

هكذا نشبت الحرب بين الحامية الرومانية في تعز، وجماعات يهودية متشددة احتجت على تغيير دينها وطقوسها. ولما مات متّه – متّى، تولى القيادة ابنه الثالث يهوذا المكابي– المقبيّ (إيلشرح يحضب)، وكان شجاعاً وحكيماً، فأحبّه الشعب حسب التوصيفات التقليدية في شروحات الكنيسة للكتاب المقدس. وفي هذه الحرب انتصر يهوذا في مواقع كثيرة، وطهّر أورشليم من الوثنية وبنى مذبحاً جديداً. ثم مات أنطيوخس (المزعوم) فتوقفت الحملة وفشلت جهود السلوقيين في إخضاع اليمن. هذا هو مرة أخرى–وبشكل موجز–المضمون الحقيقي لما يعرف باسم (سفر المكابيين) و(تاريخ يوسفيوس). وهذا هو التأريخ الحقيقي للحملة (٢٧ ق.م). وفي هذا السياق، سأقوم بسلسلة تصحيحات وإعادة ضبط لأسماء بعض المواضع التي أوردتها في دراستي السابقة[١٤٢]، دون أي تغيير في جوهر التحليل، وسأعطي أدقّ ما يمكن من الأسماء التي تتكرر في كل مكان من اليمن. إن التعديلات الطفيفة التي سأقوم بها لبعض الأسماء التي وردت في دراستي السابقة، ضرورية للغاية، وهي في كل حال لن تغيّر من سياق التحليل.

رسم توضيحي يبيّن علاقة الاسم بالمكان

السامرة/ شمير، والمكابيين

اسمها في التوراة	اسمها في النقوش اليمنية
جبال شمير	جبال شمير
كانت تسمى قديماً: السامرة	وسُميت : مخلاف شمير
عاش فيها: المكابيون	سكانها مقبيون/ مكبيون

هوامش

١- تاريخ يوسفيوس، יוסף בן –מתתי הו [יוספוס פלוויוס]: תולדות מלחמה יהוד ים עם הרומא ים PRINTED IN ISRAEL 1968 يوسف بن متّتا/ متته (متّى) وهو يوسفيوس الفيلسوف: ملحمة اليهود مع الرومان، ط/ إسرائيل ١٩٦٨ انظر ما سنكتبه في الصفحات الآتية بالتفصيل.

٢- سترابون النسخة العربية: الجغرافيا/ الكتاب السادس عشر، دار علاء الدين - دمشق ٢٠١٧ ص: ٣٤٠، هو مؤرخ وجغرافي وفيلسوف إغريقي.

٣- بطليموس: جغرافيّ يُونانِي: نحو ١٥٠م، أشار في بعض مؤلفاته الجغرافية إلى (بلاد اليهودية) وقال إنها مكان آخر غير فلسطين.

٤- الكتاب الثالث من مجلد إسرائيل المتخيلة: يهوذا والسامرة: البحث عن مملكة حمير اليهودية.

٥ عبد الرحمن بن محمد بن محمد، ابن خلدون أبو زيد، ولي الدين الحضرمي الإشبيلي (المتوفى: ٨٠٨هـ) تاريخ ابن خلدون فصل/ الخبر. يقول: عن «عمارة بيت المقدس بعد الخراب الأول وما كان لبني إسرائيل فيها من الملك في الدولتين لبني حشمناي وبني هيرودوس إلى حين الخراب الثاني والجلوة الكبرى»: قال ابن كربون: ثم ترجمت التوراة لليونانيين وكان من خبرها أن تلماي ملك مصر من اليونانيين بعد الإسكندر وكان من أهل مقدونية وكان مُحباً للعلوم وشغوفاً بالحكمة والكتب الإلهية. وذكرت له كتب اليهود الأربعة والعشرون سفراً فتاقت نفسه للوقوف عليها. وكتب إلى كهنوت القدس في ذلك وأهدى له فاختار سبعين من أحبار اليهود وعلمائهم وفيهم كاهن عظيم اسمه ألعازر وبعثه إليهم ومعهم الأسفار فتلقاهم بالكرامة وأوسع لهم النزول ورتب مع كل واحد كاتباً يملي عليه ما يترجم له حتى ترجم الأسفار من العبرانية إلى اليونانية وصححها وأجاز الأحبار. ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر- المحقق: خليل شحادة، دار الفكر، بيروت- الطبعة، الثانية، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م.

٦- هو في الواقع نص غير ديني لأن هناك خلافات فقهية بين الكنائس وفي أوساط اليهود حول الوقائع التي يسردها النصّ.

٧- هناك خلاف بين العلماء حول الفارق بين التقويمين الميلادي والحميري، يرى البعض أنه (١٠٩) وآخرون يقترحون (١١٥ عاماً). إن تحليل سياق الأحداث ومطابقتها مع النقوش المسندية يدفع الباحث إلى ترجيح التاريخ الثاني.

٨- القرآن - سورة الروم.

٩- سترابون، مصدر مذكور.

١٠- انظر، مثلاً: Coptic history/ موسوعة تاريخ أقباط مصر، والموسوعة العربية المسيحية: مصدر مذكور.

١١- الموسوعة العربية المسيحية كذلك.

١٢- غوستاف هيرمان دالمان Gustaf Hermann Dalman ـ (٩ يونيو ١٨٥٥ ـ ١٩ أغسطس ١٩٤١) لاهوتي لوثري ومستشرق ألماني. كان له العديد من الأبحاث الميدانية في فلسطين قبل الحرب العالمية الأولى.

١٣- يوسفيوس، كذلك، مصدر مذكور: יוסף בן –מתתי הו [יוספוס פלןיוס]: תולדות מלחמה יהוד ים עם הרומא ים PRINTED IN ISRAEL 1968

١٤- اعتلى بطليموس الثاني عرش مصر عام ٢٨٤ قبل الميلاد، وكان قبل ذلك قد حكم مع والده حتى عام ٢٨٣ قبل الميلاد، ثم انفرد بالحكم. قام بغزو ليبيا عندما حاول شقيقه ماجاس الاستقلال عن مصر، وقد تمكن من السيطرة على سورية حتى بحر إيجة بالإضافة إلى بعض جزر اليونان. كان الأسطول البحري المصري من أقوى الأساطيل البحرية في ذلك الوقت، إلا أنه هزم سنة ٢٥٧ ق.م أمام ملك مقدونيا أنتيجونس.

١٥- سفر المكابيين وكذلك ملحمة اليهود/ مصدران مذكوران.

١٦- د. جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام – الناشر: دار الساقي– الطبعة الرابعة ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م – عدد الأجزاء: ٢٠ جزءاً– راجع كذلك مصدر الكتاب في موقع مكتبة المدينة الرقمية http://www.raqamiya.org

١٧- هذا من وجهة نظري تأكيد من سارد نص سفر المكابيين على أنه يهودي حميري، فهو يؤرخ روايته بشهر كسلو/ كصلو (أيلول/ سبتمر).

١٨- جواد، المفصل، كذلك: وقد ذهب «فون وزمن» إلى إن مدينة Marsaiba Marsiba هي «مأرب»، وقد حرفت وتحولت من Mariaba، حتى صارت على الشكل المذكور. وقد ذكر «سترابون» أن «أوليوس غالوس» حاصرها مدة ستة أيام، ثم رفع الحصار عنها لقلة مياه الشرب.

١٩- سترابون، مصدر مذكور.

٢٠- Beeston, A.F.L.; Ghul, M.A.; Müller, W.W.; Ryckmans, J. (1982). Sabaic Dictionary. University of Sanaa, YAR. p. 134. ISBN 2-8017-0194-7.

٢١- Ilasaros was a king from the Bakil tribe, related to the Banu Hamdan, which took control over the Kingdom of Saba›. He reigned between c. 60-20 BCE a period of turmoil. Ilasaros is a Greek name which matches El Sharih Yahdhib, meaning Victor of ElYahdhib is a title meaning the one who suppresses

٢٢- نشأ كرب يهأمن: (الثاني) بن يهنعم المعروف باسم ياسر يهنعم/ ناشر النعم في المؤلفات العربية

٢٣- جواد: كذلك.

٢٤- كذلك.

٢٥- سترابون: الجغرافيا/ الكتاب السادس عشر، مصدر مذكور.

٢٦- تعني عرّ في لغة أهل اليمن (جبل).

٢٧- أرن: وادي أرن المعروف الذي تسيل مياهه حتى نجران.

٢٨- نجران: جنوب غرب الجزيرة العربية على الحدود اليوم مع المملكة العربية السعودية.

٢٩- العوشقة في مديرية مقبنة.

٣٠- العفرة/ المعافر، مدير المعافر في تعز.

٣١- مارسب/ مأرب، محافظة مأرب اليوم.

٣٢- قبيلة الرامانتين/ شعب الرمان (محافظة ذمار، مديرية وصاب السافل، عزلة بني عبد الله، قرية شعب الرمان).

٣٣- إيل شرح/ إيل شرح يحضب.

٣٤- أي حضرموت.
٣٥- فريا ستارك: البوابات الجنوبية لجزيرة العرب: رحلة إلى حضرموت ١٩٣٤، ترجمة وفاء الذهبي، أبو ظبي – دار الكتب الوطنية ٢٠١٣.
٣٦- البوابات، مصدر مذكور.
٣٧- سترابون، مصدر مذكور
٣٨- نجران، مدينة جنوب غرب الجزيرة العربية، مشهورة ويعرف عنها ظهور الكنائس المسيحية الأولى.
٣٩- الجبت: محافظة لحج، مديرية المضاربة والعارة، عزلة العارة، قرية الجبات.
٤٠- الخال، محافظة حجة، مديرية عبس، عزلة قطبة، قرية بني الخال.
٤١- معلاف، محافظة تعز، مديرية حيفان، عزلة الأغابرة، قرية الحريم، محلة معلاف.
٤٢- عكرة: محافظة ذمار، مديرية ضوران أنس، عزلة بني حاتم، قرية العر، محلة حصن عكر.
٤٣- عبدت/ عبدة: محافظة إب، مديرية جبلة، عزلة الأصابح، قرية أكمة عبده.
٤٤- كوبتوس/ قبطوس (القبيطة) مديرية في محافظة لحج.
٤٥- إسكندر: من قرى ساحل الحديدة، وقرية في تعز.
٤٦- سيلوس/ صليوس: الصلو (السين اليونانية اللاحقة من إضافة سترابون) مديرية الصلو في تعز.
٤٧- جواد، كذلك.
٤٨- هاكم هذا النموذج عن تزوير التاريخ اليمني. هنا نصان شائعان في المصادر التاريخية عن تاريخ اليمن: (ولعل أوضح مثال ما ذكره الدكتور رشاد بغدادي من جامعة أم القرى أن نقشاً يمنياً ورد فيه أن الملك شعر أوتر ملك سبأ وذي ريدان ٢٠٥-٣٢٠م (وفي عام ٢١٨ توج إلعز يلط ملكاً على حضرموت، وفي عام ٢٢٣ بدأ الصدام بينه وبين شعر أوتر. انظر: الممالك المحاربة، ص١٨١). فهل حكم شعر أوتر عام ٣٢٠ م/ أم في ٢٣٣م؟ هذه تواريخ ملفقة. لقد عاش شعر أوتر عام ٣٣ م. هناك قرنان لفقهما كتّاب التاريخ التقليدي المهيمن عليه من الرواية الاستشراقية.
٤٩- نشا كرب ذي ريدان (وهو الذي يسميه نقش بيت ضبعان شمر ذو ريدان).
٥٠- Wissman H.Von Himyar Aneint History 1964-PP495-498
٥١- محمد عبد القادر بافقيه، علاقة القيل بمواليه – دراسات يمنية، العدد ٤٢، ١٩٩٠ ص ٢٠.
٥٢- نشوان بن سعيد الحميري، منتخبات من أخبار اليمن، تصحيح عظيم الدين أحمد، مطبعة بريل – لندن ١٩١٦، ص: ١٢/ وانظر: أزهار كامل ناصر: الأذواء والأقيال في التاريخ اليمني (رسالة ماجستير ٢٠١٤ جامعة البصرة – العراق).
٥٣- الهمداني، الإكليل: ج٢ ص ٢٧١-٢٧٤، نشوان الحميري: منتخبات ص ٤٨، ميخائيل بتروفسكي: اليمن قبل الإسلام والقرون الأولى للهجرة حتى القرن الرابع الميلادي، ترجمة محمد الشعيبي، دار العودة – بيروت ١٩٨٧.
٥٤- نينا فكتورفنا: العرب على حدود بيزنطة وإيران (فارس) ترجمة صلاح الدين عثمان – الكويت ١٩٨٥.
٥٥- أحمد حسين شرف الدين، تاريخ اليمن الثقافي – دار الكتب، صنعاء ٢٠٠٤ ص ٥٠، وكذلك، بافقيه: مختارات من النقوش اليمنية القديمة ص ٤٤.
٥٦- ردمان: محافظة صنعاء، مديرية الحيمة الداخلية، عزلة بني النمري قرية ردمان.
٥٧- مخلاف البون: محافظة ريمة، مديرية مزهر، عزلة بكال، قرية بني مطر، محلة البون.

٥٨- قصف يكلى: في فجر ٢٩ يناير ٢٠١٧ هاجمت طائرات أميركية دون طيار منطقة يكلا/ يكلى في ريف محافظة البيضاء وسط اليمن، وهبطت طائرات هليكوبتر تحمل عناصر من الكوماندوز في المنطقة عقب الغارة الجوية التي استهدفت عدداً من المنازل في القرية. انظر الخبر في موقع البي بي سي في هذا التاريخ: مقتل أحد عناصر «قوات الكوماندوز الأميركية» في هجوم أوقع مدنيين في اليمن – BBC Arabic».

٥٩- يكلى مخلاف في محافظة البيضاء. وفي التوراة نقرأ ما يأتي: سفر الملوك الثاني ١٥ : ٢ كَانَ ابْنَ سِتَّ عَشَرَةَ سَنَةً حِينَ مَلَكَ، وَمَلَكَ اثْنَتَيْنِ وَخَمْسِينَ سَنَةً فِي أورشليم، وَاسْمُ أُمِّهِ يَكُلْيِ مِنْ أورشليم. בֶּן-שֵׁשׁ עֶשְׂרֵה שָׁנָה, הָיָה בְמָלְכוֹ, וַחֲמִשִּׁים וּשְׁתַּיִם שָׁנָה, מָלַךְ בִּירוּשָׁלִָם; וְשֵׁם אִמּוֹ, יְכָלְיָהוּ מִירוּשָׁלִָם. وسفر أخبار الأيام الثاني ٢٦ : ٣ كَانَ عُزِّيَّا ابْنَ سِتَّ عَشَرَةَ سَنَةً حِينَ مَلَكَ، وَمَلَكَ اثْنَتَيْنِ وَخَمْسِينَ سَنَةً فِي أورشليم، وَاسْمُ أُمِّهِ يَكُلْيَ مِنْ أورشليم. ولنلاحظ أن الرسم العبري لاسم الأم هكذا (يكلهو/ يكله)، وهذه هي الهاء الحميرية.

٦٠- ورد اسم امرئ القيس في المؤلفات الإخبارية الكلاسيكية التي روت قصة سجنه ثم محاولاته نيل عطف الرومان لإعادته إلى العرش في كثير من المصادر منها: السيرة والشمائل (٧٧) التراجم والطبقات (٤٨٢) الأنساب (١٤٦) التاريخ (٣٦٦) البلدان والجغرافيا والرحلات (٢١٣) كتب اللغة (١٥٨) الأدب والبلاغة (١٩٥٣) الدواوين الشعرية والتفاسير (٩٧١) التجويد والقراءات (١٠) علوم القرآن (٢٦٩) متون الحديث (٥٩) شروح الحديث (١٦١) كتب التخريج والزوائد (٦٠) العلل والسؤالات (٥) علوم الحديث (١١) كتب الألباني (٦) العقيدة (٤٧) الفرق والردود (٣) أصول الفقه والقواعد الفقهية (٤٦) السياسة الشرعية والقضاء (١١) الفتاوى (٦) بحوث ومسائل (١٥) (١٤) الغريب والمعاجم ولغة الفقه (٢٣٨٣) النحو والصرف (٤٨٣) كتب ابن أبي الدنيا. إلخ. المصادر مذكورة في الكتاب.

٦١- في ديوان امرئ القيس لم يتوقف الباحثون أمام دلالات هذه الأبيات:

ولو شـاء كان الغزو من أرض حمير ... ولكنـه عمداً إلى الروم أنفرا
بكى صاحبي لما رأى الدرب دونه ... وأيقـن أنّـا لاحقـان بقيصرا
فقلـت لـه: لا تبـك عينـك إنـما ... نحاول مُلكاً أو نموت فنُعذرا
وإني زعيـم إنْ رجعـت مملـكا ... بسـير ترى منه الفرانق أزورا

٦٢- انظر النقش في ملحق النقوش ضمن هذا الكتاب.

٦٣- نشوان بن سعيد الحميري: نشوة الطرب – مصدر مذكور.

٦٤- د. أحمد صالح محمد العبادي: اليمن في المصادر القديمة: ٤٨٥-١٠٠ ق.م، صنعاء، وزارة الثقافة والسياحة، ٢٠٠٤.

٦٥- اعتلى بطليموس الثاني عرش مصر في عام ٢٨٤ قبل الميلاد، وحكم مع والده حتى عام ٢٨٣ قبل الميلاد، ثم انفرد بالحكم.

٦٦- لعل اسمه الحقيقي (لقبه) هو أرسطو.

٦٧- لطفي عبد الوهاب يحيى: العرب في العصور القديمة – الندوة العالمية الأولى لدراسات تاريخ الجزيرة العربية – الكتاب الأول – جامعة الرياض ١٩٧٧.

٦٨- Pliny – Natural History Translated by H.Rackham M.A William Heinemann London وانظر كذلك: سيد أحمد علي – الصراع على البحر الأحمر في عصر البطالمة – دراسات تاريخ الجزيرة العربية– الكتاب الثاني – جامعة الرياض ١٩٧٩.

٦٩- ابن العبري، «Bar-Hebraeus». لاهوتي وفيلسوف سرياني ولد عام ١٢٢٦م في مدينة ملاطية، ولقب بابن العبري لأن جده أو والده قدم من قرية (عبرى) في اليمن.

٧٠- ابن العبري غريغوريوس أبو الفرج بن هارون الملطي: تاريخ مختصر الدول، المحقق: أنطون صالحاني اليسوعي – دار الشرق، بيروت – الطبعة: الثالثة، ١٩٩٢.

٧١- ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، فصل: «الخبر عن عمارة بيت المقدس بعد الخراب الأول وما كان لبني إسرائيل فيها من الملك في الدولتين لبني حشمناي وبني هيرودوس إلى حين الخراب الثاني والجلوة الكبرى». انظر الطبري: أخبار الملوك والرسل، تاريخ الطبري/ عدة طبعات.

٧٢- طيطس: محافظة تعز، مديرية شرعب الرونة، عزلة بني الحسام، قرية المراهيض، محلة شعب الطاط.

٧٣ الأنبا درجة لاهوتية بمرتبة «قمُص» في الكنيسة القبطية المصرية، لكن روايته اليوم هي جزء من تراث الكنيسة؛ ولذا فهي «مقدّسة» ويؤمن بها المسيحيون المخدوعون. الأنبا هذا من مواليد ١٥ سبتمبر ١٩٣٩، حصل على ليسانس الحقوق من جامعة عين شمس سنة ١٩٦٦، أصبح قسّاً في ٣٠ مايو ١٩٧٩، ثم اختير أميناً لدير البرموس في أواخر عام ١٩٩١، وأخيراً حصل على رتبة «قمُص» في ١٢ فبراير ١٩٩٢.

٧٤- ورد اسم جاس في نقوش سرجون الثاني في هذه الصورة (Ham bani gash).

٧٥- نصوص شلمانصر (سلمانو: السنة ١١ من حكم شلمانصر الثالث ٨٤٨ ق.م:

(87-89)In the eleventh year of my reign, I crossed the euphrates for the ninth time. I captured countless cities. I descended upon cities of the land of Hamath. I captured 89 cities. Hadad-ezer of Aram and twelve kings of the land of Hatti stood by each other. I was successful in overthrowing them.

انظر النقوش التي ورد فيها الاسم في ملاحق النقوش في سائر كتبي.

٧٦- ديفيد كريستال، ص ١٩٨، مطبعة جامعة كامبريدج — ISBN 978-0-521-42443-1

٧٧- انظر كتابنا: نظرية في إعادة ترتيب الأديان والعصور.

٧٨- المؤلفات القادمة ستكون مكرّسة لتحليل الأناجيل.

٧٩- حسب التعريف الاستشراقي/ اللاهوتي الذي ننقده، فقد كانت مسعدة (بالعبرية: מְצָדָה) جبل يطل على الساحل الغربي للبحر الميت، شرقي منطقة النقب الصحراوية. وهذا ما لا أساس له.

٨٠- (Jerome) ٣٤٧– ٤٢٠م عمل جيروم الرئيسي تجلّ في أهم صوره من خلال إعادة ترجمة الكتاب المقدس من اللغة العبرية إلى اللاتينية.

٨١- انظر: صموئيل السيرياني ١٩٩٢: مصباح الظلمة لابن كبر (القرن ١٤ ميلادي). راجع: إيريس حبيب المصري: قصة الكنيسة القبطية، جـ٣ طبعة ١٩٧١ م، ص ٢٩٨ – ٣٠١.

٨٢- ورد اسم عنة في نقوش شلمانصر الثالث: شلمانصر في النقش ا (٣٥–٤٤) من السنة الثالثة سوية مع اسم عدن:

*(35-44) In the third year of my reign, Ahuni, son **of Adini**, was frightened before my mighty weapons and retreated from Til-barzip, his royal city. I crossed the Euphrates. I seized for myself the city **of Ana-Assur-utir-asbat**, which lies on the other side of the **Euphrates**, on the **Sagur** river, which the **Hittite** people called Pitru. When I returned, I entered the passes of the land of Alzi; the lands **of Alzi, Suhni, Daiaeni, Tumme, Arzash kunu, the royal city of Arame, the Armenian (king), Gilzânu, and Hubushkia (I conquered)**.*

(٣٥–٤٤) في السنة الثالثة من حكمي، أهيوني – أخيوني بن عديني كان خائفاً من أسلحة الرجال الأشداء، حيث تراجع نحو تل بارسب في مدينته الملكية، فعبرت نهر الفرات وأمسكت زمام الأمور بنفسي في مدينة عنة (Ana) والشور (Assur).

٨٣ انظر مثلاً: الرسالة إلى غلاطية، ٣/ ٢ الرسالة إلى تيطس ٤/ ١ الرسالة إلى غلاطية ٢/ ١-٣ الرسالة الثانية إلى قورنتس ٧/ ٧ الرسالة إلى تيطس ١/ ٤-٥ الرسالة الثانية إلى طيموتاوس ١٠/ ٤.

٨٤- الأدوام: محافظة إب، مديرية حزم العدين - عزلة بني وائل - قرية الموسطة، محلةالأدوام.

٨٥- الاسمان هنا في الرسم اليوناني وهما برأينا (موضع اليب/ يبه، والنقب/ نكيبوس).

٨٦ راجع نصّ السفر هنا: اسمه في سفر المكابيين هو (متته/ متّى [illegible] بن يوحنا بن سمعان، كاهن من بني يريب وسكن في مدين).

٨٧ :أعمال الرسل: الإصحاح الثالث:١.

٨٨- انظر: بولس الفغالي، أبو الفرج ابن العبري: حياته وآثاره، مجلّة دراسات في الآداب والعلوم الإنسانية - كلية التربية في الجامعة اللبنانية، السّنة ١٥، العدد ٢٣/ ٨٨، عدد خاص «ابن العبري في المئوية السّابعة لوفاته»، ص ١٣ - ٢٥.

٨٩- النقش كاملاً في ملحق النقوش.

٩٠- SOYCE ٦٨٨

٩١- النقش كاملاً في الملحق.

٩٢- شمير مقبنة: مديرية مقبنة في تعز.

٩٣- الهمداني: كتاب الجوهرتين العتيقتين المائعتين من الصفراء والبيضاء (الذهب والفضة) - الحسن بن أحمد الهمداني ٣٤٥ هـ، تحقيق أ.د أحمد فؤاد باشا، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ١٤٣٠ هـ/ ٢٠٠٩ م، ص ١٠٠

٩٤- غوستاف لوبون: حضارة العرب: ترجمة عادل زعيتر، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة- مصر ١٩٥٦.

٩٥- د. أحمد صالح محمد العبادي - اليمن في المصادر القديمة: اليونانية والرومانية ٤٥٠-١٠٠ ق.م- صنعاء وزارة الثقافة والسياحة ٢٠٠٤.

٩٦- إرنست ويل: ضمن كتاب اليمن في بلاد مملكة سبأ - ترجمة بدر الدين عرودكي - مراجعة د. يوسف محمد عبدالله - معهد العالم العربي - باريس - دار الأهالي - دمشق ١٩٩٩.

٩٧- Herodotus Book x.p.v١١.١ وانظر: العرب في العصور القديمة لطفي عبد الوهاب يحيى - الندوة العالمية الأولى لدراسات تاريخ الجزيرة العربية - الكتاب الأول - جامعة الرياض ١٩٧٧.

٩٨- ياقوت الحموي: معجم البلدان، مادة مخلاف.

٩٩- حول تسمية مخلاف نظر ياقوت/ مصدر مذكور.

١٠٠- كلمة (شير) العبرية تعني: شعر (الشعر/ أي القصيدة، أو شعر الرأس).

١٠١- عيد الأقط، الأَقِطُ يُدَقُّ ويُطَحَن ثمَّ يُلْبَك بالسمن المخْتلطِ: ابْن السّكيت. الأقطِ المَطْحون ينقع بِالْمَاءِ فتُثَرِّيه كأَنَّك تُرِيد أَن تَعْجِنَه [تحفة المحتاج في شرح المنهاج وحواشي الشرواني والعبادي، الحاوي الكبير]، مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح [شروح الحديث] (هو لبن مجفف يابس جامد مستحجر غير منزوع الزبد يطبخ به/ بحر المذهب للروياني)، [ذخيرة العقبى في شرح المجتبى [شروح الحديث ص ٤٢]، المخصص [الغريب والمعاجم ولغة الفقه]، كفاية النبيه في شرح التنبيه.

١٠٢- عيد الأكيتو، التسمية مشتقة من (أكيتي شي كور كو a-ki-ti-se-gur-ku) وهو عيد جز الصوف الذي كان يحتفل به ما بين شهري آذار ونيسان، وكان يعني عند الآشوريين عيد رأس السنة ويحتفل به في مدينة أور ثم في مدينة

نيبور، وبعد هيمنة الكلدان الأوائل لازمته صفة عيد بداية السنة، أي رأس السنة البابلية القديمة: رش شتيم (Resh Shattim رأس السنة).

١٠٣- بولس: أعمال الرسل ٢٥ - تفسير سفر أعمال الرسل، القديس بولس.

١٠٤- الطبراني: المعجم الأوسط/ ٨.

١٠٥- سترابون، مصدر مذكور.

١٠٦- التروغليتي: هذا تصحيف يوناني لاسم طروق لودية - جمع طريق -. وهو جبل شهير في شبوة التي كانت (مخزن البخور): محافظة شبوة، مديرية رضوم، عزلة رضوم، قرية لودية.

١٠٧- في ترجمة نص سترابون ترجمت الجملة إلى (الخليج العربي) وبالطبع يقصد بهذا التعبير (وديان هذا المكان حصراً، لأن الخليج العربي بعيد عن مصر البلد العربي).

١٠٨- سترابون، مصدر مذكور كذلك.

١٠٩- غيل باترا: مقاطعة البتراء: محافظة تعز، مديرية التعزية، عزلة الشعبانية السفلى، قرية البتراء.

١١٠- النيل هنا هو مقاطعة صغيرة تدعى بهذا الاسم في مكانين، إما في محافظة الجوف، مديرية خراب المراشي، عزلة الخراب، قرية النيل، محلة حصن النيل، أو محافظة شبوة، مديرية جردان، عزلة جردان، قرية النيل. في كل حال هما في مكان واحد.

١١١- كلمة (الخليج) هنا ترجمة خاطئة لاسم الوادي الذي يربط وادي (حصن النيل) بسلسلة وديان تؤدي إلى مأرب.

١١٢- سترابون، مصدر مذكور.

١١٣- لوكوس تحريف لكلمة (لوقوس/ اللوق). وهذه مقاطعة لتجمع بدو بني اللوق في ما يعرف اليوم بمحافظة أبين.

١١٤- سترابون: مصدر مذكور.

١١٥- سترابون، مصدر مذكور.

١١٦- الأسقربوط: مرض يسببه افتقار النظام الغذائي إلى فيتامين C أي حمض الأسكوربيك، حيث يصاب مرضى هذا الداء بفقر الدم والوهن، والإرهاق، والتورم في بعض أجزاء الجسم، وأحياناً تقرحات في اللثة وفقدان الأسنان، وقد عُرف مرض الأسقربوط منذ القدم، وكان من الشائع انتشاره بين البحارة، وذلك لندرة تناولهم للفواكه والخُضَر الطازجة أثناء الرحلات الطويلة.

١١٧- رينوكولورا/ قرى الرين: محافظة المهرة، مديرية حوف، عزلة جاذب، قرية تجمع رين.

١١٨- فينيقيا/ بني نيق: محافظة لحج، مديرية المقاطرة، عزلة زريقة اليمن، قرية حنو، محلة النيق.

١١٩- مصر/ يقصد بها مملكة معين مصرن القديمة في الجوف.

١٢٠- النيل: محافظة شبوة، مديرية جردان، عزلة جردان، قرية النيل.

١٢١- إسكندر: محافظة الحديدة، مديرية باجل، عزلة الضامر، قرية المشاعبة، محلة إسكندر.

١٢٢- العربية: يقصد بها الصحراء بشكل عام.

١٢٣- الهند: آل هند في صعدة محافظة صعدة، مديرية حيدان، عزلة مران ولد جعشن، قرية ولد جعشن، محلة آل هند.

١٢٤- ههورموس: مضيق هرمز.

١٢٥- كبتوس: القبيّطة في لحج.

١٢٦- طيبة/ طيبة محافظة صعدة، مديرية كتاف والبقع، عزلة العطفين، قرية آل شاجع، محلة طيبة.

١٢٧- الصلو: هو اليوم ما يعرف بـ(مديرة الصلو) في تعز.
١٢٨- حسب التعبير القرآني.
١٢٩ سترابون: مصدر مذكور.
١٣٠- سترابون: مصدر مذكور.
١٣١- عريضي: محافظة تعز، مديرية مقبنة، عزلة الأقحوز، قرية الجعشاشة، محلة العريضة.
١٣٢- سيليوس/ صيلو/ الصلو: من المؤكد أن اسم صليوس/ الصلو يشير إلى قيل هذه المقاطعة المتاخمة للحج.
١٣٣- لما وُلد يسوع في بيت لحم اليهوديّة في أيام هيرودس الملك، إذ مجوس من المشرق قد جاؤوا إلى أورشليم، قائلين: أين هو المولود ملك اليهود؟ فإنّنا رأينا نجمه في المشرق وأتينا لنسجد له. فلما سمع هيرودس الملك اضطرب وجميع أورشليم معه. فجمع كل رؤساء الكهنة وكتبة الشعب وسألهم: أين يُولد المسيح؟ فقالوا له: في بيت لحم اليهوديّة، لأنه هكذا مكتوب بالنبي: «وأنتِ يا بيت لحم أرض يهوذا لستِ الصغرى بين رؤساء يهوذا، لأن منك يخرج مدبر يرعى شعبي إسرائيل» [١-٦]: إنجيل متّى.
١٣٤ مصطلح يستخدمه الرومان للدلالة على الشخص الذي لا يرى الأشياء بطريقة صحيحة -عيناه غير سليمتين -. كان والد پومپي Pompey يدعى (پومپي الأحول Pompeius Strabo). وهو ولد في صقلية ودُعي كذلك لعيب في نظره جعله يرى الأشياء البعيدة كما لو كانت قريبة، ولذا أطلق الرومان عليه لقب – سترابون– Strabo.
١٣٥- انظر مؤلفي: نظرية في إعادة ترتيب الأديان والعصور- مصدر مذكور.
١٣٦- يعتقد بعض الباحثين أن أصل اللفظ فارسي، فهو يعني باللغة الفارسية القديمة magush «مگوش»، ومنه بالفارسية الحديثة «مغ»، وبالسريانية «مكوشا»، وفي اليونانية «مكوس»، ومن الواضح أن اللفظ العربي للكلمة مأخوذ من الصيغة من اليونانية. وكل هذا هراء لا معنى له. الأصل في كلمة مجوس/ نجوس أي النجاسة وهذا أصل عقيدة الرهبنة/ المتصوفة بعدم الاغتسال بالماء، وتقديس النار (ثنائية التناقض بين النار والماء).
١٣٧- ليست سورية هذه سورية البلد العربي؛ إذ لا يعرف تاريخ سورية في هذا العصر أن بدو اليمن يعبرون الجزيرة العربية وهي منطقة شاسعة، ليشنوا هجوماً لا معنى له، وماذا يريد هؤلاء من هذا المكان البعيد جداً؟ في الواقع، كان بدو أبين/ لحج يهاجمون قلب تعز وبشكل أخص منطقة مسوري(سوري) بوصفها مكان تجمع قوات الرومان.
١٣٨- سترابون، مصدر مذكور.
١٣٩- كتنه، محافظة الضالع - جنوبي مدينة دمت، من اتجاه قرى كولة الزقري وكوكبان ورخمة والمعرش.
١٤٠- سترابون: مصدر مذكور.
١٤١- من المؤكد أن السفرين كتبا باللغة العبرية، ولكن الأصل مفقود، وما وصلنا هو الترجمة اليونانية واللاتينية. ويُرجح أنهما كتبا بين سنة ١٠٥، ٩٠ ق.م (ما يقابل في التاريخ الحميري ٢٥م تقريباً) كما يُفهم من نص (١مكا ٢٤:١٦). وهذا هو عصر الغزو الروماني الأخير مع حملة إيغالوس الفاشلة.
١٤٢- فلسطين المتخيّلة – مصدر مذكور.

البحث عن الهيكل الثاني

سأُعيد رواية هذا التاريخ بصوتي، استناداً إلى استراتيجيات إعادة بناء النصّ التي اعتمدتها في سائر مؤلفاتي:

في عام ٢٧ ق.م تقريباً قامت جيوش الإمبراطورية الرومانية الشرقيّة بالتعاون مع القوات الإثيوبية (الحبشة قديماً)، بحملة عنيفة لإخضاع القبائل اليمنية المتمرّدة في طول سواحل البحر الأحمر، وبشكل خاص للسيطرة على عدن وتعز وساحل المخا والحديدة، وذلك في سياق الاستعداد لآخر الحروب ضد فارس، ولتأمين تدفق البخور لمعابد روما مجاناً، أو بأقل ما يمكن من الأسعار. كان الإنزال الروماني البحري في عدن بمساعدة القوات الحبشية مرعباً للقبائل اليمنية. ومع أن التاريخ العسكري الروماني – البيزنطي، يصمت عن تقديم التفاصيل الضرورية التي تخصّ هذه الحملة، ويكتفي بأخبار عن آخر إنزال بحري في سواحل عدن[١] في هذا التاريخ، لكن ثمة إشارات تخرق هذا الصمت، وتؤكد أن الغزو حصل في عهد الملك/ القيل السبئي إل شرح (إيلشرح يحضب الثاني ٤٠–٢٠ ق.م). كذلك فإن الوقائع التي يسردها سفر المكابيين الثاني (وكذلك رواية يوسفيوس)، وهما كتابان ترجما

إلى اليونانية في وقت متأخر[٢]، تشير بدقة إلى أن الحدث ليس من نسج الخيال، وأن الرومان في العهد السلوقي سعوا بالفعل، وبكل الوسائل بما فيها الضغط العسكري المتواصل، إلى إخضاع مدن اليمن الساحلية والسيطرة على باب المندب، وتطويق فارس ومحاصرتها هناك.

ولذلك، سنميّز بين أمرين:

أولهما:

إن الرومان، بمساعدة القوات الحبشية، احتلوا مدن جنوب اليمن، وفرضوا سيطرتهم عليها فعلياً بعد سقوط ميناء عدن وإثر إخماد التمرد القبلي، ثم عيّنوا ولاة ووكلاء حملوا ألقاباً رومانية. وهذا الحدث حقيقي وليس من نسج الخيال؛ لكن تسجيل الحدث في السفر التوراتي تعرض للتشويه والتلاعب بسبب ترجمة النصّ من العبرية إلى اليونانية، حيث رسم المترجم كل الأسماء بالصيغ اليونانية التقليدية، وهو ما أعطى الانطباع وكأن كاتب السفر كاهن يهودي يوناني. إن مقاربة النص العبري من (ملحمة اليهود) مع (سفر المكابيين) سيساعدنا على فهم الأحداث بطريقة أخرى.

وثانيهما:

إن الحروب المكابية، دارت – في الأصل خلال، وبعد هروب الرومان مهزومين وبدء انسحابهم– بين الولاة المتأغرقين وكهنة أورشليم. أي إن الرومان لم يكونوا طرفاً مباشراً في المعارك القبلية – الداخلية، لأنهم في هذا الوقت تركوا اليمن الممزق واتجهوا لتعزيز وجودهم في سورية، أي إنهم تركوا القبائل تتصارع وتتقاتل دون هوادة. لماذا؟ لأن فارس في هذا الوقت بدأت بفرض سيطرتها على جزء مهم من شمال سورية، وهو مقاطعة نصيبين الحدودية (مع تركيا اليوم مركز الإمبراطورية الرومانية الشرقية)[٣]. وكان ذلك من وجهة نظر الرومان، تهديداً قاتلاً قد يجعل من فارس (جاراً) للإمبراطورية الرومانية – البيزنطية. وفي هذا العصر، كما نعلم، بدأت روما تتجه لأن تصبح إمبراطورية مزدوجة شرقية وغربية (أي روما وبيزنطة وعاصمتها ستانبولس وهي اليوم إسطنبول).

هذان الأمران يجب التمييز بينهما بدقة، منعاً لأي خلط في الوقائع.

لقد فشل الغزو، وترك الرومان مدن اليمن تتمزق في حروب أهلية متواصلة. وفي سياق سرد السفرين للأحداث، سُجِّل ما يعرف بواقعة تخريب الهيكل الثاني وتدمير مدينة أورشليم.

إن نقطة الضعف القاتلة في كل ما كتب عن هذا السفر، بهدف تنسيبه إلى التاريخ الفلسطيني وتصوير الحملة على أنها استهدفت (القدس)، تكمن في الوصف الجغرافي السقيم وغير العقلاني من وجهة نظر اللاهوتيين. فباعتراف الحاخامات المتشددين ومحققي التوراة، لا يمكن بأي صورة من الصور، تخيّل أن الأحداث جرت في فلسطين، لأن الجغرافيا التي يصفها السفر لا تؤدي إلى فلسطين وشواطئ البحر الأبيض المتوسط. ولذلك، اضطرّ محققو التوراة إلى تثبيت ملاحظة تقول: «يبدو أن سارد نص المكابيين يجهل جغرافية فلسطين». وهذه ملاحظة مفرطة في قوة تحفظها واعتراضها على أي محاولة لاعتباره سفراً قانونياً خاصاً بأحداث جرت في فلسطين. كان عدد أسفار المكابيين في الأصل نحو خمسة أسفار، لم تقبل منها الكنيستان الأرثوذكسيّة والكاثوليكيّة إلا السفرين الأول والثاني فقط، وقد أصدر (مجمّع ترينت)[٤] للكنيسة الرومانية الكاثوليكيّة المنعقِد في عام ١٥٤٦م قراراً بقانونيتهما، لكن الكنيسة البروتستانتية تنكر صِحَّة هذين السفرين، بسبب ما عُدَّ (جهل محرر السفر بجغرافية فلسطين). كُتِب سفر المكابيين الأول أصلاً باللغة العبرية، ثم ترجم بعد ذلك إلى اليونانية ومنها إلى بقية اللغات. ويذكر أحد القساوسة اليونانيين المتأخرين أنه رأى بنفسه الأصل العبري للسفر[٥]. أما سفر المكابيين الثاني، فهناك ما يشبه الإجماع على أنه كُتِبَ أصلاً باللغة اليونانية، وهو يسرد كل ما تضمنّه السفر الأول بأسلوب مكثف. بكلام آخر، هناك سفر واحد فقط جرت الموافقة عليه، لأن السفر الثاني كان نوعاً من إعادة كتابة للسفر الأول بلغة يونانية ولا يتضمن أي إضافة.

ماذا يعني ذلك؟ إن الملاحظة الأخيرة بشأن النصّين العبري واليوناني، تؤكد لنا بما لا يقبل الشكّ، أن الأخطاء والمشكلات التي سنحددها ونشير إليها في هذا الكتاب، ناجمة في الأصل عن سوء الترجمة. وسأبيّن– بالتفصيل – طبيعة هذه المشكلات ونوع الأخطاء في الترجمة من العبرية. أكثر من هذا، أن ترجمة السفر من اليونانية تضمنت الصيغ اليونانية

للأسماء والشخصيات والمواضع، وهو ما أدّى إلى شيوع فهم زائف يقول إن المعارك جرت بين اليهود وملوك روما، بينما لا يوجد أي دليل تاريخي على ذلك. ولعل صمت السجلات الإمبراطورية الرومانية عن تسجيل أي واقعة تشير إلى هذه المعارك في عام ١٦٣ق.م، وإغفالها أي إشارة إلى وجود ملوك رومانيين، يحملون الأسماء الواردة في نصّ السفر خلال هذا العصر، يؤكد لنا أن اللاهوتيين الذين أضافوا هذه الأحداث إلى التاريخ الروماني؛ إنما قاموا بأكبر عملية تلفيق للتاريخ، وأن الكنائس قاطبة وقعت في الفخ، وأن المؤرخين التقليديين هم منْ كرّس هذا التلاعب بوعي أو دون وعي. وسأقوم تالياً بتحليل نصوص السفرين، بتفكيك بنيْتهما السرّدية إلى مقاطع صغيرة لتسهيل الأمر على القرّاء.

سأتوقف هنا لتسجيل الملاحظة الأخيرة والجوهرية الآتية:

يُدعى سفر «المكابيين» في الأصل بحسب شهادة كاهن مسيحي مرموق شاهد بنفسه الأصل القديم للنص (سفر سار/ سرح بيت سابا نويل). يقول: أوريجانوس[٦] وهو من رأى أن سفر المكابيين القديم، كان يُدعى سفر «سار بيت سابا نويل». ماذا يعني ذلك؟ هذا يعني أن السفر في الأصل سيرة ملك سبئي هو إيلشرح (السره/ السرح) وهو من بني وائل (نويل). وهذه عزلة جبلية عظيمة من عزلات مديرية حزم العُدين في إب. فهل من المنطقي تخيّل وجود مؤرخ يوناني يؤرخ لسبأ وبني وائل وصراعهم ضد الرومان في فلسطين؟

بداية التمرّد

ما يلفت الانتباه في سرديات الإصحاح الأول من سفر المكابيين الأول، أنها تنتمي إلى تقاليد عربية كلاسيكية في التدوين التاريخي للأحداث. وهذه التقاليد لا نظير أو شبيه لها في السرديات التاريخية التقليدية للأمم الأخرى. يبدأ السفر بسردٍ تاريخيٍّ متسلسلٍ للأحداث، ابتداءً من لحظة انتصار الإسكندر المقدوني (اليوناني ٣٣١ - ٣٠٠ ق.م) على داريوس الثالث (الفارسي) في معركة غوغاميليا التي وقعت عام ٣٣١ ق.م، وكانت معركة حاسمة بالنسبة إلى اليونانيين. هذا يعني أن سارد النصّ عاد شكلياً نحو ١٦٨عاماً إلى الوراء حسب التاريخ الرسمي الزائف، والقائل إن أحداث السفر وقعت عام ١٦٣ ق.م، والأصحّ فعلياً

ΜΑΚΚΑΒΑΙΩΝ Α'.

1 ΚΑΙ ἐγένετο μετὰ τὸ πατάξαι Ἀλέξανδρον τὸν Φιλίππου
τὸν Μακεδόνα, ὃς ἐξῆλθεν ἐν τῆς γῆς Χεττειεὶμ, καὶ ἐπάταξε
τὸν Δαρεῖον βασιλέα Περσῶν καὶ Μήδων, καὶ ἐβασίλευσεν
2 ἀντ' αὐτοῦ πρότερος ἐπὶ τὴν Ἑλλάδα. Καὶ συνεστήσατο
πολέμους πολλοὺς, καὶ ἐκράτησεν ὀχυρωμάτων πολλῶν,
3 καὶ ἔσφαξε βασιλεῖς τῆς γῆς. Καὶ διῆλθεν ἕως ἄκρων τῆς
γῆς, καὶ ἔλαβε σκῦλα πλήθους ἐθνῶν· καὶ ἡσύχασεν ἡ γῆ
ἐνώπιον αὐτοῦ· καὶ ὑψώθη, καὶ ἐπήρθη ἡ καρδία αὐτοῦ.
4 Καὶ συνήγαγε δύναμιν ἰσχυρὰν σφόδρα, καὶ ἦρξε χωρῶν,
καὶ ἐθνῶν, καὶ τυράννων, καὶ ἐγένοντο αὐτῷ εἰς φόρον.
5 Καὶ μετὰ ταῦτα ἔπεσεν ἐπὶ τὴν κοίτην, καὶ ἔγνω ὅτι ἀπο-
6 θνήσκει. Καὶ ἐκάλεσε τοὺς παῖδας αὐτοῦ τοὺς ἐνδόξους
τοὺς συντρόφους αὐτοῦ ἀπὸ νεότητος, καὶ διεῖλεν αὐτοῖς
7 τὴν βασιλείαν αὐτοῦ ἔτι ζῶντος αὐτοῦ. Καὶ ἐβασίλευσεν
8 Ἀλέξανδρος ἔτη δώδεκα, καὶ ἀπέθανε. Καὶ ἐπεκράτησαν οἱ
9 παῖδες αὐτοῦ ἕκαστος ἐν τῷ τόπῳ αὐτοῦ. Καὶ ἐπέθεντο
πάντες διαδήματα μετὰ τὸ ἀποθανεῖν αὐτὸν, καὶ οἱ υἱοὶ
αὐτῶν ὀπίσω αὐτῶν ἔτη πολλὰ, καὶ ἐπλήθυναν κακὰ ἐν
τῇ γῇ.

صورة عن النصّ اليوناني القديم

מקבים א

א ויהי אחרי הכות אלכסנדר בן־פילפוס המקדוני אשר־יצא
מארץ כתים (את־חיל פרס) ויך את־דריוש מלך פרס ומדי וימלך
ב תחתיו בראשונה בארץ יון: ויערך מלחמות רבות וילכד מבצרים
ג וישחט מלכי ארץ: ויבא עד־קצות־הארץ ויקח שלל־גוים רבים
י ויצא מהם שרש רשע אנטיוכוס אפיפנס בן־אנטיוכוס המלך
אשר היה בן־תערובות ברומי וימלך בשנת מאה ושלשים ושבע
ד ותשקט הארץ לפניו וירם ויגבה לבו: ויאסף חיל כבד מאד וימלך
ה על־ארצות גוים ורזנים ויהיו לו למס: ויהי אחר הדברים האלה ויפל
ו למשכב וידע כי־ימות: ויקרא לעבדיו הנכבדים אשר־גדלו אתו מנעריו
ז ויחלק להם את־מלכותו בעודנו חי: וימלך אלכסנדר שתים־עשרה
ח–ט שנה וימת: וישלטו עבדיו איש במקומו: וישימו כלם כתרי מלכות
בראשיהם אחרי מותו ובניהם אחריהם שנים רבות וירבו רעות בארץ:
להם ערלה ויעזבו ברית־קדש ויצמדו לגוים ויתמכרו לעשות רע:
טז ותכון המלוכה לפני אנטיוכוס ויתנשא למלך בארץ מצרים
יז למען מלך על־שתי הממלכות: ויבא מצרימה בעם כבד ברכב
יח ובפילים ובפרשים ובאני גדול: ויערך מלחמה עם־תלמי מלך
יט מצרים ויסג תלמי מפניו וינס ויפלו חללים רבים: וילכדו ערי
כ המבצר בארץ מצרים ויקח שלל ארץ מצרים: וישב אנטיוכוס
אחרי הכותו את־מצרים בשנת מאה וארבעים ושלש ויעל על־
כא ישראל ועל־ירושלם בעם כבד: ויבא אל־המקדש בגאוה ויקח
יא למלכות היונים: בימים ההם יצאו מקרב ישראל בני־בליעל וידיחו
רבים לאמר נלכה ונכרתה ברית את־הגוים אשר סביבותינו כי
יב מן־היום אשר סרנו מעמהם מצאונו רעות רבות: וייטב הדבר
יג בעיניהם: ויתנדבו אנשים מן־העם וילכו אל־המלך וישליטם המלך
יד–טו לעשות כחקי הגוים: ויבנו גמנסיון בירושלם כמשפטי הגוים: ויעשו
כט מקץ שנתים ימים שלח המלך את־שר־המסים לערי יהודה
ל ויבא ירושלימה בחיל כבד: וידבר אליהם דברי שלום במרמה
ויאמינו לו ויפל על־העיר פתאם ויך בה מכה רבה ויאבד עם רב

صورة من السفر عن النصّ العبري

أنه عاد إلى الوراء نحو ٣٠٠ عام، لأن الأحداث الحقيقية وقعت عام ٢٧ ق.م، ليسجل مقدمات الصراع الذي قاد إلى الاحتلال الروماني لليمن، فقد كانت هناك حروب يونانية – فارسية تواصلت مع الرومان. وهذا مصدر اعتراضي وشكوكي بالتاريخ المزيف الذي يتضمنه تفسير سفر المكابيين؛ فلو أن الأحداث وقعت عام ١٦٣ ق.م، فهذا يعني أنها تبعد فقط ١٦٨ عاماً من غزو الإسكندر المقدوني. وهذا غير منطقي، لأن التاريخ المكتوب لا يعرف مثل هذه الأحداث، لا في فلسطين، ولا في اليمن. وهذا هو – مرة أخرى – الدافع الحقيقي لي لأعتبر أن السفر يؤرخ بالتاريخ الحميري الذي يقابل ٣٣ ق. م. بهذا المعنى، فقد عاد مؤلف النص إلى الوراء على جري عادات ساردي النصوص العربية الكلاسيكية نحو ١٦٨ عاماً، ليروي أحداث ما بعد هزيمة داريوس الفارسي. هذه مسألة رياضية شائكة بالنسبة إلى القراء غير المتخصّصين، لكنها سهلة وبسيطة بالنسبة إلى قرّاء التاريخ، فقد عاد السارد إلى نقطة بعيدة في التاريخ ليؤرخ لأحداث تالية. وهكذا يسرد لنا مؤلف سفر المكابيين الوقائع انطلاقاً من نقطة بعيدة حين هُزم الفرس أمام اليونانيين. وهذه تقاليد سردية عربية كلاسيكية لا مثيل لها في أي ثقافة أخرى. أي إن السرديات اليونانية لا تعرف هذا الأسلوب في السرد، وهو ما ينفي كلياً أن يكون سفر المكابيين قد كتب باليونانية.

بعد أن خسِر داريوس الثالث المعركة، ومن أجل تجنب حرب أخرى مع أثينا، عرض على الإسكندر معاهدة سلام مقابل تسليمه كامل المناطق غربيّ نهر الفرات السوري. إن بُنى السرد في هذا الجانب من نصّ سفر المكابيين، تكشف بالفعل عن (نص عربي قديم) كتب بلهجة دينية عبرية – يمنية، أقرب ما تكون إلى عبرية شرعب (وهي اليوم منطقة عامرة مؤلفة من مديريتين باسم مديرية شرعب السلام وشرعب الرونة)، وهذا ما سيتّضح عند تحليل طرائق رسم أسماء المواضع. وسأشرح هذا الجانب من التحليل اللغوي في الفصول الآتية، نظراً لطبيعتها المتشابكة التي لا تتناسب مع هذا الفصل.

كذلك إن طرائق السرد تفصح عن استراتيجيات إنشاءٍ لبُنى سردية – إخبارية تقليدية، لطالما درج عليها الإخباريون اليمنيون من اليهود مثل وهب بن منبه[٧]، وكعب الأحبار[٨]، وعبيد بن شرية الجُرهُمي[٩]. وهذه الطرائق هي التي تأثر بها الإخباريون المسلمون مثل الطبري. وبالمناسبة، فالطبري المؤرخ العربي هو مواطن فارسي من مواليد طبرستان[١٠]

وليس عربياً، ومصادره - كما كشف عنها نولدكه [١١]- مصادر فارسية. إن هؤلاء جميعاً، يسردون التاريخ من أبعد نقطة، إمّا من آدم وقصة نوح أو من الحروب اليونانية - الفارسية، ثم يواصلون سرد الأحداث وصولاً إلى الواقعة التي يراد تسجيلها. ولذلك، يبدو السفر في بُناه السرديّة، أقرب إلى عمل إخباري عربي تقليدي كتب بلغة دينية بأكثر مما هو نص دينيّ مقدّس. وخلال هذه الحروب التي يشير إليها السفر التوراتي، احتل اليونانيون ساحل عدن وجزيرة سقطرى، قبل أن يتوغلوا في عدن وتعز وإب. وحتى اليوم توجد جالية في جزيرة سقطرى/ سوقطرى تزعم أن أصولها يونانية، وقد أشار إليها الهمداني في (صفة جزيرة العرب)[١٢] حين كتب أن الإسكندر ترك فيها نحو ١٠ آلاف مقاتل يوناني[١٣]. وكنتُ قد أشرت في الكتاب السابق إلى أنني التقيتُ - عندما عشت في عدن عام ١٩٧٩- أفراداً من سكان الجزيرة، أكدوا لي أنهم من أصول يونانية، وأن جدّهم الإسكندر تركهم فيها، وقد رأيتُ بنفسي شجرات أنسابهم اليونانية.

وكم أشعرُ اليوم بالأسف، لأنني أضعت خلال سنوات الانتقال المستمر من بلد إلى آخر، الأوراق التي دوّنت فيها هذه الوقائع. ومع ذلك كله، ثمة دلائل قوية للغاية على اهتمام يوناني قديم بأرض اليمن التي سمّوها أرض الأحلام[١٤]، من ذلك أن تماثيل بعض ملوك مملكة أوسان نحو ٧٠٠ق.م[١٥] (في أبين جنوب اليمن وهي أقرب محافظة إلى عدن) تحمل ملامح يونانية صارخة. وتتجلى أقوى المؤثرات اليونانية في طريقة نحت تمثال الملك الأوساني يصدق (إيل فرعم شرح عث) حيث اعتمد النحات الأساليب الإغريقية[١٦] (بدلاً من اليمنية التقليدية). كان الملك يصدق إيل فرعم قد بلغ درجة الألوهية في مملكة أوسان، حين راح اليمنيون يقدّمون له النذور في معبده، وهذا ما تؤكده نقوش *902-3–RES 454* *4232-1596Bis 4102-NO.137* ثم بلغ التأثير اليوناني ذروته، عندما قام النحات بنحت ثياب الملك وتسريحة شعره على الطريقة الإغريقية، وكان هذا برأيه دليلاً على أنه دخل (عالم الأرباب). لقد عمد الملك الأوساني الجنوبي يصدق إيل، وتحت تأثير المعتقدات الدينية اليونانية إلى تأليه نفسه، محاكاة لملوك مصر البطالمة، كذلك قام بمحاكاة مظهرهم وطريقة تقديم القرابين والنذور له، حتى إن كتّاب النقوش كانوا يستخدمون الفعل السبئي (سقني) في أدعية النذور، وهو فعل يتضمن دلالة تقديم النذور للإله. وهذا هو برأيي

الفرعون الذي قصده القرين بقوله: (أنا إلهكم)[١٧]. نقرأ في القرآن السورة الآتية: ﴿اذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ (١٧) فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰ أَن تَزَكَّىٰ (١٨) وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ (١٩) فَأَرَاهُ الْآيَةَ الْكُبْرَىٰ (٢٠) فَكَذَّبَ وَعَصَىٰ (٢١) ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَىٰ (٢٢) فَحَشَرَ فَنَادَىٰ (٢٣) فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَىٰ (٢٤) فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَىٰ (٢٥)﴾.

في الواقع، لا يوجد في السجلات المصرية القديمة أي إشارة، أو كلمة، تلميحاً أو تصريحاً، تفيد بأن ملكاً مصرياً زذ عم أنه (إله). يوجد من بين هؤلاء من آمن بالإله الواحد مثل أخناتون[١٨]، لكن لا وجود لملك مصري في السجلات التاريخية لمصر البلد العربي يدعى فرعون زعم أنه (إله). بالعكس من ذلك، هناك ملك يمني قديم في مملكة مصرن الجوف هو ملك أوسان، تأله وفرض على رعاياه تقديم النذور له بوصفه إلهاً.

ولأنه عُرف باسم يصدق فرعم/ فرعن، فقد سمّاه القرآن (فرعون/ البناء العبري من الاسم فرع: فرعم/ فرعن. أو فرعون مثل صور/ صورون/ حور/ حورون). وسيكون هذا الأمر مفهوماً بصورةٍ سلسةٍ، حين نعلمُ أنّ البعثات البحرية اليونانية لليمن لم تتوقف قط[١٩]، وأن (العصر الهلنستي) الطويل (اليوناني/ الروماني) كان طاغياً في تأثيراته الثقافية، وهي بلغت ذروتها في اليمن مع احتلال الإسكندر الأكبر لجزيرة سقطرى. في هذا الإطار كتب أحد الكتاب اليونانيين من عصر الإسكندر، أنهم وصلوا ذيو سكريتس (ديوسكترة/ سقطرى) التي كانت تتبع ملك اللبان[٢٠]، أي ملك سبأ. وبرأيي أن الإسكندر لم يتجه نحو الهند قط، كما هو شائع؛ بل إلى سواحل البحر الأحمر قاصداً اليمن، وقام باحتلال سقطرى ليفرض سيطرة اليونان بنحو تام على الطريق البحري إلى الهند. إن ما يشاع في المؤلفات التاريخية عن (احتلال الإسكندر للهند) لا أساس له، ولا توجد أي وثيقة يونانية أو هندية تاريخية تؤكد ذلك، وقد فهم بعض المؤرخين خطأ وصف الإسكندر لليمن بـ(الهند) أنه احتل الهند، بينما يخبرنا التاريخ - كما الجغرافية كذلك - أن الاسم الذي اشتهرت به اليمن قديماً هو الهند، لأن مكانتها الجغرافية كانت تسمح لها بالسيطرة على طريق الهند البحري. إن احتلال الإسكندر المقدوني للهند، أمر خيالي لا يؤكده تاريخ الهند، ولا التاريخ اليوناني. لكل ذلك، أنفي نفياً قاطعاً أن يكون الإسكندر قد احتل الهند. في الواقع، احتل الإسكندر (اليمن) التي كانت تدعى (الهند) وبشكل أخص (جزيرة الأحلام) سقطرى، وبحيث تمكن من أن

يضمن سيطرة اليونان على خطوط التجارة البحرية مع الهند وكل آسيا. لقد أطلق اليونانيون منذ وقت مبكر، ثم الرومان تعبير (العربية السعيدة *Arabia Felx*) على اليمن، لأنها كانت بالنسبة إليهم «الجسر المؤدي إلى الهند، والسوق الذي تُباع فيه جميع سلع الشرق الأدنى القديم من ذهب وأحجار كريمة وتوابل غالية الثمن»[٢١]. وفي نصوص سترابون[٢٢] الذي استند إلى تقارير عسكرية قدمها صديقه (إيغالوس) للإمبراطور الروماني، تتأكد لدينا الانطباعات التي تركت أثرها في ذاكرة اليونانيين.

يصف سترابون قبائل اليمن على النحو الآتي:

«وتسكن الطرف الأقصى من هذه البلاد أكبر أربع قبائل: اليمنيون – يمنت – في القسم الواقع على البحر الأحمر، وأكبر مدنهم مدينة قرن أو قرنانو، ثم يجاورهم السبئيون وعاصمتهم مأرب والقبيلة الثالثة هي قبيلة القتبانيين – قتبان التي تمتد منطقتهم حتى المضيق والمعبر الذي يمرّ عبر الخليج العربي؛ وتدعى عاصمة مملكتهم (تمنع). وأخيراً في أقصى الشرق يقطن الحضرميون؛ ومدينتهم تدعى سبات – شبوة، ويدير حكم هذه المدن كلها حكم فردي، لكنها تزدهر بمعابد وقصور ملكية فخمة، ومنازلها السكنية تشبه المنازل السكنية المصرية من حيث طريقة ضم العوارض. وتضمّ كل دائرة من هذه الدوائر الأربع أراضي مساحتها أكبر من مساحة الدلتا المصرية. ولا يرث العرش عندهم الابن عن أبيه، بل يرثه أول مولود في أي عائلة ارستقراطية يولد بعد انتخاب الملك».

يُلاحظ في هذا النص أن المعارف الدقيقة لليونانيين عن اليمن، بلغت مستوىً رفيعاً من تحليل المعطيات الاجتماعية، فقد أدركوا منذ وقت مبكر أن (نظام البكر السبئي) هو النظام السائد في ممالك اليمن الثلاث الكبرى في هذا العصر: حضرموت، قتبان، سبأ، وكان لا يزال معمولاً به، وتعبير (أول مولود في أي عائلة ارستقراطية) يقصد به المواليد داخل عائلات طبقة المكاربة (الكهنة/ الملوك). والأهم من هذا كله، تأكيد سترابون أن مصطلح (يمنت) الذي يرد في النقوش السبئية في صورة (ملك سبأ وريدان ويمنت) إنما قصد به سواحل حضرموت (الشريط الساحلي لميناء قنا). وهذا المكان هو (روح) حضرموت، لأنه ميناء تصدير البخور واللبان والذهب.

يضيف سترابون وهو يشرح آليات الحكم القبلي/ الدينيّ في اليمن القديم، وكيف أن حكم القيل هو الحكم المحلي ضمن ممالك كبرى لها ملوك/ كهنة. يضيف سترابون[٢٣]:

«ولذلك ينظمون بعد انتخاب الملك الجديد مباشرة، سجلاً بأسماء النسوة الحوامل في العائلات الارستقراطية، ويضعون عليهن مراقبة دائمة للتحقق منْ منهن وضعت أولاً؛ وبحسب القانون، ينبغي على الملك أن يتبنى المولود المعنيّ، لكي يُربّى تربية ملكية بصفته الوريث المقبل للعرش. وتنتج قتبان البخور، وتنتج حضرموت المرّ. ويبادل السكان بهذه العطور وسواها بضائع التجار».

يفسّر لنا هذا النص بدقة مذهلة، ما ورد في سفر المكابيين وملحمة يوسفيوس عن تبني أحد الملوك (ويدعى أنطيخوس) لابن ملك آخر، وأنه عاش في كنفه ثم نصّبه ملكاً.

وهي واقعة لا يعرفها التاريخ الروماني، بينما يؤكد لنا سترابون أن هذا تقليد يمني قديم له صلة بتقاليد توريث الحكم داخل طبقة الملوك/ المكاربة، حيث يجري تبني الابن البكر (البكر السبئي) من الأب/ الملك المتوفى، ويتكفل به كاهن (قيل/ كاهن) ثم يرعاه حتى يصبح مؤهلاً للحكم. وسنقدم مقاربة أخرى حول هذا النظام في سياق تحليل السفر في الفصول الآتية. بيد أن سترابون الذي حلل بنحو حاذق تقارير صديقه قائد الحملة، أظهر معارف شخصية متميّزة باليمن، بما يؤكد لنا أن العصر الهلنستي كان عصر هوس باليمن بوصفه (أرض الأحلام)، ذلك أن هذه المعارف تخطت بكثير مجرد الاهتمام التقليدي، وباتت علماً يمكن تسميته (علم اليمنيّات)، فعدا عن شرح وتحليل نظام الحكم، وتوزيع القبائل وطبيعة الثروات، وآليات تشكل الطبقات الاجتماعية، هناك فهم عميق لكامل النظام الاجتماعي. وفضلاً عن ذلك كله، كانت هناك ملاحظات غاية في الأهمية عن طبيعة حياة السكان والتنافس العنيف بين الممالك اليمنية.

يقول سترابون[٢٤] ما يأتي:

«وتجاور منطقة هذه القبيلة بلاد شدية (شدة/ النجد) الخصبة التي تسكنها قبيلة كبيرة جداً تدعى قبيلة السبئيين، حيث ينمو المرّ والبخور والقرفة. وتجد عند الساحل البلسم ونبات

عطريّ آخر سرعان ما يفقد رائحته. وهناك أيضاً نخيل عطريّ، وقصب عطريّ، كما توجد هناك ثعابين حمراء قاتمة طول واحدها شبر واحد تقفز حتى الخصر، ولا شفاء من لدغتها. وبسبب وفرة الغلال، ينغمس هذا الشعب في اللهو ويعيش لا مبالياً. وينام البسطاء هنا متوسدين جذوع الأشجار التي يقطعونها. وتصل البضائع دائماً إلى الذين يعيشون على مقربة، فيحملونها إلى الذين يقطنون بعدهم من القبائل الأخرى، وصولاً إلى سورية وبلاد ما بين النهرين».

أكثر من ذلك، ثمة فهم عميق للعلاقة بين الحاكم والشعب وكنوز الذهب التي في حوزة القبائل:

«وحين يستخدم هؤلاء - البخور-، فهم يتخلصون من الخدر- التعب والإرهاق-. وتدعى مدينة السبئيين مأرب التي تقع على جبل تكسوه غابة كثيفة. ويقيم فيها الملك الذي يقضي بين الناس ويفصل في خلافاتهم، ولا يسمح للملك بأن يغادر القصر الملكي؛ وإذا [ما خرج من القصر]، فإن الكاهن يوعز فوراً لحشد من الناس فيرميه بالحجارة. ويعيش الملك وحاشيته عيشة باذخة منعّمة. ويعمل قسم من الناس العاديين بالزراعة، والقسم الآخر بتجارة البخور واللبان، سواء التي تنتج محلياً أو تلك التي يأتون بها من إثيوبيا.

إذْ يبحرون إلى هناك عبر المضيق في قوارب مطاطية. والبخور واللبان وفيرٌ في هذه البلاد لدرجة أنهم يستخدمون القرفة - المحلية - والقرفة الصينية، وسوى ذلك من النباتات العطرية، بدلاً من الحطب القشاش والمحروقات الأخرى. كما ينمو في بلاد السبئيين نبات الريمان/ الخزامى[٢٥] أيضاً، وهو أكثر النباتات العطرية أريجاً».

يمكن فهم هذا النص الحاذق في الصورة الآتية:

لقد بلغت معارف اليونانيين ثم الرومان بأرض اليمن حدّاً مثيراً بالفعل، فقد سجلوا في كتبهم ووثائقهم أسماء الأعشاب والأشجار والقبائل، بالتلازم مع وصف أنثروبولوجي مدهش لسلوك السكان في حياتهم اليومية، حيث يؤدي البخور دوراً مصيرياً في حياتهم الطقوسية، فهم يقاومون (التلوث/ الوساخة) بتحويل البخور إلى مادة فاعلة في نشاطهم وصحتهم

النفسية. يضيف سترابون[٢٦]: «وقد جعلت تجارة هذه السلع من السبئيين والحميريين أغنى قبيلتين من القبائل كلها؛ فهؤلاء يملكون كثرة كثيرة من الأشياء الذهبية والفضية كالملاعق، وثلاثيات القوائم والأكواب والكؤوس. وقد تميّزت موجودات منازلهم بالفخامة والبذخ: الأبواب، الجدران، والسقوف مطعّمة بالعاج والذهب والفضة والحجارة الثمينة».

هذا هو السياق الاجتماعي والاقتصادي الصحيح الذي فرض على سارد نص سفر المكابيين، أن يعود إلى نقطة بداية الأحداث، أي الاحتلال اليوناني لليمن، ثم يستمر السرد التوراتي لينتقل إلى احتلال اليونانيين لمصر، ثم الصراع بين الملوك المتعاقبين حتى العصر البطلمي. وبالطبع، فقد تواصلت الحروب اليونانية - الفارسية حتى العصر الروماني المتأخر، حين نشبت سلسلة جديدة من الحروب الرومانية - الفارسية، وتواصلت مع الإمبراطورية البيزنطية (ما يعرف بالحروب البيزنطيّة - الفارسيّة).

لكل ذلك، سألخصّ أهم الوقائع كما أوردها السفر، لتسهيل الأمر على عموم القرّاء، وسأقوم في سياق هذا السرد بالعودة إلى نص يوسفيوس لأغراض التثبت من دقة الوقائع التي يرويها السفر.

يبدأ السفر في سرد الأحداث - وأنا التزم هنا بصرامة ما ورد في النص - على النحو الآتي:

١: إن الإسكندر بن فيلبس المكدوني (المقدوني)، بعد خروجه من أرض كتيم وإيقاعه بداريوس ملك فارس ومديا، ملك مكانه وهو أول منْ ملك على اليونان[٢٧].

٢: ثم أثار حروباً كثيرة وفتح حصوناً متعددة وقتل ملوك الأرض.

٣: واجتاز إلى أقاصي الأرض وسلب غنائم جمهور من الأمم، فسكتت الأرض بين يديه فترفع في قلبه بشموخ.

٤: وحشد جيشاً قوياً جداً.

٥: واستولى على البلاد والأمم والسلاطين فكانوا يحملون إليه الجزية.

٦: وبعد ذلك اضطجع على فراشه وأحسَّ من نفسه بالموت.

٧: فدعا عبيده الكبراء الذين نشأوا معه منذ الصبا فقسّم مملكته بينهم في حياته.

٨: وكان ملك الإسكندر اثنتي عشرة سنة ومات.

٩: فتملّك عبيده كل واحد في مكانه.

١٠: ولبس كل منهم التاج بعد وفاته، وكذلك بنوهم من بعدهم سنين كثيرة فكثرت الشرور في الأرض.

١١: وخرجت منهم جرثومة أثيمة هي أنطيوكس الشهير ابن انطيوكس الملك، وكان رهينة في رومية وملك في السنة المئة والسابعة والثلاثين من دولة اليونان[٢٨].

١٢: وفي تلك الأيام خرج من إسرائيل أبناء منافقون فأغروا كثيرين قائلين، هلمّ نعقد عهداً مع الأمم حولنا، فإنا منذ انفصلنا عنهم لحقت بنا شرور كثيرة.

١٣: فحسُن الكلام في عيونهم.

١٤: وبادر نفرٌ من الشعب وذهبوا إلى الملك، فأطلق لهم أن يصنعوا بحسب أحكام الأمم.

١٥: فابتنوا مدرسة في أورشليم على حسب سنن الأمم، ولم يعودوا يختتنون، وارتدّوا عن العهد المقدس ومازجوا الأمم وباعوا أنفسهم لصنيع الشّر[٢٩].

١٧: ولما استتبّ الملك لأنطيوكس، أزمع على امتلاك مصر ليكون مالكاً على كلتا المملكتين.

١٨: فدخل مصر بجيش كثيف وعجلات وفيلة وفرسان وأسطول عظيم.

١٩: وأثار الحرب على بطلماوس ملك مصر، فارتاع بطلماوس من وجهه وهرب وسقط قتلى كثيرون.

٢٠: فاستحوذوا على المدن الحصينة بأرض مصر وسلبوا غنائم أرض مصر.

٢١: ورجع انطيوكس بعدما أوقع بمصر، وذلك في السنة المئة والثالثة والأربعين ونهض نحو إسرائيل.

٢٢: فصعد إلى أورشليم بجيش كثيف.

٢٣: ودخل المقدس بتجبّر وأخذ مذبح الذهب ومنارة النور، مع جميع أدواتها ومائدة التنضيد والمساكب والجامات (الأواني الزجاجية)[٣٠] ومجامر الذهب، والحجاب والأكاليل والحلية الذهبية التي كانت على وجه الهيكل وحطمها جميعاً.

٢٤: وأخذ الفضة والذهب والآنية النفيسة، وأخذ ما وجد من الكنوز المكنونة. أخذ الجميع وانصرف إلى أرضه.

٢٥: وأكثر من القتل وتكلم بتجبر عظيم.

٢٦: فكانت مناحة عظيمة في إسرائيل في كل أرضهم.

٢٧: وانتحب الرؤساء والشيوخ وخارت العذارى والفتيان وتغير جمال النساء.

٢٨: وكل عروس اتخذت مرثاة والجالسة في الحجلة[٣١] عقدت مناحة.

٢٩: فارتجّت الأرض على سكانها وجميع آل يعقوب لبسوا الخزي.

٣٠: وبعد سنتين من الأيام أرسل الملك جامع الضرائب إلى مدن يهوذا، فوفد على أورشليم في جيش كثيف.

٣١: وخاطبهم خطاب سلام مكراً فوثقوا به.

٣٢: ثم هجم على المدينة فجأة وضربها ضربة عظيمة وأهلك شعباً كثيراً من إسرائيل.

٣٣: وسلب غنائم المدينة وأحرقها بالنار وهدم بيوتها وأسوارها من حولها.

٣٤ : وسبوا النساء والأولاد واستولوا على المواشي.

٣٥: وبنوا على مدينة داود سوراً عظيماً متيناً وبروجاً حصينة فصارت قلعة لهم.

٣٦: وجعلوا هناك أمة أثيمة، رجالاً منافقين فتحصّنوا فيها ووضعوا فيها السلاح والطعام وجمعوا غنائم أورشليم.

٣٧ : ووضعوها هناك فصاروا لهم شركاً مهلكاً.

٣٨ : وكان ذلك مكمناً للمقدس وشيطاناً خبيثاً لإسرائيل على الدوام.

٣٩ : فسفكوا الدم الزكي حول المقدس ونجسوا المقدس.

٤٠ : فهرب أهل أورشليم بسببهم، فأمست مسكن غرباء وصارت غريبة للمولودين فيها، وأبناؤها هجروها.

٤١ : ورُدّ مقدسها خراباً كالقفر، وحولت أعيادها مناحة وسبوتها[٣٢] عاراً وعزّها اضمحلالاً.

٤٢ : وعلى قدر مجدها كثر هوانها، ورفعتها آلت إلى مناحة.

٤٣ : وكتب الملك أنطيوكس إلى مملكته كلها، بأن يكونوا جميعهم شعباً واحداً ويتركوا كل واحد سننه.

٤٤ : فأذعنت الأمم بأسرها لكلام الملك.

٤٥ : وكثيرون من إسرائيل ارتضوا دينه وذبحوا للأصنام ودنّسوا السبت.

٤٦ : وأنفذ الملك كتباً بأيدي رسل إلى أورشليم ومدن يهوذا، أن يتبعوا سنن الأجانب في الأرض.

٤٧ : ويمتنعوا عن المحرقات والذبيحة والسكيب في المقدس.

٤٨ : ويدنسوا السبوت والأعياد.

٤٩: وينجّسوا المقادس والقديسين.

٥٠: ويبتنوا مذابح وهياكل ومعابد للأصنام، ويذبحوا الخنازير[٣٣] والحيوانات النجسة.

٥١: ويتركوا بنيهم قُلفاً (غير مختونين) يوسخون نفوسهم بكل نجاسة ورجس، حتى ينسوا الشريعة ويغيروا جميع الأحكام.

٥٢: ومن لا يعمل بمقتضى كلام الملك يقتل.

٥٣: وكتب بمثل هذا الكلام كله إلى مملكته بأسرها وأقام رقباء على جميع الشعب.

٥٤: وأمر مدائن يهوذا بأن يذبحوا في كل مدينة.

٥٥: فانضمّ إليهم كثيرون من الشعب، كل من نبذ الشريعة، فصنعوا الشر في الأرض.

٥٦: ولجأ بنو إسرائيل إلى المخابئ في كل موضع فرّوا إليه.

٥٧: وفي اليوم الخامس عشر من كسلو[٣٤] في السنة المئة والخامسة والأربعين، بنوا رجاسة الخراب على المذبح وبنوا مذابح في مدن يهوذا من كل ناحية.

٥٨: وكانوا يتوافدون على أبواب البيوت وفي الساحات.

٥٩: وما وجدوه من أسفار الشريعة مزّقوه وأحرقوه بالنار.

٦٠: وكل من وجد عنده سفر من العهد، أو اتبع الشريعة فإنه مقتول بأمر الملك.

٦١: هكذا كانوا يفعلون بسطوتهم في إسرائيل بالذين يصادفونهم في المدن شهراً فشهراً.

٦٢: وفي اليوم الخامس والعشرين من الشهر ذبحوا على مذبح الأصنام الذي فوق المذبح.

٦٣: والنساء اللواتي ختنّ أولادهنّ قتلوهن بمقتضى الأمر.

٦٤: وعلّقوا الأطفال في أعناقهنّ ونهبوا بيوتهنّ وقتلوا الذين ختنوهم.

٦٥: وأن كثيرين في إسرائيل عزموا وصمّموا في أنفسهم على أن لا يأكلوا نجساً واختاروا الموت لئلا يتنجسوا بالأطعمة.

٦٦: ولا يدنسوا العهد المقدس فماتوا.

٦٧: وكان على إسرائيل غضبٌ شديد جداً.

هذا هو بإيجاز شديد الجزء التمهيدي الذي تضمنه سفر المكابيّين، ويروي فيه كاتب السفر قصة الاحتلال الروماني لليمن.

تحليل النص

طبقاً لما ورد في هذا النصّ، فقد تعرضت أرض يهوذا (أي مملكة حمير) لهجوم روماني كاسح نحو عام ١٦٤ – ١٦٣ ق.م من التاريخ الارتجالي الذي وضعه اللاهوتيون (والصحيح نحو ٢٧ ق.م). وهذا ما مكّنهم من احتلال ميناء عدن والتوغل في أرض تعز (أرض اليهودية) القديمة. ويبدو من قائمة المواضع الواردة في النصّ، أن الرومان أرغموا كثيراً من يهود اليمن على اعتناق ديانتهم الوثنية في مناطق كثيرة، منها حجلة ومدينة داود وأورشليم التي هرب كثيرٌ من سكانها، وفرضوا عليهم تقديم الذبيحة على الطريقة الوثنية (الذبح غير الحلال) وتناول لحم الخنزير، وهو طعام لا يعرفه ولا يستسيغهُ اليمنيون لأنهم يملكون ثروة حيوانية هائلة ومتنوعة (الثيران، الأبقار، الأغنام، الجمال إلخ). وبالطبع، فقد بدا تناول لحم الخنازير كطعام طقوسيّ، أمراً شاذاً وغير مُستساغ، وهو طعام غريب ومجهول ولا يمكن تقبّله لأنه من أطعمة الأجانب، أي من أطعمة الرومان الغزاة الذين سعوا إلى فرض معتقداتهم وطعامهم وتقاليدهم. لقد ناح اليهود اليمنيون على خراب مدينتهم الدينية، وتغيير شريعتهم في مكان يُدعى الحجلة، حسب ما جاء في النص – المقطع ٢٨ –. كذلك عبّروا عن فزعهم من فرض لحم الحنزير بديلاً من أطعمتهم الطيبة. وبالطبع، لا يمكن العثور على موضع يدعى حجلة قرب مدينة داود وقرب أورشليم في فلسطين، كما يصعب؛ بل يستحيل الحصول على أي واقعة في ثقافة شعب فلسطين التاريخية، تفيد أو تلمّح أو تشير عرضاً إلى أن الرومان فرضوا لحم الحنزير كطعام مائدة على أي جماعة قبلية فلسطينية. ويبدو أن هذا

المقطع الوصفي هو الذي أثار حفيظة الكهنة ثم الكنيسة، وبحيث قرروا رفض السفر لعدم تطابق الوصف الجغرافي مع جغرافية القدس[٣٥]. في هذا الوقت، كان إيل شرح يحضب الثاني/ إيلشرح يحضب، هو (القيل) الأكثر نفوذاً والذي سمّى نفسه ملك سبأ وريدان، لكنه واجه تحالفات قبلية معادية في الشمال والجنوب، وكان عليه في الآن ذاته أن يصدّ الرومان ووكلاءهم الأحباش الذين كانوا يشنون الغارات على الساحل. أما مدينة داود التي أقيمت فيها الأسوار وتحولت إلى قلعة حصينة للرومان حسب السفر، فهي التي تعرف اليوم باسم (دود) دود – كما في العبرية 717 في محافظة تعز، مديرية شرعب الرونة، عزلة بني الحسام، قرية سعينة، محلة هوب دود، وهي مدينة قلاع وحصون جبلية حقيقية يمكن مشاهدتها حتى اليوم. وتوجد في مديرية صبر الموادم القريبة من العُدين، قرية تعرف حتى اليوم باسم جبل أدود (جبل دود): محافظة تعز، مديرية صبر الموادم، عزلة الضباب، قرية جبل أدود.

ما يلفت الانتباه في مطلع نص السفر هو الآتي:

إن كاتب السفر كما قلنا في صفحات سابقة، يعتمد التقويم الحميري (فهو يؤرخ للأحداث التي يسجلها بالشهر الحميري كسلو/ كصلو כִּסְלֵו والسنة الحميرية كذلك). وهذا دليل قاطع على أنه ليس مؤرخاً يونانياً؛ إذ من غير المنطقي تخيّل كاهن يوناني يؤرخ بشهر حميري.

هاكم المقطع الذي يؤكد ذلك:

(المقطع ٥٧: وفي اليوم الخامس عشر من كسلو في السنة المئة والخامسة والأربعين بنوا رجاسة الخراب على المذبح وبنوا مذابح في مدن يهوذا من كل ناحية).

إن سارد النصّ الذي يؤرخ للأحداث في شهر كسلو، يفصح عن (هويته) الحقيقية، فهو يستخدم داخل روايته تقويماً يمنياً قديماً. فكسلو/ كصلو/ كصيل هو الشهر اليمني – الآشوري/ العبري (استعاره بنو إسرائيل من الآشوريين، وأصبح من الشهور العبرية اليمنية ويأتي ترتيبه الثالث من السنة العبرية: نح ١: ١ و: زك ٧: ١). وبالطبع لا يوجد في التقويم اليوناني شهر يدعى كسلو/ كصلو، بينما نجده عند اليمنيين والآشوريين فقط. ويؤكد هذا النصّ أيضاً، أن الغزاة بنوا معابد وثنية/ رجاسة. وهذا أمر يجب أن يؤخذ بالاعتبار عند

التحليل، فهو يبيّن هوية سارد النصّ، فعدا عن أن من غير المنطقي تخيّل مؤرخ يوناني يؤرخ لسرديته بشهر عربي – يمني مستعار من الآشوريين؛ فإنه يصف سلوك الرومان الغزاة بـ(الرجس)! وهذا أمر يصعب تقبّله من مؤرخ يوناني، لأنه يتضمن مشاعر معادية لليونانيين الوثنيين أسلاف الرومان. في الواقع، استعار اليمنيون، تحت تأثير النفوذ المتعاظم للإمبراطورية الآشورية في جنوب الجزيرة العربية، التقويم الآشوري والرموز الدينية والنقود، وبحيث أصبح يوم السبت، وهو العطلة الرسمية في الإمبراطورية الآشورية، يوم الراحة الدينية عند اليهود اليمنيين، كذلك استعاروا منهم نجمة عشتار التي أصبحت عند اللاهوتيين المعاصرين (نجمة داود). واستعملوا النقود الآشورية كذلك، فأصبح الشيكل الآشوري – وهو عملة الآشوريين الرسمية – عملة محلية عند قبائل اليمن. واليمنيون القدماء، مثل الآشوريين، تعاملوا بالشيكل بوصفه عملة محلية. ولذا، يبدو تسجيل سارد النصّ للأحداث، واستخدامه التقويم اليمني/ الحميري القديم، وكأنه يكشف عن هويته من خلال وضع سرديته ضمن سياق ثقافي لا صلة له بالثقافة اليونانية، فهو أرخ لروايته بشهر كسلو (الحميري/ العبري). وهذا برأينا أحد الأدلة الثانوية والعرضية، ولكن المهمة للغاية، لأنه يدلّ على أن كاتب النصّ يهودي يمني. وبطبيعة الحال، لا يوجد أي شعب أو جماعة أخرى، تؤرخ بهذا الشهر سوى يهود اليمن (الجنوبيون). ثم استعار هؤلاء مع العصر الروماني، وتعاظم نفوذهم في ساحل عدن والحديدة وحجّة، بعض الشهور من التقويم الروماني. وهكذا، أصبح التقويم العبري، أي التقويم الديني اليمني اليهودي، خليطاً من تأثيرات آشورية ثم رومانية. وأصبحت شهور السنة العبرية هي هذا الخليط الحضاري الثلاثي السبئي/ الآشوري/ الروماني وعلى النحو الآتي:

نِيسَان נִיסָן أول أشهر السنة، تشري– تشرين תִּשְׁרֵי، حِشْوان חֶשְׁוָן، كِسْلِو/ كصلو כִּסְלֵו، طِيبِيت טֵבֵת، شبَاط שְׁבָט، أذار الأَوَّل אֲדָר א׳ (آذار الأول/ مارس الأول)، و אֲדָר בֵ (أدار بِيت: مارس الثاني/ أذار الثاني) إِيَّار אִיָּר (مايو)، سِيوَان[٣٦] סִיוָן (حزيران/ يونيو)، تَمُّوز תַּמּוּז (يوليو) آب אָב (أغسطس/ آب) أيْلُول אֱלוּל.

وهكذا أيضاً، فقد أصبحت بعض هذه الشهور أسماء مدنٍ يمنية مثل: ءدار[٣٧]، وإب[٣٨]، ولول[٣٩]، وسيؤون[٤٠]، وكسلو/ كصلو[٤١]، وطيبة[٤٢]. والمثير للدهشة، أن أسماء هذه المدن هي الأسماء

نفسها في نصوص التوراة/ كأسماء شهور ومدن مثل سيؤون أهم مدن حضرموت[٤٣]. أكثر من ذلك، ثمة ما يدعونا إلى التساؤل عن سبب اعتقاد الحميريين الجنوبيين (اليهود) أن الإسكندر المقدوني كان ملكاً يمنياً، وأن اسمه (ذو القرنين)! هذا يعني أنهم نسبوا الغزو اليوناني لعدن وسوقطرى (سقطرى) إلى تاريخهم وتخيّلوه ملكاً يمنياً، أي أنهم استعاروا من تاريخ أمة أخرى، (ملكاً) ونسبوه إلى قائمة ملوكهم، لأنه غزا أرضهم وأصبح سيّداً فيها وإنْ لوقت قصير. إن فهماً عميقاً ومُتطلباً لسلوك قبيلة صغيرة مثل بني إسرائيل، كانت مجرد جماعة دينية ضمن (التحالف السبئي) الذي هزم المعينيين المصريين، وانتزع منهم كامل أراضي شمال اليمن - وفقط في هذا النطاق من تطور الأحداث - يستدعي فهم سلوك التنْسيب، أي نِسبْة تاريخ أو شخص من أمة إلى أمة أخرى، وبالتالي فهم مغزى تخيّل كلّ شخصيةٍ أو بطلٍ من أمّة أخرى، وكأنه بطلٌ محليٌّ يخصُّ القبيلة. وهذا ما يمكن رؤيته بوضوح من قائمة أنساب ملوك حمير، فهم يجعلون من ذي القرنين (الإسكندر المقدوني) ملكاً يمنياً. وقد تنبّه الإخباري اليمني اليهودي (المسلم تالياً) سعيد بن نشوان الحميري في مؤلفه (نشوة الطرب في أخبار جاهلية العرب) إلى هذا الجانب من المسألة المثارة، فارتأى أن (الإسكندر- المقدوني - لعلوّ همته فقد نسبته كل أمة من الأمم إلى تاريخها)[٤٤].

لقد جعل اليمنيون من الإسكندر المقدوني ملكاً حميرياً وسمّوه بلقبه (ذي القرنين). وهذا هو (البطل الأسطوري) الذي أسهبت آيات القرآن في وصف عظمته، بل إن معظم مفسري القرآن قالوا إن الإسكندر هذا هو نفسه (ذو القرنين نشر الإسلام وأقام العدل)[٤٥]. كل هذا يؤكد لنا أن كاتب النصّ يهودي حميري وليس كاهناً/ فيلسوفاً يونانياً. ولنلاحظ هنا الأمر المهم الآتي: كما استعار اليهود اليمنيون من الآشوريين أسماء الشهور والنقود (الشيكل) والرموز الدينية (نجمة عشتار المُثمنة ثم الخماسية) ويوم العطلة الأسبوعية (السنة السبتيّة/ السبت) فمن المنطقي، أنهم مع الغزو اليوناني القديم ثم الروماني، استعاروا أيضاً بعض أسماء الشهور وأسماء الملوك وحتى الرموز الدينية. لقد تخيّلوا مع البابليين/ الآشوريين ملوكهم الأسطوريين، مثل سليمان في صورة أباطرة، ومع اليونانيين تخيّلوا الإسكندر في الهيئة ذاتها كإمبراطور يمني. وبالفعل؛ فإن صورة سليمان هي صورة إمبراطور في (مملكة عظمى) لا مجرد ملك محلي، وليس ثمة شخصية يمكن أن تصلح موضوعاً مستعاراً لتشكيل

صورة سليمان الخيالية، سوى شخصية الإمبراطور شلمانصر الآشوري؛ ولذا وجدوا فيه الصورة الملائمة (كذلك فإن اسمه في العبرية يطابق اسم سليمان: شلمانو- شلمة: الملك شلمة - سليمان שלמה- وشلمة نصر שלמה נצר شلمنصر، وهذا ما سنعالجه في المؤلفات القادمة بالتفصيل). وسيكون هذا الأمر مفهوماً بعمق، حين نلاحظ أن الكاهن متّه (متّى)، سمّى اثنين من أبنائه باسمين رومانيّين. إن القبائل في التاريخ الإنساني، مهما كانت مكانتها وحالتها، لا تكفّ عموماً عن سلوك المحاكاة الممُنهجة للأمم العظيمة، فتتخيّل انتصاراتها وكأنها انتصارات محلية، أي أنها تحوّل تلقائياً كل بطولة ومجدٍ - وإنْ كان يُنسبُ في الأصل إلى أمةٍ أخرى - إلى بطولة محلية وإلى حدثٍ كأنه من نسيج تاريخها هي.

ما أهمية هذا الجانب من المسألة المثارة حول سفر المكابيين؟

تكمن أهمية هذا الجانب، بكل جلاء في الأمر الآتي: إن سارد السفر يستعير من حروب الرومان ضد فارس، كثيراً من الأحداث لينسبها إلى تاريخ بني إسرائيل. وهذا أمر لا يمكن فهمه بدقة، إلا من خلال فهم سلوك القبائل التي تنسب الأحداث العظيمة التي تخصّ أمماً أخرى إلى تاريخها هي. وكنتُ قد أعطيت مثالاً على ذلك من نصّ نشوان الحميري (نشوة الطرب في أخبار جاهلية العرب) وكيف أن اليمنيين نسبوا الإسكندر المقدوني إلى تاريخهم وصوّروه كملك حميري فقط، (لعلوّ همّته) أي لعظمته. ولذلك، أودّ التنبيه إلى أن سفر المكابيين يتضمن هذا الجانب من التنْسيب، أي أنه يجعل من بعض الأحداث وكأنها وقعت مع بني إسرائيل. إن إلحاح سارد النص مثلاً، على فكرة تدفق الجيوش الرومانية من أنطاكية إلى سواحل اليمن، هو- فضلاً عن كونه ترجمة خاطئة - واستعارة لأحداث حقيقية جرت للرومان، ولكن مع الفرس وليس مع أهل اليمن وفي وقت متأخر، لأن الرومان لم يستولوا على أنطاكية إلا نحو ٦٤-٦٣ ق.م، أي أن ثمة ما يزيد على ١٠٠ عام تفصل بين هاتين الواقعتين، هذا إذا ما سلّمنا بالتاريخ الزائف الذي وضعه اللاهوتيون؛ فإن الزّج باسم أنطاكية في السفر، يؤكد لنا بشكل قاطع، أنه كُتب في وقت متأخر، وأن المترجم خلط بين دور أنطاكية في تجهيز الحملة البيزنطية على فارس في هذا الوقت، وبين حادث قديم في اليمن جرى قبل ما يزيد على مئة عام. وقد تكون الفرضية التالية مفيدة في فهم هذا السلوك: إن مترجم النص اليوناني هو الذي رسم لنا اسم (مسوري) في النص العبري في صورة (سوري - سورية)، وهو الذي حول اسم (نطاق-

نطاك) إلى (أنطاكية). وهذه في الواقع ليست محض فرضية، بل هي أساس من أساسات التحليل اللغوي للنصّ. بكلام آخر، سبّبت الترجمة في قبول القرّاء المسيحيين واليهود لفرضية دور أنطاكية في تجهيز الحملة الرومانية على اليمن، مع أن هناك هوّة زمنية تتعدى ١٠٠ عام!

وهذا ما سأقدّم البراهين الكاملة عنه في هذا الكتاب.

قبل أن أختم هذا التحليل سأتوقف مرة أخرى، لكن بشكل عرضيّ أمام فقرة تخصّ إرغام اليهود على تناول لحم الخنزير خلال الغزو الروماني. (رقم ٥٠: ويبتنوا مذابح وهياكل ومعابد للأصنام، ويذبحوا الخنازير والحيوانات النجسة). إن الشريعة اليهودية ثم المحمدية (الإسلام) تتشددان حيال مسألة تناول لحم الخنزير. وهذا الأمر، طبقاً للآية القرآنية ﴿وحرّمنا عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير﴾[٤٦] لا يمكن فهمه إلا في سياقه الصحيح، ذلك أن القبائل اليمنية وشمال الحجاز كذلك، لا تعرف هذا النوع من الطعام وهو محرّم في اليهودية.

فلماذا ولأي سبب سجل القرآن هذا التحريم، مع أن القبائل العربية وبشكل أخصّ قبائل اليمن، لا تتناول لحم الخنزير مع وجود ثروة حيوانية عظيمة مؤلفة من الثيران والأبقار والإبل والأغنام؟ إن فهماً صحيحاً لهذه الآية يستدعي ربطها بالغزو الروماني في هذا العصر، حين فرض الرومان على اليهود تناول ما كانوا يعتبرونه حراماً. قبل هذا العصر، ليس لدينا أي وثيقة أو مادة تاريخية أو لغوية أو شعرية تؤكد أن اليمنيين (وعرب الحجاز) عرفوا تناول لحم الخنزير. هذا الطعام فرضه الرومان الغزاة بالقوة الغاشمة، لتغيير الأنماط الثقافية والروحية في مجتمع محتل. وهذا هو مغزى تسجيل النص القرآني لقصة تحريم لحم الخنزير. في الواقع، كانت قبائل اليمن تأنف من تناول لحوم حيوانات كثيرة، كانت محرّمة لأسباب متنوعة دينية وطقوسية، ولأنها كانت تمتلك ثروة هائلة من اللحوم الطيبة التي تصلح كمحرّقات نذورية مقدّسة، فقد تشددت عقائد اليمنيين الدينية كلها تقريباً حيال هذه المسألة. وبلغ التعفف عن ذبح بعض أنواع الحيوانات وتناول لحومها حدوده القصوى، حين حرّمت الشريعة اليهودية تناول لحوم الإبل[٤٧]. لقد فرض الرومان في هذا العصر على يهود اليمن تناول لحم الخنزير، وهذا وحده ما يفسّر لنا سرّ التحريم القرآني (إذْ لا توجد في الواقع تقاليد في شمال الجزيرة في أي وقت من التاريخ لها صلة بتناول لحم الخنزير).

لكن هذه المسألة ترتبط بأمر آخر، قد لا يلفت انتباه القرّاء، ففي نص لسترابون، نلاحظ أن إيغالوس اصطحب أثناء محاولته الفرار من اليمن نحو ٥٠٠ يهودي؟ لماذا؟ هل كان هؤلاء عملاء للرومان، أم لأنهم من اليهود المرتدين عن اليهودية؟

هنا نص سترابون حرفياً:

«وكان بين هؤلاء الأخيرين ٥٠٠ يهودي، و١٠٠٠ من النباطيين كان يقودهم سيليوس/ صيليوس. وبعد معاناة مريرة، وشظف وحرمان وصل غالوس في اليوم الخامس عشر إلى لوكوس كوموس، وهي مركز تجاري كبير في أرض النباطة»[٤٨].

والسؤال المثير الذي يجب طرحه هنا: هل قام الرومان بعد فشل الغزو، بمحاولة شق صفوف اليهودية من خلال (خلق) جماعة يهودية مرتدّة، تنقضُ شرائع اليهود في تناول لحم الخنزير والامتناع عن الختان، ثم تتبلور في صورة (دين مسيحي)؟

بفضل فرضية من هذا النوع، يمكننا أن نطرح إمكانية رؤية تلفيق روماني (للمسيحية) ولشخصية المسيح؟ لكنني لاعتبارات تقنية تتصل باستراتيجيات تحليل نص سفر المكابيين، سأترك أمر معالجة هذه المسألة إلى المجلد الخاص بالأناجيل. هناك، سيكون لدّي – ولدى القارئ– مساحة أفضل للتأمل العميق بالتفاصيل. ساكتفي هنا بإثارة فكرة أن الرومان مزّقوا اليهودية اليمنية وتلاعبوا بها، وهمْ من شقّ صفوفها وخلقوا المسيحية الرسولية، عبر تعطيل الختان وفرض شرعة تناول اللحم المحرّم (الخنزير). وهذا ما سأكشف عنه في هذا الكتاب، تاركاً التفاصيل لمجلد آخر (مجلد الأناجيل).

الحسّيديون يلتحقون بالتمرّد

يبتدئ الإصحاح الثاني، بالجملة الآتية التي ترسم صور الأشخاص الذين شاركوا في الأحداث ومواطنهم التاريخية:

(في تلك الأيام خرج من أورشليم، متته/ متّى[٤٩] מתתי بن يوحنا بن سمعان، كاهن من بني يريب وسكن في مدين).

قبل تحليل مواد هذا الإصحاح وعرضها، سألفت انتباه القرّاء مرة أخرى إلى أن اسم الكاهن هو (متته – متّه/ متّى : التاء الزائدة هي حرف تضعيف صوتي: أي علامة شدّة)، وهو ذاته تقريباً اسم والد يوسفيوس المؤرخ المزعوم وكاتب الملحمة/ السفر (متنيا– بحذف النون اللاصقة وسط الاسم). لغوياً، يبدو لي أن الحركات الإعرابية في اللغة العربية مثل: الفتحة، الضمّة، الشدّة، التنوين، هي في الأصل حروف مكرّرة جرت الاستعاضة عنها وإسقاطها، بوضع علامة بديلة، مثلاً: بديل التاء المضعفة: شدّة، وبديل النون مصرن، فتحتان فوق الألف: مصراً، وبديل النون: ألف ولام: عدنن: العدن، عربن: العرب، قحطن: القحط... إلخ. فماذا تعني هذه المصادفة؟ هل ثمة صلة قرابة من نوع ما، بين يوسفيوس (يوسف) والكاهن؟ كنا قد رأينا من رواية الطبري وابن خلدون[٥٠]، أن اسم يوسفيوس الحقيقي هو (يوسف بن كربون). ولمّا كانت مصادر الطبري في الأصل مصادر فارسية، لغياب أي مصدر عربي في هذا العصر، فهذا يعني أن الاسم هو يوسف وليس يوسفيوس، وهو يؤكد في (الآثار)[٥١] أن هذا الكاهن كان من أتباع فرقة يهودية تُعرف باسم الفريسيين[٥٢].

انقسم اليهود خلال عصر الغزو الروماني إلى ثلاث فرق هي، الفريسيون، الصدوقيّون، والأسينيون[٥٣]؛ والأخيرون هم الذين يعرفون اليوم باسم الحسيديم/ الحسيديون[٥٤]، وكانت بين الصدوقيين والفريسيين عداوة شديدة. يلاحظ يوسفيوس أن يوحنا حفيد سمعان بن الكاهن متنيا، أصبح صدّوقياً واعتنق مذهبهم بعدما كان فريسيّاً. ومن الواضح أن انقسام اليهود في الموقف من الغزو الروماني، له صلة بالانقسام المذهبي في اليهودية. هذا التفصيل الضروري يتجاهله سفر المكابيين، لكن تاريخ يوسفيوس يقدّم لنا تصوّراً ديناميكياً لحالة اليهود كجماعة دينية خلال الغزو، ذلك أن الصراع بين كهنة أورشليم كان يدور داخل هذا السياق من الانقسام المذهبي.

ليس دون معنى، أن تاريخ المسيحية يرتبط بفرقتين متصارعتين: (الفريسيون) و(الصدّوقيون). هذا الإطار العمومي الذي يمهّد لتحليل النصّ، يعطينا فكرة جذابة للغاية عن حقائق التاريخ المُتلاعب به، فالانقسام اليهودي المذهبي خلال الغزو الروماني، يبدو لنا كانقسام قبلي، وهذا أمر حاسم لجهة تحديد عصر النص وهويّته ومسرحه الجغرافي، إذْ لا يمكن العثور على أي دلائل لوجود مثل هذا الانقسام في تاريخ قبائل فلسطين. يبقى أن

أشير إلى أنّ يوسفيوس المزعوم، صاحب كتاب كتبه الكهنة اليهود، وبحسب النصّ العبري الذي راجعته بدقة، يضيف تفصيلاً مهماً يخصّ اسم هذا الكاهن، فهو (متنيا بن يوحنان الكاهن المكابي من بني حشمناي)[٥٥]. لكن الأهم من ذلك، أن يوسفيوس يرسم اسمه في هذه الصورة: (متنيا/ متنياوس). لقد رسمه في صورتين: عربية ويونانية، فهو متنيا وهو متنياوس في الآن ذاته.

وهذا دليل آخر على أن المترجم هو من تلاعب بالنص الأصلي، ذلك أن الاسم هو (متنيا) وليس متنياوس. كما يُفهم من الجملة الافتتاحية في الإصحاح، أن الكاهن متنه/ متّى هو من كهنة بني اليريب، وأنه غادر أورشليم بعد أن دنسّها الرومان. بعد ذلك أقام في مكان يدعى مدين. وهذا يعني، أنه غادر عُزْلة من عُزْلات ما يعرف اليوم بمديرية العُدين، واتجه صوب الموطن القديم الذي جاء منه وهو عُزْلة يريب الجبلية، ثم قرية مدين. والعُزْلة في التعبير الجغرافي اليمني، هي المنطقة التي تقع بين سلسلة جبال ووديان. هاكم أولاً اسم العزلة الجبلية التي جاء منها اسم الكاهن من بني يريب: محافظة إب، مديرية يريم، عزلة أرياب (يريب). إن يريم المديرية التي تضمّ عزلة يريب، دعيت تالياً باسم ظفار وكانت عاصمة الحميريين. أما قريته، فتدعى حتى اليوم بالاسم نفسه في العزلة نفسها: محافظة إب، مديرية يريم، عزلة أرياب، قرية مدين. ويريم كما هو معروف من المناطق الشهيرة بالآثار الحميرية، وعثر فيها على عدد هائل من اللُّقي واللوحات والتماثيل والنصوص العبرية. ها هنا القرية والقبيلة (العُزْلة الجبلية والقرية. وحتى اليوم توجد شواهد وآثار عبرية غاية في الأهمية، وقد تسنى لي رؤية بعضها مباشرةً خلال زياراتي المتكرّرة لصنعاء. وألفت الانتباه هنا إلى اسم العُزْلة التي وصلها الكاهن، فهي تدعى عزلة قصل - كسل، واليمنيون ينطقون القاف كافاً. وهذا هو اسم الشهر الحميري - العبري أو المعبود اليمني القديم: كسلو/ كسل- كصلو بالتفخيم والمدّ). فهل دون معنى، أن يؤرخ سارد السفر روايته كما فعل يوسفيوس، باسم هذا الشهر، وهو اسم لا يزال موجوداً هناك كشاهد على عبادة وثنية قديمة تخصّ إله الراحة: عبادة كسل - كسيل؟ يبدو لي أن هذا المعبود بدلالات اسمه، يرتبط بشعيرة دينية هي (استراحة الرّب في اليوم السابع) أي أنه يوم الراحة (الكسل)؟ لكن لماذا غادر الكاهنُ أورشليم إلى مدين - مدان، لا إلى أيّ مكان آخر؟

لمّا كان النص يؤكد أنه كان من كهنة بني يريب - ءرياب[٥٦]، فهذا يعني أنه عاد إلى القرية التي جاء منها، وهذا ما سيتّضح لنا بدقة عندما نعلم أن يريب - ءرياب، أصبحت اسماً لقبيلة ومكان في المديرية ذاتها، ولكن في عُزْلة جبلية أخرى، واليوم نجدها بالاسم نفسه هناك: محافظة إب، مديرية العدين، عزلة الوادي، قرية المكاربة، محلة مريب. وهنا يتعيّن علينا أن نرى الرابط الدلالي بين اسم الحاكم/ الكاهن متته زعيم (قيل) قبيلة بني يريب، وبين اسم القرية: المكاربة. ويبدو أن للاسم (يريب) مكانة قدسية في التراث اليمني، فنحن نجد صيغة منه في المديرية المجاورة، فقد كان الاسم التاريخي لما يعرف اليوم بمديرية خدير المجاورة لمديرية العُدين هو مريب، ذلك أنها تدعى في سفر الخروج باسم (مياه مريبة)[٥٧]. وكنتُ قد أشرتُ مراراً في مؤلفاتي إلى الفرضية اللغوية الآتية: كل اسم جغرافي مذكر في التوراة نجده في جغرافية اليمن في صيغة مؤنث، والعكس صحيح، مثال: مريب/ مريبة.

ومديرة خَدِيرْ التي دُعيت باسم مريب - بفتح الخاء المعجمة وكسر الدال المهملة ثم ياء مثناة ثم راء ساكنة - هي إحدى مديريات محافظة تعز، ومركزها الإداري مدينة الدمنة، وتقع جنوب شرق مدينة تعز على بعد ٤٢ كيلومتراً، وقد أشار إليها الهمداني في كتابه «صفة جزيرة العرب». وفي إشارته إلى عدد من المواضع التاريخية في هذه المديرية، يلفت الهمداني انتباهنا إلى أنها تحمل أسماء رومانية، منها مثلاً: خربة «سلوق»[٥٨]، وكانت بحسب الهمداني مدينة عظيمة فيها أنواع من المعادن مثل الحديد والفضة والذهب، كذلك فإنها عرفت بجودة صناعاتها من الحلي وبأنها كانت مكاناً لسكّ النقود. والسؤال المحيّر في هذا النطاق هو الآتي: تُرى من أين استعار اليمنيون اسم (سلوق) الروماني الذي يرتبط بالعصر السلوقي في روما، خلال حقبة الانتقال من الإمبراطورية الغربية إلى الشرقية؟ إن وجود اسم مدينة تشتهر بسكّ النقود والذهب في اليمن، وتعرف باسم روماني (سلوق) ليس محض مصادفة لغوية، ففي هذا العصر ظهرت المدينة التي اتخذ منها الرومان مركزاً مهماً من مراكز جمع الذهب من اليمن. وسنفهم معنى هذه الجملة التي وردت في سفر المكابيين، فقط حين نعود إلى كتاب الهمداني، ونقوم بمطابقتها مع قرار أحد الملوك المعادين للكهنة بعد معاهدة الصلح، بأن يسمح لهم بسكّ النقود. وليس ثمة مكان في اليمن سوى هذا المكان (سلوق) كانت النقود تسكّ فيه في هذا العصر. واسم سلوق سنراه في سفر المكابيين، وقد ظهر بقوة خلال صراع

يهوذا المكابي. هذا يعني بكل يقين، أن أحداث السفر دارت في مديرية العُدين بمحافظة إب، وامتدت حتى أرض اليهودية – تعز – وأن الملوك (الحكام/ الكهنة) الموالين للرومان في مختلف مناطق اليمن، والمتحالفين ضد الحكام/ الكهنة في أورشليم، لم يكونوا ملوكاً رومانيين حقيقة، بل من غير المنطقي تخيّل إمبراطورية عظمى مثل الإمبراطورية الرومانية، وهي ترسل (عدة ملوك) من ملوكها لقتال كهنة أورشليم. بصدد هذه النقطة المتعلقة باسم (سلوق) وكما يرتئي الهمداني، فقد نسب العرب القدماء إلى سلوق، ما يعرف بالدروع السلوقية[٥٩]. وما يدهشنا أكثر في جغرافية هذه المناطق، أننا يمكن أن نعثر فيها على شواهد لغوية – ثقافية أخرى، تؤكد بقوة وجود (تاريخ روماني قديم) مسكوت عنه. ففي مديرية فرع العدين، وضمن عزلة الوزيرة وفي قرية بجيل، سنجد موضعاً قديماً يعرف باسم محلة عدن الروم، كذلك نجد موضعاً آخر في المديرية نفسها، ولكن ضمن عزلة جبلية أخرى هي عزلة بني أحمد والثلث، وتحديداً في قرية مصينعة يدعى محلة الرومية. ونجد في المديرية المجاورة مديرية حزم العدين، وضمن عزلة الأجعوم، وفي قرية خبات موضعاً باسم روماني هو محلة المانيوس.

ومن المهم للغاية أن نعلم أن يهود اليمن في هذه المناطق يتكلمون العربية لغةً دائمة، والعبرية لغةً دينية، وما يميّزهم في استخدام العبرية عن سائر اليهود في العالم، أنهم ينطقونها بإضافة الحروف العربية، مثل الثاء والجيم والطاء والظاء والصاد والضاد والذال والغين، وكذلك بإضافة نقط للحروف العبرية. وليس هناك أي جماعة يهودية في العالم كله تنطق هذه الحروف إلا يهود اليمن. وحين يتسنى لنا أن نستمع إليهم وهم يتكلمون العبرية، سنشعر بأنهم يتحدثون اللغة العربية نفسها، ولكن بلهجة محلية. أي بنوع من التصويت اللغويّ الخاص بلهجات القبائل لا أكثر من ذلك. وما يدهشنا أكثر، أنهم يتميّزون بجمال تلاوتهم للتوراة من حيث النطق السليم للحروف العبرية واللحن اليمني. وهم حتى اليوم يقرأون التوراة بالعبرية والآرامية والعربية وباستخدام الحروف العربية. كل هذا يعني أننا نتحدث عن بيئة ثقافية – روحية، لا عن مجرد تشابه في أسماء المواضع.

يضيف النص مباشرة بعد الجملة الافتتاحية ما يأتي:

وكان له - أي الكاهن متته/ متّى - خمسة بنين هم: يوحنا الملقب بكديس (أي باقديس) وسمعان المسمّى بطيشي، ويهوذا الملقب بالمكابي، والعازار الملقب بـ (أروان) ويوناتان الملقب بافوس، وهذا لقب يوناني نموذجي. فلماذا سمّى الكاهن أولاده بأسماء/ ألقاب رومانية؟ يعطي يوسفيوس في تاريخه (الآثار)[٦٠] تبريراً طريفاً لهذا الميل عند الكهنة اليهود بإطلاق أسماء رومانية على أولادهم، فعندما صُرع الكاهن سمعان ابن الكاهن متته/ متّى على يد صهره - كما سنرى ذلك من استعراض سفر المكابيين - كان يُدعى باسم (هركانوس). يقول يوسفيوس إن سمعان قتل جندياً رومانياً يُدعى هركانوس (رجلاً جباراً) فأطلق والده متته عليه لقب (هركانوس) تيمّناً بالواقعة البطولية. وسنرى تالياً أن أحد الملوك (الحكام/ الكهنة) الصغار، وكان من أشدّ أعداء كهنة أورشليم، يدعى بكديس أيضاً (باقديس - إب القديس). وإذا ما سرنا في أورشليم القديمة، فسنجد هذه الأسماء في صورة أسماء مواضع،لا تزال تدلّ على الأحداث التي جرت هنا، ففي مديرية العدين، عزلة عردن، قرية الزرة، سنجد موضعاً باسم: محلة القداسي (كداسي - كداشي في طريقة نطق سكان محافظة إب). كذلك نجده في المديرية المجاورة مديرية حزم العدين، ضمن عُزْلة الأسلوم، في صورة اسم قرية تدعى قرية المكداشة/ المقداسة. وفي المديرية ذاتها مديرية حزم العدين، وضمن العزلة نفسها عزلة الشعاور، قرية بني سعيد، سنعثر على اسم موضع يدلّ على اللقب، فها هنا محلة الكدشة (القدسة)، وإلى الجوار منها في مديرية فرع العدين، وضمن عزلة بني أحمد والثلث وفي قرية عرعرة سنجد محلة الكدشي/ القدسي. وفي المكان نفسه هناك موضع آخر يحمل اللقب ذاته: مديرية فرع العدين، عزلة بني أحمد والثلث، قرية مصينعة، محلة الأكدش/ الأقدس.

هذا كله يعني أن اللقب كديس/ قديس، ظهر في البيئة الروحية والثقافية - اللغوية لليمن القديم ولا يزال مستمراً. وهذا هو الأساس الذي انبنت عليه المسيحية الأولى في اليمن، فقد كان هناك لقبٌ روحيٌّ هو (قديس).أما لقب الابن الثاني: بطيشي، اسم النسبة من بطيش، فسنجده في المحافظة نفسها، إب، مديرية القفر، عزلة مدحجين، قرية مدحج/ مذحج السافل، محلة بطيش؛ بينما نجد اسم يهوذا المقبي - المكبي في اسم موضع آخر هنا: مديرية العدين، عزلة جبل بحري، قرية المثاير، محلة المقبن. أما اسم الابن الرابع أروان، فنجده في

صورته هذه في محافظة إب، مديرية مذيخرة، عزلة الأشعوب، قرية الشخص محلة أروان. فهل هي محض مصادفة لغوية وحسب، أن اسم الكاهن وأسماء أولاده لا تزال اليوم في مكان واحد، شهد معارك المقبين/ المكابين؟

لقد ترك لنا الحاكم/ الكاهن (المحلي) وأولاده، أسماءهم في مواضع كثيرة في هذه الرقعة الجغرافية الصغيرة من محافظة إب. فلماذا لا نعثر على مصادفة مماثلة في جغرافية فلسطين؟ سأقوم هنا، ومرة أخرى، بتفكيك نصّ السفر إلى مقاطع لتسهيل الأمر على القرّاء من غير ذوي الاختصاص. نقرأ في هذا الإصحاح ما يأتي:

١ : ولما رأى – الكاهن متّى – ما يُصنع من المُنكرات في يهوذا وأورشليم.

٢ : قال ويلٌ لي، لمَ ولدتُ فأنظر حطام شعبي وحطام المدينة المقدّسة، وأمكثُ هاهنا أراها مُسلّمة إلى أيدي الأعداء.

٣: وأرى المقدّس في أيدي الأجانب وهيكلها كرجل ذليل، وقد أُخذت آنية مجدها في السبي وقُتل أطفالها في الساحات وفتيانها بسيف العدو.

٤ : ومزّق متته/ متّى، وبنوه ثيابهم وتحزّموا بالمسوح وناحوا مناحة شديدة، وأن الذين أرسلهم الملك ليجبروا الناس على الارتداد، قدموا إلى مدينة مودين ليذبحوا، فأقبل عليهم كثيرين من إسرائيل واجتمع متته/ متّى وبنوه.

٥ : فأجاب رسل الملك وكلموا متته/ متّى قائلين:

أنت رئيسٌ في هذه المدينة، شريفٌ عظيمٌ معزّز بالبنين والأخوة، فالآن ابدأ أنت وتقدم لإمضاء أمر الملك كما فعلت الأمم (القبائل) كلها، ورجال يهوذا ومن بقي في أورشليم، فتكون أنت وأهل بيتك من أصدقاء الملك، وتكرّم أنت وبنوك بالذهب والفضة والهدايا الكثيرة.

٦ : فأجاب متته/ متّى بصوت عظيم وقال، إنه وإنْ أطاعت للملك كل الأمم (القبائل) التي في دار ملكه، وارتدّ كل أحد عن دين آبائه ورضي بأوامره، فأنا وبنيّي وأخوتي، نسلك في

عهد آبائنا، فحاشا لنا أن نترك الشريعة والأحكام، إنّا لن نسمع لكلام الملك فنحيد عن ديننا يمنة أو يسرة[٦١].

٧: ولما فرغ من هذا الكلام أقبل رجل يهودي على عيون الجميع، ليذبح على المذبح الذي في مودين على مقتضى أمر الملك.

تحليل النصّ

قبل كل شيء يجب أن يحيلنا قول الكاهن الأعظم متّى «فأنا وبنيّي وأخوتي، نسلك في عهد آبائنا، فحاشا لنا أن نترك الشريعة والأحكام، إنّا لن نسمع لكلام الملك فنحيد عن ديننا يمنة أو يسرة» على الحديث الشائع في التراث الإسلامي عن النبيّ محمّد «والله لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر حتى يظهره الله». وبعد ذلك يهاجر نحو يثرب. إنه لأمر مثير حقاً رؤية هذا النوع من التماثلات، مثلاً، يُفهم من هذا النص أنّ الكاهن وأولاده هاجروا، وغادروا المدينة الدينية أورشليم إثر احتلالها وتخريبها، فوصلوا إلى قريتهم مدان (أو مودين). ويبدو أن مترجمي النصّ العبري لم ينتبهوا إلى أنهم قدموا رسمين مختلفين لمكان واحد، فمرة يرسمون الاسم في صورة مدين، ومرة أخرى في صورة مودين (ما يعرف اليوم بمديرية العُدين وبوجه التحديد في العزلة الجبلية التي لجأ إليها – عُزْلة الغضيبة، قرية الربع العالي، محلة العارضة والمدان). وكان أكثر ما أثار فزعه أنه وجد اليهود هناك وقد اعتنقوا الوثنية (ارتدّوا عن اليهودية)، حتى أن أحد اليهود قام أمامه بتقديم الذبيحة المقدّسة على المذبح، وفقاً للطريقة الوثنية في ما يشبه التحدي، كما زعم أمامه، أن من الأجدى له أن يوافق على مطالب الوثنيين. وهذه الواقعة يؤكدها يوسفيوس[٦٢] في تاريخه. أي إنها واقعة متطابقة.

فلما رأى ذلك، ارتعش جسده واستشاط غضباً. وكما يقول النص حرفياً: «فوثب عليه وقتله على المذبح. وفي ذلك الوقت قتل أيضاً رجل الملك – رسول الملك – الذي كان يجبر على الذبح وهدم المذبح». إثر هذه الحادثة، لم يبقَ أمام الكاهن وأولاده، سوى أن يهربوا ويختبئوا في الجبال «ليسكنوا هناك هم وبنوهم ونساؤهم ومواشيهم لان الشرور

كثرت عليهم: ٣٠». وهكذا، وصلت الأخبار من أورشليم ومدينة داود «بأن رجالاً من الناقضين لأمر الملك قد نزلوا واختبأوا في البرية فجرى كثيرون في أعقابهم: ٣١» فنُظّمت حملة لملاحقتهم.

وفي هذا الوقت ثار اليهود في وادي حسيد:

«وحينئذ اجتمعت إليهم جماعة الحسيديين ذوي البأس في إسرائيل، وكل من انتدب للشريعة».

كنتُ قد سجلت في صفحات سابقة، أن يوسفيوس ارتأى من خلال روايته لتاريخ الصراع مع الرومان، أن هذا العصر كان عصر ثلاثة مذاهب داخل اليهودية: الحسيديون، الفريسيون، الصّديقيون. ولمّا كان الكاهن متنيا من فرقة الصدّوقيين، وكان على خلاف مع الفريسيين والحسيديين، فقد وجد في انحياز الحسيديين وانضمامهم إلى مقاومة الغزو الروماني حدثاً غير مسبوق، ولذا رحب بوجودهم ضمن جماعات مقاومة الاحتلال. برأيي أن هذه المذاهب نشأت في ثلاث مقاطعات يهودية متصارعة.

إن فرقة الصدّوقيين تنتمي إلى مذهب الكاهن بن صدقية وهو كاهن أورشليم الذي ورث تقاليد آبائه (سلالة صدقيّا). وكنا قد رأينا في الكتاب السابق، أنه ارتدى قناعاً من قرنين خلال احتفال سنوي[٦٣]. وهؤلاء الكهنة هم جامعو الضرائب الدينية (الصداق ومنها جاء مصطلح صدوقيين/ جامعو الزكاة) أي رجال الدين الذين يتكفلون بجمع الضرائب الدينية من اليهود وتوزيعها، وهم كانوا – بطبيعة الحال – موضع شبهة باستمرار بأنهم يتلاعبون بالأموال. أمّا الفريسيون، فهم أتباع ما يعرف بمذهب الفراسة أي الذين يتتبّعون الأثر، وهؤلاء في الأصل، فقهاء يتبعون أثر كل قول ونص، وهم (يتفرسون أي متفقهون) فيه، يُمعنون النظر في كل نص وتشريع، ولذلك فهم متشددون في التأويل. وهؤلاء هم (التلموديون/ الفقهاء). وكلمة (تلمود تعني بالعبرية تلميذ، أي أن كتاب التلمود هو كتاب الطلاب الذين يدرسون الشريعة اليهودية). أمّا الحسيديون فهم الجماعات الأكثر راديكالية (الأكثر تشدّداً). والحسيديون نسبة إلى وادي حسيد في محافظة إب، مديرية فرع العدين، عزلة العاقبة، حيث توجد حتى اليوم قرية ووادٍ بالاسم نفسه: قرية حسيد (لنلاحظ مرة أخرى أن اسم القرية العاقبة، وهؤلاء

هم اليعاقبة في التراث المسيحي، أي الجماعة الأكثر راديكالية في المسيحية الأولى). لقد كان هؤلاء هم اليعاقبة في مسيحية ما قبل الصراع مع اليهودية، وقد افترقوا عن اليهودية الرسمية على خلفية صراع مذهبي، بدوا خلاله كفرقة متشددة (راديكالية/ جذريّة). بدأت الثورة بقيادة الحاكم/ الكاهن وأولاده ضد الحكام/ الكهنة (الأقيال) المتأغرقين، أي ممن أصبحوا مواطنين رومان بالولاء. لكن بحلول عام ٣٧ في التقويم الحميري، وقبيل وفاته بقليل أوصى الحاكم/ الكاهن متته/ متّى أولاده وأتباعه، بمواصلة الثورة والدفاع عن الشريعة اليهودية، قائلاً: «هوذا سمعان – الملقب بالقديس أخوكم، إني أعلمُ أنهُ رجل مشورةٍ فاسمعوا منه كلّ الأيام، وليكنْ لكم أباً، ويهوذا المكابيّ الشديد البأس منذ صباه هو يكون لكم رئيس الجيش ويتولى قتال القبائل : ٦٥ – ٦٦». من المؤكد، أن الحاكم/ الكاهن، طبقاً لنصّ وصيته، ظل ملتزماً نظام (البكر السبئي). ولذا أوصى بالحكم/ الكهانة لابنه البكر سمعان الملقب (باقديس/ أب القديس). وأوصى بقيادة الفرسان لابنه الثاني (ولي العهد). وهذا ما يطابق حالة إيلشرح يحضب وشقيقه يأزل بين، فهما كانا (من الأقيال) في عهد والدهما، ثم حمل إيلشرح لقب الملك أي الكاهن/ الحاكم المحلي، وأصبح شقيقه وولي عهده مشاركاً في الحكم.

سجال حول نقش (حصن الغراب)

لأجل أن أقوم بتحليل معمّق لهذا الجزء من الإصحاح، فقد تطلّب الأمر مني، بإلحاح، أن أعيد عرض الوقائع التي يسردها السفر من منظور النقوش المسندية، لكن في الآن ذاته، سيفرض عليّ هذا العرض أن أخوض سجالاً ضد ما يعرف عند علماء الآثار بـ(نقش حصن الغراب)[٦٤]، وذلك بسبب وجود نوع من لُبسٍ أو فهمٍ مغلوط وقع فيه قرّاء النقش من العلماء والهواة على حدّ سواء، نجم عنه في خاتمة المطاف، خلق واقعتين متماثلتين في عصرين مختلفين، وهذا أمر يصعب تقبّله. والأمر المقبول من وجهة نظري، أن هناك واقعة واحدة يتحدث عنها النقش، وهي فهمت بطريقة خاطئة، وبحيث وضعت في زمنين مختلفين. ولتوضيح هذا الأمر، وتبسيطه للقرّاء العموميين، سأبدأ من النقطة الآتية :

سجلت النقوش المسندية، ومنها نقش يُعرف باسم *rep epigr*. ٢٦٣٣ واقعة مماثلة

ومطابقة تماماً لما ورد في سفر المكابيين وملحمة يوسفيوس، ولكن عن كاهن يهودي يدعى السميفع أشوع وأولاده. وتزعم هذه القراءة دون أدلة علمية كافية، أن هؤلاء اصطدموا عام ٥٢٤م بالأحباش المسيحيين الموالين للبيزنطيين، وأن الكاهن اضطر إلى الفرار مع أولاده، ثم لجأوا إلى حصن يدعى (حصن الغراب)[٦٥]. هذا الحصن يقع اليوم ضمن نطاق مديرية ماوية بتعز التي عثر فيها على النقش، وسجل فيه الكاهن واقعة تمرّده على الأحباش والرومان. سنلاحظ قبل كل شيء، أن الواقعة التي يتحدث عنها سفر المكابيين وقعت في المكان نفسه والعصر نفسه، لكن الاستشراقيين واللاهوتيين وضعوا زمناً مختلفاً، وبحيث أصبحنا – نحن القرّاء– أمام واقعتين متطابقتين، لكن إحداهما وُضعَت في عصر الغزو الروماني لليمن حسب ما يقول سفر المكابيين، والأخرى وُضعَت في عصر الغزو الحبشي المتأخر ٥٢٤م. والفارق بين الزمنين قد يصل إلى ٦٠٠ عام تقريباً. كل ذلك يؤكد لنا أن الكهنة اليهود في اليمن ساروا على طريق التقاليد القتالية القديمة، وأنهم كانوا الجماعة القائدة في كل الحروب.

والآن سأطرح رأياً ثورياً يعارض كليّاً وبصراحة قراءة علماء الآثار لهذا النقش:

لقد اتضح لي من تحليل الوقائع، أن علماء الآثار افترضوا/ أو لفقوا (تاريخ) النقش من خلال ربطه بالصراع مع الأحباش. ولمّا كان التاريخ الشائع والسائد في كتب التاريخ، يقول إن الغزو الحبشي وقع في هذا الوقت ٥٢٤ ق.م، فقد اعتمدوا من الناحية النظرية والفعلية (تاريخاً افتراضياً) للنقش. في الواقع، لا توجد أي دلائل على أن النقش خضع لفحص الكاربون ١٤ لتحديد زمنه، والاتفاق بين العلماء على زمن النقش جرى اعتباطياً باعتماد فرضية وقوع الغزو الحبشي في هذا الوقت. برأيي، إن تاريخ هذا النقش يعود إلى عام ٣٣ ق.م وليس إلى ٥٢٤ ق.م، والكاهن السميفع أشوع (وهذا مجرد لقب ديني) هو ذاته الكاهن متّى (أشوع تعني الكاهن)، وهو الذي قاتل الرومان والأحباش والقبائل المرتدة عن اليهودية، ثم فرّ وأولاده إلى مودية في تعز، قبل أن يأخذوا طريقهم منها صوب إب المجاورة (نحو مديرية يريم عاصمة الحميريين اليهود). لقد تحصّن هناك هو وأولاده بعد أن عجزوا عن مقاومة الغزاة، وإن يهوذا المكابي، كما قلنا مراراً، هو إيلشرح يحضب الثاني الذي سيتخذ من شقيقه الأصغر شريكاً في الحكم. إن الاسم يهوذا المكابي ليس اسماً

لشخص، بل هو لقب دينيّ سجلته نصوص الكهنة باللغة العبرية، بينما سجلته النصوص السبئية الرسمية باسمه الحقيقي: إيل/ شرح (إيلشرح/ السار في الكتابات اليونانية). تعني كلمة (شرح) السبئية: المنقذ/ المخلص(من الجذر شرح: المخلص، أي واهب الخلاص/ الراحة، ومنها الآية القرآنية: ربّ اشرح لي صدري[٦٦]، أي هبْ لي الراحة/ الخلاص، وهذا هو بالضبط المضمون الدلالي لكلمة يهوذا في العبرية: المخلص). ولأن الحادثة التي يزعم علماء الآثار أنها وقعت عام ٥٢٤ ق.م خلال التصدّي للغزو الحبشي، وقعت مع السميفع وأولاده وهم هربوا وتحصنوا في حصن بمديرية مودية في تعز، وهي ذاتها واقعة هروب الكاهن متّى وأولاده إلى المكان نفسه، كما وردت في سفر المكابيين وملحمة يوسفيوس، فمن غير المنطقي تخيّل أن الحادثة ذاتها تتكرر في عصرين. فهل يعني هذا أن علماء الآثار ارتكبوا خطأً علمياً فاحشاً، حين أرخوا نقش (حصن الغراب) بتاريخ غير حقيقي؟ ما يدعونا إلى الشكّ في قراءة نقش (حصن الغراب) أن اللاهوتيين تجاهلوا تأكيد كاتب النقش أن ابنه يدعى (شرح ب/ إيل: شرح با إيل مثل با قديس). وهذا لقب يتطابق مع اللقب في النقوش السبئية (إيل شرح) وهما معاً قاتلا الغزو الروماني/ الحبشي المزدوج.

في هذا الوقت كان إيل شرح (قيلاً) ولم يكن ملكاً.

هاكم مقتطفاً من نقش حصن الغراب (النقش كاملاً في ملحق الكتاب):

١: السميفع أشوع وولديه شرح با إيل الكامل، ومعد كرب يعفر من بني لهيثع.

٦: كتبوا هذا النقش لتخليد ذكرى معارك شعبهم وناسهم حين اضطروا.

٧: إلى الاحتماء بحصن موّة، وعندما قاموا بإصلاح جدرانه، وبواباته، وخزاناته وطرق دخوله.

٨: وتحصنوا فيه لمواجهة الأحباش حين عادوا من أرض الحبشة بالجيوش إلى أرض حمير.

٩: وقتلوا ملك حمير والأقيال والمعاهر والكهنة.

النص بالحرف اللاتيني:

Text:

1 S^1myf' 's^{2}w' w-bny-hw S^2rḥb'l Ykml w-M'dkrb Y'fr bny Lḥy't | 6 n w-S^1'kln w-S^3krd w-kbwr w-mḥrg S^1yb(n)(ḏ)-Nṣf s^{1}ṭrw ḏn ms^{3}ndn b-'—

7 rn Mwyt k-ṯwb-hw gn't-hw w-ḫlf-hw w-m'glt-hw w-mnqlt-hw

8 k-s^{1}tṣn'w b-hw k-gb'w bn 'rḍ Ḥbs^{2}t w-'s^{1}yw 'ḥbs^{2}n zrf—

9 tn b-'rḍ Ḥmyrm k-hrgw mlk Ḥmyrm w-'qwl-hw 'ḥmrn w-'rḥbn

النص الإنكليزي:

1 S^1myf' 's^{2}w' and his sons fils, S^2rḥb'l Ykml and M'dkrb Y'fr, sons of Lḥy't 6 n, S^1'kln, S^3krd and the kabirs and the governors of S^1ybn ḏ-Nṣf wrote this inscription in the

7 fortress of Mwyt,when they repaired its walls, its gate, its cisterns and its routes of entry

8 when they are fortified in it, when they came back from the land of Abyssinia, and the Abyssinians sent the army

9 to the land of Ḥimyar, when they killed the king of Ḥimyar and his 'qwl, Ḥimyarites and Raḥbanites.

لنلاحظ أن النص السبئي يقول إن الكاهن السميفع وولديه شرح با إيل (شرح-ب إيل/ إيل شرح) ومعد كرب (وهذا اسم وليس لقباً) فرّوا إلى مكان في تعز يُدعى (حصن موّة) خلال المعارك مع الأحباش.

وهذا تأكيد صريح لا لبس فيه أن إيلشرح/ با إيل (مثل با قديس) هو ابن الكاهن الذي قاد المعارك. ولنلاحظ أن النقش يؤكد ما يأتي: كُتب (أرخ) في (سنة أربع وستين مئة *wrḫ-hw ḏ-Ḥltn ḏ-l-'rb'y w-s^{1}ṯ m'tm ḫrftm 10* أي ١٦٤). ولأن الكتابة العبرية والسبئية لا تعرف الفواصل، فالرقم هو ببساطة هكذا: ٤ و٦٠/ ١٠٠ أي ١٦٤. إن أي قراءة نزيهة لهذه الجملة ستقول ما يأتي: إن النص مؤرخ بالتاريخ الحميري ١٦٤، بينما

نرى في النص الإنكليزي أن المترجم جعله هكذا: (أرخ سنة ستمائة وأربع وستين ٦٦٤١٠ *The month of Ḥltn of the six hundred forty.*). والفارق بين القراءتين تصل إلى ٥٠٠ عام. لكل ذلك، أجدد رفضي القاطع للتواريخ المرتجلة اللاهوتية التي وضعها بعض علماء الآثار، وأعُيد التأكيد أن الحدث وقع في السنة الحميرية التي تقابل ٤٩ أو ٤٥ ق.م، وهو العصر الذي بدأ به فيه الأحباش بسلسة غزوات لأرض الجنوب اليمني، لتمهيد السبيل أمام الغزو الروماني ونزولهم في ساحل عدن عام ٣٣ ق.م. فهل هذا التلاعب في توثيق التاريخ ناجم عن مجرد قراءة خاطئة لخط المسند في الأسماء والتواريخ، أم أنه متعمّد؟ إذا قرأنا النص المسندي على أساس أنه كتب عام ١٦٤م، فهذا يعني أنه يتوافق مع التقويم الحميري ٤٩م، وهو التاريخ الحقيقي للغارات الحبشية قبل أن يبدأ الرومان بالغزو المباشر. إنني أدعو بقوة إلى عدم الاستسلام أمام قراءة بعض علماء الآثار للنقوش اليمنية، فهم ارتكبوا أخطاءً فادحة مماثلة للأخطاء التي ارتكبوها في قراءة النقوش والسجلات الآشورية. لماذا أقول ذلك؟ أقول هذا لأن من غير المنطقي تخيل الواقعة نفسها (ثورة الكاهن وأولاده وفرارهم ثم تحصنهم داخل حصن جبلي يدعى موّة) وبكل تفاصيلها الأخرى، وقد وقعت في عصرين مختلفين: مرة عام ٥٢٤ م، ومرة أخرى في ٤٥ ق.م. هو أمر يخرج عن نطاق أي تفكير عقلاني بوقائع التاريخ. كيف يُعقل أن يقع الحادث نفسه بكل تفاصيله في عصرين مختلفين، وبحيث نجد كاهناً يقود مقاومة ضد الأحباش، ثم يفر مع أولاده ويتحصّن في عزلة جبلية مرتين؟ لابد أن ثمة خطأً في قراءة علماء الآثار. برأيي: وقع الخطأ في قراءة التاريخ الحقيقي لنقش حصن الغراب من جانب علماء الآثار، حين افترضوا أن هذا هو الغزو الحبشي الذي وقع عام ٥٢٤م.

هذا هو الالتباس، والصحيح أن هناك واقعة واحدة لا اثنتين، حدثت خلال الغزو الحبشي في السنة الحميرية (١٦٤ - ما يقابل ٤٩ ق.م) وبحيث استمرت الغارات والهجمات حتى وقوع الغزو الروماني عام ٣٣ ق.م. في الواقع، فرّ الكاهن متّى وأولاده (ولقبه في النقوش شميفع أشوع/ أي الشفيع يسوع، بحذف الميم الحميرية: الشفيع النوراني) صوب ماوية في تعز على تخوم محافظة إب. كان الابن شرح با إيل (با إيلشرح) قائد الفرسان، وكان قيلاً شجاعاً، لكنه ليس الابن البكر. ولذا أصبح شقيقه سمعان في هذا الوقت هو (القيل/ الملك).

وحين أصبح إيلشرح (با إلشرح) قيلاً/ ملكاً إثر مصرع شقيقه بعد ثماني سنوات وتقريباً نحو عام ٤٠ ق.م؛ فقد سمّى شقيقه الأصغر حنا/ يوحنا ولياً للعهد. هكذا تتطابق حرفياً الواقعتان في سفر المكابيين والتاريخ السبئي ورواية يوسفيوس، فقد أصبح يوحنا ولي عهد إيلشرح يحضب الثاني. لقد تلقب بـ يوحنا بلقب يأزل بين (يأزل/ تعني أزال وهي صنعاء، أي ملك صنعاء). وهذا هو العصر الحقيقي لولادة المسيحية من قلب اليهودية المتداعية، كخلاص من الشرّ: هنا، وفي قلب هذه الأحداث المروعة، ولد (إنجيل متّى) أي إنجيل الكاهن الشفيع (شميفع) الأب يهوذا اليهودي/ الحميري. إنه الملحمة التي استلهمها الكهنة وسمّوها ملحمة (السار/ بيت سابا/ أي سيرة الشرح من قبيلة سبأ) وهذا هو الرسم اليوناني لاسم إيلشرح/ السار *Ilasaros*، وهم دوّنوها باللغة الدينية العبرية وأرخوها بشهر حميري، ثم ليتلقفها البيزنطيون (مع اعتناق المسيحية بعد ٣ قرون تقريباً) ليترجموها إلى اليونانية، فتغدو مع الترجمة الركيكة وكأنها ملحمة يهودية كتبها كاهن يوناني، وهذا ما يصعب تقبّله، فلماذا يسجل كاهن يوناني حدثاً يخصّ الرومان في اليمن؟

هذا ما سأواصل العمل على تحليله بكل صبر. والآن: عليّ أن أقول في ختام هذا المقطع من التحليل، إن التحاق الحسيديين بالتمرّد، كان تطوراً خطيراً، لكنه لم يكن ليخلو من المفاجآت غير المحسوبة أو المتوقعة.

اختلاق ملوك روما

بعد وفاة الكاهن متته/ متّى، وصعود ابنه الأصغر يهوذا المكابي (الشرح) كزعيم عسكري، وإثر توسّع الاحتجاجات وانخراط يهود وادي حسيد/ الحسيديون فيها، ثم توقف الأقيال/ الملوك – من المرتدّين – مؤقتاً عن فرض القيود على الشعائر اليهودية في العُديْن ومقبنة بشكل أخصّ، وحيث بدأ الحسيديون في تنظيم صفوفهم، بدا واضحاً أن التمرّد قد حقق أول انتصاراته:

(فزاد – يهوذا – شعبه بسطة وعزاً، ولبس لأمته – درعه – كجبّار وتقلّد سلاحه للقتال وباشر الحروب وبسيفه حمى الجيش: ٣).

وهذا ما ساعده في مهمته الدينيّة حين أرغم المرتدّين عن اليهودية على العودة إلى ديانتهم وشريعتهم (وجال في مدن يهوذا وأهلك الكفرة منها وصرف الغضب عن إسرائيل: ٤). لكن هؤلاء سرعان ما وجدوا أنفسهم أمام زعيم لا يرغب في تقديم فروض الطاعة للغزاة الأحباش؛ ولذا جهزوا حملة عسكرية جديدة لقمع تمرّده. كان يهوذا في هذا الوقت (٤٨ ق.م) تابعاً من الناحية الإدارية لشقيقه الأكبر سمعان الذي أصبح هو القيل، أي الحاكم/ الكاهن (المحلي). وفي هذا الوقت (حشد أبولونيوس الناس وجاء بجيش عظيم من شمير ليحارب إسرائيل: ١٠). لقد عادت شمير إلى الواجهة التاريخية من جديد مسرحاً للصراع الدامي بين القبائل الشمالية والجنوبية، وهذه المرة مع تحالف بعض قبائل الحميريين اليهود مع الغزاة الأحباش، استطراداً في تحالفات سابقة مع الآشوريين. لكن من هو أبولونيوس هذا؟ هل هناك ملك روماني أو حبشي جاء بنفسه لقتال كهنة في مكان ما، سواء أكان فلسطين أم اليمن؟ ليس هناك بصورة مطلقة، أي وثيقة أو خبر تاريخي في السجلات الرومانية والإثيوبية، يشير إلى وجود اسم ملك بهذا الاسم قاد حملة على كهنة يهود في هذا الوقت من التاريخ. إن التاريخ الرسمي الروماني لا يعرف ملكاً رومانياً يُدعى رومانيوس قاد حملة عسكرية على بني إسرائيل؟ هذا خبر تاريخي خيالي. أريد هنا التوقف قليلاً أمام اسم أبولونيوس. في الواقع، لا يوجد في التاريخ الرسمي للإمبراطورية الرومانية، ضابط أو ملك بهذا الاسم قاد بنفسه حملة على أورشليم. إن الاسم الحقيقي الذي وجده مترجم النص اليوناني هو: ملك إب – نيوس، ويبدو أنه لم يفهم المقصود منه، فحوّله إلى أبولونيوس (على غرار الأسماء اليونانية- الرومانية الشائعة: أب/ أبولو). أما الحقيقة، فهي أن منْ حشّد القوة العسكرية لمهاجمة أورشليم، أحد الحكام/ الكهنة (الأقيال) في مقاطعة تدعى نيوس (أنيوس).

إن اسمه مؤلف من مقطعين أبو- نيوس (أي صاحب نيوس). وبالطبع، فقد انتشرت في هذا العصر عبادة بعض الآلهة القومية لليونانيين – الرومان في الكثير من مدن اليمن، ومنها الإله أبولو/ أب إيلو، وتراجع اسم (إيل/ إيلو الآشوري). على القرّاء أن يلاحظوا ما يأتي: إن الأسماء الآشورية تستخدم الكلمة/ الاسم: إيل. كاسم/ لقب للإله – الملك، وإن اليونانيين والرومان استخدموا الاسم/ اللقب ذاته بإضافة حرف الباء (أب- أيلو/ ابولو).

وكلمة (أبولو) هي ذاتها الكلمة العربية (أبو/ مضافاً إليها إيل أي الله، الرب). وسيتضح هذا المعنى بعمق أكثر، حين نحلل علاقة طبقة الأذواء بطبقة الأقيال. إن صيغ الأسماء الشائعة في هذا السفر مثل باقديس، وأبو-النيوس، تؤكد لنا بجلاء، أن الصراع تفجر بين الحكام/ الكهنة (المحليين وهم الأقيال والقضاة) وبين طبقة من ملاك الأراضي يعرفون باسم الأذواء، وهم الذين حملوا لقب (ذو- مثل ذو نواس، ذو يزن) بمعنى صاحب/ مالك. هذا الصراع بين الأقيال والأذواء لا يمكن فهمه بعمق إلا بالعودة إلى رواية يوسفيوس، ولكن فقط بعد إعادة تفكيكها وتركيبها. ما يلفت انتباه قارئ السرديات الكلاسيكية العربية، خلطها بين اليوناني والروماني، فهي تستخدم تعبير الروم بإطلاق، وتقصد به يوناني أو روماني. وهاكم الاسم: محافظة تعز، مديرية ماوية، عزلة حوامرة، قرية شعرة، محلة النيوس. إنها في المكان نفسه الذي تحصن فيه الشميفع أشوع وأولاده في النقوش المسندية (يهوذا وأولاده في سفر المكابيين). لقد ثار على الكاهن المتحصّن في مديرية ماوية بتعز، قيل/ ملك مقاطعة نيوس، لأنه كان متواطئاً مع الأحباش. ومديرية ماوية كانت جزءاً من محافظة إب، ولكنها أصبحت في التقسيم الإداري الجديد لليمن ضمن محافظة تعز. وهكذا - حسب نص السفر- وقعت أول مجابهة عسكرية عنيفة في منطقة (شمير مقبنة)[٦٧] بين الأقيال والأذواء، أي بين الأقيال الكهنة (الإقطاع الديني الكبير) والأذواء ملاك الأراضي الصغيرة (الإقطاع التقليدي الصغير بملكياته المحدودة). وكنا قد أشرنا في الكتاب السابق إلى أن اسم مقاطعة شمير (ما يعرف خطأً بالسامرة) ورد في نقش يعرف باسم: *RES 4337C Q 186C; CSAI I 205C*: وهاكم نقشاً يعرف باسم *UAM 300* يسجل اسم هذه المقاطعة (شمير/ السامرة):

النص:

1 [.....] ḏt byt S^{2}mr ***bn ʾlḏmr (w)-S^{2}bḥm ʿs^{3}b***

١: دت - بيت شمير من إيل ذمر وسبخم أشعب (أشعوب)[٦٨]

(هذا بيت شمير من إيل ذمار وقيعان شعبهم (وديانهم/ سباخهم)

ورد مصطلح/ تعبير أرض اليهودية في كثرة من النقوش، أشرنا إلى بعضها في الكتاب



نقش شمير

السابق، ومنها النقش السبئي القديم المعروف باسم (*B–L Nashq Demirjian* ١) من القرن السادس قبل الميلاد، عصر الملك يثع بين بن أمر ملك سبأ، الذي عثر عليه في منطقة الجوف، وهو يحدّد مسرح القتال باستخدام مصطلح/ تعبير (مدن يهوذا)[٦٩]. في الواقع، تعطي سائر النقوش السبئية فكرة نموذجية للقارئ غير المتخصص، من أجل رسم تصورّ علمي عن (أرض يهوذا) ومدنها منذ القرن السادس قبل الميلاد، وكيف أن الصراع السبئي– الحميري ضد قبائل مصر(ن) في الجوف، كان متواصلاً ومستعراً لتحرير أراضي الشمال والجنوب من قبضة المعينيين المصريين. هذا من شأنه أن يوفر أرضية متماسكة لمعرفة أن منعطفاً تاريخياً حاداً، أفضى إلى نشوب حروب أهلية بعد الغزو الحبشي/ الروماني، وأعاد الصراع القديم الشمالي/ الجنوبي (الإسرائيلي/ اليهودي) إلى المربع القديم نفسه، وفي المكان نفسه: شمير. إن جوهر هذا الصراع يكمن في قلب هدف استراتيجي هو السيطرة على الساحل الشمالي لقيادة تجارة البخور البحرية، وعملياً تغيير مسار الخط التجاري من حضرموت إلى سواحل حجة/ الحديدة، لأنها كانت من مراكز نفوذ السبئيين، كذلك فإن جوهر هذا الصراع يكمن في قلب هدف استراتيجي موازٍ، هو إعادة تأسيس المملكة الموحدة القديمة بقيادة تحالف سبئي/ حميري جديد. إن أحد أوجه الصدام بين الأقيال والأذواء، يتجلى في هذه العصر، كدليلٍ ساطع على تفكّك النظام السياسي القديم كلياً. وسأشرح في هذا الجزء من الفصل، الأسباب والبواعث للصراع بين الأقيال والأذواء خلال

عصر الغزو الروماني (المدعوم بغزو حبشي). ما أهمية ذلك؟ من المؤكد أن استيعاب صور العشرات من الملوك الرومان المتصارعين في أورشليم، التي يسجلها سفر المكابيين وتاريخ يوسفيوس، يتطلب القبول بحقيقة أن هؤلاء لم يكونوا ملوكاً، والتاريخ البشري برمته لا يعرف مثل الصراع الذي خاضه عشرات الملوك الرومان في حقبة واحدة، وداخل رقعة جغرافية صغيرة. هؤلاء في الواقع هم الأقيال والأذواء المتأغرقون الذين تلقبوا بألقاب رومانية على غرار ما فعل الكاهن متته/ متّى حين حمل أولاده ألقاباً رومانية كما رأينا. وهذا تقليد مألوف في مجتمعات القبائل منذ العصر الهليني (٣٠٠ ق.م) مع استيلاء الإسكندر المقدوني على سوقطرى وساحل عدن. وبالطبع، يستحيل قبول فكرة وجود عشرات الملوك الرومان وهم من عصور مختلفة، في مكان واحد وعصر واحد! هذا مخالف لمنطق التاريخ.

وهكذا، وخلال معركة (شمير) أو السامرة هذه، تمكن يهوذا (إيلشرح) من قتل أبولونيوس- نيوس (صاحب نيوس) وسلبه سيفه. وما إن بلغت أنباء المعركة منطقة مسوري (سورية، حسب الترجمة) حتى عمّ الهياج هناك (وسمع سارون قائد جيش سورية أن يهوذا قد عصب عصابة وجماعة من المؤمنين، يسيرون معه إلى القتال: ١٣-١٤). وبالطبع، يستحيل تصديق هذه الجغرافيا الخيالية التي خلقها النص المترجم، ولو افترضنا أن أبولونيوس هذا هو ملك روماني، فسيبدو ذلك أمراً خيالياً، لأنه قُتل وسُلبَ سيفه وهو ملك روما، وببساطة على يد جماعة يهودية صغيرة، وأنه اضطرّ قبل مصرعه إلى طلب دعم قوة من سورية. وهل يعرف تاريخ روما مصرع ملك روماني بهذه الصورة المخزية، وبحيث يُسلَب سيفه؟ مثل هذه الواقعة لا وجود لها في السجلات التاريخية الرومانية. لقد تُرجم اسم موضع سوري סוּר' في صورة توحي بأن المقصود منها سورية الدولة العربية؛ بينما قصد سارد النص مكاناً بعينه يدعى سوري - مسوري. والحقيقة التاريخية المؤكدة، أن الرومان لم يحتلوا سورية إلا بعد مرور مئة عام من التاريخ اللاهوتي الذي لفقه حفنة من المهووسين بالتوراة (١٦٤ ق.م). بكلام آخر، إن هذا التاريخ الارتجالي ينسف فكرة وجود قوات رومانية في سورية، يمكن استدعاؤها لإنقاذ ملك روماني من هزيمة مخزية. ولو كان محرر النصّ يريد كتابة اسم سورية، لكتبه في الصورة التالية: סוּרִיָה وليس סוּר'، وها هنا اسم سورية كما سجله السفر: محافظة تعز، مديرية المعافر، عزلة السواء، قرية الخيامي، محلة المسوري (السوري - الميم

هنا هي الميم الحميرية التي تستعمل كأداة تعريف). إن لمن المستحيل على المؤرخ تصديق هذا الخلط في وقائع التاريخ، فلو كان الرومان يحتلون سورية التاريخية في هذا الوقت الذي اخترعه اللاهوتيون، لتغيّر وجه العالم ولما صمدت فارس يوماً واحداً. إن التاريخ الروماني الرسمي لا يعرف هزيمة مذلة على يد جماعة قبليّة صغيرة لا يعرف عنها التاريخ في هذا الوقت أي شيء حقيقي؛ بينما نعلم أنهم خاضوا أقسى المعارك ضد الإمبراطورية الفارسية وتوصلوا معها دون أي هزيمة، لمعاهدات سلام مكنتهم من الحصول على مكاسب ثمينة.

والأمر المؤكد، بالنسبة إليّ، وكما سأبيّن من خلال تحقيقاتي للنصوص التاريخية، أن القائد الروماني بومبيوس (بومبي الأحول) احتل سورية في سنة ٦٤ ق.م بعد هزيمة الملك السلوقي أنطيوخس الثالث عشر، حيث انتقلت السلطة عندئذ من حكم السلوقيين إلى السيطرة الرومانية. إن قرناً كاملاً يفصل بين أحداث سفر المكابيين وتاريخ يوسفيوس عن احتلال الرومان لسورية.

والمثير للدهشة، أن هذه المئة عام التي اقتطعت من التاريخ الروماني في مدن اليمن ألصقت بتاريخ سورية، وبذلك نشأ فراغ مخيف في التاريخ اليمني يُقاس بقرن كامل، بينما امتلأ تاريخ سورية وفلسطين بترهات وهذيان تاريخي لا أساس له. إن هذا وحده، ما يمكنه أن يفسّر لنا سرّ انتشار اللغة اليونانية في اليمن القديم ووجود نسخ يونانية من التوراة؛ بل ويفسّر لنا السبب الحقيقي لوجود أسماء ترتبط بالديانة المسيحية وتدلّ عليها، مثلاً: من أين جاء اسم الكرادلة (المرتبة الدينية في المسيحية)؟ في الواقع، لا يوجد أي جذر لغوي في اليونانية أو أي لغة أخرى في العالم، يؤدي إلى كلمة (كرادلة)، بينما نجده في اسم القرية اليمنية في المكان نفسه للأحداث. هاكم اسم القرية: محافظة تعز، مديرية ماوية، عزلة قماعرة، قرية حبيل الطويل، محلة كرادلة. في هذا المكان الذي لجأ إليه الشميفع أشوع وأولاده (الشفيع المخلص وأولاده) توجد قرية باسم الكرادلة. فماذا يعني ذلك؟ هذا يؤكد لنا أن الجماعات اليهودية المرتدة التي قاتلها الكاهن الأب ثم إيلشرح (يهوذا) انتقلت تالياً إلى المسيحية وسجلت هذا الاسم (الكرادلة/ أي القساوسة) كاسم دالّ عليهم. وهذه المديرية كما نرى من نقش السميفع، تعرف حصناً اختبأ فيه الكاهن اليهودي السميفع مع أولاده، بعد فرارهم من القوات الحبشيّة (انظر الإشارة في الصفحات السابقة للسميفع). وإذا ما أضفنا هذا

الاسم إلى قائمة الأسماء الدّالة على المسيحية ورهبانها وقساوستها ورسلها، فسيكون أمراً مفهوماً لنا، أن مسرح الأحداث في سفر المكابيين خلال العصر الروماني المتأخر، كان هنا وليس في أي مكان آخر.

هذا الفصل التمهيدي، ضروري للغاية لرسم إطار تاريخي عام آخر، قد يساعد القرّاء ممنْ لم يسبق لهم الاطلاع على تاريخ اليمن وجغرافيته، في استيعاب مضمون سفر يتحدث عن (ثورة يهودية) مزعومة على الرومان في فلسطين.

هوامش

١- حول الحملة العسكرية الرومانية، انظر: مطهر علي الأرياني: حول الغزو الروماني لليمن: دراسة تاريخية: دراسات يمنية – العدد الخامس عشر ١٩٨٤م/ مارس – ١٩٨٤ – ص ٥١-٦٤- كذلك: حنان عيسى جاسم: السياسة الرومانية اتجاه جنوبي شبة الجزيرة العربية: مجلة الدراسات التاريخية والحضارية- مجلة علمية محكمة (المجلد ٥ -العدد ١٧) حزيران ٢٠١٣م – شعبان ١٤٣٤هـ.

٢- حول النص اليوناني للسفر انظر: مرشد الطالبين إلى كتاب الحق الثمين – طبعة بيروت ١٩٣٧ ص٣٠٣: يُجمع العلماء والنقاد والشراح على أن سفري المكابيين قد كُتبا أولاً بالعبرية، ويرى Prologus Geleatus أن العبرية هي اللغة التي كُتب بها السفر، ويقول بوضوح إن سفري المكابيين قد كُتبا أولاً بالعبرية.

٣- نينا فكتورفنا بيغوليفسكيا: العرب على حدود بيزنطة وإيران من القرن الرابع إلى القرن السادس الميلادي، ترجمة صلاح عثمان، المجلس الوطني للثقافة والفنون و الآداب، الكويت، ١٩٨٥.

٤- دعا إلى انعقاده البابا بولس الثالث. ويبدو أن انعقاده استمر طويلاً (طوال عشرين سنة وعلى ثلاث دورات منفصلة). أصدر المجمع عدة دساتير تعتبر جزءاً من التعليم اللاهوتي للكنيسة الكاثوليكية في شرح الكتاب المقدس والأسرار السبعة. خلال الفترة الأولى من ١٥٤٥ إلى ١٥٤٧ أعلن المجمع أن الكتاب المقدس والتقليد المتوارث من آباء الكنيسة، هما المصدران الصحيحان للإيمان الكاثوليكي، وأن للكنيسة الحق الأوحد في تفسيرهما، وبذلك يكون المجمع قد رفض وجهات النظر البروتستانتية حول الخلاص والخطيئة. أما في الدورة الثانية التي امتدت من سنة ١٥٥١ إلى سنة ١٥٥٢، فقد عرّف المجمع طبيعة الأسرار السبعة، وأعاد تأكيد مبدأ التحوُّل الجوهري في القداس الإلهي.

٥- أوريجانوس وهو من رأى أن سفر المكابيين كان يدعى سفر «سار بيت سابا نويل»

Coptic history

http://www.stabraammonastery.com/saf/viewtopic.php?t=8802&postdays=0&postorder=asc&start=30&sid=e4f72d9eebc82d9100d37887a361b25f

ونظر: موسوعة تاريخ أقباط مصر/ الموسوعة العربية المسيحية: نؤمن بإله واحد/ القديس جيروم. إن اسم (نويل) هنا هو إشارة إلى عزلة جبلية شهيرة تعرف حتى اليوم باسم بني وائل وهم من بطون قبائل سبأ.

٦- أوريجانوس: (١٨٥ – ٢٥٤م) ٢٤٩ م – ٢٥١ م وإثر إضطهاد الإمبراطور دقيوس للمسيحيين ألقي القبض على أوريجانوس وعذب تعذيباً شديداً ثم أطلق سراحه بعد ذلك. وفى عام ٢٥٤ م مات بعد فترة قصيرة متأثراً بآلامه وكان قد بلغ من العمر ٦٩، انظر: موسوعة تاريخ أقباط مصر/ الموسوعة العربية المسيحية: نؤمن بإله واحد/ القديس جيروم. إن اسم (نويل) هنا هو إشارة إلى عزلة جبلية شهيرة تعرف حتى اليوم باسم بني وائل وهم من بطون قبائل سبأ.

٧- وهب بن منبه بن كامل بن سيج بن ذي كبار (٣٤ هـ – ١١٤ هـ) صاحب كتاب (التيجان في ملوك حمير) وهو من أشهر الكتب الكلاسيكية. يقال في المؤلفات التاريخية إن له معرفة بكتب الأوائل، وهو يعدّ من أقدم الإخباريين – المؤرخين الكلاسيكيين – في الإسلام. روى له البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه في التفسير.

٨- كعب بن ماتع الحِميَّري ويكنى بأبي إسحق، كان عالماً بالإسرائيليات وتفسير آيات القرآن ويسمى «الـحبر» وهو من أشهر اليهود الذين أسلموا. ورواياته وتفسيراته لبعض الآيات وقصص الأنبياء والأقدمين مصدر روايات كثيرة للصحابة، وكان كما تزعم المرويات الإسلامية مقرباً وجليساً لعمر بن الخطاب وعثمان بن عفان وعبد الله بن عباس ومعاوية بن أبي سفيان. وهذا أمر مشكوك فيه لأسباب كثيرة.

٩- عبيد بن شرية الجرهمي، توفي في ٦٧ هـ الموافق ٦٨٦م، من أقدم مؤرخي العرب، اهتم بتاريخ اليمن وألّف كتاباً في ملوكها وأخبارها. ذكره ابن الأثير في كتابه «أسد الغابة في معرفة الصحابة» وابن حجر العسقلاني.

١٠- الطبري: وافي بالوفيات – الصفدي – ج ٢ – الصفحة ٢١٢. صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي – الناشر: دار إحياء التراث العربي ٢٠٠٠.

١١- ثيودور نولدكه (١٨٣٦ – ١٩٣٠) شيخ المستشرقين الألمان. ولد عام ١٨٣٦ في هامبورغ، أتقن العربية، والعبرية، والسريانية. حصل على الدكتوراه عام ١٨٥٦م عن رسالته تاريخ القرآن.

١٢- الهمداني، صفة ٤٧: وجزيرة سقطرى واليها ينسب الصبر السقطري وهي وجزيرة بربرا مما يقطع بين عدن وبلد الزنج. فإذا خرج الخارج من عدن إلى بلد الزنج أخذ كأنه يريد عمان وجزيرة سقطرى، تماشيه عن يمينه حتى تنقطع ثم التوى بها من ناحية بحر الزنج، وطول هذه الجزيرة ثمانون فرسخاً وفيها من جميع قبائل مهرة، وبها نحو عشرة آلاف مقاتل وهم نصارى، ويذكرون أن قوماً من بلد الروم طرحهم بها كسرى، وأما أهل عدن فيقولون إنه لم يدخلها من الروم أحد ولكن أهلها الرهابنة.

١٣- ظلال جواد كاظم، الأهمية الاستراتيجية لجزيرة سقطرى/ اليمن (رسالة دكتوراه) جامعة الكوفة، كلية الآداب ٢٠١٢.

١٤- أرض الأحلام. وهذا تعبير يقابله مصطلح (العربية السعيدة Arabia Felx).

١٥- Jacqueline Pirenne La Grece et Sabe Paris ١٩٥٥ p. ٣١٣ : بريان: اليونان وسبأ- باريس ١٩٥٥.

١٦- محمود عبد الباسط عطية السيّد، الحياة الدينية في مملكة اوسان في ضوء النقوش الجنوبية، مجلة جامعة الملك سعود- الرياض ٢٠١٤.

١٧- القرآن: سورة الذاريات.

١٨- أخناتون: من الأسرة الثامنة عشرة حكم مصر لمدة ١٧ عاماً وتوفي ربما في ١٣٣٦ ق.م أو ١٣٣٤ ق.م. يُشتهر بتخليه عن تعدد الآلهة المصرية التقليدية وإدخال عبادة جديدة تركزت على آتون، التي توصف أحياناً بأنها ديانة توحيدية (قرص الشمس).

١٩- حول البعثات البحرية اليونانية، انظر: د. أحمد صالح محمد العبادي، اليمن في المصادر القديمة: اليونانية والرومانية/ مصدر مذكور.

٢٠- الطواف في البحر الأحمر ودور اليمن البحري: ترجمة وتعليق حسين علي الحبيشي ونجيب عبد الرحمن الشميري، دار جامعة عدن للطباعة والنشر، صنعاء ٢٠٠١.

٢١ هانز هوليفريتز، اليمن من الباب الخلفي، ترجمة هنري حمّاد، بيروت ١٩٦١ ص ٧٢،٧٤.

٢٢- سترابون – الجغرافيا، الكتاب السادس عشر – دار علاء الدين دمشق/ سورية ٢٠١٧ ترجمة د. حسان ميخائيل إسحق، الفصل الرابع – ص ٣٢٨- مصدر مذكور.

٢٣- سترابون، مصدر مذكور.

٢٤- المصدر نفسه.

٢٥- رَيْهَان: الخزامى وهي عُشْبَةٌ طويلة العيدان صغيرة الورق حمراء الزهرة طيبة الريح لها نَوْار كَنَوارِ البَنَفْسَجِ، ولم نجد من

الزَّهْرِ زَهْرةً أَطيبَ نَفْحَة من نفحة الخُزامَى/ قاموس الأشجار والنباتات في يافع (د. علي صالح الخلاقي، بحث في شبكة الإنترنت: الموسوعة اليافعية http: / /www.al-khulaqi.com /threads/ ١٤٨٢٦/ #.WkQJklUjTI U

٢٦- المصدر نفسه.

٢٧- يبدأ السفر من أبعد نقطة في هذا التاريخ (نحو ٣٠٠ ق.م) عصر الإسكندر المقدوني.

٢٨- حسب السفر فقد أصبح أنطيخوس بن أنطيخوس ملكاً عام ١٣٧ ق.م. لكن التاريخ الروماني يقول إن أنطيخوس الثالث الملقب بالكبير حكم عام ١٨٧ ق.م. هناك فارق يصل إلى نصف قرن؟ فماذا يعني ذلك؟ إنه يعني أن سارد النص قصد Antiochus IV Epiphanes الملقب بـأنطيخوس الرابع، أو أنطيوخس الخامس أيوباتور Antiochus V Eupator أبيفانيس.

٢٩- هذه بدايات الارتداد عن اليهودية في الجنوب (مملكة حمير/ مملكة يهوذا). مع الاحتلال اليوناني ثم السلوقي أصبح الحميريون الجنوبيون أصدقاء للغزاة ضد أخوتهم الإسرائيليين في الشمال السبئي.

٣٠- كلمة جام صينية - فارسية تعني الزجاج - كما في اللهجة العراقية - وهي من السلع التي حملتها قوافل طريق الحرير من الصين إلى فارس والعراق.

٣١- الحجلة: محافظة حجة، مديرية بني العوام، عزلة بني الذواد، قرية حجلة السفلى، وكذلك: محافظة صنعاء، مديرية أرحب، عزلة المنصور، قرية الحجلة.

٣٢- مفرد سبت.

٣٣- ويبتنوا مذابح وهياكل ومعابد للأصنام، ويذبحوا الخنازير (الأصل في تحريم الخنزير في القرآن) ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللّهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلاَ عَادٍ فَلا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾، (سورة البقرة: ١٧٣). قول الله تعالى: ﴿قُل لاَّ أَجِدُ فِي مَا أُوْحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلاَّ أَن يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللّهِ بِهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلاَ عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾، (سورة الأنعام: ١٤٥).

٣٤- انظر ما سنكتبه في الصفحات التالية عن كسلو- كسل وعلاقة الاسم بالمعبود اليمني - العبراني كسيل/ كصيل

٣٥- حجلة: محافظة إب، مديرية العدين، عزلة الغضيبة، قرية صنيد الغربي، محلة الحيجلة.

٣٦- سيؤان -سيؤون: ومنه جاء اسم المدينة الحضرمية سيؤون.

٣٧- ءدار: محافظة صنعاء، مديرية همدان، عزلة وادعة، قرية العرة العليا، محلة أرض الذرة.

٣٨- إب: محافظة إب.

٣٩- لول: محافظة أبين، مديرية أحور، عزلة أحور، قرية لول (وتدعى لول الرصراص).

٤٠- سيؤون/ انظر هامش ١٤١.

٤١- كسيل/ كصيل: سفر نحميا ١: ١: كَلاَمُ نَحَمْيَا بْنِ حَكَلْيَا: حَدَثَ فِي شَهْرِ كَسْلُو فِي السَّنَةِ الْعِشْرِينَ، بَيْنَمَا كُنْتُ فِي شُوشَنَ الْقَصْرِ، (نح ١: ١ وزك ٧: ١) محافظة عمران - مديرية شهارة - عزلة شهاره - قرية قصل.

٤٢- طيبة، سبق تعريفها.

٤٣- الأسماء نفسها في معظم الأسفار (بشكل خاص، تكوين/ خروج إلخ).

٤٤- ابن سعيد الأندلسي، المحقق: نصرت عبد الرحمن «نشوة الطرب في تاريخ جاهلية العرب»، الناشر: مكتبة الأقصى - عمان، سنة النشر: ١٩٨٢- مصدر مذكور.

٤٥- (وَيَسْأَلُونَكَ عَنْ ذِي الْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا) الكهف/ ٨٣. (كل التفاسير: وكان ملكاً من ملوك الأرض وعبداً صالحاً مسلماً، طاف الأرض يدعو إلى الإسلام ويقاتل عليه من خالفه، فنشر الإسلام وقمع الكفر

وأهله وأعان المظلوم وأقام العدل). صح عن مجاهد أنه قال: «ملك الأرض مشرقها ومغربها أربعة نفر: مؤمنان وكافران، فالمؤمنان: سليمان بن داود وذو القرنين، والكافران: بختنصر ونمرود بن كنعان، لم يملكها غيرهم» رواه الطبري في «التفسير» (٥/ ٤٣٣). قال ابن كثير: «ذكر الله تعالى ذا القرنين هذا وأثنى عليه بالعدل، وأنه بلغ المشارق والمغارب، وملك الأقاليم وقهر أهلها، وسار فيهم بالمعدلة التامة والسلطان المؤيد المظفر المنصور القاهر المقسط. والصحيح: أنه كان ملكاً من الملوك العادلين» «البداية والنهاية» (٢/ ١٢٢).

٤٦- ما يقابل هذه الآية نصوص من التوراة: قال موسى للشعب «ولكن في كل ما تشتهي نفسك تذبح وتأكل لحماً في جميع أبوابك حسب بركة الرب إلهك التي أعطاك. النجس والطاهر يأكلانه كالظبي والأيل» (تث ١٢: ١٥) و ١٥،١٦ :(وأما الدم فلا تأكله على الأرض تسفكه كالماء) وهذا هو ذاته في القرآن ﴿حرّمنا عليكم الميتة والدم﴾.

٤٧- إن المصادر الشيعية والسنية في التاريخ الإسلامي المكتوب، تتفق في هذه النقطة على تفسير واحد للآية: (كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حِلًّا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَى نَفْسِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُنَزَّلَ التَّوْرَاةُ قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرَاةِ فَاتْلُوهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ) سورة آل عمران آية ٩٣.إن يعقوب كان يصيبه عرق النسا فحرّم على نفسه لحم الجمل فقالت اليهود: إن لحم الجمل محرّم في التوراةا فقال الله عز وجل لهم: (فأتوا بالتوراة فاتلوها إن كنتم صادقين) إنما حرّم هذا إسرائيل على نفسه ولم يحرّمه على الناس. عن أبي عبد الله: أن إسرائيل كان إذا أكل لحم الإبل هيج عليه وجع الخاصرة فحرّم على نفسه لحم الإبل وذلك قبل أن تنزل التوراة، فلما نزلت التوراة لم يحرّمه ولم يأكله (تفسير القمّي:ج١ ص١١٥، الكافي:ج٥ ص٣٠٦ ح٩).

٤٨- سترابون: مصدر مذكور.

٤٩- מתתי: التاء الثانية في الاسم العربي هي حركة إعرابية تؤدي وظيفة (الشدّة) وفي الرسم التقليدي تضاف النون الكلاعية: متنيه مثل مقب/ مقبنة.

٥٠- ابن خلدون، المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذي الشأن الأكبر، الجزء الثاني، ص ٥.

٥١- يوسفيوس، الآثار: ص ٤٩.

٥٢- حسب التفاسير المسيحية الرسمية سنرى ما يأتي: الفريسيون: جماعة دينية من بين ثلاث جماعات أو فرق في اليهودية: الصدوقيون، والأسينيون (وهم الحسيديم) والفريسون، والمعروف عن الفريسيين أنهم أضيق الفئات الدينية اليهودية من ناحية التعليم (أعمال ٢٦:٥). وقد عرفوا بهذا الاسم الخاص في عهد يوحنا هركانوس الذي كان من تلامذتهم، ولكنه تركهم فيما بعد والتحق بالصدوقيين. أطلق عليهم يوحنا المعمدان تعبير «أولاد الأفاعي»، ووبّخهم المسيح بشدة من أجل ريائهم وادّعائهم القداسة والبرّ واهتمامهم بقشور الدين دون الجوهر، «فإني أقول لكم إنكم إن لم يزد برّكم على الكتبة والفريسيين لن تدخلوا ملكوت السماوات» (متى ٥:٢٠). وقال لهم يسوع: «أنظروا وتحرّزوا من خمير الفريسيين والصدوقيين» (متى ٦:١٦). «كيف لا تفهمون أني ليس عن الخبز قلت لكم أن تتحرّزوا من خمير الفريسيين والصدوقيين». حينئذ فهموا أنه لم يقل أن يتحرّزوا من خمير الخبز بل من تعليم الفريسيين والصدوقيين» (متى ١١:١٦ و١٢). والصّدوقيون ينحدرون من عائلات كهنوتية عريقة، وكانوا يشكلون أهم طبقة في المجتمع الديني اليهودي، وقد شاع تعاونهم مع الرومان برغم العداء الذي أبدته كثير من القبائل للغزاة. كان للصدوقيين نفوذ قوي في الهيكل (بيت العبادة). ويعود تزايد نفوذ الصدوقيين إلى أيام العودة من بابل، إذ آثر الفرس التعاون مع العناصر الكهنوتية داخل الجماعة اليهودية، لأن بقايا الأسرة المالكة اليهودية من نسل داوود قد تشكل خطراً عليهم. واستمر الصدوقيون في الصعود داخل الإمبراطوريات البطلمية والسلوقية والرومانية، واندمجوا مع أثرياء اليهود وكونوا جماعة وظيفية وسيطة تعمل لمصلحة الإمبراطوريات

الحاكمة وتساهم في استغلال الجماهير اليهودية، ولكن وبالتدريج ظهرت جماعة من علماء ورجال الدين (أهمهم جماعة الفريسيين) تلقوا العلم بطرق ذاتية، كما كانت شرعيتهم تستند إلى عملهم وتقواهم لا إلى مكانة يتوارثونها وكانوا يحصلون على دخلهم من عملهم لا من ضرائب الهيكل، وقد أدى ظهورهم إلى إضعاف مكانة الصدوقيين.

٥٣- الأسينيون: اللقب الديني لأتباع المذهب المحافظ/ المتشدد الذي سيعرف باسم الحسيديم كذلك.

٥٤- الحسيديون: من كلمة (حسيد) التي وردت في العهد القديم وتشير إلى (الرجل التقي الثابت على إخلاصه للإله وإيمانه به). وقد استُخدمت هذه الكلمة بعد ذلك للإشارة إلى جماعات من مؤيدي الحشمونيين، كانت تتسم بالحماسة الدينية والتقوى (القرن الثاني قبل الميلاد)، ثم استُخدمت للإشارة إلى الحركة الصوفية التي نشأت في ألمانيا في القرن الثاني عشر، ثم أصبحت الكلمة تشير إلى أتباع الحركة الحسيدية التي نشأت في بولندا في القرن الثامن عشر، وهذا هو الاستخدام الشائع في الوقت الحالي.

٥٥- حشمناي/ حشمون هي الرسم العربي لبني حشم في صنعاء (مثل صور/ صورون).

٥٦- هناك كثرة من المواضع في اليمن تحمل صيغة من الاسم نفسه، مثلاً: محافظة الحديدة، مديرية بيت الفقيه، عزلة العمارية، قرية دير الريب.

٥٧- سفر الخروج: مياه مريبة. وهي في محافظة تعز، مديرية مقبنة، عزلة ميراب.

٥٨- سلوق: حسب وصف الهمداني هي مخلاف يبدأ من ورزان، ويمتد جنوباً إلى حدود الصبيحة ويسكنها السكاسك. (ومنها خربة «سلوق»، وكانت مدينة عظيمة بأرض خَدِيْر، وتسمى جبل الريبة، وهي مدينة يوجد فيها خبث الحديد وقطاع الفضة والذهب والحلي والنقد، وإليها كانت العرب تنسب الدروع السلوقية والكلاب السلوقية، وتعرف اليوم باسم «جبل الريدة» في الجنوب الغربي من الراهدة بمسافة خمسة أميال).

٥٩- الهمداني: صفة جزيرة العرب - مصدر مذكور في قائمة المصادر والمراجع.

٦٠- يوسفيوس ص ٤٥.

٦١- في السيرة النبوية لابن هشام قول رسول الله محمد لعمه أبي طالب: والله لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر حتى يظهره الله، أو أهلك فيه ما تركته. قال ابن إسحاق: «وحدثنى يعقوب بن عتبة بن المغيرة بن الأخنس أنه حُدِّث: أن قريشاً قالوا لأبي طالب هذه المقالة (الروض الأنف ٣/ ٤٥).

٦٢- يوسفيوس (الآثار) مصدر مذكور.

٦٣- سفر أخبار الأيام الثاني.

٦٤- حصن الغراب في مدينة ثلاء اليمنية، وهو قلعة أثرية قديمة تبعد ٤٥ كيلومتراً تقريباً عن العاصمة صنعاء ويجمع في قدمه بين آثار الحضارة الحميرية والمعالم الأثرية والتاريخية من بقايا قصور ملوك سبأ، فضلاً عن البرك وأبراج الحراسة وأسوار التحصينات والمقابر الصخرية ومدافن الحبوب المحفورة في الصخور. يوصف هذا الحصن بالحصن المنيع لأنه حمى المدينة وجعلها ملاذاً آمناً لكل هارب.

٦٥- نسجت حول الحصن العديد من القصص والأساطير. توجد بأعلى الحصن نقوش حميرية/ سبئية كذلك توجد بركتان محفورتان في الصخر، والكثير من المدافن والمنازل والمقابر المحفورة في الصخر أو المبنية بالحجارة.

٦٦- طه/ القرآن: ﴿قالَ رَبِّ اشرَح لي صَدري (٢٥)﴾.

٦٧- انظر نص النقش في ملحق نقوش الكتاب السابق.

٦٨- سبخم أشعب/ قيعان شعبهم.

٦٩- نص النقش في ملحق النقوش ضمن مجلد النقوش القادم.

يهوذا وجالوت في تعز

قبل مواصلة تحليل السفر التوراتي، أريدُ أن أقوم ببعض التأملات في النصوص القرآنية التي جاءت على ذكر الأحداث ذاتها في سفر المكابيين (الأدق سفر الحشمونيين)، وذلك بهدف إنشاء مقاربة تاريخية جديدة لتاريخ يوسفيوس المزعوم. إن الآية القرآنية التي تتحدث عن حرب مع (جالوت) وجنوده، قد لا تبدو مفهومة بنحو جيد وصحيح لعموم المسلمين، فمن هو جالوت، ومنْ واجهه؟ ومتى؟ إن القرآن لا يقدّم للمسلم شرحاً كافياً للقصّة التي يسردها عن جالوت، أو طبيعة المواجهة مع جيشه، ومع ذلك أصبح شخصاً حقيقياً في أعين المسلمين ما دام اسمه ورد في القرآن. ما يثير الالتباس أكثر، أن القرآن يشير في موضع آخر من القصة إلى أن المواجهة كانت بين جالوت وداود. هذا يعني أنه يتحدث عن قصة وقعت تقريباً عام ٩٢٢ ق.م. ولمّا كانت نظرية المؤلف تقول إن داود شخصية لا وجود لها، وإنه (لقب) ديني أطلقه اليهود على مخلص شعب إسرائيل، ففي هذه الحالة يتعيّن علينا أن ننظر إلى الاسم الوارد في القرآن على أنه ذاته (المخلّص) الذي يظهر في قصص التوراة. وفي هذا الجانب من التأمل في النصوص، يمكننا أن نلاحظ أنها تتطابق بشكل مدهش، ذلك أن سفر المكابيين يتحدث عن مشاهد مماثلة، ثم مواجهة حاسمة بين جماعتين غير متكافئتين

على مستوى التسليح وأعداد المقاتلين. ورد في القرآن – سورة البقرة ٢٤٩-٢٥١– أن داود الطفل الصغير واجه بطلاً أسطورياً يُدعى (جالوت). والمشهد الذي يرسمه النصّ القرآني، هو ذاته تقريباً المشهد في أسفار التوراة، فقد قهر الطفل الصغير الرجل الأسطوري جالوت. لكن هذا المشهد يتكرر مع يهوذا في سفر المكابيين! فمتى وقعت الحرب؟ هل وقعت في ٩٢٢ ق.م أم في ٢٧ ق.م؟

هاكم أولاً النص القرآني:

﴿فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُو اللَّهِ كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾.

طبقاً لمضمون الآيات هنا، فقد واجهت جماعة مؤمنة (لا يعرف المسلمون من قرّاء القرآن من هي بالضبط؟ لأن القرآن لا يفصح عن هويتها بالضبط)، بطلاً أسطورياً يقود جيشاً مدّججاً بالسلاح:

﴿وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ (٢٥٠) فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ ٢٥١﴾.

إذا ما وضعنا هذين النصّين ضمن سياق الأحداث التي يرويها سفر المكابيين، وقمنا بشبكهما في البُنْية السردية، نحصل على مقاربة جديدة للتاريخ؛ إذْ شعر جنود يهوذا بالفزع وهم يرون جيش إيغالوس، وقالوا له إننا لا نستطيع قهرهم:

هاكم ما يقوله سفر المكابيين:

(فقال يهوذا ما أسهل أن يُدفعَ الكثيرون إلى أيدي القليلين، وسواء عند إله السماء أن يخلص بالكثيرين وبالقليلين ١٨).

وهذا النصّ التوراتي متماثل مع النصّ القرآني ﴿كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ﴾.

فمن هو (جالوت) القرآني/ التوراتي؟ وما علاقته بـ(إيغالوس) قائد الحملة الرومانية؟

سأروي التاريخ بصوتي مرة أخرى من منظور جديد:

بعد أن اقتربت قوات الأقيال/ الملوك، ممن كانوا متحالفين أو مؤيدين للرومان، من منطقتي عقبة وحورون في إب، قادمة من عدن وتعز وبسرعة وهي مدججة بالسلاح وبأعداد هائلة، حتى خرج يهوذا المكابي (المقبيّ) لملاقاتها في عدد قليل من الفرسان، ولكنه مع ذلك كان مصمماً على هزيمة الأقيال/ الملوك المتأغرقين الموالين للرومان والأحباش ومنع اقترابهم من أورشليم. يلفت انتباهنا هنا أن اسم (جالوت) هو ذاته اسم جالوتس/ غالوتس (بإسقاط السين اللاصقة). فهل صوّر القرآن هذه الواقعة؟ وهل هي رجع صدى لما ورد في سفر المكابيين، حين واجه إيلسرح/ إيلشرح قائداً رومانياً يدعى جالوتس/ غالوتس وهو نفسه الذي يسميه القرآن (جالوت)؟ هذا سؤال جوهريّ يتعيّن طرحه بجرأة. وسأكرّس في هذه المجلدات كتاباً خاصاً عن صراع داود مع جالوت في القرآن والتوراة، لأبيّن أن داود في هذه القصص الدينية هو (المخلّص) الذي واجه الغزو الروماني لليمن. بالنسبة إلى الكهنة اليهود الذين كتبوا سيرة إيلشرح يحضب، ومقاومته للغزو المزدوج الحبشي/ الروماني؛ فقد بدا في أعينهم هو نفسه (داود المخلّص). وهذا مغزى تسميتهم للسفر (بيت سابا/ سبأ).

لقد وقف المخلّص/ إيلشرح الذي يسمّيه السفر (يهوذا المكبيّ) حائراً وحزيناً أمام جنوده، وهو يرى الحشود الرومانية التي تمكن غالوس (جالوت) من وضعها في مواجهته. وما إن انتهى من خطبته، حتى كانت قواته تهاجم القوة الغازية وتكسرها. وما يؤكد صحّة قراءتي للآية القرآنية – وقصص التوراة– أن داود (المخلّص) هذا، استخدم المقلاع في مواجهة جالوت/ جالوتس؛ بينما يخبرنا سترابون أن اليمنيين بقيادة إيلشرح لم يكونوا يملكون سوى (المقاليع/ جمع مقلاع) والفؤوس والحجارة[١]. ثم فرّ قائد الجيش وكان يدعى سارون – شارون (فتتبّعه في عقبة وبيت حورون إلى السهل فسقط منهم ثماني مئة رجل وانهزم الباقون إلى أرض الفلستيم ٢٤). وبكل تأكيد لا يعرف التاريخ الروماني/ السلوقي والبيزنطي، ضابطاً كبيراً يدعى سارون/ شارون. كما يبدو أمراً خالياً من أي منطق تاريخي، تخيّل أن الفلسطينيين اصطدموا بالرومان في هذا العصر، وأنهم كانوا تحت قيادة داود الملك

حين هزموا الرومان، أو أن عصابة صغيرة من اليهود فعلت ذلك في فلسطين، لأن تاريخ فلسطين وروما على حدّ سواء، لا يعرفان هذه الواقعة. سأتوقف مرة أخرى أمام الترجمة. من الواضح، وطبقاً لسياق النصّ، أن قائد جيش منطقة سارون (وليس القائد سارون) هو الذي فرّ من أمام اليهود. ومرة أخرى، لا يعرف التاريخ الرسمي ملكاً رومانياً هرب من أمام اليهود في هذا العصر. والصحيح أن منْ هرب، هو قائد جيش منطقة سارون. هاكم أولاً اسم المنطقة في المكان نفسه الذي دارت فيه المعارك: عزلة السارة (سارون) في مديرية العُدين بمحافظة إب. وها هنا أرض الفلشتيم – الفلستيم ومنطقة حورون معاً كما وردتا في السفر: حور: محافظة إب، مديرية العدين، عزلة عردن، قرية حور، محلة بيت الفليسي. أما العقبة التي هرب صوبها ولاحقه إيلشرح فهي في مديرية حزم العدين (المُلاصقة للعُدين) وفي عزلة الشعاور، قرية العقبة.

ومن الواضح كذلك، أن مسرح المعارك في هذه المرحلة، كان محصوراً داخل مديرية العُديْن وجوارها:

فلما سمع أنطيوكس أنباء هزيمة الكتائب في العُديْن، استشاط غضباً وطلب على الفور إرسال إمدادات عسكرية للسيطرة على الموقف، وتمكن من حشد جيش كبير في غضون وقت قصير، لكنه اضطرّ إلى دفع رواتب جنوده لعام كامل، لتشجيعهم على مواصلة القتال (ثم رأى أن الفضة قد نفدت من الخزائن، وقد قلّ جباة ضرائب البلاد بسبب الفتنة والضربة التي أحدثها في الأرض لينسخ السنن التي كانت لها منذ أيام القدم: المقطع: ٢٩).

ويبدو من نصّ السفر التوراتي الذي قدّم تسجيلاً ثميناً للوقائع التي سبقت الحرب الفارسية– الرومانية في هذه السنوات، أن الأقيال/ الملوك من الموالين لروما في بلاد اليهودية المحتلة، أي الأرض التي تأسست فيها قبل قرون من هذا التاريخ ما يعرف بمملكة حمير فوق أجزاء من أب وتعز، عانوا نقصاً في النفقات اللازمة لمواصلة الحرب، وهو الوضع ذاته في مركز الإمبراطورية التي كانت تواجه نقصاً شديداً في النفقات اللازمة لمواصلة الحرب مع فارس. ولمّا كانت المدن اليمنية – بعد تفكّك الدولة الموحدة وزوالها منذ وقت طويل – هي المنصّة الجغرافية المثالية لمواجهة فارس، فقد كان ضرورياً أن يتحقق القضاء بأسرع وقت على

التمرّد القبلي في إب وتعز. وكما يتبيّن من محتوى السفر، فإن الإمبراطورية الرومانية كانت تخشى أن الإمبراطور قد (لا يملك ما يقوم بنفقاته وعطاياه التي طالما كان يجود بها جوداً واسعاً فاق به الملوك الذين كانوا من قبله، المقطع٣٠). ولذا، لم يجد مناصاً من الزحف نحو فارس، ليفرض عليها ضريبة إنهاء الحرب، وكان عليه قبل ذلك، أن يُعيد انتشار قواته ويضبط الأوضاع في اليمن، ليتمكن من الحصول على الذهب لتمويل الحملة. ولذا أمر ليسياس، أحد وكلائه من الأقيال المتأغرقين، أي إنه ملك يمني/ محلي صغير في العُدين، بأن يتولى حكم المقاطعة الممتدة من مخلاف السحول، حتى حدود وادي فرت. وكما يقول النص حرفياً:

(فاستخلف ليسياس على أمور الملك من نهر الفرات إلى حدود مصر وهو رجل شريف من النسل الملكي).

وبالطبع، فمن غير المنطقي تخيّل، مجرد تخيّل أن الرومان في هذا الوقت، كانوا يسيطرون على الفرات العراقي وصولاً إلى مصر؟ مثل هذه الواقعة لا وجود لها في التاريخ، فلم يحدث قط أن استولى الرومان على الفرات العراقي بعد مصر. لقد قصد سارد النص مواضع بعينها في إب، حيث وقع التمرّد القبلي. كذلك طُلب من هذا القائد المحلي - اليمني (المتأغرق) أن يتولى تربية أنطيوكوس ابن الملك (القبلي- اليمني) إلى أن يعود من القتال، وفوّض إليه قيادة الجيوش وحكم منطقة الفيلة[٢]، وأمره بكل ما كان في نفسه، وبأمر سكان اليهودية وأورشليم.

وهذا يعني أن الرومان التزموا أسس نظام (البكر السبئي) وقواعده حيث يُنقَل كل مولود بكر في أسرة أرستقراطية إلى كنف أسرة الملك (العام) لتربيته تربية ملكية. وهذا النظام لا وجود له في روما بكل تأكيد. هذا النظام تنفرد به اليمن وحدها. وكنتُ قد أشرت في فصل سابق إلى نصّ سترابون عن تقاليد وراثة الحكم في اليمن، حيث يتولى كاهن/ ملك تربية (الابن البكر) للكاهن المتوفى، ليقوم بتنصيبه، وهذه التقاليد لا تعرفها روما بأي صورة من الصور.

هاكم نص سترابون وقارنوا بينه وبين نص سفر المكابيين أعلاه؛ حين كُلف ليسياس (ملك مقاطعة اللسي في ذمار بتولي تربية أنطيخوس الابن). هذا التماثل بين النصّين اليوناني

والعبري، يؤكد لنا بما لا لُبس فيه، أن المكان (الجغرافية) والوقائع التاريخية التي يسردها نص سترابون والسفر التوراتي واحدة، وليست متماثلة أو متشابهة وحسب:

(ولذلك ينظمون بعد انتخاب الملك الجديد مباشرة، سجلاً بأسماء النسوة الحوامل في العائلات الأرستقراطية، ويضعون عليهن مراقبة دائمة للتحقق منْ منهنّ وضعت أولاً؛ وبحسب القانون، ينبغي على الملك أن يتبنى المولود المعنيّ لكي يربّى تربية ملكية، بصفته الوريث المقبل للعرش).

في هذا النصّ الدقيق الذي كتبه سترابون، يتكشّف لنا جزء خفيٌّ وغامضٌ من تاريخ الحكم في اليمن، فهناك سجل بأسماء المواليد الجدد في طبقة الكهنة/ الملوك، بعد مراقبة دقيقة للنساء الحوامل يقوم بها مجمّع الكهنة. وفي هذا السجل سيكون هناك اسم المولود (الابن السبئي) الذي سيرث الكهانة/ الحكم بعد وفاة والده الكاهن، وهذا الطفل ينتقل تلقائياً إلى أسرة الملك الحاكم، ليتولى بنفسه تربيته وإعداده ككاهن/ ملك. وهذا هو مغزى قول سفر المكابيين، أن ليسياس(أي قيل/ ملك مقاطعة اللسي) كُلف أن يتولى تربية أنطيخوس/ أنطاكيوس (الابن). وسبب هذا التكليف، أن والده ملك أنطيخوس/ أنطاكيوس الأب ذهب للقتال. وبطبيعة الحال، لا يعرف التاريخ الروماني مثل هذه التقاليد، وبحيث إن الملك الأب يكلف شخصاً رعاية ابنه وتربيته حين يذهب للحرب. هذه تقاليد قبلية/ دينية مؤسسة على نظام فريد في نوعه. وبحسب النصّ الآنف، فهناك كلمتان غامضتان ترجمتا بطريقة اعتباطية: جنود، وفيلة. ومرة أخرى، من غير المنطقي تخيّل أحد ملوك أو ضباط روما، وهو يترك ابنه في عهدة شخص ليتولى تربيته في مكان يدعى (فيلة)، فهذا اسم عربي لا يمكن توقع أن يكون موجوداً في روما. لقد ارتكب مترجمو هذا المقطع من النص العبري خطأً فاضحاً بترجمة كلمة (صبؤوت צבאות) إلى (جيوش)، بينما المقصود بها حرفياً (جنود). وهذا فارق لغوي يتصل بطريقة رسم الاسم الصحيح.

ومن غير المنطقي كذلك، تخيّل أن ضابطاً رومانياً يكلف ضابطاً آخر (قيادة الجيوش والفيلة) فهذه جملة غير مفهومة، الصحيح أنه كلفه الاستيلاء على مكانين أحدهما يدعى (جنود) والآخر يدعي (فيلة). هاكم اسم المكان الأول: محافظة إب، مديرية المخادر، عزلة الشرف،

قرية جنود. أما موضع الفيل، فهو في المكان القريب: محافظة تعز، مديرية المعافر، عزلة السواء، قرية الملكة، محلة شعب الفيل. وهذه المناطق لا وجود لها في جغرافية أي منطقة في الشرق القديم باستثناء اليمن. كل هذا يعني أن إعادة الانتشار شملت منطقة واسعة من تعز وإب، لجعل (الاحتلال الروماني) أكثر تماسكاً وسط العواصف القتالية الهوجاء، وتمكينهم من تحقيق أهداف الحملة قبل الشروع في الحرب على فارس. وهاكم بقية الأسماء كما وردت في هذا النص: يقصد بمصر– مصريم، هنا وادي السحول الذي كان يعرف قديماً باسم (وادي مصر اليمن وهو غير مصرن مملكة الجوف فهذان اسمان مختلفان). وكنتُ قد شرحت هذا الأمر طويلاً في كتاب (مصر الأخرى : الكتاب ٢). أما وادي فرات، فهو ما يعرف قديماً وحتى اليوم باسم فرث: محافظة إب، مديرية حزم العدين، عزلة الشعاور، قرية الأوهار، محلة شِعْب فرث[٣]. على هذا النحو تصبح الجغرافية التوراتية أكثر عقلانية، ويمكن فهمها واستيعاب تصوراتها لمسرح المعارك، ذلك أنها جرت في مساحة معلومة هي مديرية العُدين. لقد كان الوضع العسكري خلال القتال يستدعي الاستيلاء على المواضع الآتية: شِعْب الفيل وجنود وفرث ومصر (وادي السحول). أي على أكثر المساحات الزراعية خصوبة في اليمن. والمثير أن رواية يوسفيوس تستخدم تعبير (الجماعات المتأغرقة) لوصف الحكام/ الكهنة الذين قادوا المعارك. وكنتُ في عام ٢٠٠٧ عندما كتبتُ (فلسطين المتخيّلة) وقبل أن تحين لي أي فرصة للاطلاع على ما كتبه يوسفيوس باللغة العبرية، قد استخدمت تعبير/ اصطلاح (المتأغرقة/ المتأغرقون) في وصف هذه الجماعات. ويا لها من مصادفة رائعة حين تحدثتُ عن ذلك لبعض الأصدقاء، حين نبهني صديق باحث[٤] مختص بدراسات الكتاب المقدّس ومترجم كتبي للعبرية، إلى أن يوسفيوس استخدم التعبير نفسه، وحين راجعت النص العبري تأكدت من هذا التوافق العجيب، مع أنني لم أطلع على النص إلا في عام ٢٠١٦. وهذا ما يدعوني إلى الشعور بقوة، بأنني أسير على خطى يوسفيوس بوصفه يوسف بن متته/ متّى اليمني لا يوسفيوس اليوناني. يقول يوسفيوس[٥]:

في هذا السياق، وبينما كان المكابيون يحاصرون القلعة، استطاع بعض المحاصرين (من اليهود المتأغرقين الذين اعتنقوا المعتقدات الهيلينية وأصبحوا تابعين بالتالي للسلوقيين) التسلّل من الحصار، ثم ضمّوا إليهم آخرين من اليهود المرتدّين (أي الكفار بالمعنى القرآني

والتوراتي) الذين على شاكلتهم في الخارج، مكوّنين وفداً للقاء الملك أنطيوخس وليسياس الوصيّ عليه، وكانوا يشكون مما زعموا أنه اضطهاد من أخوتهم اليهود، وأنهم في خطر وأن شرّ اليهود في تزايد مستمر، وأن الأمر لا يتعلق فقط باليهود المساكين والموالين لوالده والمخلصين له، وإنما أيضاً بالمملكة السلوقية ذاتها، إذ سيكون من الصعب إخضاع اليهود، إذا سارت الأمور في مصلحتهم على هذا المنوال. ويبدو أنهم استطاعوا استمالة الملك من خلال هذه المداهنة. والسؤال المثير الذي يجب طرحه هنا هو الآتي:

إذا كان يوسفيوس مؤرخاً يونانياً، فلماذا يستخدم اصطلاحاً له بُعد احتقاريّ مثل (متأغرقون) في وصف جماعات مرتدّة عن اليهودية؟ ونحن نعلم أنه يتعاطف مع ما يسميه ثورة على الرومان؟ هذا أمر غير مفهوم إلا في حالة واحدة، أن هذا المؤرخ هو مؤرخ يهودي يمني، أو كما قلنا مجموعة مؤرخين يهود مرتدّين وموالين للرومان، تعاطفوا مع (الثورة) وسجلوا في نصّهم ما يمكن اعتباره ذماً وتشهيراً بجماعات يهودية مرتدة؟ هذا أمر غير منطقي. المنطقي فقط – في هذه الحالة– أن يوسفيوس (أو مجموعة الكهنة) كان/ كانوا من يهود اليمن الذين أرخوا لهذا الحادث، وأن الترجمة لليونانية هي التي سبّبت هذا الالتباس. بكلام آخر: لا يمكن مؤرخاً يونانياً أن يستخدم هذا الاصطلاح التحقيريّ. فضلاً عن ذلك، وفي الواقع، ليس ثمة جغرافية في الشرق الأوسط برمته، تضمّ المكانين المتجاورين في النص السابق، عقبة وحوران. وليس ثمة مكان يدعى عقبة – العقبة قرب حورون التي تؤدي إلى أورشليم، سوى موضع العقبة في محافظة إب، مديرية العدين، عزلة صنيد الشرقي، قرية صنيد الشرقي، وتدعى اليوم محلة بيت العقبة. (وكنا رأينا في سطور سابقة وجود موقع العقبة في حزم العُدين). وها هنا حورون في العزلة المجاورة أي في المكان نفسه: محافظة إب، مديرية العدين، عزلة عردن، قرية حور (الوزن العبري: حور– حورون). وحين شاهد يهوذا المكابي (المقبي) كتائب الجيش، لاحظ أن رجاله كانوا يسأل بعضهم بعضاً: وكيف لنا أن نطيق مواجهة هذا الجيش؟

سأعيد التذكير بالمقاربة بين الآيات التوراتية والقرآنية:

(فقال يهوذا ما أسهل أن يُدفعَ الكثيرون إلى أيدي القليلين، وسواء عند إله السماء أن يخلص

بالكثيرين وبالقليلين: مكابيين/ ١٨). هذا النصّ التوراتي يعيد تذكيرنا بالآية القرآنية ﴿فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ والَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ قَالُوا لا طَاقَةَ لَنَا اليَوْمَ بِجَالُوتَ وجُنُودِهِ قَالَ الَذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلاقُوا اللَّهِ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإذْنِ اللَّهِ واللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾- (البقرة ٢٤٩).

بكلام موازٍ، ليس (جالوت) القرآني/ التوراتي سوى إيغالوس (إيغالوت/ بالتاء اليمنية بديل السين). وهذا هو الفضاء التاريخي لآية (غلبت الرومُ) في القرآن التي ضُبطَت بطريقة خاطئة فقرئت في صورة (غُلبتْ/ أي هُزمت: والصحيح غلبت/ انتصرت) ثم هُزمت. إن هذه النصوص تؤكد لنا بنحو قاطع، أن داود شخصية دينية وليس شخصاً تاريخياً حقيقياً. إنه تجسيد لشخصية المخلص، يمكن أن يظهر في صور ووقائع كثيرة، تماماً كما هو لقب (يهوذا) وهذا كما رأينا لم يكن اسماً؛ بل لقباً دينياً.

ولذلك، سأعيد رواية هذا المقطع من التاريخ - مرة أخرى - بصوتي:

في عام ٣٨ ق.م (التاريخ الحميري) وخلال الحرب ضد فارس، كانت حاجة الرومان للذهب وللمرتزقة، تصبح أمراً فاصلاً في مستقبل الحرب ومسارها النهائي، ولذا طلبت روما من الولاة في مدن اليمن، أن يقوموا بعملية عسكرية لإخضاع منطقة العُدين، وفقط لإرغام الكهنة اليهود على تقديم الذهب والمقاتلين. وفي سبيل هذا الهدف، كُلِّف كل من: ليسياس بطلماوس، وشخص آخر يُدعى ابن دورمانس، ونكانور وجرجياس لتنفيذ الهجوم، بينما توجه نحو ٤٠ ألف راجل وسبعة آلاف فارس صوب أرض يهوذا (المقطع: ٣٩).

إن هذه المعارك وفي هذا المسرح، تؤكد الحقيقة الآتية:

إن سفر المكابيين يقدّم رواية شعبية (ملحمية) عن الغزو الروماني لليمن الذي بدأ بإنزال بحري، استولى فيه الرومان على ميناء عدن، ثم توغلوا باتجاه تعز وإب، ثم ساروا بالجيش كله حتى بلغوا موضعاً قرب عموس، فنزلوا هناك في أرض السهل. وبكل يقين، لا وجود لهذه الجغرافيا في فلسطين، ولا وجود لأسماء هؤلاء الملوك في روما، وببساطة لا يعرف التاريخ الروماني قط ملوكاً بهذه الأسماء في عصر واحد، وهم يستقبلون أوامر القيصر؛ بينما نجدها في اليمن بسهولة. هاكم أولاً، اسمي الموضعين عموس والسهل - السهلة. تقع

عموس في محافظة إب، مديرية حزم العدين، عزلة بني علي، وتدعى اليوم قرية الأعموس. ومنها جاء اسم السفر التوراتي المنسوب إلى النبي – الكاهن عاموس. أما السهل – السهلة، فتقع في المكان نفسه، ولكن في عزلة جبلية أخرى في المحافظة نفسها، والمديرية ذاتها مديرية العدين: عزلة عردن، قرية حور، محلة نجد السهلة. وما يؤكد ذلك المقطع الآتي:

«فسمع بخبرهم تجار البلاد فأخذوا من الفضة والذهب شيئاً كثيراً ومعهم عبيدهم، وجاؤوا المحلة حتى يشتروا بني إسرائيل كعبيدٍ لهم، وانضمت إليهم جيوش سورية – السوري– وأرض الغرباء: المقطع ٤١ ».

وبالطبع، يستحيل علينا تخيّل أن المقصود من اسم سورية هنا سورية البلد العربي؛ فهذا غير منطقي جغرافياً، لأن التاريخ لا يعرف مثل الواقعة، ولم يحدث قط أن انضمّت جيوش سورية إلى حرب تقودها روما ضد فارس. إن تاريخ سورية القديم لا يعرف مثل هذه الواقعة، ولم يحدث أن انضمّت جيوش سورية إلى جيوش الرومان لمقاتلة فارس، ففي هذا العصر كان شمال سورية (منطقة نصيبين) يكاد يكون خاضعاً للفرس.

هاكم ثانية اسم سورية: محافظة إب، مديرية الظهار، عزلة الحوج القبلي، قرية العقاير، محلة دار المسورى – السوري (بمعاملة الميم الحميرية كأداة تعريف). أما المحلة في هذا النصّ، فهي اليوم ما يدعى (المحالي) في المكان نفسه: محافظة إب، مديرية حزم العدين، عزلة حليمة، قرية حليمة، محلة المحالي. أما تعبير (أرض الغرباء) فقصد به أرض (حصن الغراب)[٦] في مديرية ماوية بتعز، وهم من الجماعات القبلية التي التحق بعضها بالغزاة الرومان. وكنا قد رأينا أن الكاهن السميفع أشوع لجأ إلى حصن الغراب في مقاطعة ماوية.

وهذا ما يقوله النص:

«ورأى يهوذا وأخوته تفاقم الشر، وأن الجيوش نزلت في تخومهم، وبلغهم كلام الملك أنه أمر بإهلاك الشعب واستئصاله، فقال كل واحد لصاحبه، هلمَّ ننهض شعبنا من مذلته ونقاتل عن شعبنا وأقداسنا، فاحتشدت الجماعة لتتأهب للقتال وتصليّ وتسأل الرأفة والرحمة. وكانت أورشليم مهجورة، كذلك القفر[٧] لا يدخلها ولا يخرج منها أحد من بنيها، وكان

المقدس مُداساً – أي مستولى عليه [٨]– وأبناء الأجانب في القلعة التي كانت مسكناً للأمم، وقد زال الطرب عن يعقوب وبطل المزمار والكنارة، المقاطع ٤٢–٤٣–٤٣–٤٤–٤٥».

لدينا في هذه المقاطع اسم مكان مجاور وملاصق تقريباً لأورشليم يدعى (القفر)، وهو من الأماكن المقدسة في محيط المدينة. ومن غير شكّ، فهذا المكان الذي يشكل محيطاً مقدّساً للمدينة لا وجود له في أي مكان إلا في اليمن. ولأن هذا المكان يتصل بأماكن أخرى مجاورة له، مثل القلعة، والمقدس، فسيكون من قبيل العناد الأهوج الافتراض أنها في فلسطين. في الواقع ليس بوسع أي مؤرخ أو جغرافي أو عالم آثار، تقديم أي دليل على وجودها هناك. وهاكم أسماء هذه المواضع، وهي جميعاً في عزلة جبلية واحدة وقرب بعضها تماماً كما في النصّ: تقع القفر في محافظة إب، مديرية العدين، عزلة قصل، قرية القبقاب، محلة القفر. أما المقدس، فهي عزلة جبلية تقع فيها القلعة ضمن مديرية العدين، عزلة قداس، قرية القفر، محلة القلعة. أما المقدس، فنجدها في المكان نفسه: مديرية العدين، عزلة قداس. هذه ثلاثة مواضع متجاورة تحيط بأورشليم، وهي تشكل فضاءً جغرافياً دينياً واحداً. إن الوصف الذي يقدّمه السفر ويدعمه نص ما يُزعم أنه يوسفيوس، لا يمكن العثور عليه في فلسطين، بل فقط هنا في مديرية العُدين.

وهذا هو الوضع في أورشليم حين وجد يهوذا نفسه في مأزق حقيقي بسبب التحالفات التي تشكّلت من حوله:

«فاجتمعوا وساروا إلى المصفاة قبالة أورشليم لأن المصفاة كانت من قبل هي موضع الصلاة لإسرائيل: المقطع ٤٦».

وها هنا المصفا – الصفا في المكان نفسه: مديرية العُدين، عزلة السارة، قرية وادي شبز، محلة الصفا (هنا نشاهد الميم الحميرية التي دخلت على الاسم العبري كأداة تعريف قديمة: مصفا – الصفا). ها هنا موضع رابع ضمن الفضاء الجغرافي الدينيّ. وهكذا، تقدمت جيوش الأقيال/ الملوك التي كُلفت إخضاع أورشليم، جنوب عماوس. ولم يجد يهوذا المكابي عندئذٍ، مناصاً من مخاطبة اليهود بعبارات حزينة، ولكن دون يأس من إمكانية النصر:

«فقال يهوذا تَمنْطقوا – أي البسوا الأحزمة – وكونوا ذوي بأس وتأهبوا للغد لمقاتلة هذه الأمم المجتمعة علينا لتبيدنا نحن وأقداسنا، فإنه خيرٌ لنا أن نموت في القتال ولا نعاين الشرّ في قومنا وأقداسنا، المقطع:٥٩».

كان يهوذا المقبيّ (المكبي) يدرك أنه دخل في مواجهة قاسية مع الأقيال/ الملوك الموالين لروما، وأن مسرح المعركة لن يظل محصوراً داخل ما يعرف اليوم بمديرية العُدْين، وهي إقليم قديم كان يشمل قبل التقسيم الإداري الحديث لليمن، كلاً من مديرية فرع العُدين ومديرية حزم العدين، وأنه يمكن أن يتسع ليشمل كل أرض اليهودية القديمة (إقليم المعافر في تعز). وهكذا رأى أن القيل/ الملك اليمني الملقّب بـ(جرجياس) قد توجه بالفعل، ومعه نحو خمسة آلاف راجل (أي دون حصان أو جمل أو حمار) وألف فارس راكب، ساروا ليلاً في إطار هجوم منسق على المركز الدينيّ للكهنة اليهود الذي تسميه التوراة (محلة اليهود).

وكان أكثر ما ساءه أنه وجد هناك أدلّاء من اليهود معظمهم من أهل القلعة، وهي مكان يقع في قلب أورشليم المدينة المقدّسة. هاكم أولاً ما تسميه التوراة (محلة اليهود): مديرية فرع العُدين، عزلة الأهمول، قرية القحاطن، محلة هيجة اليهودي. وهناك موضع في مكان قريب في المديرية المجاورة: مديرية حزم العُدين، عزلة الشرقي، قرية الشرقي، محلة شعب اليهودي. أما القلعة التي كان جزء من سكانها أدلّاء، فهي في المكان نفسه: مديرية حزم العُدين، عزلة حقين، قرية الرياسي، محلة القليعة. والآن، أكون قد كشفت عن جزء جغرافي صغير من (أورشليم)، لكنه قد لا يعني أي شيء أمام الكشف القادم. ولذا، سأترك التفاصيل لكتاب خاص أختم به المجلد الثاني وفيه كل ما يلزم من تفاصيل جغرافية وتاريخية.

وهكذا سار يهوذا (إيلشرح يحضب الثاني):

«هو ورجال البأس ليضرب جيش الملك الذي في عماوس، المقطع: ٣». هذا يعني أن يهوذا تقدم للاشتباك مع الملوك الصغار الموالين للرومان في ما يعرف بمديرية حزم العُدين، عزلة بني علي، قرية الأعموس «وكان لا يزال متفرقاً خارج المحلة، فلما انتهى جرجياس إلى محلة يهوذا ليلاً لم يجد أحداً، فطلبهم في الجبال لأنه قال إنهم هربوا منّا، المقطع : ٤ و ٥».

إن ما يدعى في سفر المكابيين (الملك جرجيانوس) هو ترجمة خاطئة من النص العبري لـ(ملك جرجير- بإلحاق السين اليونانية جرجيانوس)، وهي مقاطعة صغيرة في المكان نفسه: مديرية فرع العدين، عزلة بني يوسف، قرية المداد، محلة الجراجير (اليمنيون يضيفون النون الكلاعية مثل عرب/ عربن/ عدن/ عدنن/ جرجير/ جرجيرن). وبكل يقين لا يوجد في التاريخ الروماني ملك بهذا الاسم في هذا العصر، ولا توجد في السجلات الرومانية واقعة واحدة عن صراع هذا العدد الخيالي من الملوك الرومان في مكان واحد وعصر واحد. إن الرواية السائدة اليوم لا صلة لها بالتاريخ الحقيقي لروما، وهي تلفيق ناجم عن ترجمة خاطئة للنصّ العبري.

بناء الهيكل الجديد

يروي الإصحاح الرابع من هذا السفر، كيف أن إيلشرح يحضب الثاني (واسمه الدينيّ الذي أطلقه عليه الكهنة من كتّاب سيرته: يهوذا المقبيّ/ المكبيّ) وجد نفسه خلال معركة القلعة، وقد انغمس في خضمّ معركة شرسة، وأن قواته كانت أقل تسليحاً وعدداً من القوة المهاجمة. كل ما كان يملكه جيشه، لا يكاد يساوي شيئاً. كانت جيوش ملوك – المخاليف- أي الممالك اليمنية الصغيرة الموالية للرومان مدججة بالسلاح، وكانت لديهم دروع وخيول، وهم مدربون بنحو ممتاز على قتال المتمرّدين. وكنتُ قد أشرتُ في مكان آخر من هذا الكتاب إلى رواية د. جواد علي عن ضعف تسليح القبائل المقاومة للغزو الروماني – نقلاً عن مؤرخين رومان[٩]- «فلما كان النهار ظهر يهوذا في السهل ومعه ثلاثة آلاف رجل، إلا أنهم لم يكن معهم من المجن والسيوف ما يوافق مرادهم. المقطع: ٦». إن هذا النص يتوافق – ويؤكد الرواية اليونانية- الرومانية – عن ضعف تسليح القبائل اليمنية بقيادة إيلشرح في هذه المعركة. كانت معركة مقاطعة السهل قاسية للغاية بالنسبة إليه، ولكنه قرر خوضها مرغماً. إن منطقة السهل هذه التي ظهر فيها (إيلشرح/ أي يهوذا) هي موضع يتبع إدارياً منطقة حور- حورون وتدعى اليوم نجد السهلة في محافظة إب، مديرية العُدين، عزلة عردن، قرية حور، حيث توجد حتى اليوم منطقة تدعى محلة نجد السهلة. وأعيد التذكير بقاعدة التأنيث والتذكير التي سجلتها في مطلع هذا المجلد. لذا، لم يجد مناصاً من تذكير جنوده بالقول الدينيّ المأثور: وكم من قلّة غلبت كثرة،

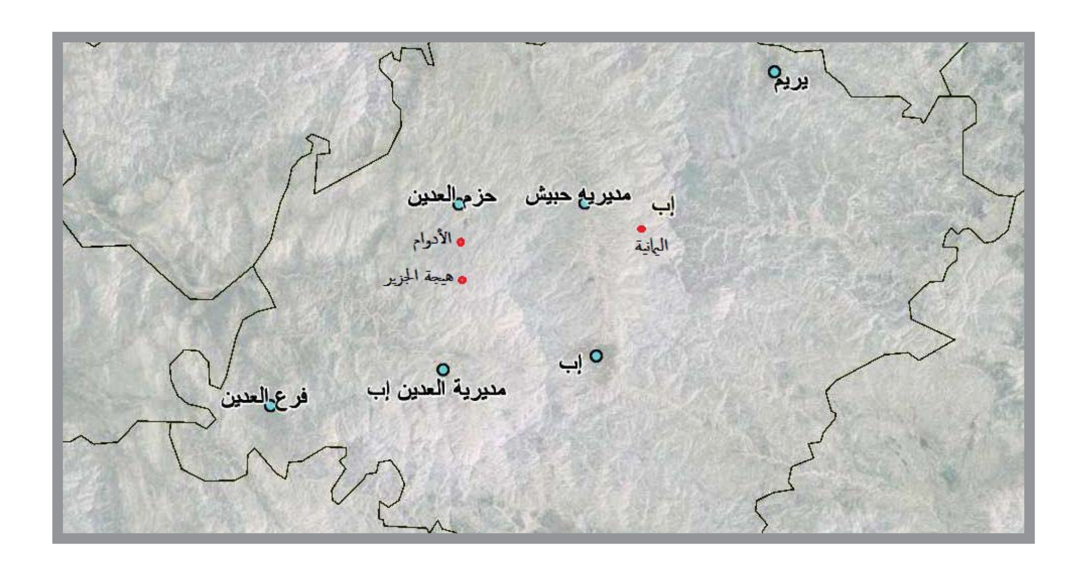
وهو ما جاء النصّ القرآني على الإشارة إليه. كان يهوذا في هذه المعركة، وجهاً لوجه مع إيغالوس (جالوت)، ولم تكن لدى رجاله أسلحة سوى المقاليع/ مفرد مقلاع وفؤوساً وعصياً وسيوفاً: «فقال يهوذا لمن معه من الرجال لا تخافوا كثرتهم ولا تخشوا بطشهم، اذكروا كيف نجا آباؤنا في يمّ سوف[١٠] حين تتبّعهم فرعون بجيشه، فالآن لنصرخ إلى السماء، لعله يرحمنا ويتذكر عهد آبائنا ويكسر هذا الجيش أمامنا اليوم، فتعلم كل الأمم أن لإسرائيل فادياً ومخلصاً، ورفع الأجانب[١١] أبصارهم فرأوهم مقبلين عليهم: المقاطع ٨: ١٢».

ما إن فرغ يهوذا المكبيّ من خطبته الحماسية، حتى شرع الفرسان ينفخون في الأبواق إيذاناً بالحرب. وهاكم تسلسلاً جديداً بالأحداث:

بحسب نص السفر، فقد سقط في الجولة الجديدة من القتال عدد كبير من الجنود «فتعقبوهم إلى جزر، وسهول، وأدوم، وأشدود، ويمنية وكان الساقطون منهم ثلاثة آلاف رجل».

قبل كل شيء، يجب على القارئ أن يُلاحظ أن هذه الجولة من القتال كانت قاسية، وبالفعل فقد سقط فيها – حسب نص السفر– عدد كبير من الوثنيين الذين كانوا يحملون معهم أصنام آلهتهم، وهم من قبائل مقاطعة تُدعى يمنية/ اليمانية. ولنتأمل في الاسم (يمنية). لماذا رسم سارد النص هذا الاسم، إنْ لم يكن الحدث كله وقع في مكان يمني؟ إن رسم الاسم يمنية– أي اليمن (بحسب قاعدة التأنيث والتذكير) لا يعني أي شيء، سوى أن مسرح القتال كان هناك وحسب[١٢]. وهاكم أسماء المواضع في المسرح القتالي نفسه وبالتسلسل وفي مكان واحد: تقع جزر في مديرية حزم العُدين، عزلة حقين، قرية الأجراف، محلة هيجة الجزير– جزر، بينما نجد موضع سهول في المديرية نفسها (مديرية حزم العُدين) ضمن عزلة حقين، حيث قرية نوابة، ومحلة رأس السهلة (أو نجد السهل كما قلنا آنفاً).

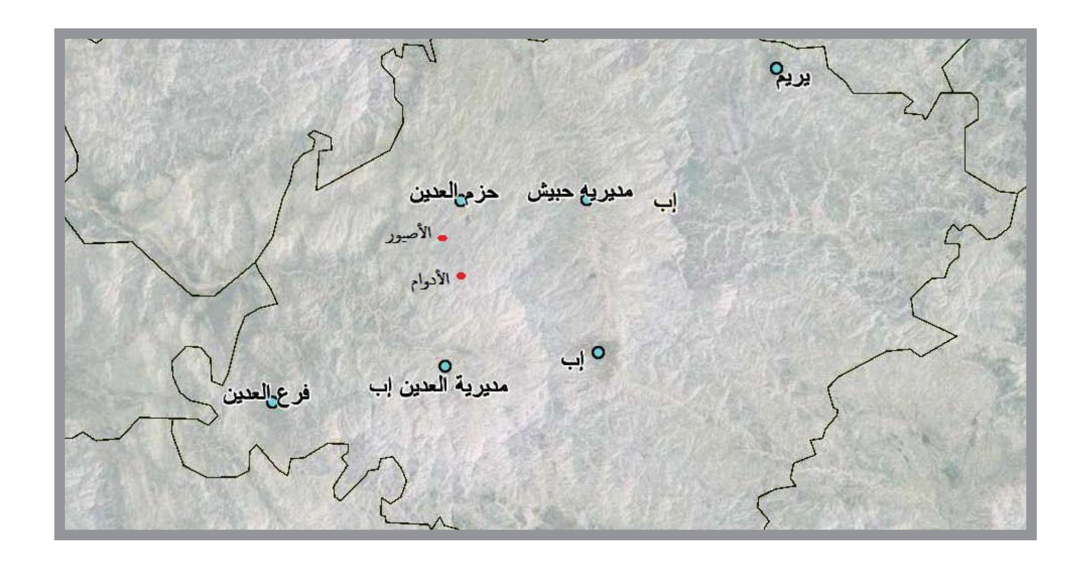
أما أدوم، فهي في المكان نفسه، ولكن ضمن عزلة أخرى: مديرية حزم العُدين، عزلة بني وائل، قرية الموسطة، محلة الأدوام. وغير بعيد عنها سنجد أشدود: مديرية حزم العُدين، عزلة بني سليمان، قرية الوادي، محلة الشدادية. وها هنا يمنية: مديرية المخادر، عزلة الشرف، قرية العوادي، محلة اليمانية. هذا يعني أن الجولة الجديدة من القتال دارت عملياً داخل جغرافية ما يعرف اليوم بمديرية حزم العُدين، ثم امتدت حتى مديرية المخادر.



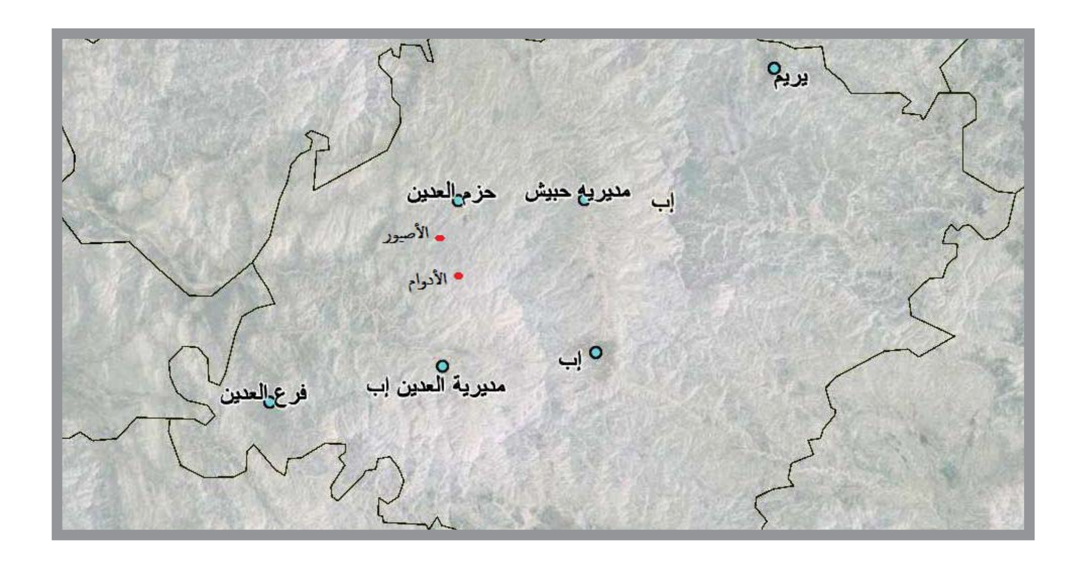
خريطة العُدْين والمخادر/ رقم ١:
معارك المكبيين ضد الغزو الروماني
مواضع المعارك:
مديرية حزم العدين،عزلة حقين، قرية الأجراف، محلة هيجة الجزير،
محافظة إب، مديرية حزم العدين، عزلة بني وائل، قرية الموسطة، محلة الأدوام
مديرية المخادر، عزلة الشرف، قرية العوادي، محلة اليمانية

في هذا الوقت كان قيل/ ملك مقاطعة جرجياس (جرجرس) لا يزال يرابط بجيشه في منطقة القتال، حين عاد يهوذا المكبيّ لمطاردة فلوله، ناصحاً فرسانه بأن يتوخوا الحذر وأن لا ينشغلوا بالغنائم، لأن المعركة كانت لا تزال حامية الوطيس. وهكذا، ما إن فرغ يهوذا من إلقاء كلماته التحذيرية حتى ظهرت في الجبل فرقة صغيرة كانت ترصد تحركاته، بينما كان الدخان يتصاعد من منطقة المحالي. أدركت الفرقة الصغيرة أن يهوذا لا يزال على استعداده التام، وأن فرسانه يتأهبون للقتال فعادت أدراجها، بينما اندفع فرسان يهوذا المكبيّ نحو الغنائم التي تركها المهزومون (وكانت هناك كميات كبيرة من الذهب والفضة المسروقة). يذكّرنا هذا النص بما ذكره القرآن في قصة أحد، حين تشاغل المقاتلون بالغنائم فباغتهم العدو. فهل أخذ مفسّرو القرآن قصة أُحد من هذه الواقعة، كما استعاروا قصة الفيل؟ (سنرى ذلك في فصل قادم). في هذا النطاق يحتّم عليّ أن أطرح رأياً ثوريّاً آخر: إن أي مراجعة نقدية لتفاسير القرآن (وليس القرآن) ستكشف لنا عن حقيقة مروعة مفادها أن المفسرين استعاروا من سفر المكابيين ويوسفيوس، القصص التي فسروا بها (قصص القرآن). بكلام آخر: ولأنهم لم يفهموا بعمق السور القرآنية، فقد وجدوا في قصص السفر التوراتي ويوسفيوس، مصدراً مثالياً لتقديم التفاسير.

وفي هذه الواقعة، خسر يهوذا المعركة. وهذه مصادفة غريبة بعض الشيء، فالسفر التوراتي والقرآن يتحدثان عن واقعة متطابقة. لقد خسر المعركة بسبب انشغال فرسانه بالغنائم والأسلاب. هذا تماثل مثير بين النصين التوراتي والقرآني. وهكذا، في العام التالي ١٤٨ق.م- ق.م، التقويم الحميري ٣٣ ق.م، اشتعلت نيران مواجهة جديدة. لقد جمع ليسياس نحو ستة آلاف راجل (دون فرس) وخمسة آلاف فارس، وزحف صوب أدوم لينزل في بيت الأصيور (صور)، وهما موضعان سبق لنا تحديدهما في محافظة إب، مديرية حزم العُدين، حيث توجد عزلة جبلية وعرة وحصينة تدعى عزلة الأصيور- صور، وبالقرب منها موضع يدعى أدوم: مديرية حزم العُدين، عزلة بني وائل، قرية الموسطة، محلة الأدوام.



خريطة حزم العُدين/ رقم ٢
وتجمع عزلة الأصيور مع عزلة بني وائل
(حيث محلة الأدوام)



خريطة رقم ٣
مواضع المعارك: صور (الأصيور)
(وبنثيل/ بني وائل - محلة الأدوام)

في هذه المعركة – وبحسب مزاعم كاتب السفر– فقد خسر ليسياس خمسة آلاف من جنوده. «ثم التحم القتال فسقط من جيش ليسياس خمسة آلاف رجل صرعوا أمامه. فلما رأى ليسياس انكسار جيشه وبسالة جيش يهوذا، وأنهم مستعدون بشجاعتهم إما للحياة وإما للموت، ذهب إلى أنطاكية وجمع جيشاً من الغرباء، ولما كثر جيشه الأول همّ بالرجوع إلى اليهودية، المقطعان ٣٤– ٣٥».

بالطبع، يستحيل تخيّل، مجرد تخيّل، أن ملكاً أو ضابطاً رومانياً، هزم في ميدان المعركة بفلسطين جنوب سورية، يسارع نحو أنطاكية في أقصى شمال سورية على الحدود التركية – السورية، ليجلب جيشاً جديداً ويجنّد مقاتلين غرباء، ثم يعود بهم مسرعاً نحو فلسطين! هذا أمر خيالي وغير معقول بكل المقاييس. وحتى إذا افترضنا أن هذه المعركة وقعت مع ضابط روماني في اليمن خلال حملة إيغالوس، فسيصعب على المرء تصوّر أنه بعد هزيمته وفراره، أسرع نحو الحدود التركية – السورية ليجلب جيشاً من الغرباء. لقد وقع الحدث بكل تأكيد مع قيل/ ملك محلي رسم المترجم اسمه بطريقة خاطئة، كما رسم اسم المكان الذي فرّ إليه بطريقة غير قابلة للتصديق بأي مقاييس جغرافية. هناك (أنطاكية) أخرى تقع على مقربة من مسرح القتال، وهي موضع يدعى نطاق – نطاك (ويؤنث نطاكة بتحويل القاف كافاً على جري عادات النطق عند اليمنيين: قال– كال). وهذا الضابط الروماني المزعوم هو قيل/ ملك مقاطعة (اللسي) أي (ملك مقاطعة اللسي/ ليساس). وهذه المقاطعة تعرف تاريخياً باسم (جبل اللسي) وتقع في ذمار (محافظة ذمار، مديرية ميفعة عنس، عزلة الاثلاء، قرية اللسي). لقد هُزم هذا (القيل/ الملك) في المعركة، ولذا فرّ نحو أقرب منطقة مؤيدة له، حيث يوجد مركز لتجمع القبائل البدوية في (نطاكية – نطاقية). وهاكم الاسم: محافظة البيضاء، مديرية الطفة، عزلة آل هياش، قرية النطاق. ومحافظة البيضاء ملاصقة لمحافظة إب، حين اغتنم يهوذا المكبيّ فرصة هزيمة القوة المهاجمة لتطهير (منطقة المقدس). وهاكم اسم الموضع: محافظة إب، مديرية حزم العُدين، عزلة الشرقي، قرية الشرقي، محلة مقدش.



خريطة رقم ٤

توضح فرار ليسياس إلى (أنطاكية المزعومة) في

مديرية الطفة – قرية نطاك/ نطاكية بمحافظة البيضاء



خريطة رقم ٥

المناطق التي دار فيها القتال مع ليسياس (المزعوم أنه ملك روماني)

يتضح من هذا الاستعراض العمومي الموجه إلى القراء غير المتخصصين، لأجل استيعاب مضمون الكتاب، أن المعارك وقعت في ذمار ثم امتدت نحو البيضاء فمحافظة إب، داخل ما يعرف اليوم بـ (مديرية العُدين) وما جاورها، وهي أراضٍ ستتبع إدارياً مديريات جديدة أضيفت إلى التقسيم الإداري في اليمن الحديث. على هذا النحو تصبح الجغرافية أقل جموحاً والتاريخ أكثر قابلية للفهم. لقد اجتمع الفرسان الذين هزموا (أقيال ذمار)، ثم أخذوا طريقهم صوب المناطق التي تشكل الفضاء الجغرافي لأورشليم، فصعدوا جبل صهيون (صيون) في المكان الذي يعرف اليوم بمديرية حبيش، عزلة بنى شبيب، قرية العارضة، محلة الصيون (صهيون – الهاء في صهيون أصبحت أداة تعريف في اللفظ الجديد للاسم). أريد هنا أن أذكّر القرّاء بأن كهنة الجنوب يرسمون الأسماء كما ينطقونها. فهم، مثلاً، يرسمون اسم الملك الحميري – اليهودي يرعش في صورة يهرعش؛ ولذا فهم يرسمون اسم الجبل صيون في صورة صهيون[١٣]. وهذا ما يفسّر لنا سبب رسم الاسم صهيون في نصوص التوراة بصورتين: صيون وصهيون. هذا هو جبل صهيون كما ورد في التوراة، حيث بُني الهيكل وأنشأ الكهنة المقادس من حوله. ومن غير شك، فوجود صيغتين لاسم صهيون في التوراة (صهيون وصيون) له صلة عضوية بتقاليد رسم الأسماء عند الكهنة اليهود في الشمال والجنوب، فإذا ما وجدنا الاسم مرسوماً في صورة (صهيون) فسيكون علينا أن نعتبر النص يهودياً جنوبياً، وإذا ما وجدناه في صورة (صيون) من دون هاء وسطية، فسيكون علينا اعتبار المحرر من كهنة الشمال، لأن هؤلاء لا يستخدمون الهاء الحميرية/ العبرية، وأن النص نص شمالي. وهكذا، يمكننا التخلص من ترهات المدرسة الألمانية عن التقاليد الكتابية (اليهوية والإلوهيمية) باعتبارها تلفيقاً استشراقياً. إن ما يُدعى في المدرسة اللاهوتية الألمانية (التقاليد الكتابية – من الكتاب المقدس) ليس له أي أصل ثقافي، والصحيح أن هذه التقاليد لها صلة بالطرائق التي ينطق ويكتب بها الكهنة في الشمال والجنوب، فاليهودي الحميري يحقق (الهاء) أي يضيفها إلى الاسم مثل (يهرعش، يهريق الماء) بينما يخفّف الشمالي/ الإسرائيلي السبئي الهاء الحميرية وينطق الاسم دون هاء (يرعش في يهرعش، صيون في صهيون). سأعطي هنا الدليل من التوراة (النص العبري صموئيل ٢ : ٢٢ :٤ : ٥) وهو يؤكد تصوّراتي:

וילכד-ה-מלך-אנשיו-ירושלים-אל-יבושי-ויושב-ב-הארצ-דוד-מלך-את-מ-סדה-
ציון היא-עיר-דוד

و- ي- ل- ك -د- ها- م- ل- ك- ءن- ش- ي- و- ي- ر- وش- ل- م- ءل - ب- و- سي[١٤]- وي- وش- ب- ها- ء- رص- دود- م- ل- ك- ءت- م- ص- د-ه- ص-ي- و- ن- ه- يء- ع- ي- ر- دود)

يقول النص حرفياً ما يأتي:

«**واستولى الملك ورجاله على أورشليم ويبوس وطرد سكانها من الأرض، وأخذ داود الملك حصن صيّون فأصبح اسمه مضارب داود**» .

إن النصّ العبري يرسم اسم صهيون في هذه الصورة (צייון/ صيون وليس صهيون). وهذا يؤكد بالنسبة إليّ، أن محرّر النصّ كاهن يهودي من الشمال، لأنه لا يستخدم الهاء الحميرية/ الجنوبية، ويغلّب عليها النون كأداة تعريف. وحين دخل المنتصرون بقيادة يهوذا إلى منطقة (المقادس) هالهم ما رأوا فيها. كانت منطقة المقدس – في هذا الوقت – خالية ومهجورة، وكان المذبح مليئاً بالقاذورات والأبواب محطمة والأعشاب البريّة تنبتُ في أرجاء المكان المهجور.

(فرأوا المقدس خالياً والمذبح منجّساً والأبواب مُحرّقة وقد طلع النبات في الديار، كما يطلع في غابة أو جبل من الجبال، والغرف مُهدّمة، فمزّقوا ثيابهم وناحوا نوحاً عظيماً وحثوا على رؤوسهم رماداً، المقاطع (٤٠. ٣٩. ٣٨). حينئذ قرر إيلشرح يحضب/ يهوذا المكبيّ، اعتماد خطة تقوم على إشغال أهل القلعة الذين تعاونوا مع الأقيال/ الملوك، وساعدوهم وعملوا أدلّاء لديهم، وذلك بمهاجمتهم وإرباكهم، ليتسنى له التفرغ لعملية تطهير المقدس. إن كلّاً من (القلعة) و(المقدس) يقع في المكان نفسه. هاكم الاسمين: مديرية حزم العُدين، عزلة الشعاور، قرية العقبة، محلة القلعة. أما المقدس فهو يدعى اليوم المقدش بصيغته العبرية تماماً: مديرية حزم العُدين، عزلة الشرقي، قرية الشرقي، محلة مقدش. فهل دون معنى أن يتطابق التاريخ كما تتطابق الجغرافية (دون أي تلاعب في الأسماء من جانبي).

يضيف النص:

«**ثم تشاوروا بشأن مذبح المُحرّقة المدنّس وماذا يصنعون به، المقطع ٤٤**».

وحتى اليوم، يمكننا أن نشاهد المُحرّقة في مسرح القتال القديم نفسه: مديرية حزم العُدين، عزلة الأجعوم، قرية الأحطوب، محلة مُحرّقة. ولنلاحظ أن اسم القرية يدعى الأحطوب (من كلمة حطب) وهو ما يؤكد أنها كانت قرية مُحرّقات. ثم (وضعوا الحجارة في – جبل البيت – في موضع لائق إلى أن يأتي نبيّ ويجيب عنها، المقاطع : ٤٥–٤٦–٤٧). وهاكم اسم هذا الموضع: مديرية حزم العُدين، عزلة الأبعون، قرية الجبل، محلة بيت (المدافن – لاحظ الاسم: قرية الجبل وموضع بيت). وهكذا بدأ يهوذا بإعادة بناء الهيكل الثاني الذي دُمرّ (ضمن في ما يعرف اليوم بمديرية حزم العُدين).

هنا جبل الهيكل، وهذا هو الفضاء الحقيقي للقصة التي لطالما بدت أسطورية عن تهديم الرومان للهيكل الثاني. وها هنا قدش (مقادش) التي وصلها يهوذا.

لقد راجعت نص يوسفيوس الذي يتعلق بمسؤولية أنتيباس (الملقب هيرودس الثاني) عن تدمير الهيكل، لكن هذه الواقعة لا يذكرها سفر المكابيين. يزعم اللاهوتيون دون أي دليل علمي/ تاريخي موثق، أن *Herod Antipas* (هيرودس أنتيباس) هوالابن الثاني لهيرودس الكبير من زوجته الرابعة السامرية (ملثاكي *Malthace*) وأن نصفه (أدومي أي من مقاطعة الأيدوم، ونصفه الآخر شميري/ أي من مقاطعة شمير، ما يدعى السامرة). ويوسفيوس يدعوه تارة باسم هيرودوس، وتارة باسم أنتيباس. أما العهد الجديد فيدعوه فقط باسم هيرودوس. إن التاريخ الروماني المكتوب لا يعرف ملكاً يدعى هيرودس كان نصفه (أدومياً) ونصفه الآخر (شميرياً). هذا توصيف لا ينطبق إلا على (قيل/ ملك) يمني ينتسب من جهة أبيه إلى أيدوم في إب، ومن جهة أمه إلى شمير (مقبنة) في تعز. ولقبه كما هو واضح يدلّ على أنه من الموالين للرومان، أما أسمه فهو: أنتيباس وهو تلقّب بلقب هيرودس (الثاني كما يزعم في المؤلفات الغربية). وهذا الاسم يجب أن يحيلنا على اسم المقاطعة التي يحكمها، فهو قيل/ ملك مقاطعة حرود/ هيرودس. ليس هذا الملك سوى قيل/ ملك مقاطعة حرود في محافظة لحج (مديرية القبيّطة،عزلة القبيّطة، قرية الرماء، محلة حرود). إن ما يسمى هيرودس/ حيرودس لا وجود له في التاريخ الرسمي الروماني. لقد دخل الاسم في قلب هذا التاريخ فقط، حين أقرّت بعض الكنائس المسيحية في وقت متأخر، بصحّة (تاريخ يوسفيوس) وبالتالي، صحّة ما ورد في سفر المكابيين الأول (انظر الفصل الأول).

لا وجود أبداً لإمبراطور أو ملك روماني يُدعى هيرودس، كما لا وجود لواقعة تاريخية عن (تدميره للهيكل). هذا تلفيق يهودي/ كنسيّ لا أساس له، وكنا قد رأينا أن الأقيال/ الملوك (المتأغرقون) الموالون لروما، هم منْ دمّر أورشليم، وكان قيل/ ملك مقاطعة حرود، وفي الرسم اليوناني حيرودس/ هيرودس، وكان من حكام لحج ومعادياً ليهود أورشليم في إب، وواحداً من أشرس الأعداء في مواجهة إيلشرح يحضب/ أي يهوذا.

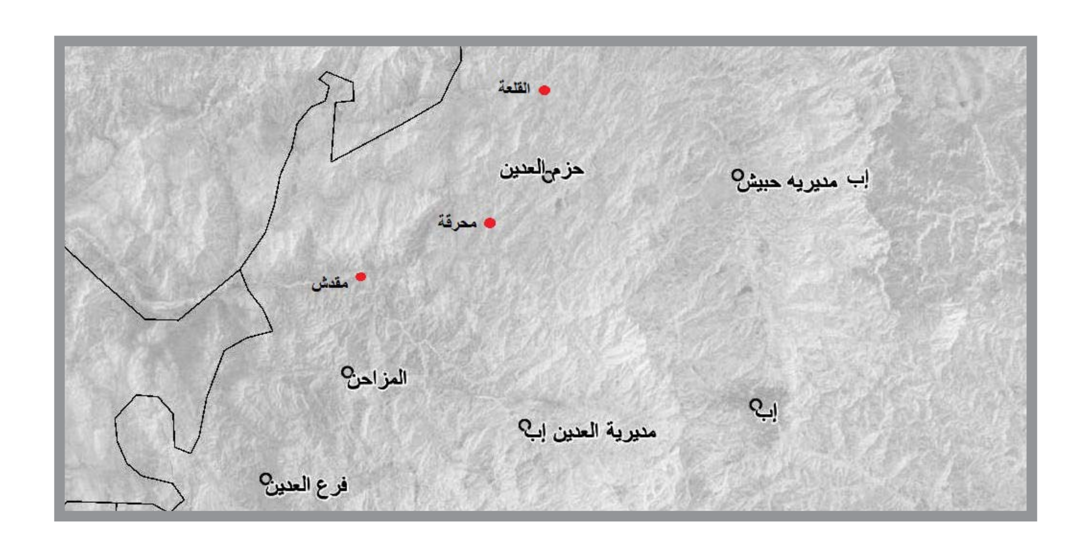
إنني أنفي نفياً قاطعاً وجود إمبراطور أو ملك روماني يُدعى هيرودس، وأنه قام بـ (تدمير الهيكل). هذه أسطورة خلقتها (لفقتها) كنائس روما في عصر متأخر خلال ما يعرف بحروب الفرنجة ١٠٠٩ وما بعدها. وأنا أتحدى أي مختصّ في التاريخ الروماني القديم أن يقدّم أي وثيقة تحمل اسم هذا الإمبراطور/ أو الملك في عام ١٦٣ ق.م؟

يقول يوسفيوس[١٥] (ملحمة اليهود/ الآثار ص: ٤٦) ما يأتي:

إن «هركانوس يوحنا غزا شمير/ السامرة وقام بتدمير الهيكل الذي بناه سنبلط السامري. بناه في طور نريل وقتل كهنته ثم سار إلى بلد أدوم التي هي جبال الشراة من بلاد عيسو/ عيسى ثم حاربهم وقتلهم».

فمن الذي دمّر الهيكل؟ هل هو هيردوس أم هركانوس يوحنا؟ وهل تعرف روما في تاريخها إمبراطوراً أو ملكاً يُدعى هركانوس يوحنا؟ وكنتُ نقلت في صفحات سابقة رأي يوسفيوس القائل، إن يوحنا هو ابن الكاهن متته/ متى الذي قاد المقاومة ضد الغزو الروماني، وأن والده سمّاه (هيركانوس) لأنه قتل جندياً رومانياً جباراً يُدعى (هركانوس). هذا يعني أن يوحنا شقيق يهوذا غزا مقاطعة شمير ودمر هيكلاً للسامريين المعادين لليهود، وليس هيكل أورشليم اليهودي. هذا الالتباس في استيعاب مضمون الرواية ناجم فقط عن ورود كلمة (هيكل) في النصّ. كل هذه المعطيات من داخل نص يوسفيوس وسفر المكابيين، تدحض أسطورة تدمير الرومان الهيكل في جبل صهيون. وأريد أن أقدم – هنا– توضيحاً ضرورياً لكل القرّاء ومن كل الأديان يخصّ اسم صهيون: إن كلمة صهيون لا تدلّ فقط على مكان بعينه، أي على جبل بعينه يسمّى صهيون، لكنها من المنظور الديني الأعم، تعني أن المكان الجبلي الذي بُني فيه الهيكل هو مكان مصون إلهياً، أي محروس/ محفوظ من رب السماء،

فهو الحافظ أي الصيون (الحافظ، من الجذر صان – حفظ فهو الصائن، الصيون). ولذلك، فهذه البقعة الجبلية التي تضمّ المدينة – المعبد أورشليم محروسة بجبل حارس (حافظ/ حامي/ صيون)، وهي في فضاء جغرافي واحد من طبيعة جبلية واحدة، واسمها الديني: صهيون (صيون). إن خريطة جبل الهيكل التي أنشرها هنا، مصمّمة فقط لأجل أن أرسم نظرياً الفضاء الجغرافي للمحيط المقدس (ولن أكشف الآن عن موقعه بالضبط)، حيث أقام بنو إسرائيل بيت الرّب (هيكل الرّب). هذا الفضاء الجغرافي هو (الحرم) أي كامل المنطقة المقدّسة المحيطة بموقع الهيكل.



خريطة رقم ٦

المحيط الجغرافي لموقع الهيكل

مديرية حزم العُدين، عزلة الشعاور، قرية العقبة، محلة القلعة.

عزلة الشرقي، قرية الشرقي، محلة مقدش

عزلة الأجعوم، قرية الأحطوب، محلة محرقة.

(حدود المكان الذي أقيم فيه الهيكل – اللون الأحمر)

يضيف السفر تفاصيل مهمة تخصّ ظروف إعادة بناء الهيكل الثاني، الذي دمّره الملوك المتأغرقون (الموالون للرومان). وكما يتضح من نصوص سفر المكابيين، فإن الرومان لا وجود لهم في هذه الأحداث، وليس ثمة أي إشارة صريحة إلى مشاركتهم في الصراع أو تسببهم بهدم الهيكل، وأن هذه المعارك كانت تدور بين الكهنة اليهود، والمرتدين عن اليهودية من الأقيال/ الملوك، وذلك ما يعيد تذكيرنا بما يعرف بـ(حروب الرّدة في الإسلام).

سأواصل تقديم ملخص مكثف بأهم الوقائع التي وردت في هذا الجزء من السفر:

٤٧: ثم أخذوا حجارة غير منحوتة وفاقاً للشريعة، وبنوا المذبح الجديد على رسم الأول.

٤٨: وبنوا المقادس داخل البيت وقدّسوا الديار.

٤٩: وصنعوا آنية مقدسة جديدة، وحملوا المنارة ومذبح البخور والمائدة إلى الهيكل.

٥٠: وبخّروا على المذبح، وأوقدوا السُّرج التي على المنارة فكانت تضيء في الهيكل.

٥١: وجعلوا الخبز على المائدة ونشروا السجوف (الأستار) [١٦] وأتمّوا جميع الأعمال التي عملوها.

٥٢: وبكروا في اليوم الخامس عشر من الشهر التاسع، وهو كسلو في السنة المئة والثامنة والأربعين[١٧].

٥٣: وقدموا ذبيحة بحسب الشريعة على مذبح المُحرّقة الجديد الذي صنعوه.

٥٤: وفي مثل الوقت، واليوم الذي فيه دنسته الأمم (القبائل) في ذلك اليوم دشن بالأناشيد والعيدان والكنارات والصنوج.

٥٥: فخرّ جميع الشعب على وجوههم وسجدوا للذي خلّصهم وباركوه إلى السماء.

٥٦: وأتمّوا تدشين المذبح في ثمانية أيام، وقدموا المُحرّقات بفرح وذبحوا ذبيحة السلامة والحمد.

٥٧: وزيّنوا وجه الهيكل بأكاليل من الذهب وتروس، ودشنوا الأبواب والغرف وجعلوا لها مصاريع.

٥٨: فكان عند الشعب سرور عظيم جداً وأزيل تعيير الأمم[١٨].

٥٩: ورسم يهوذا وأخوته وجماعة إسرائيل كلها، أن يُعّدّ لتدشين المذبح في وقته، سنة فسنة مدة ثمانية أيام من اليوم الخامس والعشرين من شهر كسلو بسرور وابتهاج.

٦٠: وفي ذلك الزمان بنوا على جبل صهيون، ومن حوله أسواراً عالية وبروجاً حصينة لئلا تجيء الأمم (القبائل) وتطأه كما فعلت من قبل.

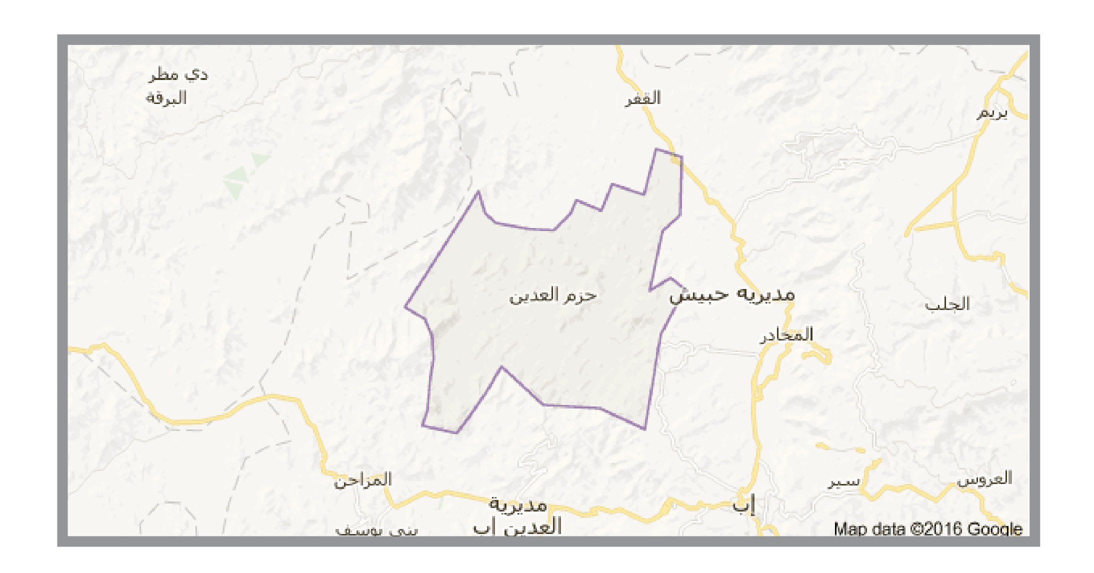
٦١ : وأقام جيشاً يحرسونه، وحصّنوا بيت صور صيانة له حتى يكون للشعب معقلاً تلقاء أدوم.

في هذه المقاطع تتضح صورة هيكل الرّب، فهو بيت عبادة في أعلى الجبل، ضمن جغرافية حزم العُدين، وليس تحت (المسجد الأقصى أو قبة الصخرة في فلسطين). إن خرافة وجود (جبل الهيكل تحت الأقصى) تدحضها آية توراتية تعترف بها الكنيسة لا اليهود وحدهم، وها هنا تأكيد عليها، فالهيكل في الجبل وليس تحت الأرض. وهكذا، امتدت بعض أسواره باتجاه ما يعرف اليوم بمديرية حبيش المجاورة. لماذا؟ لأن هذه المديرية تضمّ جبل صيون/ صهيون. وقد جرت مراسم تطهيره من الدنس، وأعاد إيلشرح/ يهوذا الكاهن المحارب، بنفسه، بناء ما تهدّم من المذبح. والسؤال المثير الذي يجب أن يطرح في هذا الإطار: ما الدوافع الفعلية للحفريات تحت مسجد قبّة الصخرة في القدس الفلسطينية بحثاً عن الهيكل، بينما يقول النص هنا وبوضوح تام، إن الهيكل بُني ثانية في أعلى جبل صهيون؟ يبقى أن أعيد التذكير بتحليلي الذي أكدت فيه أن كاتب السفر يهودي يمني، وأن مصطلح (هيكل) الذي يستخدمه، تارة للإشارة إلى بيت عبادة سامري دمّره يوحنا (هيركانوس) شقيق يهوذا، وتارة للإشارة إلى بيت عبادة يهودي دمّره أقيال/ ملوك عملاء للرومان؛ إنما يقصد به (بيت عبادة ديني بإطلاق) فكل بيت ديني هو (هيكل) أي أعمدة (على غرار أعمدة بعلبك في لبنان، أو محرم بلقيس في مأرب، أو أعمدة تدمر السورية).

إن بيت الإله يجب أن يظل رمزياً، مجرد (هيكل) أي أعمدة شاهقة نحو السماء، لتدل عليه ولا يجب أن تبُنى أبداً. وحتى اليوم تعني كلمة (هيكل) في اللهجة العراقية: أعمدة البيت التي لم تُبْنَ بعد. وهذا هو مغزى رواية التوراة، أن داود ترك بناء بيت الرب مجرد (هيكل) حتى قام ابنه سليمان بإعادة بناء البيت. إن منظر (محرم بلقيس) في مأرب يدلنا على الدلالة الرمزية للهيكل، فهو أعمدة شاهقة صوب السماء. ولنلاحظ أن الكهنة نشروا (الأستار) أي أنهم وضعوا كسوة، أي ألبسوا الهيكل ثوباً، وهو ما يعيد تذكيرنا بتقاليد تبديل كسوة الكعبة كل عام. هاكم دليلاً آخر يؤكد أن يوسفيوس وكاتب سفر المكابيين هما يهوديان يمنيان: يقول النص إن الاحتفالات بإعادة بناء الهيكل الثاني، جرت في يوم الخامس والعشرين من شهر (كسلو). وهنا النص الصريح:

٥٩: ورسم يهوذا وأخوته وجماعة إسرائيل كلها، أن يُعَدّ لتدشين المذبح في وقته، سنة فسنة مدة ثمانية أيام من اليوم الخامس والعشرين من شهر كسلو بسرور وابتهاج.

إنه لمن قبيل العناد وحسب، أن يصرّ شخص ما على أن كاتب السفر، أو كاتب (ملحمة اليهود) هما كاهنان يونانيان، أو أن النص كتب باليونانية. وما علاقة اليونانيين بشهر كسلو الحميري؟



خريطة رقم ٧:
الفضاء الجغرافي لأورشليم والهيكل

انتصار يهوذا

والآن، سأروي، بما يخالف التاريخ الرسمي السائد والمُهيمن ودون تردد، قصة دحر الغزو الروماني لليمن على يد إيلشرح يحضب الثاني وأخوته الكهنة. إن سائر المصادر الرومانية حتى المتأخرة منها، تروي أخباراً مقتضبة عن فشل الغزو الذي قاده إيغالوس (جالوت في القرآن). لكن ثمة وثائق أخرى، جرى الصمت عنها، أو لنقل إنها أُبعدت عن الأيدي، لأنها تتضمن شيئاً ما، لا يجب الكشف عنه، وهي تتضمن ما يمكن اعتباره الملف التاريخي المسكوت عنه، أو لنقُلِ الملف التاريخي الذي يجب السكوت عنه. ويبدو أن الانهيار والفشل لحملة غايوس إيلوس المعروف باسم غالوتس عام ٢٥ ق.م (وهناك خطأ شائع آخر يجعلها في ٢٥ بعد الميلاد)، مجرد رجع صدى، وتكرار لفشل غزو روماني آخر وقع قبل ربع قرن من هذا الوقت. كانت حملة غايوس إيلوس المتأخرة، محاولة عرضية وسيئة التخطيط، للاقتراب من المناطق الاستراتيجية في الساحل اليمني، وكما بيّنت تقارير الكتاب والمؤرخين الرومان المتأخرين مثل بليني الأصغر[١٩]، فإن المادة الخام التي نسجوا منها روايتهم لهذه الحملة، مستمدة بالكامل من انطباعات ضباط شاركوا فيها بفاعلية، ولكنها بوجه العموم تقارير تخلو من أي قيمة عسكرية أو تاريخية، لأنها تتضمن وصفاً عمومياً للقبائل مع ذكر أسماء بعضها، مثل سبأ وحمير وهمدان إلخ، ولكن دون إشارات كافية لطبيعة القتال وحجم التوغل في المدن وطبيعته. كان غايوس إيليوس (المعروف عند الكتاب العرب باسم غالوس/ غالوتس *Aelius Gallus* وهذا هو مصدر الرسم القرآني للاسم جالوت/ غالوتس) حاكماً عسكرياً على مصر في نهاية العصر الروماني، وتولى بنفسه الحملة المُصممة لضمّ ما بقي من مملكة حمير وسبأ إلى الإمبراطورية الرومانية، وذلك بعد أمرٍ مباشر من الإمبراطور أغسطس؛ وبالطبع في سياق الحروب الرومانية – الفارسية التي كانت في هذا الوقت تضع أوزارها، كحروب طويلة ومتواصلة للسيطرة على أعالي البحر الأحمر. لكن نتائج هذه الحملة كانت كارثية بكل المقاييس العسكرية، فقد عانت القوات بسبب الإعداد الرديء، من تفشي الأمراض في موسم الحرّ الشديد في عدن بجبالها الغرانيتية الحارقة، مع نقص فاضح في إمدادات الطعام والماء، وتصاعد مقاومة شرسة وعنيفة من القبائل اليمنية الجنوبية. وبحسب بعض التقارير، أدت وشايات (العملاء) اليمنيين، وخصوصاً قبائل لحج وتعز المجاورتين لعدن، دوراً مروّعاً في

تضليل القوات الرومانية، الأمر الذي حمل غالوتس على العودة إلى منطقة إسكندر (ما يُزعم أنها الإسكندرية المصرية وهي الواقع مقاطعة في الحديدة) بعد أن خسر جزءاً كبيراً من قواته.

كان غالوتس صديقاً حميماً للجغرافي اليوناني سترابون، الذي نقل عنه أن الإمبراطور كلفه قيادة أسطول من ١٢٠ سفينة عبرت مضيق هرمز (*Myos Hormos*) قاصداً إثيوبيا واليمن، وأنه نجح في الوصول إليهما، وجرى تبادل للسفراء والمبعوثين لتأمين أفضل الطرق لتدفق البضائع والسلع، مثل البهارات والعطور والصمغ والجواهر والعاج والخشب والأحجار الكريمة. وبذلك أصبحت الطريق إلى عُمان والهند، وهي طريق البخور التاريخي، مفتوحة فعلياً أمام الرومان وبشكل أدق أمام مركزهم في مصر، وهو ما عنى زيادةً ملحوظة في أعداد السفن التجارية ذهاباً وإياباً، وهكذا باتت الطريق البحرية إلى الهند تمرّ عبر موانئ حضرموت، وتغدو أكثر أماناً من الطرق البرّية، وكان لا بدّ من دفع (ضرائب) باهظة للسبئيين في ميناء المخا، ولزعماء القبائل الحِمْيَرية في حضرموت، بل وللفرس أنفسهم أعداء الرومان[٢٠] الذين كانوا يبسطون سيطرتهم على مضيق هرمز. ويبدو أن ثقل الضرائب الباهظة التي فرضها اليمنيون، وإصرارهم على فرض سيطرتهم على الملاحة ومنع القوى الدولية من التلاعب بإرادتهم في بحر عُمان وخليج عدن، كانا سبباً رئيسياً أكثر أهمية من أية أسباب أخرى، وراء قرار الإمبراطور أغسطس، الطلب من التجار المصريين، الإسهام في تمويل الحملة لإخضاع المملكة السبئية. في هذه الأجواء وقعت الهزيمة وانسحب الرومان من اليمن[٢١]. وخلال الحقبة التي شهدت فشل الغزو، ونجاح اليهود بقيادة إيلشرح يحضب (يهوذا) في إعادة بناء الهيكل في (حزم العُدين) حدثت تطورات متلاحقة، سأوجزها طبقاً لما رواه السفر:

١: ولما سمعت الأمم (القبائل) التي من حولهم، أنْ قد بني المذبح ودُشن المقدس كما كانا من قبل، استشاطت غضباً.

٢: فتآمروا، أن يبُيدوا من بينهم كلّ منْ كان نسل من يعقوب، وطفقوا يقتلون ويهلكون من الشعب.

٣: وكان يهوذا يحارب بني عيسو في أدوم عند إقربتن، لأنهم كانوا يضيّقون على إسرائيل فضربهم ضربة عظيمة ودفعهم وسلب غنائمهم.

تكشف لنا هذه النصوص بجلاء، طبيعة ما يُدعى حروب المكابيين، فهم كانوا يقاتلون جماعات قبلية وثنية أو معادية لهم دينياً (مرتدّة عن اليهودية)، منها جماعة لها قرابة دموية (من الدم) مع بني إسرائيل، هي بنو عيسو.

وكنا قد رأينا في الكتاب السابق[٢٢]، أن نظام القرابات الذي جمع القبائل الشمالية والجنوبية، لم يكن، تحت أي ظرف، ليكبح الصراعات الداخلية؛ بل على العكس من ذلك، كان يدفعها للانتماء إلى هويات قبلية أصغر، وأن شبكة القرابات كانت تتقلص لتصبح أكثر تقبلاً لولاءات أصغر فأصغر، أي لفروع (وهويّات) قبلية أضيق. ونحن نعلم أن يعقوب (المتحوّل إلى إسرائيل) هو شقيق عيسو- عيصو (انظر قصته في سفر التكوين). هذا يؤكد أن هزيمة الرومان أدّت إلى حرب أهلية. ولذلك، في ظل هذا الصراع بين الأشقاء اليهود/ الإسرائيليون، سيبدو من غير المنطقي تخيّل أنهم كانوا يقودون ثورة على الرومان، وفي الآن ذاته يقاتلون القبائل؛ بل وبني جلدتهم وأخوتهم من بني عيسو! الأدقّ، ولأجل فهمٍ أعمق لمغزى الصراع مع بني عيسو، رؤية هذه الحروب من منظور التاريخ السبئي - الحميري، فهي دارت بين أقيال/ ملوك في إطار مجتمع قرابات انقسامي، انهارت فيه نظم ضابطة وصارمة، كانت لعقود طويلة تفرض قواعد وأسساً دينية لتولي الحكم/ الكهانة. لقد كانت بعض قبائل الجنوب التي تصدّت للغزو الروماني، حالمة بإعادة تأسيس «مملكة حمير الثانية» التي ظهرت رمزياً في المسرح التاريخي من جديد، مع الملك السبئي إيلشرح يحضب الثاني ٦٠-٤٠ ق.م، بعد زوال مملكة حمير الأولى، أي مملكة سبأ وريدان وحضرموت ويمنت. وكنا قد رأينا أن هذه المعارك كانت محصورة في رقعة جغرافية ضيقة، تمتد على مساحة ما يعرف اليوم بالعُديْن (وهي اليوم ٣ مديريات: حزم العُدين، وفرع العُدين، والعُدين). وسأعيد التأكيد هنا، أن إيلشرح يحضب الثاني هو برأيي (يهوذا المكابي - وهذا لقبه الدينيّ). ولعل إشارات سترابون عن هذه المعارك وتأكيده أن الرومان اصطدموا بـ (ملك سبأ وأنه لم يكن ملكاً)[٢٣] تدعونا بقوة إلى التشبّث بهذا الاستنتاج؛ إذ لا وجود لملك سبئي في هذا العصر واجه الرومان سواه، وهو كما قلنا لم يكن ملكاً، بل قيلاً طامحاً إلى استرداد إرث مملكة سبأ وحمير، وهاكم اسم الشعب الذي حاربه بنو إسرائيل: مديرية فرع العُدين، عزلة المسيل، قرية البادية، محلة شعب عيسى. ولنلاحظ أن اسم القرية التي عاش فيها بنو عيصو- عيسو، تدعى البادية. لقد

كان عيسو (سفر التكوين) رجلاً بدوياً كثيف الشعر، وقد باع بكوريته، أي باع امتيازه كابن بكر سبئي لشقيقه يعقوب المزارع. بهذا المعنى، يصبح للجغرافيا الثقافية أهمية استثنائية في قراءة التاريخ الأسطوري. ها هنا قرية (البادية) التي تدلّ على وجود جماعة بشرية تدعى بني عيسو، وقد اشتبكت مع بني إسرائيل. ومن هذا الموضع انتقل القتال إلى أدوم. وها هنا أدوم في مديرية حزم العُدين نفسها، عزلة بني وائل، قرية الموسطة، محلة الأدوام. ثم تواصل القتال في موضع يدعى إقربتن – القِرْبَة (النون أداة تعريف قديمة). وهاكم اسم المكان: مديرية حزم العدين، عزلة الشعاور، قرية بني سعيد، محلة شعب المقربة (م/ قربتن).

يضيف السفر:

٤: و تذكر- يهوذا- شرّ بني بيان الذين كانوا ينصبونَ الشراك والكمائنَ للشعبِ على الطرق.

في هذا المقطع تأكيد جديد يدعم تصوّرنا عن طبيعة هذه الحروب، فقد استذكر يهوذا وهو يقاتل بني عيسو، أن هناك جماعة شريرة تدعى بني بيان تناصبه العداء. ولذلك، يصبح أمراً خارج كل منطق تاريخيّ، تخيّل أن حروب المكابيين دارت بين ملوك روما، بعضهم ضد بعض، وضد اليهود في الآن نفسه، بينما يشتبك اليهود مع جماعة شريرة تدعى بني بيان في فلسطين. مثل هذه الجماعة لا وجود لها في تاريخ فلسطين، وتاريخ الرومان لا يعرفها بكل تأكيد. هاكم اسم هؤلاء: محافظة إب، مديرية السياني، عزلة العربيين، قرية قتر، محلة جهة بيان. لقد كان يهوذا (إيل شرح يحضب) قلقاً من دخول جماعة قبلية شريرة على خط المواجهات، وهو أمر يؤكد، بشكل قاطع، الطابع الحقيقي لحروب المكابيين كحرب أهلية بين اليهود والمرتدّين عن اليهودية وضد الموالين لروما، ولم تكن (ثورة يهودية) كما تزعم القراءة الاستشراقية. وبطبيعة الحال، لا يعرف تاريخ روما العسكري ولا أرض فلسطين، جماعة تدعى (بني بيان) دار صراع بينها وبين خصوم الرومان من اليهود. هذا هراء استشراقي جرى تمريره لتضليل ملايين البشر. كان هؤلاء يقيمون في مكان يقع اليوم على تخوم تعز/ إب، وكانوا من قطاع الطرق الأشرار.

٥: فاضطرهم لأن يلجأوا إلى (البروج/ الأدقّ الحصون) وحاصرهم، ودفع بهم وأحرق حصونهم وكل من كان فيها بالنار.

وبطبيعة الحال، لا تعرف جغرافية فلسطين حصوناً جبلية، ولو أن يهوذا أو الرومان أحرقوا مثل هذه الحصون، لوجدها علماء الآثار بسهولة حين حفروا ونقبوا أرض فلسطين طوال ٧٠ عاماً. وبكل تأكيد يستحيل تخيّل اختفاء حصون جبلية من الجغرافية. في الواقع، لا تبدو هذه جملة مفهومة، إذْ ماذا يعني أن الفارين لجأوا إلى البروج، وأي بروج؟ إن الترجمة الصحيحة لجملة (يلجأوا إلى البروج) كما في النصّ العربي، يجب أن تكون هكذا كما في النص العبري: (يلجأوا إلى مجدل). ومن المؤسف أن كلمة مجدل العبرية، تترجم في مواضع كثيرة من التوراة إلى (برج). والصحيح أنها مكان يُدعى (مجدل) وهي كل موضع صخري وعر. وها هنا اسم الموضع: محافظة تعز، مديرية التعزية، عزلة حذران، قرية الإذمور، محلة المجدلة (مجدل).

٦: ثم عبر إلى بني عمون فصادف جيشاً قوياً وشعباً كثيراً تحت قيادة تيموتاوس.

بعد أن تمكن يهوذا من دحر بني عيسى وبني بيان، وجد نفسه في مواجهة بني عمون. وهؤلاء كانوا بقايا بني عم (العمونيون هم القتبانيون الذين تفككت مملكتهم على أيدي السبئيين) وأصبحت بعض بطونهم من سكان مقاطعة صغيرة تدعى عم – عمه/ عمون (الوزن العبري)، وهي اليوم هناك باسمها هذا في محافظة تعز، مديرية صبر الموادم، عزلة المعقاب، قرية الموسطة، محلة عمه. ويجب أن أوضح هنا، أن بني عمون هم القتبانيون كما بينت سابقاً، وهؤلاء كانوا ينتسبون إلى مملكة جنوبية ظهرت في عدن ووادي بيحان، ووصل نفوذها إلى باب المندب. وأكثر من ذلك، أنها تمددت في أراضي الشمال السبئي، واستولت بقوة نفوذها على مقاطعة شمير (السامرة) كما توضح النقوش السبئية. ولكن، مع زوال مملكتهم القديمة وتحللها وتفكك قبائلها، عاشت جماعات وبطون منها في أجزاء مختلفة، منها هذا الموضع الذي يحمل اليوم بقايا من اسمهم الدينيّ بمديرية صبر الموادم. لقد تلاشت المملكة القديمة بعد أن دمرها السبئيون واستولوا على أراضيها خلال حملة المكرب إيل وتر. ولأن بني عمون كانوا يعبدون الإله (عم – إله القمر)، فهم كانوا تلقائياً في حالة عداء ديني مستمر مع بني إسرائيل واليهود. بيد أن الصدام معهم وقع، لا على خلفية الصراع الديني، بل على خلفية الولاء للغزاة الرومان والأحباش.

٧: فاشتبك معهم في حروب كثيرة فانكسروا أمامه فأوقع بهم.

٨: في (فتح) و(يعزير) وتوابعها ثم عاد إلى اليهودية.

ولمّا كان يهوذا المكبيّ يحارب بني عمون الذين تعاونوا مع الرومان والأحباش، ويدحر قواتهم في ما يعرف اليوم بمديرية صبر الموادم بتعز، فقد كان أمراً متوقعاً أن يستولي على مناطق مجاورة لمسرح القتال كانت تتبع هؤلاء، ومنها موضع يُدعى فتح والآخر يدعى يعْزير. ها هنا أولاً (فتح): محافظة تعز، مديرية صالة، عزلة صالة، حي صالة، محلة حارة الفتح. وها هنا ثانياً يعزي: محافظة تعز، مديرية خدير، عزلة خدير السلمي، قرية وادي الحسين، محلة العزيرة. والياء في الأسماء العبرية هي ذاتها الياء السبئية – الحميرية التي تستخدم كأداة تعريف (مثل يعرم: العرم، يعرب: العرب. يعزير: العزير). ولنلاحظ أن النص يستخدم تعبير (اليهودية) في وصف المملكة، أي بلاد اليهودية. وهذا هو الاسم الذي عرفه رحّالة اليونان وسجلوه في خرائطهم. في سياق هذه الحروب نشأ تحالف قبلي عريض في وجه يهوذا المكبيّ، وهو أمرٌ سيدفع مناصريه من قبائل الجنوب الحميرية إلى الطلب منه أن يبحث عن مخرج من هذا المأزق. وبحسب ما ورد في سرد هذا الجانب من المعارك، فقد تعرض جيش يهوذا المكبيّ – في ما يعرف اليوم بمديرية التعزية – لانتكاسة قاسية، فقد هاجم تحالف القبائل أنصار يهوذا هناك، وقتلوا أعداداً كبيرة منهم، وبعضهم لجأ إلى قلاع حصينة في الجبال. ولذلك يقول السفر ما يأتي: أن أنصار يهوذا أرسلوا له ولإخوته رسائل يناشدون فيها الإسراع بنجدتهم:

٩: إن الأمم (القبائل) التي في جلعاد اجتمعت على منْ كان من إسرائيل في تخومهم، ليبيدوهم ففرّوا إلى الحصن ووادي التمّة.

سأتوقف هنا قليلاً لتحليل اسم جلعاد/ جلعد الذي يتردد في التوراة. ورد اسم جلعاد في نصوص التوراة في هذه الصورة (جلعد)[٢٤]. وهؤلاء جماعة قبلية محاربة، تعرف باسم الجعد (جلعد – بقلب اللام وتحويلها إلى أداة تعريف). وها هنا موضعهم القديم: جلعد: محافظة تعز، مديرية التعزية، عزلة الأجعود، حيث يوجد وادي التمّة – تامّة. وهاكم اسم الوادي الذي هرب نحوه بعض أنصار يهوذا في المكان نفسه: محافظة تعز، مديرية التعزية، عزلة الدعيسة، قرية الحروف، محلة شعب تامّة؛ بينما كان هناك آخرون من أنصاره في عمق محافظة إب، يواجهون حصاراً

خانقاً في الحصن الذي لجأوا إليه، وهو حصن قديم لا يزال اسمه هناك: مديرية إب، عزلة شعب يافع، محلة الحصن. ومعلوم أن مديرية إب مجاورة لمديرية جبلة. وهكذا سارت الأحداث فقد:

١٠: أرسلوا كتاباً إلى يهوذا وأخوته، قائلين إن الأمم (القبائل) الذين من حولنا قد اجتمعوا علينا يريدون إبادتنا.

١١: وفي عزمهم أن يأتوا ويفتحوا الحصن الذي التجأنا إليه وجيشهم تحت قيادة تيموتاوس.

١٢: فالآن هلمّ واستنقذنا من أيديهم فقد سقط منا عدد كثير.

١٣: وجميع أخوتنا الذين في (أرض طوب) قد قتلوا، وسُبيت نساؤهم وأولادهم وسُلبت أمتعتهم وهلك هناك نحو ألف رجل.

إن التمعن في مجريات الأحداث دون أي تأويل تعسفيّ، سيُتيح للمرء أن يحكم بنزاهة، لا على طبيعة هذه الحروب القاسية، بل أن يعيد التأمل في المسرح الجغرافي، فهي بالفعل أحداث ذات طبيعة داخلية، لا أثر فيها لأي وجود عسكري روماني، كما توحي ترجمة السفر. وممّا يُدلل على ذلك، أن مترجم السفر عن النصّ اليوناني، ترجم أسماء المواضع طبقاً لطرائق التصويت اليوناني كما سنرى، وهو أمر كان من شأنه أن يؤدي في كل قراءة للسفر إلى تكريس الاعتقاد الخاطئ، بأن الأحداث تخصّ التاريخ الحربي الروماني؛ بينما يشير مسار الأحداث إلى صراعات قبلية داخلية. وكنا قد رأينا من المقاطع السابقة أن المعارك كانت تدور ضد بني عيسو وبني بيان وبني عمون.

وهي الآن تدور في منطقة تدعى (أرض طوب) على تخوم محافظة تعز، وتتبع اليوم إدارياً محافظة إب، وهي تدعى باسمها هذا حتى اليوم (أكمة الطيوب). لقد وقعت فيها مذبحة لأنصار يهوذا المكبيّ على أيدي القبائل المعادية له في محافظة إب، مديرية السياني، عزلة عميد الخارج، قرية الدمنة، محلة أكمة الطيوب. (وكلمة أكمة لا تعني الأرض بل المرتفع). هذا يعني أن مسرح القتال لم يتجاوز حدود ما يعرف اليوم بمحافظتي إب وتعز، علماً أن المديريات المذكورة هنا ملاصق بعضها لبعض. فضلاً عن كل ذلك، لا تعرف جغرافيّة فلسطين هذه القرى والبلدات، كذلك فإن تاريخ روما العسكري لا يشير إلى أي حروب في هذه الأماكن.

١٤: فبينما هم يقرؤون الكتاب، إذا برُسلٍ آخرين قد وفدوا من (جلالي/ الجليل) وثيابهم مُمزقة وأخبروا بمثل ذلك.

والجليل هذه، هي جلالي (جليل) في منطقة العُدَينْ، أي موطن يهوذا المكبيّ. هاكم اسمها: محافظة إب، مديرية العُدَينْ، عزلة العمارنة، قرية سنعات العمارنة، محلة وادي جلالي.

١٥: قائلين قد اجتمعوا علينا في بطلميس وصور وصيدا وكل جليل الأمم[٢٥] ليبيدونا.

حسب هذه الترجمة الغرائبية سنكون أمام جغرافيا خيالية: هنا موضع يحمل اسماً رومانياً (بطلميس) قرب مواضع تحمل أسماء عربية، يُزعم أنها لبنانية، هي صيدا وصور، وهناك موضع يزعم أنه فلسطيني هو (جليل الأمم)، وهذا اسم آخر أكثر غرائبية. وبالطبع، يستحيل تخيّل وجود جغرافيا تضمّ أجزاءً من لبنان وإيطاليا وفلسطين كان يقيم فيها اليهود كأعداء لروما! ولذلك سنعيد ترجمة النص وضبطه، بالعودة إلى النص العبري من يوسفيوس الذي يرسم الأسماء كما هي في النطق العربي. وأريد هنا أن أنبّه إلى أن النص العبري لا يعرف الفواصل بين الكلمات، ولذلك غالباً ما يقع مترجم النص في الحرج لأنه قد يخلط اسم موضع بآخر، فيدمجهما متصوّراً أنهما اسم واحد كما حدث مع اسم بطليموس (ولنلاحظ أن المكان اسمه بطلمايس واسم الملك الروماني المزعوم هو بطلماوس، فهل من المنطقي تخيلهما في صورة واحدة). كل هذا يؤكد لنا غرابة الترجمة.

هنا ترجمة أخرى للنصّ تجعل منه أكثر واقعية في الوصف الجغرافي:

(وكتبوا – ليهوذا – قائلين، لقد اجتمعوا علينا من كل حدب وصوب، من – بني – أبطال، و– قرى – ميس، وصور، وصيده، حتى شعب الجليل).

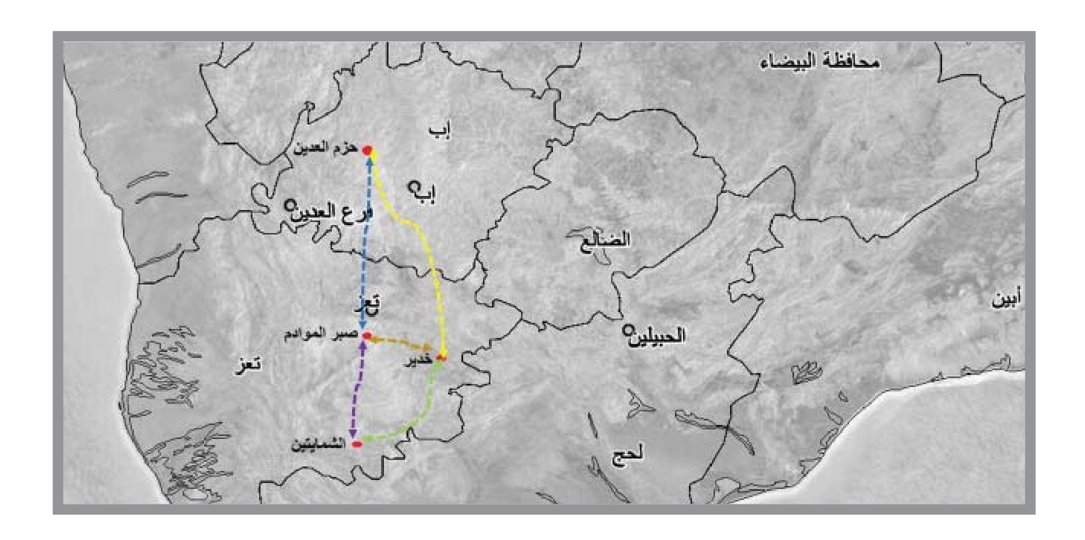
سأوضح هنا مسألة الاسم بطليموس: لأن النص العبري يُكتب دون فواصل، فقد دمج المترجم بين اسم (أبطال) و(ميس) وهما موضعان جاءت منهما القبائل لمقاتلة يهوذا. تقع (أبطال) في محافظة تعز، مديرية الشمايتين، عزلة القريشة، حيث نجد هناك قرية تدعى حتى اليوم باسم (قرية الأبطال). وهؤلاء جاؤوا من مكان مجاور، ثم التحقوا بالمعارك في ما يدعى اليوم مديرية خدير، حيث نجد هناك في عزلة الشويفة وقرية الأعموق محلة تُدعى

محلة ميس، بينما كان آخرون يتجمّعون في مديرية حزم العُدين، ضمن عزلة الأصيور-صور، كما كانت هناك قبائل أخرى تحتشد في مديرية صبر الموادم ضمن عزلة العارضة، قرية العقائر، حيث محلة صيد. ها هنا صور، وصيدا، وأبطال، وميس (وبدمج الموضعين المتجاورين: بطاليمس). وهناك شعب الجليل في حزم العُدين الذي يرسم في صورة (جلالي). وما يؤكد صحّة استنتاجاتنا أن يوسفيوس (الآثار/ ملحمة اليهود)[٢٦] يؤكد لنا أن في مدينة (ميس) هيكل لأحد آلهة السوريين (الآشوريين) يسمّى هيكل (النناية/ إنانا)[٢٧].

والمثير للاهتمام أن الإلهة السومرية القديمة (وإلهة الآسوريين/ الآشوريين) تدعى في السومرية (نينيانا/ ننايا). وحتى اليوم نجد هيكل هذه الإلهة (بيت عبادتها) في صورة (بيت عنان) في محافظة إب على الطريق من المكان الذي يسميه يوسفيوس ويدعى (المائدة قرب ميس). تقع (بيت العنان/ بيت أنانا) في محافظة إب، مديرية المخادر، عزلة السحول، قرية بيت عنان[٢٨]. لقد سعى أنطيوخس إلى نهب هذا المعبد وتدميره، الذي يرسم يوسفيوس اسمه في صورة «معبد النناية/ إنانا» (مكا١: ١٣-١٥) والذي يميزه اليونانيين بالإلهتين أفروديت وأرطاميس.

لكن يوسفيوس يقول في تفصيل إضافي إن (ميس *Elymais*)[٢٩] هذه كانت تتبع مدينة (المائدة/ المائيداى). وكما انتشر اسم هذه الإلهة، فقد انتشرت في أماكن كثيرة من اليمن معابد تحمل اسم (هيكل) ويقصد به معبد دينيّ. من ذلك المكان الذي يُدعى حتى اليوم باسم (الهيكل) في تعز: مديرية المخاء، عزلة الجمعة، قرية جحزر، محلة حصب الهيكل. يبقى أن نعلم أن مقاطعة (المائدة) لا تزال حتى اليوم هناك باسمها هذا ضمن جبل حبشي في تعز. ولذلك، فإن اسم (الإلهة إنانا) التي عُبدت في هذه المناطق، هو اسم الإلهة الأم عند الآسوريين/ السوريين. وهذه ستجد صيغة موازية في العقائد اليمنية، بما أنها تتجسّد في صورة عشتار (عثتر عند اليمنيين).

وكنا قد رأينا أن اليهود دمروا معبداً للسامريين في ذمار. أما الميس والمائدة، فهما في مكانين متجاورين: محافظة تعز، مديرية خدير، عزلة الشويفة، قرية الأعموق، محلة الميس، ومديرية صبر الموادم، عزلة الموادم، قرية الخسف، محلة المائدة.



خريطة رقم ٦

معارك يهوذه المكابي

خريطة الشمايتين، مديرة خدير، صبر الموادم، حزم العدين

نفهم من سائر هذه النصوص، أن الأقيال/ الملوك في المخاليف/ الممالك اليمنية الصغيرة، هدموا معابد/ هياكل بيوت الرب التي تعبدها الجماعات الأخرى، وأن اليهود هدموا، هم أيضاً، هياكل (بيوت عبادة) الجماعات المرتدة. كان هناك تدمير ممنهج (للهياكل) مارسته القوى المتصارعة. كل جماعة تهدم بيوت عبادة الجماعة العدو، أي تحرق وتدمر مسجدها. وطبقاً لهذا التسلسل في الوقائع، لن يعود هناك أي معنى لأسطورة الكنيسة المسيحية الكاثوليكية عن تحطيم الرومان للهيكل اليهودي. وكنتُ قد أشرتُ في الفصل الأول إلى قرارات (مجمع ترنت) وهو سلسلة مؤتمرات عقدتها الكنيسة الكاثوليكية في روما سنوات ١٥٤٢ - ١٥٦٣م، وتبنّت فيها (صحّة ما ورد في الكتاب المقدّس/ التوراة) أساساً للإيمان المسيحي. في هذه السنوات دعا البابا بولس الثالث إلى عقد (المؤتمرات)، فانعقد المجمع خلال ثلاث فترات منفصلة، ثم سرعان ما جاءت الحروب والنزاعات الدينية في أوروبا، لتعوق استمرار انعقاد المجمع. وخلال الفترة الأولى من ١٥٤٥م إلى ١٥٤٧م أعلن المجمع أن (الكتاب المقدس والتقليد المقدس هما المصدران الصحيحان والوحيدان للإيمان الكاثوليكي). وبموجب هذه القرارات دخلت قصة حروب المكابيين ورواية يوسفيوس تلقائياً، ضمن التاريخ الروماني/ المسيحي السائد اليوم. لقد رسّخت هذه القرارات أسطورة (تحطيم هيرودتس للهيكل الثاني). وحين دخلت هذه القرارات مناهج التعليم في أوروبا، ثم في الشرق الأوسط مع موجات الاستعمار الأوروبي، أصبحت الأسطورة تاريخاً رسمياً. بيد أن تحليل سفر المكابيين وملحمة يوسفيوس، سيظهران لنا بجلاء، أن الإيمان الكاثوليكي بصحّة التوراة أساساً للإيمان المسيحي، قد أدّى - سواء رغب الكرادلة والقساوسة في روما أو لم يرغبوا - إلى تلاعب مريع بتاريخ روما والعالم. إن رواية المكابيين التي بين أيدينا تقول بوضوح غير قابل للنقض ما يأتي:

١٦: فلما سمع يهوذا والشعب هذا الكلام عقدوا مجمعاً عظيماً، وتشاوروا في ما يصنعون بأخوتهم الذين في الضيق تحت الحصار.

١٧: فقال يهوذا لسمعان أخيه، اختر لك رجالاً وانطلق واستنقذ أخوتك الذين في الجليل، وأنا ويوناتان أخي ننطلق إلى أرض جلعاد.

لنلاحظ هنا، أن سارد النص استعمل تعبير الجليل وليس جليل الأمم؟ وهذا أمر له أهمية قصوى، فهو يؤكد أن المقصود شِعبْ الجليل (صخور الجليل) وليس الأمم/ القبائل!

١٨: واستخلف يوسف بن زكريا وعزريا، قائدي الشعب مع بقية الجيش في اليهودية.

في هذا النصّ، يعود المحرر ليستخدم تعبير (بلاد اليهودية) أي الأرض التي قامت عليها ذات يوم بعيد مملكة حمير الثانية رمزياً (وباتت تعرف بأنها بلاد اليهودية). في هذا الوقت من الأحداث كانت المملكة قد تلاشت من المسرح التاريخي، لكن الأرض التي شهدت ولادتها ستُعرف باسم أرض اليهودية. وكنا قد رأينا في صفحات سابقة من نقش يثع أمر بين السبئي (القرن السادس قبل الميلاد) أنه قاتل في (مدن يهوذا) أي في مدن (مملكة حمير) القديمة.

١٩: وأوصاهما قائلاً، توليا أمر هذا الشعب، ولا تقيما على الأمم (القبائل) حرباً حتى نعود.

٢٠: فانقسم الرجال ثلاثة آلاف مع سمعان ينطلقون إلى الجليل، وثمانية آلاف مع يهوذا إلى أرض جلعاد.

٢١: وانطلق سمعان إلى الجليل، وخاض مع الأمم (القبائل) حروباً كثيرة فانكسرت الأمم (القبائل) عن وجهه فتتبّعهم إلى باب وفي بطلميس.

سأتوقف مرة أخرى لتصحيح الترجمة. إن كلمة (باب) هنا قد لا تبدو مفهومة، لأن النصّ العبري يستخدم كلمة (شعر) في نصوص كثيرة، وغالباً ما تترجم إلى (باب) وهذا غير مقبول، لأن سارد النص قصد بالضبط موضع شعر. وهاكم اسم الموضع. محافظة تعز، مديرية شرعب الرونة، عزلة الزراري، قرية جريس، محلة وادي الشعر. أي إن سمعان تتبّعهم حتى وادي شعر وليس حتى الباب (أي باب؟). وهذا يعني أنه طاردهم حتى مقاطعتي (أبطال) وميس. وبذلك يستحيل أن يكون اسم بطلموس اسم ملك روماني، بينما نجده هنا اسم مكان طارد فيه يهوذا خصومه. وكيف لنا أن نقتنع أن بطليمس/ بطليموس اسم ملك روماني، بينما يهوذا يتتبّع خصومه حتى وادي شعر وبطلميس/ بطليموس؟ وإذا كان سمعان قد انطلق لملاقاة القبائل المعادية في الجليل، وليس جليل الأمم، لأنهما موضعان (مختلفان)، فهذا

يعني أنه دخل في معركة داخل عزلة جبلية من هذا المكان. وأريد أن أضيف هنا أن صيغة (بن زكريا/ زكريه) لا تعني (ابن زكريا/ بن زكريه) ففي السبئية تعني (بن/ من) أي من موضع يدعى زكريا/ زكريه، وهو يُنسب إليه على عادة القبائل في الانتساب. هاكم اسم المقاطعة التي جاء منها: عزلة الزكيرة (زكره) وهي إحدى عزل مديرية الشمايتين في محافظة تعز.

٢٢: فسقط من الأمم (القبائل) ثلاثة آلاف رجل وسُلبت غنائمهم.

٢٣: وأخذ الذين في الجليل و(عربة) مع النساء والأولاد وكل ما كان لهم، وجاء بهم إلى اليهودية بسرور عظيم.

جاء انتصار سمعان الباهر في معركة جلالي، أو ما يدعى الجليل في قلب أرض العُدين، ليضع حدّاً للتحالف القبلي الذي واجه قوات يهوذا المكبيّ. لقد تعرض التحالف لهزيمة غير متوقعة، فقد فرض سمعان عملياً سيطرته الكاملة على أرض المقاطعة التي تُعرف اليوم بمديرية شرعب. ولذا نقل أسرى القبائل من الرجال مع أسلابهم وغنائمهم إلى المقاطعة المجاورة التي تُعرف اليوم بمديرية التعزية، ثم دخل بهم مزهواً وادي عربة. وها هنا وادي عربة: محافظة تعز، مديرية التعزية، عزلة الجندية السفلى، قرية العربة (كذلك في مديرية التعزية، عزلة الجندية السفلى، قرية العربة، محلة العربة السفلى). في هذا الوقت، كان يهوذا وشقيقه الأصغر يوناتان يعبران الأردن (ها – يردن).

٢٤: وأما يهوذا المكابي ويوناتان أخوه، فعبرا الأردن وسارا مسيرة ثلاثة أيام في البرية.

وكنا قد حددنا اسم النهر ومجراه في مؤلفات سابقة، ونعيد هنا تحديد مكانه لإيضاح السياق الجغرافي لعموم القرّاء: محافظة تعز، مديرية التعزية، عزلة الأجعود (وكانت تسمى وادي الأردم – الأردن – والنون والميم تتبادلان الوظيفة في اللغة العربية).

٢٥ : فصادفا النباطيين فتلقوهم بسلام، وقصّوا عليهم كل ما أصاب أخوتهم في أرض جلعاد.

لقد صادف الموكب الحربي العائد منتصراً، جماعة من النباطيين (نبايوت/ نباطيوت في التوراة مثل انتى/ أعطى). وهؤلاء من سكان محافظة لحج، مديرية القبيّطة، عزلة كرش،

قرية نباطة. ومعلوم لنا أن لحج ملاصقة لتعز، وتُعَدّ مديرية القبيّطة امتداداً جغرافياً لها. لكن وهج هذا الانتصار سرعان ما بدأ يخبو، مع وصول أنباء عن هجوم ناجح قامت به جماعات قبلية، في قلب ما يعرف اليوم بمحافظة إب، أي في معقل يهوذا المكبيّ. وكنا قد رأينا من رواية سترابون أن الرومان اعتمدوا كليّاً على تعاون النباطيين معهم[٣٠]. هذا يعني أن إيلشرح يحضب الثاني (يهوذا المكابي) صادف جماعة من عملاء الرومان في لحج على أطراف تعز حيث خاض معاركه.

ولكنه، لكسب تعاطفهم معه، قصّ عليهم ما تعرض له اليهود. كان إيلشرح يحضب (يهوذا المكبيّ) يعرف علاقة النباطيين كجماعة من بدو لحج بالرومان، وهم أذاقوهم مرّ الكأس حين تلاعبوا بهم وخدعوهم وشتتوا قواتهم في الجبال، وكان عليه أن يكسب ودّهم، بما أنه (خدعوا) الرومان وعملوا أدلاء (مزيفين). ليس دون معنى أن رواية سترابون المؤرخ/ الجغرافي اليوناني عن النباطيين الذين خدعوا إيغالوس، ورواية سفر المكابيين عن الجماعة نفسها التي التقى بها إيل شرح يحضب (المكابي) تتطابق مع رواية يوسفيوس، فقد خدع النباطيّون إيغالوس! هل هذا الأمر مجرد تطابق عرضيّ؟ هذا يؤكد لنا بشكل قاطع، أن المسرح التاريخي لمعارك الرومان في اليمن، كان يتضمن هذه الجغرافية وهذه الوقائع بكل تفاصيلها، وهو ما ينفي نفياً تامّاً المزاعم عن (ثورة يهودية) على الرومان. هنا: قبائل يهودية ومرتدّة عن اليهودية، ومعهم قبائل وثنية من الشمال والجنوب، انخرطوا جميعاً في صراع لطرد الرومان وفي الآن ذاته، مواصلة (صراعاتهم الداخلية) لحسم مسألة الحاكم/ الملك في اليمن. وحين شكا إيلشرح يحضب (المكابيّ) للنباطيين أوضاع اليهود ختم خطابه بالقول:

٢٦ : إن كثيرين منهم – من السكان هناك – قد حُصروا في بصيرة وبصر وعليم وكسفور ومقيد وقرنائيم وكلها مدن حصينة عظيمة.

يشير هذا النصّ إلى أن إيلشرح يحضب (المكبيّ) تلقى، حين كان منغمساً في المعارك الدائرة داخل ما يعرف اليوم بمديرية التعزية في تعز، أنباءً غير سارة عن محاصرة القبائل المرتدة لمدن يهودية حصينة، ولكن دون أن تكون لديه أي إمكانية لمعالجة الموقف الحرج. كانت أهم المواضع الحصينة في إب وتعز، تسقط في أيدي ملوك القبائل المتأغرقين المرتدّين عن

اليهودية، وهي: مقيد (قيد – في محافظة تعز، مديرية شرعب السلام، عزلة بني وهبان، قرية قيد)، وبصيرة (البصير– في محافظة إب – مديرية المخادر– عزلة بني سرحه – قرية البصير)، وقرنائيم– القرنة (القرنة– في محافظة إب – المذيخرة – عزلة الأشعوب – قرية الحمادي – محلة القرنة)[٣١]، ثم قرية علمه (علامي– في مديرية العُدين، عزلة بني زهير، قرية الشريج، حيث يوجد هناك موضع يعرف باسم العلامي).

يقول النص: (فعدل يهوذا جيشه بغتة وتوجه جهة البرية إلى بصر، فاستحوذ على المدينة وقتل كل ذكر بحد السيف وسلب جميع غنائمهم، وأحرق المدينة بالنار). كانت أنظار يهوذا المكبيّ مصوّبة نحو فك الحصار عن مناصريه في (حصن ووادي التمّة) بمديرية التعزية. وكان هؤلاء قد فرّوا من وجه القيل/ الملك القبلي المـتأغرق تيموتاوس/ الثمودي. إن اسم الملك الروماني المزعوم تيماتوس، ترجمة ساخرة لاسم (ملك قبائل ثمود/ تيماوتوس). في هذا الوقت دخل طرف جديد في الصراع هو قيل/ ملك قبائل ثمود وهم جماعة ترتبط ببني إسرائيل برابطة قرابة دموية (أنثروبولوجية) فهم سوية من أبناء عابر[٣٢] وهم سكان حضرموت. وكنا قد رأينا في الكتاب السابق (مملكة يهوذا والسامرة) أن الصراع والتنافس بين سبأ وحضرموت، وحمير وحضرموت، وبرغم القرابة التي تجمعهم، لم يكن ليحول دون الانغماس في الصراع حول الدين والتجارة. ها هنا ثمود (تيمودوس): محافظة حضرموت، مديرية ثمود، عزلة ثمود. لقد انخرطت قبائل حضرموت في الصراع الداخلي بقوة.

٢٩: ثم قام من هناك ليلاً وسار إلى الحصن.

وهكذا اتجه يهوذا بجيشه صوب ما يعرف اليوم بمديرية إب، ومديرية جبلة، وهما وحدتان إداريتان اليوم جوار العُديْن، ليفك الحصار عن الحصن الذي لجأ إليه أنصاره، وسنجد اسم هذا الحصن في مديرية جبلة المجاورة. في هذا الصراع، وجد يهوذا نفسه أمام خصم شرس من قبائل ثمود في حضرموت، وهو قيل من أقيالها، وكان طامحاً إلى فرض نفسه ملكاً يمنياً ويسمّيه السفر (تيموتوس)، وهذه صيغة يونانية من اسم النسبة ثمودي. كان الثموديون في حضرموت يشعرون بأن الوقت بات مناسباً للدخول في صراع شامل ومصيري، وأن لا يتركوا مسألة تقرير مصير اليمن في يد السبئيين والحميريين والرومان.

٣٠: ولما كان الصباح رفعوا أبصارهم، فإذا بقوم كثيرين لا عدّ لهم، حاملين سلالم ومنجنيق لفتح الحصن وهم محاصرون لهم.

٣١: ورأى يهوذا أن الحرب قد استعرت، وقد ارتفع صراخ سكان المدينة إلى السماء بالأبواق، وكان الصراخ عظيماً.

٣٢: فقال لرجال الجيش قاتلوا اليوم عن أخوتكم.

٣٣: وخرج في ثلاث فرق من ورائهم، ونفخوا في الأبواق ودعوا إلى الصلاة.

٣٤: وعلم جيش تيموتاوس أنه المكابيّ، فهربوا من وجهه فضربهم ضربة عظيمة، فسقط منهم في ذلك اليوم ثمانية آلاف رجل.

٣٥: ثم انصرف إلى المصفا وحاربها فافتتحها، وقتل كل ذكر بها وسلب غنائمها وأحرقها بالنار.

وهكذا، تمكن إيلشرح المكابي/ المكبيّ من هزيمة الثموديين بقيادة قيل/ ملك قبائل ثمود (تيمودوس) ثم فك الحصار واستولى على موضع المصفا - الصفا. وها هنا الموضع: محافظة إب، مديرية العدين، عزلة السارة، قرية وادي شبز، محلة الصفا (وهناك صفا مجاورة في عزلة رفون - وراف: محافظة إب، مديرية جبلة - عزلة وراف - عزلة الكريف - محلة الصفا)

٣٧: وبعد هذه الأمور جمع تيموتاوس جيشاً آخر ونزل قبالة رافون في عبر الوادي.

كان الخصم الثمودي عنيداً، وبالرغم من هزيمته فقد تمكن من جمع جيش من فرسان القبائل، واتجه صوب رفون للاستيلاء عليها وقطع الطريق على إيلشرح يحضب المكابي. تقع رفون - ورفون في محافظة إب، مديرية جبلة - عزلة وراف (والقلب والإبدال ظاهرة معروفة في اللغة العربية ورف - روف).

لقد حشدت القبائل المعادية ليهوذا قوتها قبالة وادٍ شهير في ما يعرف اليوم بمديرية جبلة

المجاورة للعُديْن، وعلى وجه التحديد عبر وادٍ يعرف باسم (الوادي). وهذا الوادي يقع اليوم في المديرية نفسها (مديرية العدين) ولا يزال يحتفظ بالاسم نفسه: الوادي (وادي قديف) وفي عزلة جبلية تدعى عزلة الجبلين.

٣٨: فأرسل يهوذا رجالاً يكشفون أمر الجيش، فاخبروه قائلين إن جميع القبائل التي حولنا قد انضمت إليهم وهم جيش عظيم جداً.

٣٩: وقد استجاروا بالعرب[٣٣] لمناصرتهم ونزلوا في (عبر) الوادي، وفي عزمهم أن يقاتلوك فخرج يهوذا لملاقاتهم.

٤٠: وقال تيموتاوس لرؤساء جيشه، إذا بلغ يهوذا وجيشه إلى (وادي الماء) فإن عبر إلينا أولاً فلا نطيق الثبات أمامه، بل يتغلب علينا.

لنلاحظ في هذا النصّ، كيف أن الثموديين (تيموتاوس) تمكنوا من حشد القبائل البدوية من حولهم، وهؤلاء هم بدو لحج وأبين وشبوة. وهذا ما عناه سارد النصّ بكلمة (العرب).

وبطبيعة الحال، لا يعرف تاريخ فلسطين واقعة تقول إن العرب البدو انحازوا إلى الرومان لمقاتلة اليهود. كان القيل اليمني المتأغرق تيموتاوس/ الثمودي، يتوقع عبور يهوذا المكبيّ من منطقة الوادي الفاصلة بينهما، ولذا نصب له كميناً في قرية (الماء) ما يعرف اليوم بمديرية المخادر، حيث يوجد هناك موضع يعرف حتى اليوم باسم (قرية الماء) ضمن عزلة السحول، وفي قرية تدعى شنين النوبة، وفيها موضع لا يزال يحمل الاسم نفسه: محلة الماء. وبالطبع، لا يفصل المخادر عن العُديْن سوى شريط جبلي يمتد من جبلة. وكما قلنا في صفحات سابقة، فإن اسم تيموتاوس هو ذاته اسم ثمود[٣٤] (ثموتس - بإلحاق السين اليونانية). وهذه مقاطعة يمنية معروفة من مقاطعات حضرموت التي دخلت الصراع. هذا يعني أن الثموديين، وهم بقايا قبيلة ثمود دخلوا الصراع لمصلحة الرومان منذ وقت مبكر، وقد عزموا على مواصلة القتال ضد يهوذا المكبي (إيلشرح الثاني) إلى النهاية. وكما يتضح من وقائع الصراع الجديد في قلب العُدْين، فقد كان الثموديون يقاتلون دون أي اعتبار لأي ثمن، وفقط من أجل فرض وجود (حضرموت) في قلب هذا الصراع. هاكم مرة أخرى اسم

المقاطعة: محافظة حضرموت، مديرية ثمود، عزلة ثمود، قرية ثمود.وهذا أمر تؤكده نقوش السبئيين كما تؤكده الجغرافيا، فقد ذكرت هذه النقوش تفاصيل لا حصر لها عن الصراع ضد الثموديين في حضرموت. بكلام آخر، لم تكن مواجهة إيلشرح الثاني(المكابي) لقبائل حضرموت، سوى استطراد في صراعات قديمة ومتواصلة حول الدين والتجارة.

وهكذا قال ملك الثموديين (تيموتوس):

٤١: إنْ تخوّف – يهوذا – ونزل إلى الوادي، جزنا إليه وتغلبنا عليه.

٤٢: فلما بلغ يهوذا إلى وادي الماء، أقام كتبة الشعب[٣٥] على الوادي وأمرهم قائلاً، لا تدعوا أحداً يحلّ ها هنا؛ بل لينطلقوا بجملتهم إلى الحرب.

٤٣: وعبر إليهم وهو في المقدمة وكلّ الشعب وراءه، فانكسرت أمامه جميع الأمم (القبائل) وألقوا سلاحهم وفروا إلى المعبد الذي في قرنائيم.

ما يقوله هذا النصّ، أن القبائل الحضرميّة الثمودية التي هزمت في هذه المعركة، لجأت إلى مكان ديني (معبد) وتحصنت فيه. ولابد في حالةٍ من هذا النوع، أن نفترض أن المعبد لم يكن مجرد معبد، وأنه مكان حصين بحيث يوفر الحماية للفارين، لأن المعابد بوجه عام ليست أماكن حصينة.

هاكم اسم المكان الذي لا يزال باسمه هذا: محافظة إب، مديرية مذيخرة، عزلة حليان، قرية سوق النجد، محلة حصن معبد. هذا يعني أن الفارين لجأوا بالفعل إلى (معبد حصين) جبلي، وهو اليوم يدعى باسمه القديم نفسه: حصن معبد. ولذا أحرق اليهود الغاضبون حصن المعبد بمن فيه.

٤٤: فاستولى اليهود على المدينة، وأحرقوا المعبد – أي أحرقوا حصن المعبد – مع كل من كان فيه بالنار، وانكسر أهل قرنائيم ولم يطيقوا الثبات أمام يهوذا.

٤٥: وجمع يهوذا كل من كان من إسرائيل في أرض جلعاد، صغيرهم وكبيرهم ونساءهم وأولادهم مع أمتعتهم جيشاً عظيماً جداً، لينصرف بهم إلى أرض يهوذا.

٤٦: فبلغوا إلى عفرون/ المعافر، وهي مدينة عظيمة على المدخل، حصينة جداً فلم يكن لهم أن يحيدوا عنها يمنة ولا يسرة، إلا أن يجوزوا في وسطها.

إذا ما قرئ هذا المقطع من المنظور التاريخي، فإن التوصيف المذهل للمكان الحصين جداً، والمدينة العظيمة، لن يكون في هذه الحالة توصيفاً لجغرافيا مجهولة، ذلك أن مدينة بهذه المواصفات قامت بالفعل ذات يوم بعيد في التاريخ اليمني، هي ما يعرف بـ(إقليم المعافر- الوزن العبري عفرون) في محافظة تعز.

هذا الإقليم، كما أشرنا مراراً، كان يضمّ سلسلة جبال وبلدات ووديان تمتدّ من جبل حبشي حتى تخوم مديرية المواسط، وقد عرف في النقوش السبئية في صورة (معفرن).

٤٧: فأغلق أهل المدينة على أنفسهم، وردموا الأبواب بالحجارة، فأرسل إليهم يهوذا بكلام السلم.

٤٨: قائلاً إنّا نجوز في أرضكم، لنذهب إلى أرضنا، ولا يضرّكم أحد، إنما نمرّ بأقدامنا، فأبوا أن يفتحوا له.

٤٩: فأمر يهوذا أن يُنادى في المحلة، بأن يهجم كل واحد من المكان الذي هو فيه.

في الواقع، كانت ذاكرة سكان المعافر تختزن ذكريات مأسوية عن المذابح التي قام بها السبئيون الشماليون. ولأن هؤلاء (جنوبيون)، لكنهم لم يكونوا من الموالين ليهود حمير بالكامل، فقد شعروا بالذعر من وجود ملك/ كاهن سبئي يريد المرور بأراضيهم. لقد دارت في إقليم المعافر(عفرون في التوراة - وفي النقوش اليمنية معفرن) أكبر المعارك بحسب نصّ السفر. لكن هذه المعارك، سبق لها أن وقعت في التاريخ اليمني في عصور سابقة. إن أقدم حملة حربية لإخضاع المعافر، تلك التي وقعت في فترة حكم كرب إيل وتر نحو - ٦٥٠ ق.م (حسب التاريخ الرسمي اليمني).

إننا نقرأ في نقش النصر (*RES:3945 = Gl : 1000*) (الأسطر٣-٤) ما يأتي: هاجم كرب إيل وتر منطقتي (سادم) و(نقبتم)، وأحرق جميع مدن (معفرن) (المعافر)، وقهر (ضبر)

و(ضلم) و(أروي) وأحرق مدنهم، وأوقع فيهم، فقتل منهم ثلاثة آلاف، وأسر ثمانية آلاف، وضاعف الجزية التي كانوا يدفعونها سابقاً من البقر والماعز. أما السطر الرابع من النقش، فيشير إلى أنه أغار على (ذ بحن/ ذ/ قشرم) (ذبحان ذو قشر) وعلى (شرجب)، وتغلب عليهما، وأحرق مدنهما، وأنه أوقف للإله (المقه) ولسبأ (جبل العر وهو جبل حصين) وجبل عصمت، ومصدر مياههما وادي صير. وتعود سيطرة كرب إيل وتر في بداية حروبه على أرض المعافر، الواقعة في الطرف الجنوبي الغربي من الطريق إلى شواطئ البحر الأحمر، إلى جملة أسباب ودوافع، من أهمها تدمير مملكة جنوبية منافسة تدعى مملكة أوسان التي كانت تسيطر على منافذ التجارة البحرية، وتمهيداً للسيطرة على المناطق الأخرى التي امتدت إليها أوسان.

ويذكر كرب إيل في نقش النصر أنه ضرب (وسر) ضربة نكراء، واستولى على كل مناطقها إلى أن بلغ أرض (أوسان) في عهد ملكها (مرتع) الذي كان يسيطر على المناطق الجنوبية حتى البحر الأحمر، وأمر جنوده بأن يعملوا في شعبها السيف، فقتل منهم (١٦٠٠٠) ستة عشر ألفاً، وأسر (٤٠٠٠٠) أربعين ألفاً، وأحرق كل مدن أنفم، وكل مدن حبان وذيب، ونهب أوديتها، ونهب رشاي وجردان، وهاجم دثينة وأحرق كل مدنها حتى بلغ البحر. ويذكر في السطر السابع أنه هاجم دهسم (قبائل يافع) وتبني (لحج حالياً) وبلغ عدد قتلاهم ألفين (٢٠٠٠)، وأسراهم خمسة آلاف، وهاجم يتحم، وكحد حضنم (كحد حضن)، وجميع سكان هذه المناطق من أحرار وعبيد وأطفال وكبار، كل ذلك جعلها كرب إيل ملكاً لسبأ ولآلهة سبأ. هذه الحملة الشعواء والمدمرة كانت لا تزال في ذاكرة سكان إقليم المعافر، حين ظهر يهوذا المكبي طالباً من القبائل أن تسمح له بالمرور في أراضيها، وهذا ما يفسّر لنا سبب ذعر السكان من هذا الطلب. لقد تكررت أحداث التاريخ القديم، وتعرضت (معفرن) من جديد للحرق والنهب والتدمير. ولهذا يمكننا تفهّم مخاوف سكان إقليم المعافر من تهديدات إيلشرح يحضب الثاني (يهوذا المقبيّ).

٥٠: فهجم زعماء العامة من الناس، وحاربوا المدينة اليوم وليلته كلها، فأسلمت المدينة إلى يديه.

في نقش النصر السبئي الذي يتحدث عن (معفرن)، كما في سفر المكابيين، سنجد أسماء

المواضع التوراتية حرفياً. ولنلاحظ مثلاً، أن كرب إيل وتر هاجم واستولى على (سدم- وهي سدوم التوراة). واستولى على أنفم/ موضع ألف. فهل من المنطقي أن نفترض مجرد افتراض، أن كاتب السفر التوراتي استعار من التاريخ اليمني أخبار هذه المعارك ودمجها في سردية ملحمية شعبية جديدة عن الغزو الروماني، والصراع القبلي الذي تفجر في أعقابه؟ ما يثير الشكوك في هذا الجزء من السردية، أنه يعيد إنتاج سردية سابقة سجلها نقش النصر، كذلك فإن أعداد القتلى تثير هي الأخرى التساؤل عن حدود صحة هذا الجزء من النصّ. وهذا ما سيتضح أمامنا حين نقرأ المقاطع الآتية:

٥١: فأهلك كل ذكر بحد السيف ودمر- المدينة - وسلب غنائمها، واجتازها من فوق القتلى.

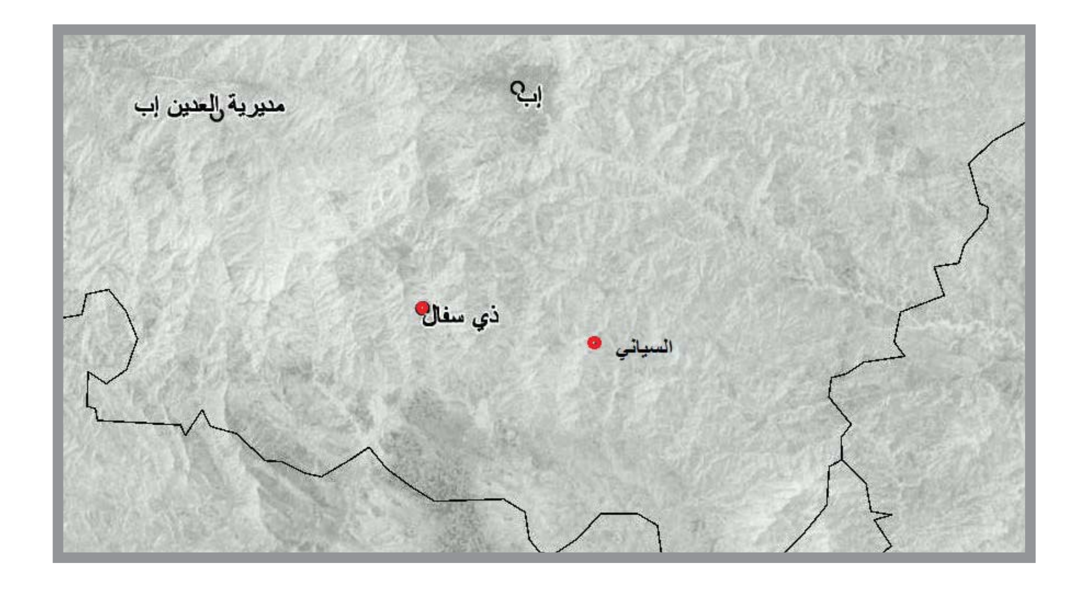
٥٢: ثم عبروا الأردن إلى السهل العظيم قبالة بيت شيان - سيان.

إن اسم بيت شيان هو صيغة متحوّلة بشكل طفيف من اسم سيان، بما أن العبرية تعامل السين والشين كحرف واحد. وكلمة بيت، غالباً ما تستخدم للتعريف بمكان سكن القبائل في الوديان، وبالفعل فهو غالباً ما يستخدم كتعبير عن نمط من أنماط السكن في الوديان. ليس ثمة مكان في هذه الجغرافيا (الواقعية) وبهذه الصيغة، سوى وادي سيان (الذي يعرف اليوم باسم السياني) وهو مديرية تتبع محافظة إب ويقع على تخوم تعز.

إن الاستيلاء على إقليم المعافر، يتطلب السيطرة على وادي سيان، أي فقط في سياق معركة للسيطرة على معفرن (عفرون). المثير للدهشة أن النقوش الخاصة بحملات كرب إيل وتر لإخضاع المدن اليمنية ومنها نقش النصر، تتحدث عن عودته منتصراً وتقديمه المحرّقات للإله المقه، بينما يتحدث سفر المكابيين عن عودة يهوذا منتصراً وتقديمه المحرّقات؟

فما دلالة ذلك؟ هذا يعني أن التقاليد الدينية في سبأ، هي ذاتها التقاليد الدينية اليهودية. وإلا فبماذا نفسر أن كرب إيل وتر السبئي يقدّم النذور للمعبد بعد النصر، ويهوذا المكبيّ/ المقبي يقوم بالأمر نفسه؟

يقع وادي شيان - سيان - كما في الخريطة الآتية- على تخوم إقليم المعافر- معفرن. وكنا قد تحدثنا مراراً عن (وادي الأردن).



خريطة وادي سيان/ سياني رقم ٧
مديريتا السياني وذي السفال

٥٣: وكان يهوذا يجمع المتخلفين – عن القتال – ويشجع الشعب طول الطريق حتى وصلوا إلى أرض يهوذا.

٥٤: فصعدوا جبل صهيون بسرور وابتهاج، وقدّموا المحرّقات لأجل أنه لم يسقط أحد منهم حتى رجعوا بسلام.

في هذا الوقت، وحين تمكن يهوذا المكبيّ من عبور المعافر ووصل إلى العُديْن، كان سمعان يتقدم بقواته صوب وادي الجليل في مديرية العدين، فاجتاز عزلة العمارنة، ثم قرية سنعات العمارنة، حتى بلغ الوادي (محلة وادي جلالي). وبدا ذلك تتويجاً حقيقياً لانتصار المحاربين والكهنة في أورشليم على القبائل المرتدة عن اليهودية، وتمكنهم من دحر وكلاء الغزاة الرومان، لكن ما إن سمع يوسف بن زكريا وعزريا قائدا جيش يهوذا المكابي، أن القبائل تحتشد من جديد، حتى سارعا لاحتلال موضع يدعى يمنية (اليمانية)، وهو عزلة جبلية وعرة أشرنا إليها في صفحات سابقة (وسمع يوسف بن زكريا وعزريا رئيسا الجيش بما أبدوا من الحماسة والقتال):

٥٥: وفي الأيام التي كان فيها يهوذا ويوناتان في جلعاد، وسمعان أخوه في الجليل قبالة بطلمس.

٥٧: فقالا لنقمْ لنا نحن أيضاً اسماً ولننطلق لمحاربة الأمم (القبائل) التي حولنا.

٥٨: ثم أمرا الجيش الذي معهما فزحفوا على (يمنيه).

ويمنيه هذه هي اليوم ما يدعى اليمانية[٣٦].

٥٩: فخرج جرجياس ورجاله من المدينة إلى ملاقاتهم للقتال.

٦٠: فانكسر يوسف وعزريا، فتتبعوهما إلى حدود اليهودية، وسقط في ذلك اليوم من شعب إسرائيل ألفا رجل، وكانت في شعب إسرائيل نكسة عظيمة.

٦١: ذلك لأنهما لم يسمعا ليهوذا وأخوته، ظناً منهما أنهما يبديان حماسة.

٦٢: إلا أنهما لم يكونا من نسب أولئك الرجال الذين أوتوا خلاص إسرائيل على أيديهم.

٦٣: وعظم الرجل يهوذا وأخوته جداً في عيون كل إسرائيل، وجميع الأمم (القبائل) التي سار إليها ذكرهم.

٦٤: وكانوا يجتمعون إليهم بأصوات التهنئة.

٦٥: وخرج يهوذا وأخوته وحاربوا بني عيسو في أرض الجنوب، وضرب حبرون وتوابعها وهدم سورها وأحرق (الحصون) التي حولها.

دعونا نتوقف قليلاً أمام هذا الجزء من النص. لقد عاد الكهنة اليهود للقتال ضد بني عيسو– عيصو في أرض الجنوب، وهم بالفعل هناك. يعيش بني عيسو – عيسى في عزلة جبلية جنوبية ضمن مديرية جبل حبشي في تعز، وهم ما زالوا يحملون الصيغة ذاتها من الاسم: بني عيسى– عيسو. وجبل حبشي (أو جبل ذُخر) هو جبل مُسنّم (أي على شكل سنام الجمل) يقع في محافظة تعز في الناحية الغربية لجبل صبر، ويفصل بينهما وادي الضباب. وقد عُرف جبل حبشي قديماً باسم جبل (ذَخر) ويعتبر إحدى مديريات قضاء الحجرية (المعافر)، وتتبعه ١٣عزلة منها عزلة تدعى بلاد بني الوافي (أكثر عزلة سكاناً ١٩,٦٥٨ نسمة). وحين انتهى يهوذا من ضربهم في تخوم إب على الحدود الإدارية اليوم مع تعز ثم في قلب تعز، توجه لاحتلال حبرون – الحبر. هاكم اسم المكان: محافظة إب، مديرية السياني، عزلة الهادس، قرية ذي الحبر، وهي على تخوم تعز وملاصقة لها، ومنها استدار عائداً صوب مقبنة/ مخلاف شمير (المسمى السامرة).

٦٦: وسار قاصداً (أرض الأجانب) وجال في أرض السامرة.

مرة أخرى سأتوقف أمام مسألة تعبير الأجانب أو الغرباء، لتقديم شروح وافية وتوضيحات ضرورية: بالطبع، لا يمكن تخيّل أن الصراع الذي يقوده الكهنة، كان يجري في (أرض أجانب). ليس لدينا في النص، ما يؤكد أن مسرح المعارك أرض غرباء أو أجانب، دخل إليها الكهنة والمحاربون ليواجهوا الرومان والقبائل اليمنية المتحالفة معهم. في الواقع، يستخدم النص العربي تعبير (الأجانب) كمكافئ لكلمة (جويم – الأغيار). والصحيح أن المكافئ

الدلالي هو (عامّة الناس – العامّة، الجمهور، الناس من غير اليهود إلخ). أي المواطنين الأحرار الذين لم يكونوا مرغمين على اعتناق ديانة ملوكهم، وهم يعيشون في المملكة بوصفهم أبناء الأرض وينتسبون إلى ذات القبائل. وللبرهنة على صحّة ما نذهب إليه هنا، أن النصوص السبئية استخدمت تعبير (جويم) العبري في وصف سكان مملكة سبأ من خارج طبقة الملوك والكهنة. كانت المملكة تضم قبائل عدة، وتُعرف القبيلة الكبيرة في نصوص خط المسند باسم (شعب). ولذلك تسجل النقوش السبئية التعبير الآتي: (سبأ وأشعبهمو) وتعني سبأ وقبائلهم الكبيرة.

ولأن مجتمع القبائل في المملكة السبئية الموحدة كان مجتمعاً طبقياً، ويعرف نوعاً فريداً من التراتب الدينيّ، فقد بدا أمراً منطقياً أن الكهنة الذين كانوا من المحاربين الأشدّاء، قد أصبحوا فعلياً هم طبقة الملوك وموظفي الدولة المقربين، مثل جامعي الأموال والضرائب الدينية في المعبد، ويشاركهم في هذه المنزلة زعماء القبائل و(أقيال المخاليف)، وهؤلاء هم الإقطاع الدينيّ. ولذلك تستخدم النقوش السبئية تعبير (أبعل) و(أسود) و(قيل) و(سيد). ثم تأتي المرتبة الخامسة الأدنى طبقة العبيد ويشار إليهم بلفظة (آدم). كل ذلك جاء في توصيف هذه الطبقات في المملكة. يعني اصطلاح (أبعل) طبقة الكهنة/ الملوك. أما (أسود) فهم الأشراف (النبلاء وزعماء البيوتات السياسة). أما (قيل) فهو اصطلاح يستخدم للإشارة إلى الإقطاع الديني، وهم طبقة حكام/ كهنة محليين يتولون شؤون الزراعة والضرائب على الأرض والمحاصيل. أما مصطلح (سيد) فهو يشير إلى الناس الأحرار (المواطنين) بعامة. في هذا الإطار التراتبي استخدم اليمنيون مصطلح (جويم/ العبري السبئي) بمعنى (عامّة الناس من غير المتدينين). وفي إطار بُنْيَة ديُموغرافية وسياسية لمجتمع أحرار، يتوزع السكان في تراتب طبقي ضُبطَت تناقضاته. فقد شاع تعبير (جويم) في اللغة السبئية بمعنى (القوم)، فقط في سياق وصف مجموع السكان من غير الملوك والكهنة والوجهاء والعبيد، أي غير اليهود من عامّة الناس، أي القوم/ الجماعة العامّة من الناس. وهكذا، فقد قسّم كرب إيل وتر في مرسومه (نقش النصر) السكان إلى ثلاث طبقات أساسية: الملوك، الكهنة، عامة الناس (من غير اليهود واستخدم التعبير السبئي/ العبري: جويم). ثم تأتي المرتبة الأدنى طبقة العبيد ويشار إليهم بلفظة (آدم) أو (عبد). والجيم في كلمة (جويم – أي قوم/ جماعة كبيرة، مجموع الناس) وتنطق في لغة السبئيين جيماً مصرية/ كويم. أي قوم. يؤكد

هذا الأمر أن التوراة لم تستخدم تعبير (جويم) بمعنى الغرباء، أو الأجانب أو (الأغيار) أبداً، بل بمعنى عامّة الناس، أي كل السكان خارج طبقة الكهنة والملوك - الكهنة والوجهاء والزعماء، وهؤلاء بوصفهم مواطنين أحراراً، فقد كانوا يتقرّبون من الآلهة التي يؤمنون بها، ولم يكونوا مرغمين على اعتناق ديانة ملوكهم. لذلك، أدعو بقوة إلى تغيير المفهوم الشائع للكلمة العبرية الجويم - بمعنى الغرباء، أو الأجانب، أو الآخرين أو الأغيار، أي المغايرين، واستبدال المكافئ الصحيح (القوم) بها، لأن الكلمة السبئية الدقيقة تشير إلى (طبقة اجتماعية كبرى) هي (عامة الناس من غير المتدينين/ كويم أي القوم) أي الجماعات البشرية التي تعيش خارج عالم الكهنة أو النبلاء أو الملوك، وممن ليسوا على دين ملوكهم. بهذا المعنى، فقد جال يهوذا في السامرة (مخلاف شمير) مجتازاً المناطق التي كان فيها عامّة الناس من مختلف المعتقدات الدينية، وليس في أرض الأجانب أو الغرباء.

٦٧: وفي ذلك الحين سقط كهنة في الحرب، وكانوا يريدون أن يبدوا حماسة فخرجوا إلى الحرب عن غير تدبّر.

٦٨: ثم توجه يهوذا إلى أشدود - السدود في (أرض عامة الناس) فهدم مذابحهم وأحرق منحوتات آلهتهم بالنار، وسلب غنائم المدن وعاد إلى أرض يهوذا.

إذا كان يهوذا قد تجول في السامرة (جبل شمير) في ما يعرف بمديرية مقبنة، وهدم معابد (عامة الناس) وسلبهم تماثيل آلهتهم أو حطمها، فهذا يؤكد أنهم ليسوا (غرباء أو أجانب) بل عامة الناس ممن كانوا على غير دين ملوكهم، يتعبّدون لآلهة شتى يؤمنون بها. وهذا يعني أنه استمر في طريقه دون أن يعوق تقدمه أحد ليصل إلى مديرية الشمايتين، ثم يدخل عزلة المداحج/ المذاحج (مذحج اسم القبيلة الشهيرة) فقرية الكفيف، ليستولي على محلة السداد (أشدود). وبذلك، يكون قد دحر خصومه في مناطق محافظتين هما، تعز وإب. وهناك، أحرق معابد (الجويم - عامة الناس من غير اليهود) ودمّر أصنامهم. إن محتوى النصوص، كما هو واضح، ينسف كل وأي أساس قامت عليه أسطورة (الثورة اليهودية) ضد الرومان، أو أسطورة (تهديم الهيكل). ها هنا حروب يجري فيها بشكل ممُنهج تدمير (هياكل) عبادة كل الجماعات. كل جماعة منتصرة تهدّم (هيكل) الجماعة المهزومة.

اختلاق بابل وفارس

في هذا الجزء من السفر، يواصل سارد النص وصف المعارك:

١: وفيما كان أنطيوكس الملك يجول في الأقاليم العليا، سمع بذكر الميس وكانت مدينة بفارس مشهورة بأموالها من الفضة والذهب.

هذا هو حرفياً النصّ العربي من سفر المكابيين (المترجم عن اللغة اليونانية). ولإزالة الغموض والالتباس في هذا المقطع، يجب عليّ أن أقدّم شرحاً مكثفاً لتصحيح مضمونه المشوّه: إن هذه الترجمة غير مقبولة بكل المقاييس، فلا وجود لمدينة في فارس (إيران القديمة) تدعى (المايس) مشهورة بأموالها من الذهب والفضة. وما علاقة الملك الروماني المزعوم الذي يتجول في الأقاليم، بمدينة فارسية فيها ذهب؟ لا يبدو هذا النص مفهوماً بأي وجه من الوجوه. لم يحدث في التاريخ الفارسي قط، أن تجوّل ملك روماني في أقاليم فارس، وسمع بمدينة تُدعى (المايس/ ميس) فيها ذهب وفضة. أي تصديق من أي قارئ لهذه الخرافة، لا يعني سوى أنه ضحية خداع سردي. لقد شوهت الترجمة الرديئة، الجغرافيا الحقيقية والبسيطة التي وصفها النص العبري الأصلي، فالمقصود هنا مكانان: هناك مدينة تدعى المايس/ ميس وأخرى تدعى مفارس (فارس) وهي من مراكز مدينة العُديْن في إب. وهناك موضع آخر لا يعنينا هنا، ولكننا نذكره لأهمية توضيح فكرة تكرار وجود أسماء متشابهة في الصيغ اللغوية، يدعى يفرس وهو من عزلات جبل حبشي الشهيرة في محافظة تعز. ولو أننا تقبلنا مضمون النص كما في الترجمة المشوّهة، لكان علينا في هذه الحالة أن نبرهن أن الرومان اقتربوا في هذا الوقت ١٦٠-١٤٥ ق.م من حدود فارس، وكانوا طامعين بذهبها وفضتها وأموالها، وأن هناك ملكاً رومانياً يدعى أنطيخوس، كان يتنزّه بجيوشه في الأقاليم العليا من فارس، حين سمع بمدينة الذهب. وهذا غير منطقي، ولم يحدث ذلك في التاريخ قط. هذان المكانان، كانا منذ القدم يشتهران بوجود (جبال) فيها الذهب والفضة، وهما وفي صيغتهما اليمنية الصحيحة: مفارس- فارس في محافظة إب، مديرية العُديْن، عزلة العمارنة، قرية الزنجي، حيث يوجد حتى اليوم موضع يدعى محلة المفاريس (فارس بحذف الميم الحميرية).

وهناك موضع آخر يدعى يفرس – فرس في محافظة تعز، مديرية جبل حبشي، عزلة يفرس. وما يثير دهشتنا، أن الهمداني[٣٧] في كتاب (الجوهرتين) وكذلك في كتاب (صفة جزيرة العرب) ترك لنا نصّاً دقيقاً عن سيطرة الفرس على جبال الذهب والفضة في منطقة نهم شرق صنعاء على طريق مأرب (نحو عام ٥٧٩ م). في هذا العصر كان الفرس يسيطرون فعلياً على عشرات المواقع الجبلية في اليمن، ويستخرجون منها الذهب والفضة. ولذلك، يجب أن نعيد صياغة هذا المقطع على النحو الآتي:

(عندما صعد ملك مقاطعة أنطيخوس/ انطيكوس – ملك مقاطعة أنطاكو إلى المرتفعات، فقد كان يعرف أن الميس ومفارس فيهما الكثير من الأموال من الذهب والفضة).

هذه هي الترجمة الصحيحة للنص الأصلي – بعد مراجعة نص يوسفيوس بدّقة – واليوم، يمكننا أن نجد هذين الموضعين إلى جوار جبل حبشي: ها هنا ميس في مديرية خدير، عزلة الشويفة، قرية الأعموق، حيث محلة الميس (وهناك موضع آخر يحمل صيغة أخرى من الاسم: مديرية خدير، عزلة خدير السلمى، قرية محول أسفل، محلة الأميسي). إن فهمنا للنصّ على هذا النحو، يؤيده المقطع الآتي الذي يسجله سارد السفر مباشرة بعد مقطع أنطيخوس (رقم ١). يقول:

٢: و– سمع– أن فيها هيكلاً، فيه الكثير من الأموال، وفيه سجوف الذهب والدروع والأسلحة التي تركها الإسكندر بن فيلبس الملك المكدوني الذي كان أول ملك في اليونان.

٣: فأتى وحاول أن يأخذ المدينة، وينهبها فلم يستطع، لأن الأمر كان قد عرف عند أهل المدينة.

٤: فثاروا إليه وقاتلوه، فهرب ومضى من هناك بغمّ شديد راجعاً إلى بابل.

٥ : وجاءه في فارس مخبر، بأن الجيوش التي وجهت إلى أرض يهوذا قد انكسرت.

هذا النص المترجم من العبرية إلى اليونانية ومرة أخرى من اليونانية والعبرية إلى العربية وبقية اللغات، غير منطقي جغرافياً، فكيف يكون هناك ملك (قائد) روماني يهرب من فارس

وأرض يهوذا التي يزعم أنها في فلسطين، فلا يجد أمامه سوى أن يتجه نحو بابل، ثم يأتيه من فارس وهو في بابل، منْ يخبره بأن الجيوش التي أرسلها إلى أرض يهوذا قد هزمت؟

هذه جغرافيا خيالية وتاريخ أسطوري لا يمكن تصديقه. وهل سيطرت روما يوماً على بابل؟ ومتى؟ في هذا العصر ١٤٩ ق.م وقبل ذلك بقرون، وبعد ذلك بقرون، لا وجود للرومان في بابل. والتاريخ لا يعرف أي شيء عن وجود مزعوم لقوات رومانية محتلة. وكيف يمكن تخيّل أن رسولاً جاءه من فارس، ليبلغه عن انهيار قواته في يهوذا؟ هذا نص يبدو غرائبياً إلى النهاية. وهل يمكن أيّ عاقل أن يتخيّل، مجرد تخيّل أن الإسكندر المقدوني بنى هيكلاً يهودياً في فارس؟ هذا المقطع يؤكد بشكل لا لُبس فيه، أن الترجمة من العبرية إلى اليونانية، هي التي خلقت هذه السردية المزيفة. لكن، لو دققنا في الأسماء التي رسمها النص، لبدت لنا الصورة مختلفة. لقد نجم عن الترجمة الرديئة، خلق جغرافيا لا أساس لها. فما حدث هو الآتي:

لقد هُزمت القوات الموالية للرومان في أرض اليهودية (تعز) باليمن، أي في مملكة حمير اليهودية القديمة، حين سعى ملك قبلي/ سبئي من قبائل صنعاء، وكان متأغرقاً ويحكم مقاطعة تدعى (نطق – نطك) إلى الاستيلاء على الذهب في مفارس – فارس (مديرية العُديْن– محافظة إب). لكن سرعان ما جاءت الأنباء أن القبائل المتحالفة معه هُزمت في أرض اليهودية، أي في ما يعرف بمديرية مقبنة (التي تضمّ جبل حبشي حيث توجد الميس). ولذا تراجع صوب موضع يدعى بابل، وكان مركزاً لتجمع القبائل، وهو هناك حتى اليوم باسمه هذا: صنعاء، محافظة الأمانة، مديرية شعوب، عزلة شعوب، حي هبرة، محلة البابلي. ولأن تاريخ روما لا يعرف ملكاً بهذا الاسم، فهذا يعني أنه صيغة متحوّلة من اسم مقاطعة يمنية: هاكم اسم المكان: محافظة صنعاء، مديرية مناخة، عزلة بني برة، قرية عر الجرادي، محلة الناطق/ نطيكو (وفي الرسم اليوناني نطيكوس). أي إنه ملك مقاطعة الناطق (نطيكوس) في ضواحي صنعاء. وهذا ما يفسر لنا سبب تراجعه إلى بابل/ البابلي. هذا يعني أنه عاد أدراجه نحو منطقة (شعوب). وكنتُ في فصول سابقة قد أشرت إلى أن (شعوب) هذه، كانت عاصمة مخلاف ماذن – مادن في التوراة، وأنها كانت بالفعل من أهم المراكز العسكرية للقبائل السبئية التي ارتدّ بعضها عن اليهودية. سأوضح هنا: إنني أستعمل مصطلح

«المرتدّون عن اليهودية» فقط بالمعنى المجازي، لأن الديانة الإسرائيلية كانت تضمحل في هذا العصر وكادت تصبح (مذهباً) إلى جانب اليهودية.

ما يؤكده لنا هذا النصّ هو الآتي:

إن قبائل الجنوب اليمني واجهت التحدّي القديم نفسه من بعض قبائل الشمال التي ظلت على دينها الإسرائيلي ولم تقبّل اليهودية كشريعة جديدة، ثم (تأغرقت) أي أصبحت موالية للرومان بعد الاحتلال الروماني، ومع ذلك تمكنت هذه القبائل من صد الغزو الروماني في جبل حبشي.

وفي هذا الإطار، يصبح أمراً مؤكداً بالنسبة إليّ أن الآية القرآنية (غَلبت الروم – وليس غُلبتْ)[٣٨] ذات صلة حميمة بواقعة الغزو الروماني، كما لمّحت سابقاً إلى هذا. لكن منْ هم المؤمنون الذين فرحوا بهزيمة الرومان حسب قول القرآن؟ تعني (فرح المؤمنون)، أي فرح يهود اليمن بدحر الغزو، ولذا يجب أن تقرأ الآية في صورة (غَلبت الروم- أي انتصرت – وهم من بعد غَلبهم – أي من بعد انتصارهم – سُيغلبون – أي سيهزمون مرة أخرى. والهزيمة الأخرى التي يشير إليها القرآن وقعت مع فشل حملة غالوتس/ جالوت) وانسحابه ذليلاً.

يضيف النصّ:

٦: إن ليسياس قد انهزم من وجههم، وكان قد خرج عليهم في جيش في غاية القوة، فتعزّزوا بالسلاح والغنائم الكثيرة التي أخذوها من الجيوش الهاربة.

٧: وهدموا – أماكن – الرجس التي كان قد بناها على المذبح في أورشليم، وحوّطوا المقدس بالأسوار الرفيعة كما كان من قبل، وحصّنوا بيت صور مدينتهم.

٨: فلما سمع الملك هذا الكلام بهت واضطرب جداً فاستلقى على سريره، وقد أوقعه الغمّ في السقم لأن الأمر وقع على خلاف ما كان يشتهي.

٩: فلبث هناك أياماً كثيرة، لأن الحزن والغمّ داهماه وأيقن بالموت.

١٠: فدعا جميع أصحابه وقال لهم: لقد شرد النوم عن عينيّ وسقط قلبي من الكرب.

١١: قلتُ في نفسي إلى أي بلاءٍ صرتُ، وما أعظم اللجّة التي أنا فيها، بعد أن كنت مسروراً ومحبوباً في سلطاني.

١٢: إني لأتذكر المساوئ التي صنعتها في أورشليم، وكيف أخذت كل آنية الذهب والفضة التي كانت فيها وأرسلت لإبادة سكان يهوذا بغير سبب؟

في هذا النصّ نجد أنفسنا أمام ملك روماني آخر يُدعى ليسياس، هو حليف لملك روماني آخر يُدعى أنطيخوس، وهذا مات في فراشه من الغمّ لأنه نهب أورشليم. هذا أمر خيالي إذا ما وضع كواقعة ضمن التاريخ الروماني؛ إذْ لا وجود لملك بهذا الاسم مات في فراشه من الإثم والشعور بالخطيئة لأنه نهب أورشليم؛ وهو مات فقط بعد أن هُزم حليفه الملك ليسياس، بينما نعلم أن ملكاً أخر يدعى هيرودتس هو منْ دمّر الهيكل ونهب المدينة المقدّسة. فكيف يمكن بناء رواية متناغمة ومنسجمة الوقائع، بديلاً من هذه الرواية الفوضوية؟ هذا تاريخ خيالي يليق برواية مثيولوجية/ أسطورية. لكن، من هو ملك ليسياس؟ إن تاريخ روما لا يعرف هذا الملك. فهل اخترع سارد نص المكابين ملكاً آخر؟ بكل تأكيد كلا، والمسألة قد تكمن في جانب آخر من الحقيقة التي لم نتمكن من رؤيتها بشكل صحيح بعد. وبطبيعة الحال، يستحيل على المرء تخيّل ملكين رومانيين لا وجود لاسميهما في السجلات التاريخية الرومانية، وقد تصارعا حول الهيكل اليهودي، كل منهما يزعم أنه دمّر الهيكل ونهب المدينة، بينما يردد اليهود والكنائس المسيحية، أن هيرودتس هو من دمّر الهيكل. إن أصل الاسم هو (ليسياس) في الصيغة اليونانية/ لسي، وهو كما قلنا في صفحات سابقة ملك مقاطعة بهذا الاسم (وليس هذا اسمه). هاكم اسم ليسي/ ليسياس في المكان نفسه: محافظة ذمار، مديرية ميفعة عنس، عزلة الاثلاء، قرية اللسي. ها هنا ملك مقاطعة جبل وقرية لسي - لسيس في ذمار، والذي هُزمت قواته في المعارك أمام يهوذا. بكلام آخر، نشب صراع بين الأقيال/ الملوك في مختلف مناطق اليمن، وبينهم وبين الرومان أو لمصلحتهم. وهكذا، فقد سمع ملك أنطاكو في ضواحي صنعاء (أنطيكوس) أن حليفه ليسياس قد هُزم. ولذا شعر بالذعر. في الواقع، شعر قيل/ ملك أنطاكو - بضواحي صنعاء - بالذعر من

هزيمة حليفه الذماري (من ذمار المحافظة الشمالية) قيل/ ملك مقاطعة لسي الذي واجه الحميريين (يهود الجنوب). وهذا يعني أن يهود حمير تمكنوا من إلحاق الهزيمة بالشماليين في صنعاء وذمار. والآن: هل يمكن تخيّل الملك أنطيخوس الروماني، وقد سقط مريضاً لأنه خرّب أورشليم؟ وأنه مات من الغمّ بعد هزيمة قواته في (بلاد اليهودية) ثم قوات حليفه الذماري ليساس/ اللسي؟ لا يبدو هذا الجزء من السرد الدينيّ منطقياً، وهو جزء خالٍ من أي تاريخ حقيقي. إن التاريخ الروماني لا يعرف ملكاً رومانياً مات من الغمّ والشعور بالإثم لأنه دمر أورشليم ونهبها. لكن، إذا ما وضعنا هذا الجزء، مرة أخرى ودون تردد داخل التاريخ اليمني، ونظرنا إلى الصراع في أورشليم على أنه استطراد في صراع قديم بين قبائل الشمال والجنوب، خلال حقبة الغزو الروماني لليمن، يكون الوصف مفهوماً ومنطقياً، فها هو قيل/ ملك يمني من الشمال، يقع سقيماً من مرارة الهزيمة في أورشليم وفي (أرض اليهودية). ولأنه ملك شمالي، فسيكون مفهوماً لماذا عاد أدراجه صوب موضع يدعى بابل - بابلي في ضواحي صنعاء، ثم ليسمع بهزيمة حليفه قيل مقاطعة ليسياس/ لسي في ذمار. وهكذا نجده يقول صراحة:

١٣: فأنا اعلم بأني لأجل ذلك أصابتني هذه البلايا، وها أنا أهلك بكمدٍ شديدٍ في أرض غريبة.

١٤: ثم دعا فيلبس (فليب) أحد أصحابه وأقامه على جميع مملكته.

١٥: ودفع إليه تاجه وحلته وخاتمه وأوصاه بتدبير أنطيوكس ابنه وترشيحه للملك.

١٦: ومات هناك أنطيوكس الملك في السنة المئة والتاسعة والأربعين.

هذا النص العجائبيّ نص مثيولوجي بفضل الترجمة الرديئة، فها هنا ملك روماني يعهد لملك روماني آخر تربية ولده. إن تاريخ روما السياسي لا يعرف قط هذه الواقعة. هناك جانب آخر من الحقيقة يتعيّن رؤيته دون تلاعب، فالتاريخ الروماني لا يعرف واقعة موت أحد الملوك في (أرض اليهودية) أو في الأقاليم العليا قرب فارس. إن قراءة النصوص السابقة من منظور الصراع بين قبائل الشمال اليمني - التي ارتدّ بعضها عن اليهودية - وقبائل الجنوب بأكثريتها

التي ظلت على ديانتها اليهودية، ستوضّح لنا كيف أن هذا الصراع اتخذ بُعداً جديداً، حين أصبحت بعض قبائل الشمال، وبعض قبائل الجنوب المرتدّة عن اليهودية، لا مجرد جماعات وثنية، بل جزءاً من الحملة الرومانية - الحبشية، وهي انخرطت في خطط روما لغزو فارس. وكان ذلك هو الدافع والمحرّك الأهم الذي دفع الكهنة اليهود في أورشليم للاحتجاج والرفض. وأعيد التذكير بتقاليد الحكم في اليمن كما سجلها سترابون، فالابن البكر للقيل/ الكاهن يجب أن يتربّى في بيت قيل/ حاكم (ملك) لتأهيله. وهذا هو مغزى تكرار وجود أبناء ملوك تجري تربيتهم في بيوت الملوك.

في ختام هذا الفصل سأعرض المسألة من منظور آخر، لأجل أن يستوعب القرّاء التشابك الجغرافي/ التاريخي في الوقائع المرويّة.

أسماء رومانية في جغرافية اليمن

في ختام هذا الجزء من الفصل، سأعطي ما يمكن اعتباره نموذجاً أولياً عن التأثيرات الرومانية في اليمن من خلال وجود بعض الأسماء الدّالة على النفوذ الثقافي المتأخر للرومان. إن القائمة الأولية التي أعرضها هنا، لا غرض لها سوى توضيح هذا الجانب الغامض من السرد، وتبيان الظروف والبواعث التي تدفع مترجم النص إلى رسم الأسماء وفقاً للصيغ اليونانية - الرومانية. خذوا هذه النماذج التي اخترتها عشوائياً، للدلالة على صحّة نظرية هذا الكتاب، ولنلاحظ فيها (السين) اللاحقة في الأسماء:

مالينوس: (الملك/ الإمبراطور الروماني الذي لا وجود له في السجلات الرومانية).

محافظة إب، مديرية حزم العدين، عزلة الأجعوم، قرية خبات، محلة المانيوس.

بولص: (كاتب الإنجيل المسيحي).

محافظة إب، مديرية فرع العدين، عزلة المسيل، قرية الحنب، محلة بوليص.

قيصر: (اللقب الإمبراطوري).

محافظة إب، مديرية جبلة، عزلة الشراعي، قرية المعاصر، محلة قيصر.

أبطور: (الملك/ الإمبراطور الروماني المزعوم الذي لا وجود لأي وثيقة رسمية تؤكده وجوده).

محافظة إب، مديرية العدين، عزلة قصل، قرية السلائم، محلة الأبطور.

هذا النموذج الأوليّ، مُصمّم لأغراض وضع القرّاء – الجمهور العام – في صلب المسألة التي نثيرها، وهي أن الغزو الروماني ترك أثره، لا في أسماء/ ألقاب أقيال وملوك ومغامرين وزعماء قبائل متمرّدة وحسب، بل في الجغرافيا (الأرض). ها هنا بضعة أسماء اخترتها عشوائياً لهذا الغرض، وسأعرض كل ما يمكن أن يدل على ذلك. وفي سياق هذا الفصل والفصول التالية، سأورد المزيد من الأسماء التي تركها الرومان في اليمن. والآن: بعد هزيمة ليسياس (قيل/ ملك مقاطعة لسي/ لسيس) وموت أنطيخوس (قيل/ ملك نطاكو) حدثت تطورات حاسمة:

١٧: وعلم ليسياس أن الملك (أنطيخوس) قد توفي، وملك مكانه أنطيوكس ابنه الذي رباه هو في حداثته، وسماه باسم أوباطور.

يؤكد هذا المقطع بجلاء، أن أنطيخوس هو اللقب الروماني للملك اليمني الصغير أبطور (هاكم الاسم مرة أخرى كما هو حتى اليوم: محافظة إب، مديرية العدين، عزلة قصل، قرية السلائم، محلة الأبطور). ماذا يعني ذلك؟ هذا يعني ببساطة أن التاريخ الروماني لا يعرف ملكاً بهذا الاسم، ولا يوجد – بشكل قاطع – أي واقعة تقول إن ملكاً رومانياً عهد إلى ملك آخر تربية ابنه ليكون ملكاً. في الواقع، كانت هناك قرابات دم بين الصنعانيين والذماريين (مقاطعتي نطاقو/ نطاق ولسي/ لسياس)، وهم أكثر من مجرد حلفاء. كذلك إن القرب الجغرافي بين قطاع (شعوب) في ضواحي صنعاء وقطاع (لسي) في ذمار، يسمح بوقوع مثل هذه الحدث. عندما صعد أباطور قيلاً/ ملكاً خلفاً لوالده في هذا الوقت، فقد حدث ذلك فقط برعاية الذماريين حلفاء سبئييّ صنعاء.

١٨: وكان أهل القلعة يصدّون إسرائيل عن دخول المقدس، ويحاولون الإضرار بهم، وكانوا يحيطونهم مع الأمم (القبائل) من كل جانب.

في هذا الوقت أيضاً، كان بعض أتباع والد أنطيخوس الابن، يواصلون حصار القلعة ويمنعون الإسرائيليين، لا اليهود فقط، من دخول المقدس وتقديم التقديمات الإلهية، وهذا أمر من شأنه أن يدعم فكرة بقاء قسم كبير من بني إسرائيل على ديانتهم القديمة، وأنهم لم يرتدّوا إلى الوثنية. وها هنا الموضعان: القلعة والمقدس: محافظة إب، مديرية العدين، عزلة قداس، قرية القفر، محلة القلعة. فهل ثمة شك في جغرافيا الحروب المكابية؟ ها هنا القلعة وها هنا المقدس. (عزلة قداس والقلعة). وكيف يمكن تخيّل اجتماع اسمين لمكانين جبليين في جغرافيا واحدة؟

وهكذا وحسب السردية التوراتية فقد:

١٩: عزم يهوذا على الإيقاع بهم، وحشّد جميع الشعب لمحاصرتهم.

٢٠: فاجتمعوا معاً وحاصروهم سنة مئة وخمسين (١٥٠ من التاريخ الحميري – ٣٥ ق. م)، ونصب عليهم القذافات والمجانيق.

٢١: فخرج بعض منهم من الحصار، فانضمّ إليهم نفر منافقون من إسرائيل.

٢٢: وانطلقوا إلى الملك، وقالوا إلى متى لا تجري القضاء ولا تنتقم لأخوتنا؟

٢٣: إنّا ارتضينا بخدمة أبيك والعمل بأوامره واتباع ما رسم لنا.

٢٤: ولذلك أبناء شعبنا يحاصرون القلعة، بغضاً لنا وكل من صادفوه منا قتلوه ونهبوا أملاكنا.

٢٥: ولم يكتفوا بمدّ أيديهم علينا، ولكنهم تجاوزوا إلى جميع تخومنا.

٢٦: وها إنهم قد زحفوا إلى قلعة أورشليم، ليستحوذوا عليها وعلى المقدس وحصنوا بيت صور.

إن أيّ قراءة نزيهة وموضوعية لهذه المقاطع (٢٦،٢٥،٢٤،٢٣) ستضع القارئ وجهاً لوجه أمام السؤال البسيط الآتي: هل يمكن الافتراض، أن قيصر روما كان مقيماً قرب أورشليم، وأن قواته المنهارة هناك فرضت على بعض أتباعه أن يأتوا مسرعين إليه ليخاطبوه بوقاحة،

قائلين إنهم كانوا تحت طاعة والده وأطاعوه، فلماذا يتخلىّ ابنه الملك الجديد عنهم؟ بكل يقين، هذه صورة ساخرة وخيالية؛ إذ لم يعرف التاريخ الروماني قط، وجود أي ملك- إمبراطور روماني عام ١٥٠ ق.م في فلسطين أو اليمن! على العكس من هذا، سيكون منطقياً تماماً القول، دون تردد، إن أنصار القيل/ الملك القبلي المتأغرق ملك مقاطعة أباطور، هم الذين جاؤوا إليه طالبين منه أن يتدخل لفك الحصار عن القلعة عام ٣٥ ق.م (بحساب الفارق بين التقويمين الحميري والميلادي). وأريد هنا أن أشير إلى أن التنديد في هذا النص الديني بالمنافقين من بني إسرائيل، لن يكون مفهوماً إلا إذا وضع في سياقه الثقافي - الديني القديم، فالقرآن يتحدث عن (نفاق) بني إسرائيل: ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ﴾ - (المائدة: ٧٨). إن الإشارة القرآنية إلى (المرتدين اليهود) من بني إسرائيل في عصر المسيح، تتضمن تأكيداً لـ(حدث) كان لا يزال يختمر في الذاكرة الدينية للقبائل، وبالطبع، فليس ثمة أي (حدث) دالّ على وجود مرتدين أو (كفار) من بني إسرائيل في التاريخ الروماني. إن النصّ القرآني الذي يتحدث عن (المنافقين/ المرتدّين/ الذين كفروا من بني إسرائيل) يشير إلى واقعة حدثت في اليمن، لا في شمال الجزيرة العربية. كذلك لن تكون الروابط الوثيقة التي يقيمها النصّ القرآني بين (المنافقين من بني إسرائيل) والمسيح، مفهومة إلا إذا وضعت في هذا العصر. يبقى أن نعيد التذكير بموضع صور هنا: محافظة إب، مديرية حزم العدين، عزلة الأصيور (صور).

هوامش

١- سترابون - مصدر مذكور.
٢- يصعب تخيّل أن ملكاً رومانياً يكلف ضابطاً قيادة الجنود و(الفيلة) وكأن هناك وحدات عسكرية منفصلة. الصحيح أنه كلفه قيادة منطقتين هما (جنود) و(فيلة). وبرأيي جاء لقب الفيلية الذي يحمله بعض المواطنين الأكراد في العراق من اسم هذا المكان، أي إنهم من قبائل (الفيلية).
٣- يقصد بـ(شِعْب) المكان الجبلي، أي شعبة (جزء) من سلسلة جبلية.
٤- الصديق الأكاديمي حسن حموري أستاذ اللغة العبرية في الجامعة الأردنية.
٥- يوسفيوس/ الآثار: (٢١ - ٢٧) - مصدر مذكور.
٦- النقشان الموسومان بـ (728CIH) (621CIH) هما من حصن الغراب، إلا أن النقش الموسوم بـ(621CIH) هو الذي اكتسب شهرة عند علماء الآثار، واعتبر من أهم النقوش التي تؤرخ كما يُزعم لفترة (٦٤٠ من التاريخ الحميري) الذي يقابل سنة (٥٣٥ ميلادية). وكنتُ قد اعترضت في فصول هذا الكتاب على هذا التاريخ.
٧- القفر: من الأماكن المقدسة وهو اليوم ضمن قرية تدعى قداس ضمن عزلة قصل/ كسيل، وهذا اسم الشهر/ المعبود اليمني.
٨ لا يمكن فهم هذه الترجمة إلا في سياق سقوط المناطق المشار إليها، ولذا وضعنا الشرح بين قوسين في الجملة.
٩- نص المفصل/ جواد علي، فصل العرب واليونان (حتى لقد زعم من أرخ تلك الحملة من الكتبة اليونان، أن الرومان لم يقاتلوا العرب، ولم يصطدموا بقواتهم اصطداماً فعلياً على نحو اصطدام الجيوش، وأن المحاربين العرب، لم يكونوا يملكون أسلحة حربية من الأسلحة المعروفة التي تستعملها الجيوش، وأن كل ما كان عندهم هو الفؤوس والحجارة والعصي والسيوف، ولذلك لم يتجاسروا على الالتحام بالرومان)
١٠- غالباً ما تترجم جملة (يم سوف) إلى (البحر الأحمر)، وهذا تزييف فظيع، لأن المقصود هنا موضع يدعى يام والآخر سوف - راجع الكتاب الأول من هذا المجلد.
١١- ترجمت كلمة (جويم) إلى أجانب، والصحيح: الناس، عامة الناس.
١٢- يمنية/ محلة اليمنية وهي التي شهدت أولى اجتماعات المسيحيين في المجمّع المشهور. محافظة إب، مديرية المخادر، عزلة الشرف، قرية العوادي، محلة اليمانية. ومن المؤكد أن السفر يتحدث عن معارك قاسية دارت ضد الوثنيين في اليمانية، فقد جمع يهوذا جيشه وسار به إلى مدينة عدلام. ولما كان اليوم السابع، تطهروا بحسب العادة واحتفلوا بالسبت هناك. وفي الغد جاؤوا إلى يهوذا ليحملوا جثث القتلى ويدفنوهم مع ذوي قرابتهم في مقابر آبائهم، فوجدوا تحت ثياب كل واحد من القتلى أشياء مكرسة لأصنام يمنياً، مما تحرمه الشريعة على اليهود. فتبين لهم جميعاً أن ذلك كان سبب قتلهم. ١مكا: ٥٥-٦٢ و ١٠: ٦٩ و ١٥: ٣٨
١٣- صيون وصهيون في التوراة.
١٤- يشوع ١٨:١٦ (يبوص - بحرف السامك).
١٥- مصدر مذكور.

١٦- السجوف: «السَّجْفُ والسِّجْفُ: السِّتْر. وفي الحديث: وأَلْقَى السِّجْفَ: السترُ. وفي حديث أُم سلمة أَنها قالت لعائشة: وَجَّهْتِ سِجافَتَه أَي هَتَكْتِ سِتره وأَخذْتِ وجْهَه، ويروى: وجَّهْتِ سِدافَتَه؛ السِّدافةُ الحجابُ والسِّترُ من السُّدْفَةِ والظلمة، يعني أَخذتِ وَجْهَها وأَزَلْتِها عن مكانها الذي أُمِرْتِ به، وقيل: معناه أَزَلْتِ سِدافتَه، وهي الحجاب، المعجم/ لسان العرب لابن منظور مادة سجف.
١٧- يؤكد سارد نص سفر المكابيين مرة أخرى أنه يهودي حميري، فهو يؤرخ روايته بشهر كسلو/ كصيلو (أيلول).
١٨- هذه ترجمة رديئة، والصحيح، أنهم فرحوا بزوال الدنس عن الهيكل.
١٩- جايوس كاسيليوس سيلو (٦١ - ١١٢م تقريباً) المشهور باسم بلينيوس الأصغر هو محامٍ ومؤلف وقاضٍ روماني. نشأ وتعلم على يدي عمه بلينيوس الأكبر. ٧٩ م.
٢٠- من الطبعة الحادية عشرة لدائرة المعارف البريطانية ١٩١١.
٢١- McLynn, Frank. Marcus Aurelius: Warrior, Philosopher, Emperor. London: Bodley Head, 2009. ISBN 978-0-224-07292-2
٢٢- البحث عن مملكة حمير مملكة يهوذا والسامرة/ الكتاب الثالث من المجلد الأول.
٢٣- سترابون، وأنظر نقوش Jammme 566 و CIH 299 و Jamme 566 وكذلك جواد علي، المفصل/ مصدر مذكور: وفي النص Glaser ١١٩ خبر غزو «الشرح يحضب» أرض حمير وحضرموت، ولم يكن «الشرح» يومئذ ملكاً، ولكنه كان في درجة «كبر» أي «كبير» على «أقين/ أقيان»/ أقيال.
٢٤- في مكابيين الأول : ١٧:٥-٣٦، تُسمّى باشان أرض جلعاد.
٢٥- في الأصل هو (شِعب الجليل) وقد ترجم إلى (جليل الأمم) والشعْب مفرد شعاب وهي مجمّع صخور وليس أمة أو جماعة أو قبائل.
٢٦- يوسفيوس: مصدر مذكور
٢٧- نينانا، نينيانا، إنّيانا، أكبر الربات السومرية.
٢٨- انتشر الاسم في أماكن كثيرة منها، بعضها في الجوف ضمن مديرية برط العنان، عزلة العنان، حي العنان، محلة العنان.
٢٩- وهناك مكان آخر في محافظة عمران، مديرية جبل عيال يزيد، عزلة عيال يحيى، قرية اللومي، محلة بيت هيكل.
٣٠- سترابون/ الجغرافيا - الكتاب السادس عشر - ص ٣٤٠ مصدر مذكور.
٣١- وهناك موضع آخر بنفس الصيغة قرب هذا المكان قد يكون هو المقصود: مديرية المخادر، عزلة الشرف (قرية بيت القرين).
٣٢- ثمود بن عابر ابن أرم بن سام بن نوح وهود بن شالح: تفسير مقاتل بن سليمان، المؤلف: أبو الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي البلخي (المتوفى: ١٥٠هـ)- المحقق: عبد الله محمود شحاتة - الناشر: دار إحياء التراث - بيروت
٣٣- يقصد بالعرب هنا تجمعات البدو في مختلف مناطق تعز ولحج وأبين وشبوة والبيضاء.
٣٤- ورد اسم ثمود في الكثير من النقوش السبئية وسيجد القارئ هذه النصوص في الكتاب الخاص بالنقوش ضمن هذين المجلدين.
٣٥- الكتبة هنا هم الفريسيّون (الفقهاء) الذين يتولون شؤون التعبئة الدينية للحرب.
٣٦- محافظة إب، مديرية المخادر، عزلة الشرف، قرية العوادي، محلة اليمانية.

٣٧- الهمداني: مصدر مذكور/ كتاب الجوهرتين العتيقتين المائعتين من الصفراء والبيضاء (الذهب والفضة) – الحسن بن أحمد الهمداني ٣٤٥ هـ، تحقيق أ.د. أحمد فؤاد باشا، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ١٤٣٠ هـ/ ٢٠٠٩ م، ص ١٠٠.

٣٨- (غلبت الروم. في أدنى الأرض. وهم من بعد غلبهم سيغلبون. في بضع سنين. لله الأمر من قبل ومن بعد ويومئذ يفرح المؤمنون. بنصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم) (الروم:١ ـ٥).

خرافة فارس وميديا

قد يبدو الجزء التالي من سفر المكابيين هو الأكثر إثارة. إن مصدر التشكيك في صدقيّة التفسيرات التقليدية التي تلازمت مع نشر المؤلفات والكتب والدراسات التاريخيّة عن السفر، يتجلى هنا في أوضح صوره، فبعد أن وصل من يُخبر أباطور بواقعة حصار القلعة، وأن يهوذا يواصل زحفه لتحرير أورشليم، قرر (الملك الروماني المزعوم) في لحظة غضب، أن يردّ على يهوذا وأنصاره بطريقة غير مسبوقة:

٢٧ : فالآن إنْ لم تسرع وتبادرهم، فسيصنعون شراً من ذلك فلا تقدر أن تكفهم.

٢٨ : فلما سمع الملك غضب، وجمع جميع أصحابه وقوّاد جيشه ورؤساء الفرسان.

٢٩ : وجاءته من ممالك أخرى ومن جزائر البحار جنود مستأجرة.

٣٠ : وكان عدد جيوشه مئة ألف راجل وعشرين ألف فارس واثنين وثلاثين فيلاً.

٣١ : فزحفوا مجتازين في أدوم، ونزلوا عند بيت صور، وحاربوا أياماً كثيرة، وصنعوا المجانيق فخرجوا وأحرقوها بالنار وقاتلوا ببأس.

من الصعب جداً تخيّل أن ملكاً رومانياً، يضطرّ إلى طلب مقاتلين من ممالك أخرى، بل ويتقبل مشاركة مرتزقة من مدن بعيدة، فقط لأجل مواجهة جماعة صغيرة من اليهود، يقودها كاهن محارب يُدعى يهوذا المكبيّ كان يزحف نحو أورشليم، بعد أن تمكن هذا من فك الحصار عن القلعة. إن التاريخ الرسمي الروماني لا يعرف مثل هذه الواقعة المثيرة، فكيف يمكن تخيّل إمبراطور روما، وهو يستجدي الحصول على الفرسان، لمواجهة جماعة قبلية صغيرة؟ إن التفسير الشائع لسفر المكابيين عند سائر اليهود - وبشكل أخص تفاسير الكنيسة الأرثوذكسية - يدعونا إلى تصديق خرافة أن الصراع كان يدور- بحسب السرد التوراتي - حول قلعة (قلعة؟ هل هذا منطقي وبحيث إن روما العظيمة تطلب مرتزقة من بلدان أخرى لأجل الاستيلاء عليها؟).

هل ينبغي لنا تصديق ذلك؟ وأن الصراع بين روما وجماعة يهودية صغيرة متمرّدة، كان يدور حول (قلعة)، وأن روما العظيمة كانت بحاجة لمرتزقة لمواجهته، وفي جغرافية ضيّقة للغاية لا تتجاوز الحدود الإدارية لمحافظة في بلد مثل اليمن؟ لكن هذا التصوير الغرائبيّ يمكن أن يكون واقعياً، لو عدنا ووضعنا مسألة الحصار في الإطار الذي نقترحه، فقد نشبت حرب أهلية بين قبائل الشمال وقبائل الجنوب اليمني، وتمكن الجنوبيون من فك حصار اليهود المحاصرين من أنصارهم في القلعة، وبحيث اضطرّت قبائل الشمال إلى الاستعانة بمقاتلين من قبائل أخرى لصدّ الزحف. وحين نتأمل في أسماء المواضع التي كان القتال يجري فيها، ينتابنا العجب، فهي مواضع يمنية صرف، وضمن رقعة جغرافية صغيرة. ها هنا أدوم وصور مرة أخرى. هاكم أسماء مواضع وأماكن القتال: محافظة إب، مديرية العدين، عزلة بلاد المليكي، قرية الغربي، محلة الأدوام. وهذه هي (أدوم/ الأدوام). ثم، محافظة إب: مديرية حزم العدين، عزلة الأصيور- صور (وها هنا صور). وإذا ما وضعنا حروب المكابيين ضمن هذه الجغرافية، فسوف يكون أمراً مؤكداً لنا من الناحية التاريخية، أن نتمكن من إعادة بناء تصور ديناميكي عن محاولات إيلشرح يحضب الثاني (يهوذا المقبيّ) بعث مملكة حمير التي سعى يهود الجنوب عبثاً لإعادة تأسيسها ودون جدوى، وهي محاولات شهدت في هذا الوقت من عام ١٥٠ق.م (٣٥ ق.م في التاريخ الحميري) زحفاً عسكرياً بقيادته لتطهير الأماكن اليهودية المقدّسة. ويبدو لي أن يهوذا - هنا - هو

ذاته الذي قصدته المرويات الإسلامية[١] وسمته (هوذه) وقالت عنه إنه كان يوشك أن يتوّج ملكاً- لكنها بالطبع وضعته في زمن محمد وفي اليمامة (المملكة العربية السعودية/ ضواحي العاصمة الرياض).

ما يثير اهتمامنا في هذه النصوص تسجيلها لوقوع معركة الفيل. أين وقعت؟ هل حقاً سعى الرومان لتهديم أورشليم بواسطة الفيلة؟ لماذا، إذن تتحدث الروايات الإسلامية عن محاولات ملك يمني يُدعى (أبرهة) وأنه سعى لتهديم الكعبة بواسطة الفيلة؟ هل من المعقول أن يكون هناك حادثان تاريخيان في زمنين وجغرافيتين مختلفتين؟

معركة الفيل في «شرعب السلام»

إذا ما سرنا على خطى يهوذا المكبيّ (إيلشرح يحضب الثاني) في زحفه، وهو يدحر الأقيال في الشمال والجنوب، فسنسير في مديرية العُديْن، ثم نتجه معه صوب شرعب السلام، وهكذا، من محافظة إب، مديرية العدين، عزلة قداس، قرية القفر، محلة القلعة، حيث وقع الحصار وأمكن كسره في النهاية، سنتجه معه مرة أخرى نحو عزلة بلاد المليكي- الملك في المديرية نفسها (محافظة إب، مديرية العدين، عزلة بلاد المليكي- مليك - ملك). ومن هناك سنتجه نحو شرعب السلام (محافظة تعز، مديرية شرعب السلام، عزلة الأمجود، قرية نصف بني المجيدي، محلة ذكره - زكرة (الذال والزاي في العبرية حرف واحد: زكريه، وهناك موضع آخر يحمل صيغة الاسم نفسها: عزلة الزكيرة من عزلات مديرية الشمايتين في محافظة تعز). ولأن يهوذا زحف نحو هذه المناطق، فقد اضطر القيل/ الملك الملقب بـ(أباطور) إلى الاستنفار ودعا جيشه إلى الزحف بالفيلة نحو بيت زكره - زكريه.

٣٣: فبكّر الملك، ووجه ببأس جيشه إلى طريق بيت زكريا، فتأهبت الجيوش للقتال ونفخوا في الأبواق.

٣٤: فسار يهوذا عن القلعة، ونزل ببيت زكريا تجاه محلة المليكي، وأروا الفيلة عصير العنب والتوت حتى يهيجوها للقتال.

٣٥: ثم وزعوها على الفرق، فجعلوا عند كل فيل ألف رجل، لابسين الدروع المسرودة وعلى رؤوسهم خوذ النحاس، وأقاموا لكل فيل خمسمئة فارس منتخبين.

٣٦ : فكان أولئك، حيثما وجد الفيل سبقوا إليه، وحيثما ذهب ذهبوا معه لا يفارقونه.

في هذا المقطع من السفر، سنكتشف بسهولة أن سفر المكابيين، هو بالفعل سيرة شعبية يمنية مماثلة لسيرة سيف بن ذي يزن، أي أنه في الأصل (سردية شعبية) مألوفة وشائعة في كتب الإخباريين العرب القدماء، وليست نصّاً دينياً، فها هنا جيش روماني مزعوم يزحف ومعه نحو ٣٢ فيلاً، وعند كل فيل ألف فارس، ووضعوا في خدمة كل فيل نحو ٥٠٠ فارس.

كل هذا لا يبدو منطقياً من المنظور العسكري. إن التقاليد العسكرية الرومانية لا تعرف بأي صورة من الصور، مثل هذا الترتيب في بنية الجيش المحارب، وبحيث يصبح تعداد الجنود الذين يقودون الفيلة فقط، أكثر من ٥٠ ألف جندي. ومن أجل ماذا؟ من أجل قلعة؟ وهل من المنطقي تخيّل أن روما بعظمتها تقف مشلولة أمام ملك قبلي صغير (كاهن يهودي)، فتحشد له كل هذا العدد من المقاتلين والفيلة؟ ولو كان مسرح الحرب في أورشليم التي يزعم أنها في فلسطين، فهل يكون ثمة أي منطق في تخيّل مسرح المعركة هناك؟ وهل تحتمل (القدس المزعوم أنها أورشليم) كل هذا العدد من المقاتلين والفيلة وخدم الفيلة؟ وهل من المنطقي تخيّل ٥٠٠ مقاتل مع كل فيل، فقط لتهديم معبد ديني؟

٣٧ : وكان على كل فيل برج حصين من الخشب يحميه، مطوق بالمجانيق وعلى البرج اثنان وثلاثون رجلاً من ذوي البأس يقاتلون منه والهندي يدير الفيل.

٣٨ : وجعلوا سائر الفرسان من هنا وهناك، على جانبي الجيش يحثونه ويكتنفونه في الشعاب (أي يساعدون الفيلة على اجتياز المناطق الوعرة - المؤلف).

٣٩: فلما لمعت الشمس على تروس الذهب والنحاس، لمعت بها الجبال وتأججت كسرجٍ من نار.

٤٠ : وانتشر جيش الملك، قسمٌ على الجبال العالية، وقسمٌ في البطاح ومشوا بتحفظ وانتظام.

٤١: فارتعد كل من سمع جلبتهم، وجُلبة جمهورهم وقعقعة سلاحهم، فقد كان الجيش عظيماً وقوياً جداً.

٤٢: فتقدم يهوذا وجيشه للمبارزة، فسقط من جيش الملك ستمئة رجل.

٤٣: ورأى العازار بن سوران[٢] واحداً من الفيلة عليه الدرع الملكية، يفوق جميع الفيلة فظنّ أن عليه الملك.

٤٤: فبذل نفسه ليخلص شعبه ويُقيم لنفسه اسماً مخلداً.

٤٥: وعدى إليه مقتحماً في وسط الفرقة، يقتل يمنة ويسرة، فتفرقوا عنه من هنا ومن هناك.

٤٦: ودخل بين قوائم الفيل حتى صار تحته وقتله، فسقط عليه إلى الأرض فمات مكانه.

٤٧: وأن اليهود لما رأوا سطوة الملك وبطش الجيوش ارتدّوا عنهم.

٤٨: فصعد الملك بجيشه نحو أورشليم لملاقاتهم وزحف إلى اليهودية وجبل صهيون.

تحليل النصّ

في هذه السيرة الشعبية المسماة (سفر المكابيين) يمكننا أن نجد أصل القصة القرآنية (سورة الفيل)[٣] التي سعى المفسرون، دون جدوى، إلى ربطها بأبرهة الحبشي *Abramus* آبراموس في المصادر اليونانية. وأصل القصة الشعبية واضح هنا، فقد تخيّل سارد السفر أن المعركة الكبرى بين يهوذا المكبيّ (إيلشرح الثاني) وملوك اليمن الصغار (ملوك المخاليف) شهدت استخدام الفيلة لتهديم أورشليم، وهذه القصة تحولت على أيدي مفسّري القرآن في العصر العباسي إلى قصة عن فيلة يقودها أبرهة الحبشي لهدم الكعبة، مع أن القصة القرآنية لا تشير أبداً إلى أبرهة ولا إلى الكعبة، ويمكن أيّ متشكّك أن يعيد قراءة الآية ليتأكد مما أقول. في الواقع، وحسب النص الذي سجله السفر التوراتي، جرت المعركة في موضع يدعى الفيل. لكن سارد النصّ الذي كتب روايته في وقت متأخر، ولم يكن الكاتب معاصراً للحدث، قلب الأسماء اليمنية إلى أسماء يونانية، فتخيّل أن هؤلاء الملوك المتأغرقين، كانوا ملوك روما

وضباطها، وأنهم استخدموا الفيلة لهدم المعبد في أورشليم. كانت كلمة (فيل) كافية لخلق هذا الخيال، مع أن المقصود منها اسم مكان. حتى حادث قتل الفيل، استعاره المفسرون والقصّاصون وكتّاب التاريخ التقليديّ من المسلمين، وقاموا بلصقه بتاريخ الإسلام[٤]. ويبدو أن المؤرخين المسلمين استعاروا هذه القصة، وربطوها بـ«أبرهة الحبشي»، فقط لأن المعركة وقعت في مكان يحمل اسم أبرهة. هذا التشابك في فروع التاريخ وأذرعه الممتدّة، يعقّد فهم مضمون الروايات واستيعابها، ها هنا حكاية مثيولوجية/ شعبية عن فيلة استخدمت لهدم أورشليم، وهنا حكاية موازية عن فيل/ فيلة لهدم الكعبة. إن التاريخ الروماني، والإثيوبي (الحبشي) بطبيعة الحال، لا يعرفان أي شئ عن واقعة مثل هذه، ولم يحدث أن استخدم الجيش الإمبراطوري الروماني كل هذا العدد من الجنود والفيلة في مواجهة تمرّد جماعة دينية صغيرة مثل اليهود، أو لأجل هدم (معبد). كذلك فإن التماثل بين القصة التوراتية والقصة القرآنية مثير للاهتمام؛ إذ من غير المنطقي أيضاً أن يتكرر الحدث نفسه تارة مع أورشليم وتارة مع الكعبة! هاكم أولاً، اسم الموضع المسمى أبرهة: محافظة تعز، مديرية مقبنة، عزلة الخياشين، قرية الأبارهة- مفرد أبرهة. وهناك عدد كبير من المواضع لا تزال تحمل حتى اليوم اسم الفيل. هاكم بعضها: محافظة الحديدة، مديرية اللحية، عزلة البعجبة، قرية العرمة، محلة الفيل. وهناك في مديرية برع في المحافظة نفسها، وضمن عزلة بني سليمان، توجد محلة تعرف باسم محلة الفيل. كذلك توجد في محافظة المحويت، وضمن مديرية المحويت، وفي عزلة القحطاني قرية تعرف باسم: قلعة الفيل. وفي محافظة عمران، وضمن عزلة الشهارة، وفي قرية ذرى، هناك موضع يعرف باسم ظهر الفيل.

المثير للدهشة أن اسم العيزار- العازر بن سوران – الذي يُزعم أنه صرع الفيل – هو في أنساب اليمنيين يدعى سوران بن ربيعة بن بكيل بن جشم. وفي كتاب ابن الكلبي (نسب معد واليمن)[٥] نجد أن سوران هذا من قبيلة بكيل. يقول ابن الكلبي حرفياً: وهؤلاء – هم – بنو بكيل بن جشم و– قد – أولد بكيل سوران. فهل هي محض مصادفة أن جشم التوراتي يدعى جشم العربي، ونجده في أنساب اليمن بالاسم نفسه سوران بن العزر بن جشم؟ بينما نجد اسم العزر- عيزار في مديرية الصلو في محافظة تعز وبالاسم نفسه: مديرية الصلو، عزلة المصنعة، قرية العزر. كل ذلك يؤكد أن السيرة الشعبية المسمّاة (سفر المكابيين) هي في

الأصل سيرة شعبية عن حروب ملوك بلاد اليهودية وكهنتها ضد الغزو الروماني وحلفائه من القبائل المرتدة عن اليهودية (الشمالية والجنوبية)، بقيادة إيلشرح يحضب الثاني، وأن أهم قبيلة شاركت الحميريين في القتال دفاعاً عن معتقداتهم اليهودية، قبيلة بكيل الشمالية، أي أبناء العمومة والحلفاء في الماضي. ولذا قام يهوذا بخطوة كبرى، إذْ:

٤٩: عقد صلحاً مع أهل بيت صور، فخرجوا من المدينة لنفاد الطعام من عندهم مدة حصرهم فيها، إذ كان سبتٌ للأرض.

٥٠: فاستولى الملك على بيت صور وأقام هناك حرساً يحافظون عليها.

٥١: ونزل عند المقدس أياماً كثيرة، ونصب هناك القذافات والمجانيق وآلات لرشق النار والحجارة وأدوات لرمي السهام ومقاليع.

إذا ما سلّمنا بصحّة التواريخ التي يسجلها كاتب سفر المكابيين، ففي هذه الحالة يكون عام ١٥٠ ق.م (٣٥ ق.م حسب التقويم الحميري) قد شهد مرة أخرى تهديم بيت المقدس في اليمن، وليس الهيكل. إن التمييز بدقة بين المكانين ضروري للغاية، لأجل فهم أعمق لأماكن الصلاة والعبادة، فالمقادس، ومنها بيت المقدس هي أماكن العبادة والصلاة والشعائر الدينية اليومية، من هنا جاء اسم (بيت المقدس) عند المسلمين في وصف مسجد (قبة الصخرة). إنه ببساطة (مكان الصلاة/ أي المسجد)، بينما الهيكل الذي بُني فوق الجبل، هو مكان الحجّ السنوي حيث يصعد المتعبّدون إلى قمة الجبل، ثم يهبطون للطواف، تماماً كما هو حال المسلمين الذين يرتقون جبل عرفة في موسم الحج قبل الطواف حول الكعبة.

وهاكم اسم المقدس هذا: محافظة إب، مديرية حزم العدين، عزلة الشرقي، قرية الشرقي، محلة مقدش. كذلك توجد لدينا مواضع مقدّسة أخرى تحمل الاسم نفسه، أي إنها (مقادس) بمعنى أماكن الصلاة والعبادة وتقديم النذور، مثلاً: محافظة تعز، مديرية خدير، عزلة خدير البدو، قرية شطيفة سفلي، محلة بيت المقدش. وفضلاً عن ذلك، هناك في محافظة إب، مديرية العدين، عزلة جبلية أخرى تسمى حتى اليوم: عزلة قداس. وهكذا، يتكشف أمامنا المسرح الجغرافي/ التاريخي الحقيقي للمعارك التي دارت في عصر الغزو الروماني. إن

أسطورة داود الذي حارب (جالوت) بالمقلاع، لا أساس لها في الأسفار القانونية (التكوين والخروج والتثنية والعدد إلخ)، وهي لا تظهر إلا في عصر المكابيين مع ظهور المجانيق والمقلاع. إن النصّ القرآني وحده هو الذي يروي قصة هزيمة داود لجالوت؛ بينما تروي التوراة جانباً مختلفاً من القصة. والأصل في قصة هزيمة داود لجالوت، مستمد بالكامل من حقبة الصراع مع الرومان، وبحيث يظهر يهوذا المكابي في صورة (داود المخلص). وهكذا أيضاً، كما يقول سترابون في تأكيد لرواية سفر المكابيين، فقد:

٥٢: صنع اليهود مجانيق قبالة مجانيقهم وحاربوا أياماً كثيرة.

٥٣: ولم يكن في أوعيتهم طعام، لأنها كانت السنة السابعة (السنة السبتيّة)[٦]، وكان الذين لجأوا إلى اليهودية من الأمم (القبائل) قد أكلوا ما فضل من المؤونة.

٥٤: فلم يبق في المقادس إلا نفرٌ يسير، لأن الجوع غلب عليهم، فتفرقوا كل واحد إلى موضعه.

٥٥: وبلغ ليسياس، أن فيلبس الذي أقامه أنطيوكس في حياته ليولّي أنطيوكس ابنه المُلك.

٥٦: قد رجع من فارس ومدي ومعه جيوش الملك التي سارت في صحبته وأنه يحاول أن يتولى الأمور (بنفسه).

إذا ما تقبّلنا هذه الصورة الوصفية بمنطقها الجغرافي، فهذا يعني أن فارس وميديا هما في جغرافية واحدة، وبحيث يكون أمراً مفهوماً عندما نقول إن (الملك عاد من فارس وميديا). وبالطبع، فليس في فارس القديمة (إيران) مكان واحد يدعى فارس وميديا. هناك مملكتان قديمتان، إحداهما نشأت شمال غرب إيران وعلى تخوم العراق هي مملكة ميديا، ومملكة أخرى تدعى فارس في إقليم فارس (جنوب إيران وعاصمتها شيراز). إنهما موضعان في جغرافيتين متعاكستين في الاتجاه الجغرافي، ومختلفتين من حيث المكوّن الديموغرافي. وبكل يقين، لم يكن هناك في أي وقت من تاريخ فارس ملك روماني يتجول بين أقاليمها.

هذا هراء ما بعده هراء. على العكس من ذلك، لدينا ما يؤكد أن المكانين هما مكان واحد

في جغرافيا واحدة داخل اليمن، تماماً في وصف السفر التوراتي: هاكم اسم الموضعين: فارس - مفارس (الميم الحميرية ألف ولام) محافظة إب، مديرية العُدين، عزلة العمارنة، قرية الزنجي، محلة المفاريس. وهنا شِعب الميدي (ميديا): محافظة إب، مديرية العدين، عزلة خباز، قرية حرض، محلة شعب المدي. أي إن القيل/ الملك القبلي تحرك بفرسانه من مكان بعينه، هو ما يعرف اليوم باسم مديرية العُديْن حيث دار القتال، ليتجه صوب موضع المقادس، حيث الجوع يفتك بالسكان هناك، واليهود في حالة ضعف وإنهاك. وهذه المساحة تشكلها عزلتان جبليتان متجاورتان.

٥٧: فبادر وسعى إلى الملك والقواد والجيش وقال لهم، إنّا لنضعف يوماً بعد يوم، وقد قلّ طعامنا والمكان الذي نحاصره حصين وأمور المملكة تستحثنا.

٥٨: والآن، فلنعقد مع هؤلاء الناس ولنبرمْ صلحاً مع جميع أمتهم.

٥٩: ولنقرّر لهم أن يسلكوا في سُننهم كما كانوا من قبل، فإنهم لأجل سُننهم التي نقضناها غضبوا وفعلوا كل ذلك.

٦٠: فحسن الكلام في عيون الملك والرؤساء فأرسل إليهم في المصالحة فأجابوا.

٦١: فحلف لهم الملك والرؤساء وعلى ذلك خرجوا من الحصن.

٦٢: فدخل الملك إلى جبل صهيون ورأى الموضع حصيناً، فنقض الحلف الذي حلفه وأمر بهدم السور الذي حوله.

٦٣: ثم انصرف مسرعاً ورجع إلى أنطاكية فوجد فيلبس قد استولى على المدينة فقاتله وأخذ المدينة عنوة.

وبالطبع، فالتاريخ الروماني الرسمي لا يعرف هذه الواقعة العجيبة، وبحيث إن الإمبراطور/ أو الملك يصعد إلى جبل صهيون، ثم يأمر بهدم السور الثاني، وبعد ذلك يعود إلى أنطاكية. مثل هذه الواقعة تقلب التاريخ رأساً على عقب، وتجعل من الرومان أسياد سورية في هذا العصر، وهذا غير منطقي لأنهم بعد ١٠٠ عام من هذا الحدث، تمكنوا من الاستيلاء على

حلب (شمال سورية). أما إذا تخيّلنا الحدث في فلسطين، فسيصبح الأمر أكثر خيالية، فها هو إمبراطور/ ملك روما المزعوم يصعد جبل صهيون في فلسطين جنوب سورية، ثم يعود مسرعاً إلى أقصى شمال سورية (أنطاكية)! هذا خيال ما بعده خيال.

ليست أنطاكية هنا هي أنطاكية على الحدود السورية - التركية، فهذا أمر مستحيل جغرافياً، بل هي موضع نطاكية (ضمن صنعاء) أو نطاكية أخرى ضمن حدود تعز في مديرية حيفان، وعزلة الأعروق، حيث نجد هناك اسمها كما ينطق اليوم: نطاك (نطاق وكما أشرنا فالاسم المذكور في جغرافيا اليمن يؤنث في نص التوراة والعكس. وهذا المكان لا علاقة له بالمكان السابق أنطيخوس - الناطاق - ناطاك في ضواحي صنعاء).

على هذا النحو، جرى تلفيق فارس وميديا، وزجهما ضمن التاريخ الفلسطيني دون أدنى مبرر أو منطق جغرافي.

لغز رومية

من بين أكثر ألغاز هذا السفر الشعبي (الديني لا التاريخي) إثارة لحيرة المؤرخين والعلماء والدارسين والباحثين، المكان الذي يسميه السفر باسم (رومية). ورد الاسم في هذه الصورة وفُهم أن المقصود منه روما. ويبدو أن الحيرة ناجمة عن الخلط الذي قام به سارد السفر، بين أخبار ديمتريوس الإمبراطور الروماني، وبين أخبار الحروب التي خاضها الملوك الصغار في اليمن، ممّن عمل مترجم النص من العبرية إلى اليونانية على رسم أسمائهم حسب التصويت اليوناني بإضافة (السين للاصقة اليونانية). كذلك فإن بعض هؤلاء كانوا يحملون ألقاباً رومانية. وذلك ما فاقم من نتائج الخلط في الوقائع. وكنا قد رأينا في الفصل الأول من هذا الكتاب، أن الكاهن متنيه/ متّى والد يهوذا المكبيّ، سمّى أولاده بأسماء رومانية، مع أنه كان كاهن أورشليم الأعظم. ورأينا أيضاً أن أسماء بعض المواضع رُسمت بالتصويت اليوناني مثل بطلم وميس التي أصبحت في الرسم اليوناني (بطليموس). في هذا الإطار أصبح اسم (رومية) لغزاً.

يبدأ الإصحاح السابع على النحو الآتي:

١: وفي السنة المئة والحادية والخمسين، خرج ديمتريوس بن سلوقس من رومية وصعد في نفر يسير إلى مدينة بالساحل وملك هناك.

قبل تحليل هذا المقطع من السفر، يجب القول إن ثمة خطأً لا يمكن غفرانه؛ إذ طبقاً للتاريخ الرسمي الروماني، فقد حكم الإمبراطور سوتر (*Soter*) ابن سلوقس الرابع بين أعوام ١٦٢-١٥٠ ق.م، لكن تحت تأثير تاريخ يوسفيوس وسفر المكابيين، وضعت الكنيسة إلى جانب اسمه لقب ديمتريوس الأول *Demetrius*. وبذلك قامت بمطابقة تعسفية للسفر مع التاريخ الرسمي الروماني. ولو أننا طبقنا هذه الواقعة على التاريخ الرسمي لروما، فلن نجد أي أثر لها، لأن الإمبراطور سوتر لم يحمل لقب ديمتريوس، ولم يخرج من (سلوق) لأن هذا الاسم لم يكن قد ظهر بعد في التاريخ الروماني، وهو ظهر بعد عام ٥٠ ق.م، أي بفارق ١٠٠ عام، ثم إنه لم يستول على الساحل، وأي ساحل؟ فضلاً عن أنه توفي عام ١٥٠، بينما يقول السفر إنه في ١٥١ خرج من رومية؟ ما قصده السفر من المقطع الآنف فهو الآتي:

وفي عام ١٥١- حميري خرج ذي متراس (أي صاحب مقاطعة متراس) من سلوق ومن رومية وصعد في نفر يسير إلى مقاطعة السحول واستولى عليها.

وبذلك يصبح النص منطقياً.

من المؤكد أن الرومان تركوا تأثيرات قوية في اليمن، وتحت تأثيرهم سمّى اليمنيون القدماء أعوام ٤٩-٣٣ ق.م إحدى أهم مدنهم (باسم الرومية)، تخليداً لذكرى الولاء الذي يكنّه الحميريون للرومان. ها هنا اسم رومية اليمنية: محافظة إب، مديرية حبيش، عزلة ربع ظلمة، حي ظلمة، محلة الرومية. أمّا سلوقس (سلوق) في اسم الإمبراطور، فقد سجله اليمنيون في اسم مكان قديم يعرف اليوم بـ(خربة سلوق) أقام فيه الرومان وكان غنيّاً بالذهب والفضة. لقد سجل الهمداني في وصفه لأرض اليمن اسم هذه الخربة القديمة، باعتبارها موضعاً من مواضع الرومان، في ما يعرف اليوم بمديرية خدير بتعز، وكان سكانها من حمير. ويشير في كتابه «صفة جزيرة العرب»[٧] إلى أن هذا المخلاف - المملكة الصغيرة (خَدِيرْ) كان يضمّ خربة سلوق، وكانت مدينة عظيمة بأرض خَدِيرْ، وتسمى جبل الريبة، وهي مدينة يوجد فيها الحديد والفضة والذهب والحلي والنقد، وإليها كانت العرب تنسب الدروع السلوقية

والكلاب السلوقية. كل هذا يعني أن اليمنيين عرفوا الرومان عن قرب، وأنهم بالفعل كانوا في عصر مملكة حمير على صلة وثيقة بهم، كما سجل ذلك رحّالة وكتاب اليونان. ونحن نجد اليوم اسم روما والروم والرومان في عدد كبير من المواضع في اليمن، منها مثلاً: في صنعاء، محافظة الأمانة، مديرية التحرير، عزلة التحرير، حي التحرير، محلة باب الروم. وفي محافظة صنعاء كذلك، مديرية صعفان، عزلة بني عراف، قرية الأكمة، محلة شط الروم. وفي محافظة إب، مديرية فرع العدين، عزلة الوزيرة، قرية بجيل، محلة عدن الروم. وفي محافظة المحويت، مديرية الرجم، عزلة بني الغذيفي، قرية بيت النوار، محلة بيت روم. وفي محافظة البيضاء، مديرية الصومعة، عزلة العروين، قرية الرومية. وفي محافظة صعدة، مديرية رازح، عزلة شعبان، قرية غربي شعبان، محلة عمرة آل رومية. كل هذا يؤكد أن قوة التأثير الذي تركه الرومان في ثقافة اليمنيين الروحية والثقافية، تجلت على أكمل وجه في هذا التنوع الغنيّ، لأسماء المواضع والألقاب التي تحمل صيغاً رومانية. ولتفكيك (لغز رومية) يجب التمييز بين مقاصد النص من الاسم، حين يكون الأمر متصلاً بالصراع القبائلي – المحلي، أي الحرب الأهلية التي سبّبها الغزو الروماني، وبين مقاصد النص نفسه من (رومية) حين يكون الأمر متصلاً بأخبار تاريخية تخصّ الإمبراطورية. وهذا ما سنراه بدقة في النصوص الآتية.

يهوذا يحمي الهيكل

سأتوقف هنا من جديد لإعادة تركيب هذه القصة المُلتبسة، وأروي التاريخ بصوتي، لا بصوت يوسفيوس، أو صوت كاتب سفر المكابيين:

في الواقع، لا توجد أي وثيقة تاريخية تؤيد وجود اتصال مباشر بين الكهنة اليهود في أورشليم وديمتريوس الأول (الإمبراطور الروماني الحقيقي سوتر). لكن بعض هؤلاء الكهنة، وخصوصاً ممن ارتدّ عن اليهودية، أجروا مفاوضات بالفعل مع وكلاء روما في اليمن خلال سنوات الغزو ٤٩– و٣٣ ق.م. وبهذا المعنى، يمكن تفهّم حكاية الاتصال بين كاهن يدعى الكيمُس (القُمص كما في التقاليد المسيحية) لتطويبه كاهناً أعظم، أي إن هذا الكاهن عرض على الرومان بواسطة وسطاء محليين، التعاون معهم وهو يعرف بالصيغة اليمنية (القمُص). ويبدو أن هذا الكاهن من سكان مقاطعة، ستُعرَف تالياً باسم ريمة (وهي اليوم محافظة

ريمه)، وكان مقيماً في ما يعرف بـ (مديرية مزهر - عزلة بني يعفر - قرية المثلوث) حيث توجد حتى اليوم محلة تسمّى محلة قمص. وهذا تأكيد آخر أن ما يبدو أسماء رومانية، إنما هو في الأصل أسماء مواضع وأماكن ومقاطعات عرُف بها أقيالها وكهنتها، وكما يتضح من مثال (القمُص) فهذا ليس لقبه، بل هو اسم المقاطعة (قمُص) التي يقيم فيها (كاهن قمص).

ويفهم من سياق النصّ، أن تطويب كاهن قمُص كاهناً أعظم موالياً للرومان، تقرر مبدئياً أن يجري في مكان قريب من أرض اليهودية، وجاء اختياره داخل حصن جبلي، تفادياً لاحتجاجات اليهود، ولذا يسميه السفر (الكيمُس الكافر- القمُص الكافر). وحتى اليوم يوجد في تعز، جبل حبشي، حصن يدعى (حصن الكافر). ومع أن الكاهن من نسل هارون، كما يقول السفر، فقد سمّاه اليهود (الكافر) لأنه وضع نفسه في خدمة الوثنيين الرومان. وهذا هو تسلسل الوقائع التي رافقت هذه التطورات:

٢: ولما دخل - ديمتريوس/ قيل/ ملك مقاطعة متراس- دار ملك آبائه، قبضت فرسانه على أنطيوكس وليسياس وجاؤوا بهما.

٣: فلما علم بذلك قال لا تروني وجهيهما.

٤: فقتلتهما الجيوش وجلس ديمتريوس على عرش ملكه.

٥: فأتاه جميع رجال النفاق والكفر من إسرائيل، وفي مقدمتهم الكيمُس، وهو يطمع أن يصير كاهناً أعظم.

سأقدم توضيحاً ضرورياً هنا. إن اللقب (ذو) يستخدم في الموروث الديني اليمني للدلالة على طبقة من الإقطاعيين الصغار (من خارج طبقة الكهنة). ولأن هؤلاء كانوا يطمحون دوماً للانتقال إلى مرتبة (قيل) أي إلى طبقة الإقطاع الديني المقرّب من الكاهن/ الحاكم (العام)، فقد اصطدمت طموحاتهم دوماً بوجود قوى رافضة. ولذلك، حدث خلال مراحل الصراع معهم، تبدّل دراماتيكي في دلالات كلمة (ذو) لتصبح دالة على مضمون احتقاري (أي إنه مجرد/ ذو/ أي إقطاعي صغير). وكذا، وخلال الحروب الأهلية الطويلة أطلق اليمنيون/ السبئيون بشكل خاص، لقب (ذو) كلقب احتقاري على كل (ذو/ أو قيل) طامع. ونجد في نقوش هذا العصر،

وخصوصاً في (نقش بيت ضبعان)[٨] أن مدوّني النصوص يسجلون مثلاً (اسم شمر ذو ريدان) كلقب تحقيري، أطلق على قيل جنوبي أصبح بفضل الحروب الأهلية قيلاً من أقيال (ذي ريدان/ أهم بطون حمير)، وحين سعى إلى فرض نفسه ملكاً، قاتله السبئيون (واحتقروه) حين وصفوه في نقوشهم باسم (شمر ذو ريدان) لطمس اسمه الحقيقي. وهذا السلوك عينه نجده عند سارد نصّ المكابيين وعند يوسفيوس، فهما يستخدمان اسم (ذو متراس، أي صاحب مقاطعة متراس).

ما يلفت انتباهنا في العصر الروماني، وهو عصر الصراع مع فارس، أن الاسم (متراس) هو ذاته اسم الإله الروماني ميثراس. كانت عبادة الإله الذكوري (العضو الذكوري) ميثراس/ ميتراس *Mithra* تنتقل في هذا العصر من فارس إلى أقصى تخوم الإمبراطوريّة الرومانية، وفقط خلال المراحل المتأخرة من الدين الزرادشتي (وكان يظهر بوصفه ابن الإله الفارسي أهورا - مزدا إله النور). وكان هو نفسه في بعض الصور إلهاً للنور، والحق، والطهارة، والشمس، وهو يقود الحرب ضد قوى الظلام، ويشفع لأتباعه عند أبيه ويحميهم من الشر والكذب، والدَّنَس. وبرأي مؤرخي العصر الروماني، فإن عهد بومبي (الأحول) شهد انتشار عبادة هذا الإله الفارسي الأصل، حين صوّر، وهو يعتلي ظهر ثور يطعنه في خنجر في عنقه، وبحيث أصبحت الصورة رمزاً دينياً، سيتكرر بأشكال مختلفة في ديانات تالية[٩]. قد يعني هذا أن اسم الموضع اليمني (ميتراس) هو ذاته اسم الإله الروماني (المُستعار من الفرس: ميثراس). كان انتصار القيل/ الملك القبلي وشيخ مقاطعة متراس (ذو متراس) فرصة هائلة للكهنة المرتدين عن اليهودية، وكان من بينهم كاهن مقاطعة (قمُص) في محافظة ريمة المتاخمة لصنعاء، الذي سعى لتقديم نفسه للأقيال المنتصرين، كاهناً أعظم في أورشليم؛ ولذا أطلق عليه سفر المكابيين ويوسفيوس لقب (الكمُيس الكافر/ القمُص الكافر). ومن هنا جاء لقب (القُمص) في المسيحية المبكرة التي ولدت في اليمن. وهذا ما يعيد تذكيرنا بالنصّ القرآني عن (كفر بني إسرائيل). في هذا الوقت من التاريخ، ظهر الحسيديون، وهم المتشددون في بني إسرائيل. لقد فاجأوا الجميع بالتعبير عن رضاهم عن تنصيب الكاهن المرتد، فقط لأنه من نسل مقدّس، وكان ذلك مفاجأة ليهوذا وأخوته أيضاً؛ إذ كان هؤلاء في طليعة مؤيديهم ضد الملوك المرتدين عن اليهودية، وها هم يوافقون على تنصيب كاهن يهودي مرتدّ يعمل في خدمة الرومان. هذه الوقائع تؤكد توصيف القرآن للكفار (والمنافقين

من بني إسرائيل). في سياق هذه الأحداث قامت جماعات أخرى من اليهود بالوشاية عند وكلاء الرومان، زاعمين أن يهوذا المكبيّ طردهم من أراضيهم، وأنه أنزل فيهم العقاب لموالاتهم الرومان. كان موقف الحسيديين المتشددين (الراديكاليون في الدين) من مسألة تنصيب الكاهن اليهودي الموالي للرومان كاهناً أعظم في أورشليم، صادماً بالنسبة إلى يهوذا المكبيّ وأخوته، وما أثار سخطهم وغضبهم أكثر، أن بعض اليهود عملوا وشاة عند الملوك اليمنيين الصغار (المتأغرقين). وهكذا، فقد اتخذت الأحداث مساراً جديداً يجعل من الصراع القبلي وصدّ الغزو الروماني، صراعاً في قلب اليهودية وفي قلب المجمّع الكهنوتي.

٦: ووشوا على الشعب عند الملك قائلين، إن يهوذا وأخوته قد أهلكوا أصحابك وطردونا عن أرضنا (وقالوا):

٧ : فالآن أرسل رجلاً تثق به، يذهب ويفحص عن جميع ما أنزله بنا، وببلاد الملك من الدمار ويعاقبهم مع جميع أعوانهم.

٨: فاختار الملك بكيديس/ با قديس، أحد أصحاب الملك وهو أمير – منطقة – (عبر النهر) وكان عظيماً في المملكة وأميناً للملك وأرسله،

٩: هو والكيمُس الكافر، وقد قلده الكهنوت وأمره أن ينتقم من بني إسرائيل.

١٠ : فسارا وقدما أرض يهوذا في جيش كثيف، فأرسلا رسلاً إلى يهوذا وأخوته يخاطبونهم بالسلام مكراً.

١١ : فلم يلتفتوا إلى كلامهما لأنهم رأوهما قادمين في جيش كثيف.

١٢ : واجتمعت إلى الكيمُس وبكيديس/ با قديس جماعة الكتبة[١٠] يسألون حقوقاً (ضرائب).

١٣ : ووافى الحسيديون وهم المقدّمون في بني إسرائيل يسألونهما السلم.

كنتُ قد أشرتُ في مكان سابق من هذا الكتاب إلى أن يهودية عصر إيلشرح يحضب الثاني، كانت يهودية ثلاث فرق (الصدّوقيون/ الصّديقيون، وهؤلاء هم جامعو الضرائب الدينية،

والفريسيّون/ الكهنة المشتغلون بالفراسة وتقصي الأثر الفقهي أي الفقهاء، والحسيديون- وهم الحُمس[١١] كما في الإسلام أو الراديكاليون - أي المتحمّسون للدين، والمتشددون في الشريعة وهم اليعاقبة في المسيحية).

ولذلك، جاء (الكتبة) أي الفريسيّون (الفقهاء) ليعلنوا ولاءهم للقمص الكافر (المرتد). ويبدو أن مصطلح (كافر) في الإسلام يضرب في جذوره العميقة في تربة هذه الواقعة. فالكافر في يهودية عصر إيلشرح يحضب الثاني، كانت تعني (المرتد عن اليهودية)، وليس الشخص غير المؤمن بالله. لقد جاء هؤلاء ليبرروا من منظور فقهي سبب اختيار الكاهن، لأنه من نسل هارون. وكان الحسيديون سكان وادٍ يعرف باسمهم حتى اليوم، هو وادي حسيد في محافظة إب، مديرية فرع العدين، عزلة العاقبة، قرية حسيد. ولنلاحظ هنا اسم (العاقبة)، فهؤلاء هم اليعاقبة في التاريخ المسيحي، وهذا هو موطنهم اليهودي القديم قبل تحولهم إلى المسيحية. بكلام آخر، إن اليعاقبة الذين يعرفون بـ(التشدد) هم جماعة (حسيديّة) جاء لقبهم من مكان بعينه ظهروا فيه هو (اليعاقبة/ العاقبة) أي أتباع (يعقوب الأب) وشريعته الأولى. ولنتذكر أن بُنْيَة الاسم يعاقبة تتضمن (الياء) اللاصقة، وهي حرف صوتي يؤدي وظيفة التعريف (ألف ولام): يعقابة - العاقبة، مثل يعرم: العرم، يعرب: العرب إلخ. كان تبرير الحسيديين لموقفهم من تنصيب القُمص الكافر كاهناً أعظم في أورشليم، يقوم على أساس وحيد، أنه من (نسل هارون):

١٤: لأنهم قالوا إن مع جيوشه كاهناً من نسل هارون فلا يظلمنا.

١٥: فخاطبهم خطاب سلام وحلف لهم قائلاً، إنّا لا نريد بكم ولا بأصحابكم سوءاً.

١٦: فصدّقوه فقبض على ستين رجلاً منهم وقتلهم في يوم واحد كما هو مكتوب.

١٧: (جُعلوا لحوم أصفيائك، وسفكوا دماءهم حول أورشليم، ولم يكن لهم من دافن).

١٨: فوقع خوفهم ورعبهم على جميع الشعب، لأنهم قالوا ليس فيهم شيء من الحق والعدل إذ نكثوا العهد والحلف الذي حلفوه.

١٩: وارتحل بكيديس/ باقديس عن أورشليم ونزل ببيت زيت، وأرسل وقبض على

كثيرين من الذين كانوا قد خذلوه وعلى بعض من الشعب وذبحهم على الجب العظيم.

إذا كان بكيديس (با كديس- با قديس: أي أب القديس) والكاهن الكافر الذي يدعى القمُص، قد خرجا من أورشليم قاصدين (بيت زيت)، فهذا يعني أنهما انتقلا إلى شرعب السلام المجاورة، وفقط من أجل تصفية الجيوب التي كانت لا تزال تبدي احتجاجاً على تنصيبه. ها هنا بيت زيت: محافظة تعز، مديرية شرعب السلام، عزلة بني وهبان، قرية المحدادة، محلة الزيتة (نعيد تذكير القارئ بقاعدة انقلاب المذكر إلى مؤنث). في هذا الوقت شعر يهوذا المكبيّ بأنه خسر كل شيء تقريباً، وأن أقرب حلفائه انفضوا من حوله، كذلك فإن ما فعلته (الأمم، أي القبائل المرتدة) من خراب ودمار في أرض اليهودية يفوق الوصف. وكان لنجاح وكلاء الرومان في تنصيب كاهن يهودي موالٍ لهم، وقبول أكثر اليهود تشدداً وهم الحسيديون به، أكثر من مجرد انتكاسة لأحلام يهوذا المكبيّ في مسار الحرب.

لقد أصبح في مواجهة خطر جديد، فالحرب ستتخذ طابع القتال بين الكهنة أنفسهم. وهكذا فقد سلّم القيل/ الملك المنتصر (ذو متراس/ ذي متريوس) للكاهن المرتدّ كل الصلاحيات الضرورية ليقوم بمهماته:

٢٠: سلم البلاد إلى الكيمُس (القمُص) وأبقى معه جيشاً يؤازره وانصرف بكيديس (باقديس) إلى الملك.

٢١: وكان الكيمُس (القمُص) يجهد في تولى الكهنوت الأعظم.

٢٢: واجتمع إليه جميع المفسدين في الشعب، واستولوا على أرض يهوذا وضربوا إسرائيل ضربة عظيمة.

٢٣: ورأى يهوذا جميع الشرّ الذي صنعه الكيمُس ومن معه في بني إسرائيل، وكان فوق ما صنعت الأمم (القبائل).

٢٤: فخرج إلى جميع حدود اليهودية مما حولها، وأنزل نقمته بالقوم الذين خذلوه فكفوا عن مهاجمة البلاد.

٢٥: فلما رأى الكيمُس، أن قد تقوّى يهوذا ومن معه، وعلم أنه لا يستطيع الثبات أمامهم، رجع إلى الملك ووشى عليهم بجرائم.

٢٦: فأرسل الملك نكانور أحد رؤسائه المشهورين، وكان عدواً مبغضاً لإسرائيل وأمره بإبادة الشعب.

٢٧: فوفد نكانور على أورشليم في جيش كثير، وأرسل إلى يهوذا وأخوته يخاطبهم بالسلام مكراً.

٢٨: قائلاً، لا يكنْ قتالٌ بيني وبينكم، فإنني قادمٌ في نفرٍ قليلٍ لأواجهكم بسلام.

٢٩: وجاء إلى يهوذا وحيّا بعضهما بعضاً تحية السلم، وكان الأعداء مستعدين لاختطاف يهوذا.

٣٠: ولكن يهوذا علم أن مواجهته كانت مكراً، فأجفل منه وأبى أن يعود إلى مواجهته.

٣١: فلما رأى نكانور أن خدعته قد انكشفت، خرج لملاقاة يهوذا بالقتال عند كفر سلامة (قرية سلامة).

قبل تحليل محتوى هذا النص وتحديد إطاره الجغرافي - التاريخي، دعونا نتساءل: هل يعرف التاريخ الروماني - البيزنطي ضابطاً كبيراً بهذا الاسم - نيكانور- كان متحالفاً مع الكهنة اليهود الذين ارتدّوا عن اليهودية؟ بل ويقوم الملك (مع أن الرومان يستخدمون تعبير إمبراطور، لا ملك) بتكليفه قيادة حملة لمواجهة كاهن يهودي ثائر؟ أين ومتى حدث ذلك، ومن هو نكنور- نكانور؟ في الواقع ليس هذا الضابط سوى زعيم قبلي كان يتولى قطاعاً جغرافياً معادياً للسبئيين في حضرموت، أي إنه من (الأذواء/ مفرد ذو) وهو وجد الفرصة مناسبة للتحالف مع قبائل الجنوب الحميري المعادية لكهنة أورشليم. ويبدو أن مترجم النص رسم اسمه في صورة نكانور، وهو يقصد نقانور (الكاف بديل القاف في الترجمة). وهذا هو القطاع الذي يحمل الاسم نفسه في محافظة حضرموت، مديرية الضليعة، عزلة الضليعة، قرية النقور(النون الزائدة: نقانور أداة تعريف: النقور). هذا يعني أن ملوك القبائل استعانوا بفرسان مقاطعات من حضرموت لمواجهة يهوذا المكبي. وهذا أمر مفهوم، فقد رأينا

من نقوش كرب إيل وتر السبئي الشمالي، كيف أنه بطش بأهل حضرموت وأحرق مدنهم. إن تتبّع خريطة المواضع التي جرت فيها المواجهات الحربية بين يهوذا وزعيم مقاطعة نكانور- نقور، تشير إلى أنهما اصطدما في ما يعرف اليوم بـ (مديرية العدين) وفي عزلة جبلية تعرف باسم عزلة جبل بحري، حيث توجد هناك قرية تعرف باسم قرية الأشبوط فيها موضع لا يزال يحمل اسم المعركة: محلة سلامه (أي كفر سلامة، ولنلاحظ أن الموضع يتبع قرية - كفر باللغة العبرية). وبكل تأكيد، لا توجد قرية جبلية في فلسطين تدعى كفر سلامة اصطدم بها الرومان بقيادة ملك روماني مع اليهود. هذا أمر لم يأتِ على ذكره قط تاريخ روما الرسمي.

٣٢: فسقط من جيش نكانور- نقور نحو خمسة آلاف رجل وفرّ الباقون إلى مدينة داود.

بحسب هذا الوصف يكون الهاربون قد اتجهوا من العُدين إلى مديرية شرعب الرونة، المجاورة التي تتبع اليوم محافظة تعز، حيث عزلة بني الحسام وفي قرية سعينة التي تضمّ ما يسمى مدينة - منزل داود: محلة هوب دود. وهكذا:

٣٣: وبعد هذه الأمور صعد نكانور- نقور إلى جبل صهيون، فخرج بعض الكهنة من المقادس وبعض شيوخ الشعب يحيّونه تحية السلم ويرونه المحرقات المقربة عن الملك.

هذا يعني أن نكانور- نقور وكيل الرومان الحضرمي، المكلف تنصيب الكاهن القمُص والمعادي للسبئيين، وإثر فشله في القضاء على تمرد يهوذا المكبيّ، وفرار قسم من جنوده نحو شرعب الرونة؛ اتجه صوب ما يعرف اليوم بـ(مديرية حزم العدين) المجاورة ونزل في عزلة جبلية تدعى عزلة حقين، حيث توجد قرية تدعى قرية بني عبد السلام، فيها جبل يدعى حتى اليوم: الصون (صيون - صهيون). هناك قرر في لحظة غضب أن يهدم الهيكل، إنْ لم يقبل يهوذا بالاستسلام!

٣٤: فاستهزأ بهم وسخر منهم ومن قذارتهم وكلّمهم بتجبّر.

٣٥: وأقسم بغضب قائلاً، إنْ لم يسلم يهوذا وجيشه إلى يدي اليوم، فسيكون متى عدت بسلام إني أحرق هذا البيت. وخرج بحنق شديد.

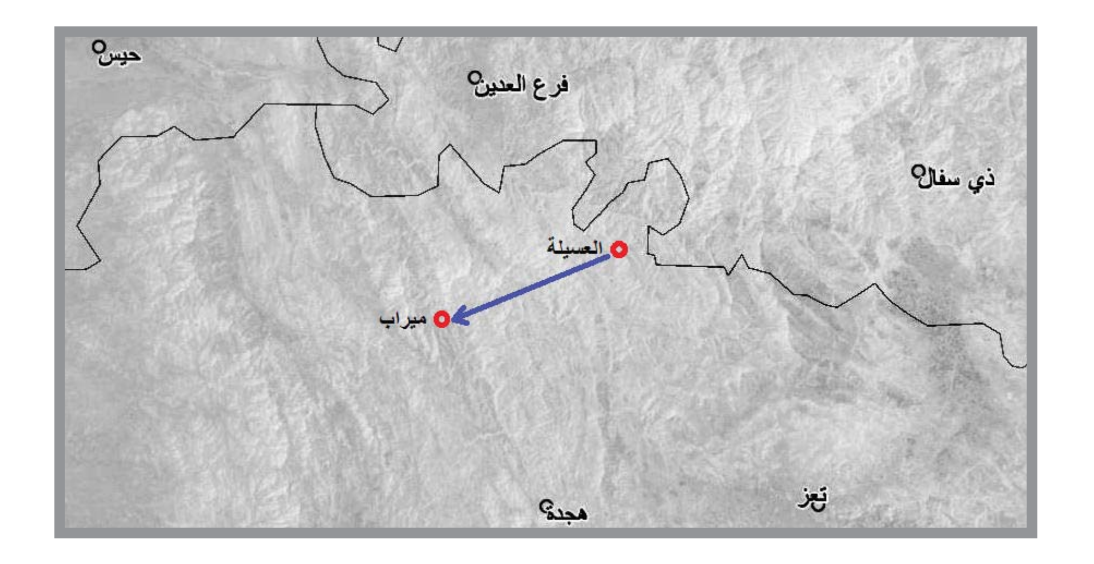
٣٦: فدخل الكهنة ووقفوا أمام المذبح والهيكل وبكوا وقالوا:

٣٧: إنك يا رب قد اخترت هذا البيت ليُدعى فيه باسمك، ويكون بيت صلاة وتضرع لشعبك.

٣٨: فانزل النقمة بهذا الرجل وجيشه، وليسقطوا بالسيف واذكرْ تجديفهم ولا تبق عليهم.

٣٩: ثم خرج نكانور من أورشليم ونزل ببيت حورون فانحاز إليه جيش سورية (السوري).

تنسف هذه الوقائع، الترهات الشائعة في كتب التاريخ عن تهديم الرومان الهيكل الثاني في أورشليم، فلا وجود لأي إشارة واضحة تؤكد هذه المزاعم؛ بينما نرى زعيماً من حضرموت، كان معادياً للسبئيين (اليهود) وكهنة أورشليم، كُلِّف قمع تمرّد يهوذا المكبي وإرغام اليهود على الاستسلام. بالطبع، يستحيل تخيّل نكانور في هيئة ضابط روماني، لأن وجوده في سياق الأحداث لن يبدو مفهوماً، فماذا يفعل ضابط روماني وسط معمعة حروب قبائل في هذا الوقت من التاريخ؟ لكننا سنفهم القصة الشعبية بسهولة، حين ندرك أن هذا الضابط المزعوم زعيم حضرمي، كان قائداً لمقاطعة نقور- نكور في حضرموت، وقد توعد اليهود بعد فشل هجومه وهو في حالة غضب بهدم الهيكل، وكان ذلك مجرد وعيد أجوف. وما إن غادر أورشليم، حتى انضمّت إليه جيوش سورية. هكذا تقول الترجمة، وهذا أمر غير مفهوم وغير مقبول، فهل يمكن تخيّل روما مهزومة أمام تمرد يقوده الكهنة اليهود، وبحيث يطلبون مساندة حامياتهم في سورية؟ في هذا التصور الزائف ثمة أخطاء تاريخية. ففي هذا العصر (نحن نتحدث عن ١٥٠ ق.م) لم يكن الرومان قد احتلوا سورية التاريخية (بلاد الشام). لقد كانوا في هذا الوقت في شمال إفريقيا. لكننا، كما شرحنا في فصول سابقة، نتحدث عن جغرافية اليمن، وبالتالي يصبح منطقياً من المنظور الجغرافي، أن الضابط الروماني المزعوم، وما إن ترك أورشليم في العُدين، حتى نزل في محافظة تعز، مديرية شرعب السلام الملاصقة، ثم دخل عزلة العسيلة، قرية الشرف، ووصل محلة دار الحور – حورون (الوزن العبري للاسم) ثم انضمّت إليه قوات مقاتلة كانت تتمركز في محافظة تعز، مديرية مقبنة، عزلة ميراب، قرية بني سلطان حيث محلة السواري – السوري (نعيد التذكير بقاعدة التأنيث والتذكير). وهذا يعني أن القوات المساندة جاءت من مقبنة عزلة ميراب – محلة السواري والتحقت بالمقاتلين في عزلة العسيلة من مديرية شرعب. هكذا كما هو موضّح في الخريطة.



خريطة رقم ٨
شرعب (عزلة العسيلة) وخريطة مقبنة
سورية المزعومة (السواري - عزلة ميراب)

يضيف سفر المكابيين ما يأتي:

٤٠: ونزل يهوذا في الداشة، في ثلاثة آلاف رجل وصلىّ يهوذا: هكذا صلى يهوذا بجموع المؤمنين من اليهود، وقرأ من التوراة نصّاً يتحدث عن المسبّيين الذين كانوا يعلنون الولاء لملوك آشور:

٤١: (أنه لما جدّف الذين كانوا مع ملك آشور، خرج ملاكك يا ربُّ، وضرب مئة ألف وخمسة وثمانين ألفاً منهم.

٤٢: هكذا، فحطّم هذا الجيش أمامنا اليوم، فيعلم الباقون أنهم تكلموا على أقداسك سوءاً، واقضِ عليه بحسب خبثه).

بالطبع لا وجود في جغرافية الشرق الأوسط كله، لمكان يدعى (الداشة) سوى موضع الداشة- الدوش في مديرية فرع العُدين، أي حيث رسمنا مسرح المعارك. لقد تصرف يهوذا، وهو يراقب تحركات الضابط الروماني المزعوم (وهو في الواقع زعيم مقاطعة من حضرموت مُعادٍ للسبئيين وكهنة أورشليم)، بمشاعر خالية من اليأس، ولكن دون أي إحساس حقيقي بأن الخناق يضيق عليه كلياً. ولذا قام بلعبة شطرنج ذكية، حين نقل فرسانه إلى موضع استراتيجي جديد يدعى: الداشة - الدوشة: وها هنا الدوشة، محافظة إب، مديرية فرع العدين، عزلة الوزيرة، قرية الثوجر، محلة الدوش. لقد اقترب الجيشان في منطقة فاصلة قرب شرعب السلام، ثم نشب القتال العنيف بينهما. كان يهوذا المكبيّ يراهن على إمكانية حشر خصمه في شريط وعر، وأنه يمكن أن يدفع به بعيداً عن أورشليم. إن التأمل العميق في مسرح المعارك، سيبيّن لنا السرّ الحقيقي القابع خلف هذه السيرة الشعبية الملحمية المسكوت عنها، فهي تسجل وقائع حروب عنيفة في رقعة جغرافية ضيقة. لقد كان هناك تهديد حقيقي بهدم الهيكل، وكان يمكن فعل ذلك بحسب تهديدات قبائل حضرموت بقيادة زعيم مقاطعة ننقور- النقور(نكانور)، لكن سرعة الاستجابة للتحدّي والقبول بمواجهة مميتة، أبعدت الخطر في النهاية.

٤٣: ثم التحم الجيشان، واشتدّ القتال في اليوم الثالث عشر من شهر آذار، فانكسر جيش نكانور، وكان هو أول من سقط في القتال.

٤٤: فلما رأى جيش نكانور، أنه قد سقط، ألقوا أسلحتهم وهربوا.

٤٥: فتعقّبوهم مسيرة يوم من الداشة إلى مدخل جزر، ونفخوا وراءهم في أبواق الإشارة.

لقد رأى الكاهن المحارب يهوذا (إيلشرح يحضب الثاني) رأي العين، كيف شُتّتت فلول قبائل حضرموت في حزم العدين، ودُفع بها بعيداً عن أورشليم نحو مقاطعة جزر في ما يدعى اليوم مديرية التعزية، عزلة الأجعود، قرية الرباط، حيث نجد هناك موضع جزر باسمه هذا تماماً: محلة الجزر.

٤٦: فخرج الناس من جميع قرى اليهودية من كل جانب وصدموهم، فارتدّوا إلى جهة الذين يتعقبونهم فسقطوا جميعهم بالسيف ولم يبق منهم أحد.

قصد سارد السيرة الشعبية في هذا القسم الملحمي العنيف، التشديد على أن الفلول صُدَّت في مكان يهودي، لا في أرض اليهودية، لأن هذه الأرض بعيدة جغرافياً عن الأرض التي عرفت باسم أرض اليهودية، أي: مديرية مقبنة والمعافر. والمكان المقصود هو تجمع قرى يهودية، تعرف باسم (هيجة اليهود). أي هيجان اليهود، بما يدعو إلى الاعتقاد أنه نوع من الاحتفاظ بذكرى هذا الهيجان في ملاحقة الفلول. هاكم الاسم: محافظة تعز، مديرية شرعب الرونة، عزلة الهياجم، قرية وادي الماء الأسفل، محلة هيجه اليهود.

٤٧: فأخذوا الغنائم والأسلاب وقطعوا رأس نكانور، ويمينه التي مدّها بتجبّر، وأتوا بهما وعلقوهما قبالة أورشليم.

٤٨: ففرح الشعب جداً، وقضوا ذلك النهار بمسرّة عظيمة.

٤٩: ورسموا أن يعيّد ذلك اليوم الثالث عشر من آذار كل سنة.

٥٠: وهدأت أرض يهوذا أياماً يسيرة.

لقد حمى إيلشرح الثاني هيكل الرّب، وتمكن من إحباط محاولات القبائل تهديمه والعبث به. في هذا العصر كان إيغالوس/ غالوتس (جالوت القرآني/ التوراتي) يفتش عن طريق

للفرار من جحيم اليمن، وكان عليه، كما رأينا من نصوص سترابون، أن يسير هائماً ضائعاً بين الجبال والوديان طوال ستة أشهر، فقط ليتمكن من بلوغ ساحل المخا، أو عدن لتحميل قسم من معداته وقواته وإعادتها إلى روما، بينما تكفّل الوكلاء بمواصلة القتال.

كل هذه الوقائع تنسف خرافة تهديم الرومان للهيكل الثاني.

معاهدة صلح بين ملوك القبائل

تتطلب معالجة (الإصحاح الثامن من السفر) تأملات خاصة واستثنائية، ذلك أنه يتحدث عن أول اتصال مباشر بين كهنة أورشليم وروما، والاتفاق على (معاهدة صلح وتحالف) بين الطرفين. ولمّا كان التاريخ الرسمي الروماني والكنسيّ، لا يعرفان أي شيء عن هذا الاتصال أو المعاهدة، أو يصمتان عن ذلك لأسباب وبواعث من نوع ما، كذلك فإن النقوش اليمنية تصمت – حتى الآن، ربما لأنها مسروقة أو محجوبة عن أنظارنا – عن تأكيد هذه الواقعة، أو ربما لأن النقوش (العظيمة) سرقت وضاعت للأبد، وما ترك لنا هو القليل (وبالطبع لا وجود لأي إشارة إلى ذلك في التاريخ الفلسطيني – السوري)؛ فإن لمن المنطقي، أن نُعيد تركيب الرواية من خلال قراءة عميقة للنصّ، لمعرفة مقاصد محرر السردية التوراتية، وهل كانت إشارته إلى (رومية) قصد بها روما؟ أم أن الاتصال جرى في روميّة اليمنية مع وكلاء محليين؟ استناداً إلى تحليل معمّق لهذا النص، أستطيع أن أؤكد أن الاتصال جرى مع وكلاء روما في رومية اليمنية، وهي من مراكز تجمّع الفرسان أثناء الغزو ثم الحرب الأهلية. لقد سبّب الغزو الروماني الفاشل لليمن في تفجّر حرب أهلية طويلة استمرت ما يزيد على عشرين سنة، دُمِّر خلالها ما يعرف بـ(الهيكل الثاني). هنا اسم رومية مرة أخرى للتوضيح فقط: محافظة إب، مديرية حبيش، عزلة ربع ظلمة، حي ظلمة، محلة الرومية. ويُلاحظ أن النصّ يشير إلى أنّ الكهنة كتبوا الوثيقة على لوح من نحاس. لكن ما يثير اهتمامنا، أن يهوذا اختار اثنين من المفاوضين يحملان ألقاباً رومانية هما، أوبولمس/ أبو لامس بن يوحنا بن آخوس، وياسون بن العازار! وهذا تأكيد إضافي، إمّا لنوع وطبيعة التأثير غير المحدود الذي تركه الرومان في اليمن، أو للطريقة التي رسم فيها المترجمون الأسماء بصيغ رومانية.

يقول الإصحاح ما يأتي:

١ : وسمع يهوذا باسم الرومانيين، وأنهم ذوو اقتدار عظيم ويعزّون كل من ضوى إليهم وكل من جاءهم آثروه بمودتهم ولهم شوكة شديدة.

٢ : وقُصّت عليه وقائعهم وما أبدوا من الحماسة في قتال الغاليين، وأنهم أخضعوهم وضربوا عليهم الجزية.

٣: وما فعلوا في بلاد إسبانية واستيلاؤهم على معادن الفضة والذهب التي هناك، وأنهم أخضعوا كل مكان بمشورتهم وطول أناتهم.

٤: وإنْ كان ذلك المكان عنهم بمسافة بعيدة، وكسروا الذين أغاروا عليهم من الملوك من أقاصي الأرض، وضربوهم ضربة عظيمة وصار الملوك يحملون إليهم الجزية كل سنة.

٥: وقد قهروا فيلبس وفرساوس ملك كتيم في الحرب وكل من قاتلهم وأخضعوهم.

٦: وكسروا أنطيوكس الكبير ملك آسية الذي زحف لقتالهم ومعه مئة وعشرون فيلاً، وفرسان وعجلات وجيش كثير جداً.

٧: وقبضوا عليه حياً، وضربوا عليه وعلى الذين يملكون بعده جزية عظيمة ورهائن ووضائع معلومة.

٨: وأن يتركوا بلاد الهند ومديا ولود وخيار بلادهم وأخذوها منه وأعطوها لأومينيس الملك.

٩: ولما همّ اليونان أن يسيروا لمقاتلتهم بلغهم ذلك.

١٠ : فأرسلوا إليهم قائداً واحداً، وحاربوهم فسقط منهم قتلى كثيرون، وسبوا نساءهم وأولادهم ونهبوهم واستولوا على أرضهم وهدموا حصونهم واستعبدوهم إلى هذا اليوم.

١١ : ودمروا سائر الممالك والجزائر التي قاومتهم واستعبدوا سكانها.

١٢: وأنهم حفظوا المودة لأوليائهم والذين اعتمدوا عليهم، وتسلطوا على الممالك قريبها وبعيدها وكل من سمع باسمهم خافهم.

١٣: ومن أرادوا مؤازرته وتمليكه ملكوه، ومن أرادوا خلعه خلعوه فعلا شأنهم جداً.

١٤: ومع ذلك كله لم يلبس أحد منهم التاج ولا ارتدى الأرجوان مباهاة به.

١٥: وإنما وضعوا لهم شورى يأتمر فيها كل يوم ثلاث مئة وعشرون رجلاً لإصلاح شؤونهم.

١٦: وهم يفوّضون سلطانهم وسياسة أرضهم بجملتها كل سنة إلى رجل واحد، وجميعهم يطيعون هذا الواحد وليس فيهم حسد ولا منافسة.

١٧: فاختار يهوذا، أوبولمس/ أبو لامس بن يوحنا بن آخوس/ أكوس، وياسون بن العازار وأرسلهما إلى رومية ليعقدا معهم عهد الموالاة والمناصرة

١٨: ويرفعا عنهم النير لأنهم رأوا أن دولة اليونان قد استعبدت إسرائيل استعباداً.

١٩: فانطلقا إلى رومية في سفر بعيد جداً، ودخلا الشورى وتكلما وقالا:

٢٠: إنّا مرسلان إليكم من قبل يهوذا المكابي، وأخوته وجمهور اليهود لنعقد معكم عهد المناصرة والمسالمة، وأن تثبتونا في جملة مناصريكم وأوليائكم.

تحليل النصّ

ما يقوله هذا النصّ هو الآتي:

إن كهنة أورشليم أرسلوا وفداً لعقد صلح نهائي مع الرومان. وهذا الوفد استمع من وكلائهم لقصص متشعبة عن عظمة اليونان والرومان وصدقهم ومناصرتهم لمن يتنازل ويعطيهم الولاء. وبطبيعة الحال، لا يعرف التاريخ الرسمي الروماني أيّ شيء عن هذه الواقعة، كذلك فإن عبارة (فانطلقا إلى رومية - الآية ١٩) لا تفيد بأن الوفد ذهب إلى (روما) بل إلى (رومية). لكن محرر النصّ أو مترجمه، ولكي يضفي صدقيّة على تصوّراته أضاف جملة (في سفر بعيد جداً).

ولمّا كنا قد أشرنا في صفحات سابقة، أن محرر النصّ لم يكن معاصراً للأحداث التي سجلها، ويبدو ذلك واضحاً من سرده الشعبي للوقائع، وأنه استقى معلوماته من روايات شعبية رائجة في عصره، فإن عبارة (في سفر بعيد جداً) تبدو إضافة مرتجلة، لأن من غير المنطقي تخيّل وجود معاهدة سلام أبرمها الرومان مع جماعة أو مدينة في الشرق الأوسط القديم، وقد أهملتها السجلات الرسمية. في الواقع، ذهب الوفد إلى رومية – الرومية، وهي قرية في ما يعرف اليوم بمحافظة البيضاء، وهذا المكان كان تاريخياً موطن قبائل جنوبية معادية للحميريين وديانتهم. وكما قلنا في صفحات سابقة، فقد نفذ الرومان إنزالاً بحرياً في عدن، وأنهم بعد توغلهم في أرض الجنوب اليمني، واجهوا مقاومة ضارية. والمثير للدهشة أن نص المعاهدة الذي دوّن على لوح من النحاس، أرسل إلى أورشليم ليُحتفظ به هناك ولم يُسلّم للرومان! هذا يعني أن روما التاريخية لا تعرف هذه المعاهدة وليس لديها أي وثيقة تؤكد ذلك. وهذا وحده، ما يفسّر لنا سرّ صمت السجلات الرومانية الرسمية عن توثيق هذا الحدث، لأنه ببساطة لم يكن في روما، بل في رومية اليمنية حيث تجمعت القبائل الجنوبية المعادية لليهود. لقد كانت المعاهدة مع وكلاء الغزو الروماني (الملوك المتأغرقين). وكنتُ قد أشرت في صفحات سابقة من هذا الكتاب إلى أن يوسفيوس يستخدم تعبير (الملوك المتأغرقين). هاكم ما يقوله النصّ:

٢١: فحسن الكلام لديهم.

٢٢: وهذه نسخة الكتاب الذي دوّنوه على ألواح من نحاس، وأرسلوه إلى أورشليم حتى يكون عندهم تذكاراً للمسالمة والمناصرة.

٢٣: الفلاحُ للرومانيين ولأمة اليهود في البحر والبر إلى الأبد، وليبعد عنهم السيف والعدو.

٢٤: إذا قامت حربٌ في رومية أولاً، أو عند أيٍّ كان من مناصريهم في جميع سلطانهم.

٢٥: أمّة اليهود تناصرُ بكل عزمها كما تقتضيه الحال.

٢٦: وليس على الرومانيين أن يؤدوا إلى المحاربين معهم، أو يجهزوا لهم طعاماً ولا أسلحة ولا فضة ولا سفناً، كذلك حسن عند الرومانيين، لكن يحافظون على أوامر الرومانيين بغير أن يأخذوا شيئاً.

٢٧: وكذلك أمّة اليهود، إذا حدثت لها حربٌ أولاً، فالرومانيون ينتدبون للمناصرة كما تقتضيه الحال.

٢٨: وليس على اليهود أن يؤدّوا إلى المناصرين طعاماً ولا أسلحة ولا فضة ولا سفناً، كذلك حسن عند الرومانيين، لكن يحافظون على أوامر اليهود دون غش.

٢٩: على هذا الكلام عاهد الرومانيون شعب اليهود.

٣٠: وإذا شاء هؤلاء أو أولئك أن يزيدوا على هذا الكلام، أو يسقطوا منه فيفعلوا، برضا الفريقين وكل ما زادوا أو أسقطوا يكون مقرراً.

٣١: أما الشرور التي أنزلها بهم الملك ديمتريوس، فقد كتبنا إليه قائلين: لم ثقلت النير على أوليائنا ومناصرينا اليهود؟

٣٢: فإن عادوا يتظلمون منك، فسنجري لهم الحكم ونقاتلك بحراً وبراً.

ما يثير دهشتنا كمسلمين، أن نصّ هذه المعاهدة هو ذاته حرفياً نص معاهدة صلح النبي محمد مع اليهود في التاريخ الإسلامي[١٢]. لقد نسخ الرواة والإخباريون الكلاسيكيون نص هذه المعاهدة ونسبوها إلى النبي. في الواقع، وضعت هذه المعاهدة الأسس القانونية لانسحاب الرومان من اليمن بعد الغزو الفاشل، وهذه هي حروب السنوات العشر التي أعقبت الغزو (١٦٣–١٥٣ ق.م) وتؤرخ في التاريخ الحميري: ٤٩– ٣٩ ق.م. إن هذا التاريخ يتطابق من حيث مضمون أحداثه مع التاريخ الذي سجله الرواة المسلمون لملك يدعى يهوذه – هوذه (الحنفي)، وزعموا أنه كان ملكاً ولكنه لم يلبس التاج. لكنّ الرواة (المتأخرين) تلاعبوا بالتاريخ والجغرافيا، فتخيّلوه في اليمامة بضواحي مدينة الرياض السعودية اليوم، وأنه عاش نحو ٦١٣م، علماً أن تاريخ اليمامة لا يعرف هذا الملك؟

مصرع يهوذا

مع حلول عام (٣٦– ٣٧ ق.م حسب التقويم التاريخ الحميري)، اتضح أنّ كل محاولات يهوذا

المكبيّ لإنهاء الصراع ووقف الحرب الأهلية، وإبرام معاهدة صلح بين القبائل المتحاربة برعاية مباشرة من وكلاء روما، قد فشلت وانهارت كليّاً، ولم تفض مناوراته ومساعيه إلى ما كان يأمل، فقد لاحت في الأفق من جديد مخاطر جديّة مصدرها بعض كهنة أورشليم، ممن تعاونوا مع الرومان وتملقوا وكلاءهم، وكان الكيمُس – القمُص – في مقدمة هؤلاء. في هذا الوقت كان الرومان يتأهبون للخروج من اليمن، لكن الحرب الأهلية لم تتوقف. لقد أصبحت أكبر عائق حقيقي أمام خروجهم من الجحيم اليمني. ويبدو أن الكيمُس– القمُص، وهو الكاهن الكافر المرتد عن اليهودية وعميل الرومان، استشعر الخطر على مكانته في مجمّع الكهنة؛ إذا ما أُبرمَت المعاهدة والتُزمت. ولذا سارع إلى التحالف مع ديمتريوس/ ذي متراس، وهذا كما قلنا في فصول سابقة ملك يمني صغير (قيل/ ملك) كان مقيماً في رومية أخرى في مديرية حبيش بمحافظة إب، وهي مدينة تحمل الاسم نفسه ولا علاقة لها برومية في محافظة البيضاء، وتتبعها مقاطعة تحمل اسمه متراس– ذي متراس: (دي مترس) وكان مقرّباً من الرومان. وحين أدرك ديمتريوس، أن هزيمة نكانور– نقانور في اليهودية قد تفتح الطريق أمام صعود نجم يهوذا، وأنه يمكن أن يدعم نفوذه من خلال معاهدة الصلح مع الرومان، قرر أن يرسل بكيديس (با قدّيس) والكيمُس (القمُص) الكاهنين المحاربين، لتنظيم حملة جديدة في أرض اليهودية بهدف إضعاف يهوذا المكبيّ.

إن المشاهد الآتية التي يرويها السفر تؤكد بشكل قاطع، أن حروب المكابيين في أحد أوجهها، كانت حروب الكهنة بعضهم ضد بعض، على خلفية الولاء للغزاة الرومان. لقد انقسم كهنة أورشليم على أنفسهم، وأصبحوا (قادة) لحروب داخلية – أهلية طويلة.

١: ولما سمع ديمتريوس بأن نكانور وجيوشه قد سقطوا في الحرب، عاد ثانية فأرسل إلى أرض يهوذا بكيديس/ با قديس والكيمُس،

٢: فانطلقا في طريق الجلجل ونزلا عند (مسلوت) وفي (ارب ءيل) فاستوليا عليها وأهلكا نفوساً كثيرة.

وحسب توصيفات هذا النص لمسرح القتال الجديد، فقد بدأت الحملة في إقليم المعافر، أي في قلب المركز الذي كانت تتجمّع فيه القبائل المعادية لكهنة أورشليم. على هذا النحو،

تواصلت الحرب الأهلية برغم وجود معاهدة الصلح. وكنا قد رأينا في فصول هذا الكتاب- والكتب الثلاثة السابقة - أن معظم حملات القبائل السبئية، كانت تستهدف المعافر (معفرن) باعتبارها نقطة الانطلاق الرئيسة في أي معركة، لإضعاف الممالك المنافسة في الجوف والجنوب والساحل، فهي قلب (بلاد اليهودية). وهكذا أخذ بيكديس والكيمُس طريق الجلجل (وهذا المكان سيتردد كثيراً في الأناجيل المسيحية: طريق الجلجلة)، وهاكم اسم المكان: محافظة تعز، مديرية المعافر، عزلة الكلائبة، قرية البويب، محلة حصب الجلجل، ثم نزلا عند مسلوت - السلوت. وهذا يعني أنهما اتجها من المعافر، صوب ما يعرف بمديرية صبر الموادم المجاورة، حيث توجد مسلوت: محافظة تعز، مديرية صبر الموادم، عزلة تباشعة، قرية الخلل، محلة سليت (وكنا قد أشرنا مراراً إلى قاعدة انقلاب الواو إلى ياء، والميم في أول الاسم هي الميم الحميرية). ومن هناك اتجها صوب مديرية خدير، حيث توقفا بفرسانهم في ما يعرف بـ(إرب - ءيل: الأرب). وهاكم الاسم في رسمه العربي: محافظة تعز، مديرية خدير، عزلة خدير السلمى، قرية وادي الحسين، محلة ذي إربة (الأربة).

بعد بضعة أشهر من القتال، تمكن الكاهنال مرتدّ الكيمُس (القمُص) من دخول أورشليم سوية مع حليفه بيكديس/ با قديس.

٣: وفي الشهر الأول من السنة المئة والثانية والخمسين نزلا على أورشليم.

٤: ثم زحفا وانطلقا إلى بئروت[١٣] في عشرين ألف راجل وألفي فارس.

ومن هناك انطلقا للاستيلاء على مواضع جديدة، منها بئروت في محافظة إب، مديرية فرع العدين، عزلة الوزيرة، قرية القرين، محلة وادي البير(البيروت في عزلة الأهمول، قرية الغارب، وهي تُدعى اليوم محلة البييرة/ البيئرت).

٥: وكان يهوذا قد نزل في لسع - السيع، ومعه ثلاثة آلاف رجل منتخبين.

في هذا الوقت كان يهوذا يعسكر في عزلة جبلية تدعى (لسع). هناك أكثر من مكان يحمل الاسم نفسه، مثلاً: في محافظة إب، مديرية مذيخرة، عزلة خولان، قرية(الساع) وتدعى اليوم

الساعة، محلة الجرجر. كذلك توجد قرية أخرى بذات الاسم في صبر الموادم بتعز، وكان يتحين الفرصة لتنظيم هجوم جديد ليسترد أورشليم من قبضة الكاهن المرتد وحلفائه، ولكن جهوده كادت تنهار مع تزايد ضعف أعداد الملتحقين به، وتراجع معنوياتهم القتالية.

ورد اسم (لسع) في سفر التكوين[١٤] في وصف حدود ما يدعى (أرض كنعان) فهي تنتهي بها. كانت صبر الموادم التي نزل في عزلتها الجبلية، هي المركز الأكثر قرباً من أورشليم، وتضمّ موضعاً يعرف حتى اليوم باسم السعة – سيعة (وهناك قرية باسم سعة في مديرية الشمايتين في تعز ضمن عزلة الشمايا الشرقية، واللام المفردة من غير ألف مهموزة في النصوص العبرية تؤدي وظيفة أداة التعريف كاملة لسع – السع). ولنتأكد من المكان المقصود بين هذه الأماكن المتشابهة، سنلاحظ أن يهوذا كان يراقب بحزن انهيار معنويات فرسانه وفرارهم من القتال. ومع ذلك تقدّم بهم صوب العُدينْ لملاقاة الكاهن المرتد. هذا يعني أنه كان في (لسع) مذيخرة وهي من مديريات إب الكبيرة.

٦: فلما رأوا كثرة عدد الجيوش، خافوا خوفاً شديداً فجعل كثيرون ينسابون من المحلة ولم يبق منهم إلا ثمانمئة رجل.

٧: فلما رأى يهوذا أن جيشه قد انساب، والحرب تضايقه، انكسر قلبه لأنه لم يبق له وقت لردهم واسترخت عزائمه.

٨: فقال لمن بقي معه، لنقمْ ونهجم على مناصبينا، عسى أن نقدر على مدافعتهم.

٩: فصرفوه عن عزمه قائلين، إنه ليس في طاقاتنا اليوم إلّا أن ننجو بأنفسنا ثم نرجع مع أخواتنا ونقاتلهم فإنّا عدد قليل.

١٠: فقال يهوذا، حاشا لي أن أفعل مثل ذلك وأهرب منهم، وإنْ كان قد دنا أجلنا فلنمت بشجاعة عن أخوتنا ولا نبقي على مجدنا وصمة.

١١: وبرز جيش العدو من (المحلة/ المحالي) ووقفوا بإزائهم، وانقسم الفرسان قسمين وكان الرماة بالمقاليع والقسيّ يتقدمون الجيش كله من ذوي البأس.

١٢: وكان بكيديس/ با قديس في الجناح الأيمن، فازدلفت الفرقة من الجانبين وهتفوا بالأبواق.

١٣: ونفخ رجال يهوذا أيضاً في الأبواق، فارتجّت الأرض من جلبة الجنود والتحم القتال من الصباح إلى المساء.

وحين صدحت الأبواق من الطرفين والتحما في أول جولة قتال، بدا ليهوذا المكبيّ أن خصمه الكاهن المرتد يحتمي خلف قوة من الحماية في الجناح الأيمن من جيش الفرسان، وأن هذه فرصة مناسبة لهجوم يخترق قلب الميمنة. وهذا ما حدث بالفعل، فقد باغته بهجوم كاسح شتّت شمل الجيش. وفي تلك اللحظات الحالكة، أدرك يهوذا أنه تمكن بفضل هذا الهجوم الخاطف من إبعاد خصمه عن أورشليم، ولذا استمر في اندفاعه مستغلاً تشتّت قوة الجيش والفوضى التي دبت في صفوفه. وهكذا، لاحقت قوات يهوذا فلول الجيش خارج العُدين، وشاهدهم وهم يلوذون بالفرار صوب أشدود. تقع أشدود اليوم في ما يعرف بمديرية حزم العدين، عزلة بني سليمان، قرية الوادي، وتدعى محلة الشدادية. لكن خصمه العنيد سرعان ما تمكن من وقف الهجوم العنيف، مستخدماً فرقة قوية من فرسان الجناح الأيسر، وهذه باغتت قوات يهوذا وردّتها على أعقابها. وفي تلك اللحظات المأسوية أدرك يهوذا أن نهايته قد أزفت. وحين راح يراقب فلول جيشه وهي ترتد على أعقابها وتولي هاربة، لاح له شبح موته وقد تجلّى أمامه ساخراً.

١٤: ورأى يهوذا أن بكيديس/ با قديس، وقوة الجيش- هي - في الجناح الأيمن، فقصدهم ومعه كل ذي قلب ثابت.

١٥: فكسروا الجناح الأيمن وتعقبوا أثرهم إلى جبل أشدود.

١٦: فلما رأى رجال الجناح الأيسر، انكسار الجناح الأيمن انقلبوا على آثار يهوذا ومن معه.

١٧: فاشتد القتال وسقط قتلى كثيرون من الفريقين.

١٨: وسقط يهوذا وهرب الباقون.

١٩: فحمل يوناتان وسمعان يهوذا أخاهما، ودفناه في قبر آبائه في مودين.

يروي يوسفيوس عن هذه الواقعة روايتان تتناقضان جغرافياً. يقول في (ملحمة اليهود)[١٥] إن يهوذا دفن في موضع يدعى «جفنة *Gophna*» أو في بعض التلال أو في بيته في مودين (آية ٥٤). وإذا ما كانت هذه المعلومة صحيحة، ففي هذه الحالة يكون يهوذا المكابي قد دفن في شرعب السلام – عزلة بني سبأ – اللوية العليا – قرية الجفنة (ولنلاحظ أن القرية تدعى اللوية/ اللاويين وهم نسل هارون وفي مكان سبئي/ عزلة بني سبأ) حيث قتل. بيد أن يوسفيوس في رواية موازية، يؤكد لنا أن يهوذا قتل في (معركة لانس)؛ بينما تقول رواية المكابيين أنه سقط في معركة (أشدود– الشدادية في حزم العُديْن). في هذه الحالة هناك تناقض صارخ في تسجيل اسم المكان/ مسرح المعركة حيث قتل يهوذا. إذا ما قبلنا رواية يوسفيوس، فسيكون علينا رسم مسرح آخر: إذا كان يهوذا قد دُفن في مودين أو الجفنة (*Gophna*)، فهذان مكانان متجاوران، وهما عزلتان جبليتان ضمن مديرية شرعب السلام، وليس ثمة أي تناقض في رواية دفنه، بين السفر التوراتي وملحمة يوسفيوس، فالمكان هو في (شرعب السلام – عزلة بني سبأ – اللوية العليا – قرية الجفنة، وعزلة الزوحة، قرية القطيعة، محلة دار الميدان). أما المعركة التي سقط فيها قتيلاً فهي معركة (لانيس/ الأنيس حسب يوسفيوس). وهذا المكان يقع في محافظة تعز، مديرية الصلو، عزلة الحريبة، قرية الحجر، محلة أنيس (وتدعى اليوم هوب أنيس). وهذا الأمر إذا ما تقبلناه، ينسف رواية يوسفيوس نفسه، فقد كانت المعارك تدور في إب، والصلو في أقصى تعز. وفي هذه الحالة تصبح مسألة نقل جثمانه من تعز إلى إب غير منطقية. وبمصرع يهوذا المكبيّ، انتهى فصل دامٍ من حروب الكهنة في أرض اليهودية. وكان من الواضح أن أسرة متنية/ متىّ الكاهن قد هُزمت أمام تحالف الكهنة الموالين الرومان، والأقيال/ الملوك (المتأغرقين)، ولكنها كانت لا تزال تراهن على شجاعة سمعان، ومهاراته في قيادة الفرسان إلى جانب شقيقه يوناتن (يوناتان/ يهونتن أي هبة الله). وهكذا جرت مراسم دفن الكاهن المحارب يهوذا في أرض آبائه وأجداده إما في شرعب السلام أو في مدين أخرى تتبع اليوم مديرية يريم في إب، وفي العزلة الجبلية نفسها التي لا تزال تحتفظ باسم الأسرة – القبيلة: أرياب (أو في جفنة بحسب رواية يوسفيوس).

في الواقع تغيّرت أورشليم جذرياً في هذه الآونة، فقد بسط الكهنة المتحالفون مع وثنيّي روما سيطرتهم عليها سيطرة مطلقة، وتزايد عدد السكان الذين تحوّلوا إلى الوثنية، وبدا أن اليهودية كانت تشهد أخطر مراحل تراجع تأثيرها ونفوذها الروحي في اليمن، وبشكل أخص في ما يعرف اليوم بمديرية العُدين مركز أورشليم وقلبها. وممّا فاقم الأوضاع سوءاً، أن المجاعة ضربت المدينة بقسوة، فجاع الناس وصاروا على استعداد لتقديم أي تنازل لقاء بقائهم على قيد الحياة. لقد استغل الكاهن المرتد هذا الوضع على أكمل وجه، وبفضل ما كان يملكه من موارد مالية، فقد عمل على اجتذاب الفئات الجائعة الباحثة عن الطعام والأمان. إنه لأمر محيّر بالنسبة إلى عموم المسلمين الحديث القرآني عن (كفر بني إسرائيل) وماذا يقصد القرآن بذلك. في الواقع، لا يمكن فهم هذا الجانب من القصة القرآنية على أكمل وجه، إلا بالعودة إلى حقبة المكابيين، حين أصبح عدد هائل من اليهود في عداد المرتدين (الكفرة) أي الذين نقضوا الشريعة (كفروا بها). وهذا هو بالضبط المضمون الحقيقي لكلمة (كافر) في القرآن: نقض الشريعة اليهودية وليس نكران الخالق. لكن القرآن والتوراة كذلك، يستخدمان مصطلحاً موازياً: المنافقون. وهؤلاء هم الجمهور العام الذي تغاضى عمّا يجري من انتهاك للشريعة. بهذا المعنى، يتوحد مفهوم (المنافقين) في النصّ التوراتي والقرآني، وتصبح دلالته محصورة في حدود وصف الجماعات التي التزمت الصمت، حيال خرق الشريعة اليهودية وانتهاكها في عصر الغزو الروماني.

وفي هذا الوقت ناح بنو إسرائيل (ضمن قبائل شعب سبأ) على بطلهم وراحوا (يلطمون) لأيام وأيام:

٢٠: فبكاه شعب إسرائيل بكاءً عظيماً ولطموا[١٦] عليه وناحوا أياماً وقالوا:

٢١: كيف سقط البطل مخلّص إسرائيل؟

٢٢: وبقية أخبار يهوذا وحروبه وما أبداه من الحماسة وجبروته لم تكتب في هذا الموضع لأنها كثيرة جداً[١٧].

٢٣: وكان بعد وفاة يهوذا أن المنافقين برزوا في جميع تخوم إسرائيل وظهر كل مرتكبو الخطيئة.

٢٤: وفي تلك الأيام حدثت مجاعة عظيمة جداً فتخاذلت البلاد عن عونهم.

٢٥: فاختار بكيديس/ با قديس، الكفرة منهم ونصّبهم رؤساء (زعماء) على البلاد.

٢٦: فكانوا يتطلبون أصحاب يهوذا، ويتفقدونهم ويأتون بهم إلى بكيديس/ با قديس فينتقم منهم ويستهزئ بهم.

٢٧: فحلّ بإسرائيل ضيق عظيم لم يحدث مثله منذ لم يظهر فيهم نبيّ.

٢٨: فاجتمع جميع أصحاب يهوذا وقالوا ليوناتان:

٢٩: أنه منذ وفاة يهوذا أخيك، لم يقم له كفء يخرج على العدو، وعلى بكيديس/ باقديس والمبغضين لأمتنا،

٣٠: فنحن نختارك اليوم رئيساً لنا وقائداً مكانه تحارب حربنا.

٣١: فقبل يوناتان القيادة في ذلك الوقت، وقام في موضع يهوذا أخيه.

٣٢: فلما علم بكيديس طلب قتله،

٣٣: وبلغ ذلك يوناتان وسمعان أخاه وجميع من معه، فهربوا إلى (برية تقوع) ونزلوا على ماء جب وأسفر.

بعد أن وافق يوناتن - يوناتان على أن يصبح هو الكاهن المحارب الجديد خلفاً ليهوذا، ويقود اليهود بمؤازرة شقيقه سمعان، راح عدوّه الكاهن المرتدّ بيكديس/ با قديس يضيّق الخناق عليه؛ ولذا هرب بصحبة شقيقه وأنصاره نحو موضع جبلي حصين في موضع يعرف باسم (الجب) وفي موضع آخر يدعى (أسفر- مسفر). ثم سارا في طريقٍ تؤدي إلى برية (تقوع - القوع) وهي بريّة شاسعة، وهذه المواضع الثلاثة التي توزع فيها الفرسان الذين التحقوا بيوناتن - يوناتان وسمعان، هي مواضع متجاورة. وحتى اليوم يمكننا أن نصل إليها في ما يعرف بمديرية فرع العُدين: عزلة الأهمول، قرية القحاطن، محلة الأوقاع[١٨] (تقوع - القوع: التاء اللاصقة أداة تعريف)، ثم في مديرية فرع العدين، عزلة العاقبة، قرية الجب، وفي

مديرية العدين أيضاً، عزلة بني عمران، قرية الوادي، محلة ظهرة مسافر. وهذه هي الأماكن/ المواضع التي توزّع فيها الفرسان التابعون لشقيق يهوذا. في هذه الأثناء تجمعت الحشود الموالية للكاهن المرتد في الضفة الأخرى من وادي ها – يردن، أو ما يعرف بالأردم، وكان يسمى مور أو وادي الأجعود. هاكم الاسم اليوم: محافظة تعز، مديرية التعزية،عزلة الأجعود (يسمى الأردن – الأردم).

كان يهوناتان/ يونتان (هبة الله) الذي أصبح هو الكاهن الأعظم المحارب في مواجهة الكهنة الذين ارتدّوا، وكانت تلك مهمة شاقة بالفعل، ذلك أن القتال لم يكن متكافئاً على مستوى التسليح والأعداد.

٣٤: فعلم بكيديس/ با قديس بذلك، فزحف بجميع جيشه إلى (عبر) الأردن يوم سبت.

٣٥: وأرسل يوناتان يوحنا أخاه بجماعة تحت قيادته، يسأل النباطيين أولياءه أن يعيروهم عدّتهم الوفيرة.

أريد هنا أن أوضح نقطة أخرى مهمة، تتعلق بما يدعى في التوراة نبيط – نباط (النباطيين). وكنتُ قد قدّمت في هذا الكتاب ما يكفي من التفاصيل نقلاً عن سترابون عن حملة الرومان على اليمن، وكيف أن هؤلاء غدروا بهم، وأنهم كانوا جماعات شريرة تقاتل الجميع غزاةً وقبائل متحاربة، سعياً وراء إضعاف الجميع ليتسنى لهم الانفراد بحكم اليمن، وهذه شهادة سترابون عن الغزو الروماني. كان النباطيون – وليس الأنباط كما يزعم سكان الأردن البلد العربي القدماء – في الأصل من ملوك الدولة المعينية الذين ذكرتهم نقوش منطقة الجوف وهم في أنساب اليمن (الأشاعرة – ما يعرف بسبط ءشير في التوراة وتلقبوا بلقب النبط/ النباط). وكان قسم منهم يقيم في محافظة ذمار في وادٍ يدعى قديماً (عراد وورد اسمه في التوراة بهذه الصورة – عرد). وحتى اليوم يوجد اسمهم في محافظة لحج، مديرية القبيّطة، عزلة كرش، قرية نباطة. هذا يعني أن يوناتن استعان بقبائل جنوبية على تخوم تعز، حيث صُرع شقيقه يهوذا في معركة لانيس/ الأنيس، وكانت قديماً تنتسب إلى مملكة معادية لهم هي مملكة معين الجوف (معين مصرن). لكن هذه المحاولة اليائسة سرعان ما باءت بالفشل، فقد فوجئ يوحنا، الشقيق الأصغر ليوناتن، ورسوله إلى قبائل لحج أن هناك عصابة من الأشرار وقطاع الطرق كانت له بالمرصاد.

٣٦: فخرج بنو يمري من ميداب وقبضوا على يوحنا وكل من معه وأسروا الجميع.

كان يوناتن – قد عبر ضفة وادي اليردن – الأردن من منطقة تعرف اليوم باسم مديرية التعزية (أي وادي الأردم). ثم أرسل شقيقه إلى تخوم تعز طلباً لمساعدة القبائل – ما يعرف اليوم بمحافظة لحج – وبحثاً عن مساندة من قبائل الجنوب حصراً. لكن يوحنا وفي الطريق إلى لحج، حين كان يجتاز ما يعرف بمديرية صبر الموادم متجهاً نحو لحج، واجه عصابة من قطاع الطرق خرجت للتّو من منطقة مذابة – ميدب، ينتسبون إلى بني يمري. وهؤلاء يعرفون حتى اليوم باسم بنو أمري، ويعيشون في المكان نفسه: محافظة تعز، مديرية صبر الموادم، عزلة النجادة، قرية الشقب، محلة الأمري. أمّا ميدب – مذابة هذه فهي في مديرية سامع، عزلة سامع، قرية المذابة (نعيد التشديد على قاعدة قلب المذكر إلى مؤنث وبالعكس مداب – مذابة).

٣٧: وبعد هذه الأمور، أُخبر يوناتان وسمعان أخوه أن بني يمري، يقيمون عرساً عظيماً ويزفون العروس من ميدب باحتفال عظيم، ومعهم بعض عظماء كنعان.

هذا النصّ يؤكد لنا أن المقصود من مصطلح (أرض كنعان/ شعب كنعان) في التوراة (مملكة أوسان) التي كانت خاضعة للمعينيين المصريين، وهؤلاء جميعاً أعداء للسبئيين تقليدياً. في هذا الوقت كان يوناتان يواجه أكبر محنة شخصية، فبعد مصرع شقيقه الأكبر يهوذا، سقط يوحنا شقيقه الأصغر في قبضة عصابة من الأشرار، سارعت إلى قتله دون رحمة، بينما بدا أن الحصول على مساعدة من قبائل الجنوب في لحج قد بات أمراً مستحيلاً. وكان ذلك يعني أن عليه أن ينتظر طويلاً، لكي يتمكن من إيجاد حل للمعضلات التي تواجه حروبه ضد الكاهن المرتد بيكديس/ با قديس. لكن الأنباء التي تناهت إلى سمعه عن زفاف عظيم يقيمه بنو يمري – الأمري، بحضور كهنة كنعان، تراءت له كفرصة مثالية للانقضاض على هؤلاء ومباغتتهم في عقر دارهم والاقتصاص لدم أخيه الصغير. ولذا دبّر كميناً محكماً في منطقة سامع بتعز، حيث اختبأ الفرسان في الجبل عند قرية مذاب – مذابة (محافظة تعز، مديرية سامع، عزلة سامع، قرية المذابة).

٣٨: فذكروا يوحنا أخاهم وصعدوا واختبأوا وراء الجبل.

٣٩: ثم رفعوا أبصارهم ونظروا؛ فإذا بجلبة وحمولات كثيرة والعريس وأصحابه وأخوته خارجون للقائهم بالدفوف وآلات الطرب وأسلحة كثيرة.

٤٠: فثار عليهم رجال يوناتان من المكمن، وضربوهم فسقط قتلى كثيرون، وهرب الباقون إلى الجبل فأخذوا كل أسلابهم.

٤١: وتحوّل العرس إلى مناحة وصوت آلات طربهم إلى نحيب.

٤٢: ولما انتقموا لدم أخيهم رجعوا إلى (غيضة والأردن).

بعد أن نجح فرسان يوناتان في تنفيذ الكمين والاقتصاص من القتلة، أخذوا طريقهم من مذابة في عزلة سامع حتى الغيظة. وهذه تقع في صبر الموادم. هاكم اسم المكان الذي عادوا إليه- حيث تجمعت حشود فرسان يوناتان هناك- محافظة تعز، مديرية صبر الموادم، عزلة الموادم، قرية الخسف، محلة الغيظة. وكنا قد حددنا المقصود بالأردن (ها – يردن): محافظة تعز، مديرية التعزية، عزلة الأجعود (ويعرف باسم الأردم – الميم والنون تتبادلان الوظيفة).

٤٣: فسمع بكيديس/ با قديس، فوفد إلى (شطوط والأردن) يوم سبت في جيش عظيم.

ما إن سمع الكاهن المرتد بهذه الأنباء، حتى جهز حملةً لملاقاة يوناتان في موضع الشطوط. وهذا الموضع يقع اليوم في المديرية نفسها التي وصلها الفرسان بعد تنفيذ الكمين: محافظة تعز، مديرية التعزية، عزلة الأجعود، قرية الرباط، محلة الأشطاط.

٤٤: فقال يوناتان لمن معه، لننهض الآن ونقاتل عن أنفسنا، فليس الأمر اليوم كما كان أمس فما قبل.

٤٥: ها إن الحرب أمامنا، وخلفنا ماء (الأردن والغيضة) و(الغاب) من هنا ومن هناك، فليس لنا مناص.

والآن فاصرخوا إلى السماء، فتنقذوا من أيدي أعدائكم. ثم التحم القتال.

٤٧: ومدّ يوناتان يده ليضرب بكيديس، فانصاع عنه إلى الوراء.

٤٨: فرمى يوناتان ومن معه بأنفسهم في الأردن، وخاضوا في النهر إلى (العبر) فلم يعبروا الأردن إليهم.

انتهت المعركة بفرار يوناتان وفرسانه، نحو منطقة (العبر) على الضفة الثانية من وادي هـ - يردن (اليردن - الأردن). وهذا يعني أنه فرّ ممّا يعرف اليوم بمديرية التعزية، صوب ما يعرف بمديرية خدير. ها هنا موضع العبر: محافظة تعز، مديرية خدير، عزلة خدير السلمى، قرية وادي الحسين، محلة العبر.

٤٩: وسقط من رجال بكيديس/ باقديس في ذلك اليوم ألف رجل فعاد إلى أورشليم.

لقد عاد الكاهن المرتد إلى أورشليم التي استولى عليها منتصراً. أمّا يوناتان وفرسانه فواصلوا الاختباء في العزلات الجبلية بخدير. لكن بيكديس/ باقديس الكاهن الأصغر الكافر بحسب وصف السفر، وبالتعاون مع الكاهن الأكبر المرتدّ الكيمُس (القمُص) باشرا بإقامة تحصينات جديدة، في معظم الأجزاء التي سيطرا عليها ضمن أرض اليهودية، وفي مناطق نفوذه المحيطة بأورشليم الوثنية (في ما يعرف اليوم بمحافظة إب).

٥٠: ثم بنى - الكاهن - مدائن حصينة في اليهودية. كما حصّن يريحو- أريحا وعماوس وبيت حورون وبيت إيل وتمنة وفرعتون وتفون بأسوار عالية وأبواب ومزاليج.

وهذه المواضع بحسب تسلسلها هي: يريحو: محافظة تعز، مديرية التعزية، عزلة الربيعي، قرية الظهرة، محلة نجد الريح - يريحو. والسكان في هذه المناطق ينطقون الاسم حتى اليوم هكذا: يريخو. وقد تسنى لي أن أسمع خلال جولة ميدانية في هذه المناطق، سيّدة يمنية من فلاحات ذمار، سمعتني وأنا أسال فلاحاً في الوادي عن جبل يريحو، فقالت لي وهي تمرّ من خلفي: هل تريد الذهاب إلى يريخو؟ ها هو. وأشارت بيدها إلى الجبل خلف ظهري. هناك جبل أريحا/ يريخو. وكم كان ذلك مدهشاً لي، لأنني سمعت فلاحة ذمارية تنطق اسم أريحا بالعبرية/ يريخو: لقد قالت لي حرفياً: تشتي يريخو ها هو؟ (أي تريد جبل أريحا. إنه أمامك).

أمّا فرعتون، فهي في مديرية التعزية، عزلة الهشمة، قرية شعب أيوب، وتدعى اليوم محلة

الفراعية. وهاكم اسم بيت إيل: مديرية المواسط، عزلة قدس، قرية السادة والدعيسه، محلة البتيلة. أمّا تمنه فنجدها في مديرية الشمايتين، عزلة القريشة، قرية المقلاع، محلة قحفة منى (تمنة – المنه: الياء أداة تعريف)؛ بينما نجد عموس في مديرية حزم العدين، عزلة بني علي، قرية الأعموس. وأخيراً، يمكننا أن نجد بيت حورون في محافظة إب، مديرية مذيخرة، عزلة حمير، قرية الريس، محلة حوران. وهكذا، فقد بنى الكاهن المرتد عن اليهودية حصوناً وأسواراً، لإحباط أي هجوم قد يشنه الكهنة اليهود بقيادة يوناتان، سواء في مركز (بلاد اليهودية القديمة) أو في أورشليم ومحيطها.

٥١: وجعل فيها حرساً يترصدون إسرائيل.

٥٢: وحصّن مدينة صور وجازر والقلعة وجعل فيها جيوشاً وطعاماً.

وهذه المواضع تقع في مديرية حزم العدين، عزلة الأصيور، بينما نجد جزر في مديرية شرعب السلام، عزلة إيفوع أسفل، قرية خباءة، محلة عدن جزر.

٥٣: وأخذ أبناء قوّاد البلاد رهائن وجعلهم في القلعة بأورشليم في الحبس.

يتضح من سياق النص وتسلسل الأحداث، أن الأسرى حبُسوا في القلعة التي تقع في أورشليم. وهذه نجدها في مديرية العدين، عزلة بني هات، قرية السبلة، حيث توجد محلة القلعة.

٥٤: وفي السنة الثالثة والخمسين في الشهر الثاني أمر الكيمُس/ القُمصْ، أن يُهدم حائط بيت المقدس الداخليّ فهدم أعمال الأنبياء وشرع في التدمير.

في هذا النصّ يتأكد لنا بشكل قاطع، أن تدمير بيت العبادة/ الهيكل اليهودي جرى أولاً على يدي كاهن يهودي كافر(مرتدّ) هو القمُصْ، وأنه بدأ أعمال الهدم والتدمير من موضع يدعى (بيت المقدش/ بيت المقدس). وهذا النصّ ينسف كل أساس قام عليه الزعم الإسلامي، أن مدينة القدس كانت تُدعى (بيت المقدس). هذا تلفيق قام به المسلمون المتأخرون في العصر العباسي. يقع بيت المقدش – بيت المقدس الذي هدّمه الكاهن اليهودي المرتدّ

باقديس، في محافظة إب، مديرية حزم العدين، عزلة الشرقي، قرية الشرقي، محلة مقدش.

وفي هذا المكان، سنعلم أن الكاهن المرتدّ هدم حائط معبد آخر، كان اليهود يقصدونه للصلاة. (الاسم نفسه في صيغ أخرى لثلاثة مواضع، هي في محافظة تعز، مديرية خدير، عزلة خدير البدو، قرية شطيفة سفل، محلة بيت المقدش. وفي محافظة إب، مديرية المشنة، عزلة المشنة، حي الحوج القبلي، محلة دار القدسي). لن أكشف هنا عن اسم هذا الحائط الذي أعاد اليهود بناءه، وأترك ذلك لكتاب آخر. وهكذا أيضاً، يتضح لنا أن الرومان لم تكن لهم أي صلة بما نُسب إليهم (تهديم الهيكل).

٥٥: في ذلك الزمان سقط الكمُيس/ القُمصْ مريضاً فكفّ عن صنيعه، واعتلّ لسانه وفُلج ولم يعد يستطيع أن ينطق بكلمة ولا أن يوصي لبنيه.

٥٦: ومات الكمُيس – القُمصْ في ذلك الزمان في عذاب شديد.

٥٧: فلما رأى بكيديس/ با قديس أن الكمُيس/ القُمصْ قد مات، رجع إلى الملك وهدأت أرض يهوذا سنتين.

لا تبدو هذه الجملة واضحة، فقد مات الكاهن المرتد، ولكن الملك/ الكاهن القبلي الذي تلقب بلقب ديني: بكديس – أبي القديس (رجع إلى الملك)! فماذا يعني ذلك؟ وإلى أي ملك عاد، ولماذا هدأت أرض اليهودية فجأة؟ في الواقع، عاد بكديس إلى وادي الملك مقر إقامته القديم. وهذا الوادي يقع في محافظة إب، مديرية العُديْن، عزلة بلاد المليكي. وبالطبع، فليس من المنطقي تخيّل الكاهن وقد عاد إلى (ملك). في الواقع، عاد الكاهن المرتدّ با قديس، حليف الكمُيس/ القُمصْ إلى مقر إقامته في وادي الملك.

٥٨: وبعد – ذلك – تآمر المنافقون كلهم، وقالوا ها إن يوناتان والذين معه في منازلهم هادئون مطمئنون، فهلمّوا الآن نحرّض عليهم بكيديس/ با قديس، فيقبض عليهم أجمعين في ليلة واحدة.

٥٩: وانطلقوا وأشاروا عليه بذلك.

٦٠: فقام وسار في جيش عظيم، وبعث سراً يكتب إلى جميع أنصاره في اليهودية، أن يقبضوا على يوناتان والذين معه، فلم يجدوا إلى ذلك سبيلاً، لأن مشورتهم انكشفت لهم.

٦١: ثم قبضوا على خمسين رجلاً من البلاد وهم أرباب الفتنة وقتلوهم.

٦٢: وانصرف يوناتان وسمعان ومن معهما إلى (بيت حجلة) في البرية وبنى ما تهدم منها وحصنها.

في هذا الوقت، وجد الكاهن المرتدّ با قديس، الفرصة سانحة أمامه ليصبح هو الكاهن الأعظم في أورشليم بعد موت حليفه القُمص. لكن يوناتان ظل هو ورجاله في مأمن داخل عزلة جبلية في ما يعرف اليوم بمديرية التعزية - بعيداً عن أورشليم - وكان عليه أن يتوقع في كل لحظة هجوماً مباغتاً من خصمه الكاهن المرتد. ثم قرر فجأة أن يبادر إلى الهجوم، ولذا اجتاز سراً المنطقة الممتدّة من مديرية التعزية في تعز، حتى مديرية العُديْن على تخوم حدودها مع إب، ونزل في موضع الحجلة. وهاكم الاسم: محافظة إب، مديرية العدين، عزلة الغضيبة، قرية صنيد الغربي، محلة الحيجلة.

٦٣: ولما علم بكيديس/ با قديس، حشد جميع جمهوره وراسل حلفاءه في اليهودية.

٦٤: وزحف ونزل على بيت حجلة وحاربها أياماً كثيرة ونصب المجانيق.

٦٥: وأن يوناتان ترك سمعان أخاه في المدينة، وخرج في عدد من الجند وانتشر في البلاد.

٦٦:وضرب أخوته الدوريين (وبني فصرون) في خيامهم - منازلهم - وطفق يوقع بالعدو ويزداد قوة.

بعد أن استولى سمعان على الحجلة زحف صوب الدورين وبني فسور- فصور. وهذان موضعان في ما يعرف اليوم بمديرية فرع العُدين - التي كانت جزءاً إدارياً من العُديْن -. هاكم الاسمين: محافظة إب، مديرية فرع العُديْن، عزلة بني يوسف، قرية الفصور - الفسور، ومديرية فرع العدين، عزلة بني أحمد والثلث، قرية عرعرة، محلة الديور- الديورن (وهذه هي النون الكلاعية أداة التعريف القديمة). وهذا برأينا تأكيد إضافي أن أحد كتاب السفر من يهود الشمال السبئي، لأن قبائل الشمال تضيف النون إلى الأسماء.

٦٧: وخرج سمعان ومن معه من المدينة وأحرقوا المجانيق.

٦٨: وقاتلوا بكيديس/ با قديس فانكسر، فحاصروه وأذلوه وكسروا هيبته الباطلة.

٦٩: واستشاط غضباً على الرجال المنافقين الذين أشاروا عليه بالخروج من البلاد، وقتل كثيرين منهم وأزمع الانصراف إلى (أرضه).

سأقوم – هنا – بتصحيح الترجمة التي سببت فهماً مغلوطاً للنصّ. وبسبب الفهم الخاطئ هذا، أنشأ مترجم النصّ اليوناني جملة غير مفهومة، تفيد بأن الكاهن المرتد على اليهودية عاد إلى أرضه، بينما القصد أنه عاد إلى موضع يدعى أرض – عرض، وليس أرضه (لأن هذه لا معنى لها، إذ كيف يهرب إلى أرضه؟ ماذا يعني ذلك؟). وموضع أرض – عرض هذا يقع في محافظة إب، مديرية ذي السفال، عزلة السيف، قرية العارضة. أي إن الكاهن المرتد اضطر إلى التراجع صوب مقاطعة العارضة – أرضه وليس (أرضه).

٧٠: وعلم يوناتان، فأرسل إليه رسلاً لعقد المصالحة وردّ الأسرى.

بانتصار يوناتان الباهر في معركة الحجلة ودورين والفصور في العُديْن، وفرار الكاهن المرتد بكيدس/ با قديس إلى العارضة في ذي السفال، ضمن محافظة إب وعلى أطراف تعز، فقد أصبحت أورشليم في مأمن تام، وكان على يوناتان أن ينتقل إليها بسرعة ليعيد بناء ما تهدم وينظم صفوف فرسانه. لكنه، قبل أن يتجه صوب العُديْن، أجرى مفاوضات شاقة مع خصمه الهارب لردّ الأسرى، مقابل أن يكفّ عن ملاحقته والاقتصاص منه.

٧١: فأجاب – هذا – وفعل بحسب كلامه، وحلف له أنه لن يطلبه بسوء كل أيام حياته.

٧٢: وردّ إليه الأسرى الذين أسرهم من قبل في أرض يهوذا، ثم عاد إلى (العارضة) ولم يعد يسير إلى تخومهم.

٧٣: فزال السيف عن إسرائيل، وسكن يوناتان في مكماش – مخماش. ثم أخذ يوناتان يحاكم الشعب واستأصل المنافقين من إسرائيل.

وبذلك، يكون يوناتان قد أقام مؤقتاً في موضع الأخماس (مخمش) على مقربة من أورشليم. والأخماس اليوم تقع إدارياً ضمن ما يعرف بمديرية فرع العُدين: عزلة الأخماس، قرية الأخماس (مخمس – مخمش). وهكذا طويت صفحة مأسوية من تاريخ أورشليم، ولكن ليس للأبد.

التنافس بين ديمتريوس والإسكندر

يتّسم الإصحاح العاشر من سفر المكابيين بكونه رواية مثيولوجية خالصة ونموذجية يختلط فيها، بسبب الترجمة وأسلوب السرد الشعبي الذي قام به المحرر وليس أي شيء، التاريخ بالأسطورة وبحيث تبدو السردية التاريخية كأنها أسطورة. لقد دمج سارد السفر (والأدق مترجم النص إلى اليونانية) بين الأحداث الكبرى في التاريخ اليوناني القديم، وبين الوقائع التي دارت في أرض اليمن بين أقيال/ ملوك المخاليف وتناقلتها الروايات الشفهية. ولذلك، لا يبدو غريباً أن يبدأ سارد النصّ روايته بالقول (وفي السنة المئة والستين صعد الإسكندر الشهير بن أنطيخوس)، وكان ينافسه الملك ديمتريوس، لكنه تمكن من فتح بطلمايس! وهذه جملة عجائبية، فما الذي يجمع الإسكندر بن أنطيخوس بديمتريوس؟ في هذا التاريخ، لم يكن هناك إسكندر شهير، ولم تكن هناك مدينة تُدعى بطلمايس ليفتحها! وفي هذا الوقت لم يكن هناك ملك روماني منافس له يدعى ديمتريوس. هذا الخلط الفظيع لأحداث التاريخ ووقائعه، ودمج اليوناني بالروماني، هو عمل مثيولوجي مثير ناجم بكل تأكيد عن الترجمة من العبرية إلى اليونانية.

ولذلك، سنعيد بناء الرواية، ورواية هذا المقطع من التاريخ بصوتي:

لكن من المهم للغاية قبل ذلك أن نسجل هنا، أن التاريخ المثيولوجي اليمني، وبشكل أخصّ كتب الأنساب الشهيرة، بما فيها كتاب الهمداني (الإكليل)[١٩] وكتاب الإخباري اليهودي – الحميري وهب بن منبه (التيجان في ملوك حمير)[٢٠] تتحدث عن ملك يمني حمل لقباً يونانياً هو (ذو القرنين). وهذا لقب الإسكندر المقدوني كما هو معروف. في الواقع، لا توجد أيّ وثيقة تاريخية، نقش، سجل، لُقى أثرية، تؤكد وجود ملك يمني باسم (ذو القرنين). لكن الإخباريين اليمنيين يضعونه في قوائم أنساب ملوك الدولة الحميرية اليهودية.

والآن سنبرهن أن هذين الملكين، ديمتريوس والإسكندر، هما ملكان في موضعين- مقاطعتين - تدعيان «ذومتراس»، وإسكندر. هاكم أولاً اسم ملك مقاطعة متراس، والملك يسمى (ذو- متراس، أي صاحب، مالك، زعيم مترس: مثل ذو نواس، ذو يزن). بكل تأكيد لا وجود في التاريخ الرسمي الروماني لملوك يتصارعون في مكان مجهول، وهذه الأسماء يستحيل تخيّلها كأسماء ملوك رومانيين، كذلك من غير المنطقي تصوّر أن روما أرسلت هذا العدد الهائل من الملوك لمقاتلة (شرذمة) من اليهود! إننا نجد الاسم الأول في هذه القائمة في موضع يدعى حتى اليوم، المترس في مكانين: أولهما في محافظة لحج، مديرية المضاربة وعارة، عزلة المضاربة، قرية المترس. وكنا قد رأينا أن النباطيين في لحج كانوا أعداء اليهودية وهم من قتل شقيق سمعان الصغير يوحنا. وهناك موضع آخر يحمل الاسم نفسه في محافظة إب، مديرية المخادر، عزلة السحول قرية السويق، محلة المترس. أما اسم إسكندر فنجده في محافظة الحديدة، مديرية باجل، قرية المشاعبة، محلة الإسكندر (ونجد الاسم نفسه في المحويت، مديرية الرجم، عزلة بني الغذيفي، قرية بيت إسكندر)[٢١]. وهكذا، إذا ما أعدنا صياغة النصّ فسنسجل الآتي: إن ملك مقاطعة بيت إسكندر في الحديدة على الساحل، مُستغلاً القتال القبائلي المحتدم بين المقاطعات في اليمن المُمزق، قرر الزحف هو الآخر على مناطق خارج حدود سيطرته. لقد استغل اضطراب الأوضاع، وقام بالزحف للاستيلاء على مناطق جديدة مجاورة موسّعاً من حدود (مملكته). ومن هذه المناطق قرية تدعى البطل - بطلم (باستخدام الميم الحميرية والسين هنا هي الصيغة اليونانية في رسم الأسماء - بني بطل - بطلمس). ولمّا سمع ملك متراس (ذو- متراس أي ملك متراس: ديمتريوس) أنباء هذا التمدد المفاجئ، جهّز جيشاً لملاقاته ومنعه من التمدد. وهذا صراع تقليدي بين مدن الداخل والساحل يعرفه تاريخ اليمن القديم. تقع قرية بطل - بطلم (بني بطل) في محافظة الحديدة، مديرية برع، وفي عزلة جبلية تدعى عزلة الموسطة الغربية، وهذا يعني أنها بالقرب من مقاطعة إسكندر تماماً كما في النص. يبقى أن نشير إلى أن بني بطل - بطلم يعرفون في التاريخ السبئي بأنهم كانوا من سلالة ملوك سبأ، وكانوا يطالبون باستمرار ودون توقف بـ (حقوقهم المستلبة). لقد كانوا طامحين إلى فرض وجودهم (ورثة) لمملكة سبأ المنهارة.

١: في السنة المئة والستين، صعد الإسكندر الشهير بن أنطيوكس، وأخذ – استولى – على بطلمالس فقبلوه فملك هناك.

٢: فسمع ديمتريوس الملك فجمع جيوشاً كثيرة جداً وخرج لملاقاته في الحرب.

٣: وأنفذ ديمتريوس إلى يوناتان كتباً في معنى السلم متقرباً إليه بالإطراء.

٤: لأنه قال لنسبق إلى مسالمته قبل أن يسالم الإسكندر علينا،

٥: فإنه سيذكر كل ما أنزلنا به وبأخوته وأمته من المساوئ.

٦: وأذن له أن يجمع جيوشاً ويتجهّز بالأسلحة، ويكون مناصراً له وأمر له بردّ الرهائن الذين في القلعة.

٧: فجاء يوناتان إلى أورشليم، وتلا الكتب على مسامع الشعب كله وأهل القلعة.

وكنا رأينا أن المقصود بـ (القلعة) القلعة التي تقع في نطاق أورشليم، هاكم اسم الموضع: مديرية العدين، عزلة بني هات، قرية السبلة، محلة القلعة.

٨: فلما سمع أن الملك أذن له في جمع الجيوش، جزعوا جزعاً شديداً.

٩: وردّ أهل القلعة الرهائن إلى يوناتان فردّهم إلى ذوي قرابتهم.

١٠: وأقام يوناتان بأورشليم وطفق يبني ويجدّد المدينة،

١١: وأمر العمال أن يبنوا الأسوار حول جبل صهيون، بحجارة منحوتة للتحصين ففعلوا.

لغز جبل صهيون

لا بد من توضيح أمرٍ مهم للغاية يتعلق بمسألة جبل صهيون. ورد اسم الجبل في صورته هذه في قصيدة للشاعر اليمني القديم الأعشى[٢٢] (أعشى همدان) نحو عام ٥٢٤م يحذّر فيها أساقفة نجران من هجوم وشيك تُعدّ له بلاد اليهودية في عصر آخر ملوكها يوسف أسار،

المعروف بلقبه الدينيّ ذو نؤاس الحميري (أي ذو الذؤابتين- النواستين، وهما خصلتان من الشعر تتدليان على الكتف ويصنعهما عادة الكهنة اليهود). ولمّا كنا نعلم من التوراة، أنّ الهيكل (מבנה مبنى في اللغة العبرية/ بناء، بيت) بُني في جبل قدس – قداس، فهذا يعني أن الاسم صهيون ينصرف إلى صيون – من دون الهاء الصوتية – أي الذي يصون (يحرس). وهذا هو الإله الحارس حامي الهيكل، أي الإله الذي يصون المكان المقدّس. وفي نصوص سفر المكبيين، ترد إشارات كثيرة إلى أن الهيكل بني في عزلة جبلية ضمن أورشليم. وهذا تأكيد آخر على أن اسم صهيون צִיּוֹן (زيّون: وينطق صهيون)[٢٣] هو اسم دينيّ للعزلة الجبلية نفسها قداس (الحامي، الحارس، الذي يحمي، يصون، يحرس). وممّا يُلاحظ من صياغات محرري نصوص التوراة المتأخرة، أنهم استخدموا صيغة زيّون- צִיּוֹן وهي دون هاء وسطية كحرف صوتي [illegible])، بما يعني أن المقصود هو هذا المعنى الدلالي للكلمة – الاسم. بكلام آخر، لا وجود في الأصل لحرف (الهاء) في اسم صهيون بالعبرية، وهو حرف صوتي ينطق ولا يكتب. ولمّا كان النص يتحدث عن إعادة بناء أورشليم وتجديد أسوار صهيون، فهذا يعني أنه جزء من فضاء المدينة الدينية التي تضمّ سلسلة من المواضع المقدّسة.

وفي المجلد الثاني سأقدّم تصوّراً كاملاً عن مدينة أورشليم، موقعها، أسوارها، وحدودها، ولكنني سأكتفي في هذا الجزء من الكتاب، بالتأكيد على الآتي: إن جبل صهيون في أورشليم يقع ضمن العزلة الجبلية التي تعرف اليوم باسم قداس، وهي قلب ما يعرف بمديرية العُديْن. هاكم اسم العزلة الجبليّة: مديرية العُدين، عزلة قداس.

١٢: فهرب الغرباء الذين في الحصون التي بناها بكيديس.

١٣: وترك كل واحد مكانه وذهب إلى أرضه.

١٤: غير أنه بقي في بيت صور، قوم من المرتدين عن الشريعة، والرسوم – الأصنام – كانت ملجأً لهم.

ثمة مشكلة عويصة في هذه الآيات (١٢: فهرب الغرباء الذين في الحصون التي بناها بيكديس/ باقديس). وهذه جملة طويلة غير مفهومة، فلماذا (يفرّ الغرباء) ومنْ هم هؤلاء،

ما دام بيكديس اعتمد في الأصل (على الغرباء والأجانب والمرتدين)؟ لقد أصبحت هذه الجملة غامضة بسبب الترجمة الرديئة. وسأعيد هنا ترجمتها بدقة: (١٢: فهرب الذين لجأوا إلى – حصن الغراب – الذي أعاد ترميمه بيكديس/ باقديس). وكنا قد أشرنا في صفحات سابقة إلى أن حصن الغراب يقع في مقاطعة ماوية بتعز، وقد لجأ إليه يوناتان نفسه مع والده وأخوته حين فشلوا في صدّ الغزو الروماني، وردع القوات الحبشية الموالية لهم. ما يؤكده هذا النصّ غاية في الأهمية، فقد استقر بعض المرتدين عن اليهودية في بيت صور– الأصيور، وكانوا يتمتعون بحرية العبادة الوثنية، وهو أمر يعكس التبدّل المذهل الذي شهدته المدينة المقدّسة أورشليم بعد سلسلة الحروب القبلية مع الأقيال/ الملوك (المتأغرقون، المتباهون بحمل ألقاب رومانية) والذين تخلوا عن يهودية حمير طواعية. وكنا قد رأينا أن (مدينة صور) التوراة، هي ذاتها ما يعرف اليوم باسم (عزلة الأصيور) أو الصور في محافظة إب، مديرية حزم العدين. بكلام موجز: لقد هرب (الجويم) أي عامة الناس من مقاطعة حصن الغراب في تعز، حين تناهت إليهم أنباء الانتصار.

١٥: وسمع ملك إسكندر بالمواعيد التي عرضها ديمتريوس على يوناتان، وحُدّث بما صنع هو وأخوته من الحروب وأعمال البأس وما كابدوه من جهد القتال.

١٦: فقال إنّا لا نجد من رجل يماثله، فلنتخذه لنا ولياً ومناصراً.

١٧: وكتب كتباً وبعث إليه بها في هذا المعنى قائلاً:

١٨: من ملك إسكندر إلى أخيه يوناتان سلام

١٩: لقد بلغنا عنك أنك رجل شديد الجبروت وخليق بأن تكون لنا ولياً.

٢٠: فنحن نقيمك اليوم كاهناً أعظم في أمتك، وأنت تسمي وليّ الملك، وتهتمّ بما لنا وتبقى في مودتنا. وأرسل إليه أرجواناً وتاجاً من ذهب.

سأتوقف هنا لتقديم توضيح ضروريّ إضافي: إن الذين يزعمون – في مؤلفاتهم التاريخية عن سفر المكابين – أن الإسكندر هو ملك روماني، يجب عليهم تقديم تفسير للنص السابق،

فهل حدث في التاريخ الروماني أن فكر ملك/ إمبراطور روماني، بتقديم فروض الطاعة والولاء لكاهن يهودي، بل وأن يتوسّل إليه أن يكون ولياً له ولشعبه؟ إن النص السابق يدعم بقوة، تفسيراتنا التي قدّمناها في هذا الكتاب، وأن هؤلاء هم أقيال/ ملوك صغار في مقاطعات اليمن المتصارعة.

٢١: فلبس يوناتان الحلة المقدسة في الشهر السابع من السنة المئة والستين[٢٤] في عيد المظال[٢٥] وجمع الجيوش وتجهز بأسلحة كثيرة.

٢٢: وذكر ذلك لديمتريوس فشّق عليه وقال:

٢٣: كيف تركنا إسكندر يسبقنا إلى الصلح مع اليهود والتعزّز بهم؟

٢٤: فاكتب أنا أيضاً إليهم بكلام ملاطفة وتعظيم، وأعدهم بعطايا ليكونوا من مناصريّ.

٢٥: وكاتبهم بقوله من الملك ديمتريوس إلى أمة اليهود سلام:

٢٦: لقد بلغنا أنكم محافظون على عهودكم لنا، ثابتون في مودتنا ولم تتقربوا إلى أعدائنا فسرنا ذلك،

٢٧: فاثبتوا في المحافظة على وفائكم لنا، فنحسن ثوابكم على ما تفعلون في حقنا،

٢٨: ونحطّ عنكم كثيراً مما لنا عليكم ونصلكم بالعطايا،

٢٩: والآن فإني أعفيكم وأحطّ عن جميع اليهود كل جزية، وضريبة الملح والأكاليل وثلث الزرع.

٣٠: ونصف ثمار الشجر الذي يحق لي أخذه، أعفيكم من هذه الأشياء، من اليوم فصاعداً في أرض يهوذا وفي المدن الثلاث الملحقة بها، من أرض السامرة والجليل من هذا اليوم على طول الزمان.

٣١: ولتكن أورشليم مقدسة وحرّة هي وتخومها، وأحطّ عنها العشور والضرائب.

٣٢: وأتخلى عن القلعة التي بأورشليم وأعطيها للكاهن الأعظم، يقيم فيها من يختاره من الرجال لحراستها.

٣٣: وجميع النفوس التي سُبيت من اليهود من أرض يهوذا، وفي مملكتي بأسرها أطلقها حرّة بلا ثمن، وليكن الجميع مُعْفَيْن من إتاوة المواشي.

لنلاحظ في هذا النص، الوعد الذي يقطعه القيل/ الملك، لليهود بأن يعفيهم من ضريبة (الملح). في الواقع لا يوجد مجتمع قديم عرف هذه الضريبة، سوى اليمن. وحتى اليوم هناك أكثر من مكان يعرف باسم جبل الملح. إن تاريخ مجتمعات حوض الأبيض المتوسط بأسرها، لا تعرف هذه الضريبة، ولا وجود لـ (جبال الملح). يكفي التذكير بأن التاريخ الرسمي للإسلام يتحدث عن قيام محمد بإقطاع (جبل الملح)[٢٦] لقيل يمني يدعى الأبيض بن حمّال، وأن مسلمي اليمن احتجوا وسألوا نبيّ الإسلام: أتدري ما أقطعته؟ لقد أقطعته - أي أعطيته - جبل الملح، وهو ما يؤكد أهميته مصدراً للخراج. وهكذا مضى قيل/ ملك مقاطعة ذو متراس في تقديم عروضه لكسب ودّ كهنة أورشليم وإحباط مناورات ملك مقاطعة إسكندر:

٣٤: ولتكن الأعياد كلها والسبوت ورؤوس الشهور والأيام المخصصة، والأيام الثلاثة التي قبل العيد، والأيام الثلاثة التي بعد العيد، أيام إبراء وعفو لجميع اليهود الذين في مملكتي.

٣٥: فلا يكون لأحد أن يستعبد أحداً منهم، أو يثقل عليه في أي أمر كان.

٣٦: وليكتتب من اليهود في جيوش الملك إلى ثلاثين ألف رجل، تُعطى لهم وظائف كما يحق لسائر جنود الملك.

٣٧: فيجعل منهم في حصون الملك العظيمة، ويفوّض إلى البعض منهم النظر في مهام المملكة التي تقتضي الأمانة، ورؤساؤهم ومدبروهم يكونون من جملتهم، ويسلكون بحسب سننهم كما أمر الملك لأرض يهوذا،

٣٨: وأمّا المدن الثلاث الملحقة باليهودية من بلاد السامرة، فلتبق ملحقة باليهودية فتكون

معها خاضعة لواحد، ولا تطيع سلطاناً آخر إلا سلطان الكاهن الأعظم،

٣٩: قد وهبت بطلميس ما يتبع للمقدس الذي بأورشليم، لأجل نفقة الأقداس.

٤٠: وزدت عليها خمسة عشر ألف مثقال فضة، كل سنة من دخل الملك من الأماكن التي تختص به،

٤١: وكل ما بقي مما لم يدفعه وكلاء المال عن السنين السالفة، يؤدى من الآن لأعمال البيت،

٤٢: وما عدا ذلك، فخمسة آلاف مثقال من الفضة التي كانت تؤخذ من دخل المقدس في كل سنة، تترك رزقاً للكهنة القائمين بالخدمة.

٤٣: وكل منْ لاذ بالمقدس في أورشليم في جميع حدودها، وللملك عليه مال أو أي حق كان، فليعف وليبق له كل ما ملك في مملكتي.

٤٤: ونفقة البناء وأعمال الترميم في المقادس، تُعطى من حساب الملك.

٤٥: وبناء أسوار أورشليم وتحصينها على محيطها، وبناء الأسوار في سائر اليهودية تعطى نفقته من حساب الملك.

طبقاً لهذه النصوص، يستحيل تخيّل أن روما (هذا إذا كان ديمتريوس ملكاً رومانياً) قد عرضت على الكهنة اليهود، تجنيد ٣٠ ألف يهودي في جيش روما؛ فهذا مما لا يقبله عقل، لأن روما في هذا العصر كانت تنتهج سياسة اضطهاد اليهود، وهي حسب المزاعم الرائجة عن هدّم الهيكل. في الواقع كانت هذه هي رسالة قيل/ ملك مقاطعة المتراس- ذا- متريوس- (في تعز) إلى يوناتان أعظم كهنة أورشليم، لإبرام صلح يقطع الطريق على منافسه ملك مقاطعة إسكندر. وبكل يقين، فلا وجود في التاريخ الرسمي الروماني لأي إشارة عن ملكين رومانيين متنافسين على عقد صلح مع كهنة أورشليم.

كل هذا يتطلب نزع القشرة المثيولوجية من التاريخ الرسمي الروماني.

هوامش

١- انظر: محمد بن محمد بن محمد بن أحمد، ابن سيد الناس، اليعمري الربعي، أبو الفتح، فتح الدين (المتوفى: ٧٣٤هـ) وعيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير، تعليق: إبراهيم محمد رمضان، دار القلم - بيروت، ١٤١٤/ ١٩٩٣، وانظر: أبو البقاء هبة الله محمد بن نما الحلي (المتوفى: ق ٦هـ) المناقب الزيدية في أخبار الملوك الأسدية، المحقق: (محمد عبد القادر خريسات، صالح موسى درادكة) كلية الآداب - الجامعة الأردنية، مكتبة الرسالة الحديثة، عمان، ١٩٨٤م.

٢- سوران: انظر ما سنكتبه تالياً.

٣- سورة الفيل (القرآن): ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ لَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ*وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ*تَرْمِيهِم بِحجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ* فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ﴾

٤- انظر حول طريقة قتل الفيل في المرويات الإسلامية المتأخرة: تفسير الطبري، مثلاً: تفسير سورة الفيل، الجزء الرابع والعشرون ص ٦١٠.

٥- ابن الكلبي: نسب معد واليمن الكبير، موقع الوراق على الإنترنت.

٦- راجع السنة السبتيّة في الكتاب السابق.

٧- الهمداني: صفة جزيرة العرب: (ص ١٤٣): «- ومن مآثر هذه المواضع أي ما وقع باليمن من جبل السراة-: خربة سَلُوْق وكانت مدينة عظيمة بأرض خَدِيْر».

٨- بيت ضبعان إحدى قرى عزلة الربع الشرقي بمديرية بلاد الروس التابعة لمحافظة صنعاء، وعثر فيها الباحث اليمني الإرياني على نقش يعرف بهذا الاسم (انظر نقوش إرياني ٤٩).

٩- Roger: «Mithraism». Encyclopaedia Iranica, Online Edition. Retrieved 2011-03-24. - Origen, , .Contra Celsus, Book 6, Chapter 22

روجر (٢٠٠٢-٠٧-٢٠). «الميثراسية». الموسوعة الإيرانية، طبعة على الإنترنت. أوريجينوس، كونترا سيلسوس، كتاب ٦، الفصل ٢٢.

١٠- هؤلاء هم جماعة الصدّوقيين وهي فرقة من ثلاث فرق ظهرت في اليهودية. واسمهم مأخوذ من كلمة (الصدقات) أي من يجمعون الضرائب الدينية (العشور).

١١- انظر حول الحُمس: أبو الوليد محمد بن عبد الله بن أحمد بن محمد بن الوليد بن عقبة بن الأزرق الغساني المكي المعروف بالأزرقي (المتوفى: ٢٥٠هـ) أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار- المحقق: رشدي الصالح ملحس- دار الأندلس للنشر - بيروت.

١٢- انظر مثلاً: ابن القيم: (زاد المعاد [٣/ ٥٨-٥٩]). سيرة ابن هشام [٢/ ٦٦-٦٨]، (السيرة النبوية الصحيحة [١/ ٢٨٢-٢٨٥]).

١٣- هذا هو الأصل القديم لاسم العاصمة اللبنانية بيروت: بئيروت.

١٤- لسع: سفر التكوين: ١٠: ١٩، ما يأتي: وَكَانَتْ تُخُومُ الْكَنْعَانِيِّ مِنْ صَيْدُونَ، حِينَمَا تَجِيءُ نَحْوَ جَرَارَ إِلَى غَزَّةَ،

وَحِينَمَا تَجِيءُ نَحْوَ سَدُومَ وَعَمُورَةَ وَأَدْمَةَ وَصَبُوِييمَ إِلَى لَشَعَ. וַיְהִי גְּבוּל הַכְּנַעֲנִי, מִצִּידֹן--בֹּאֲכָה גְרָרָה, עַד-עַזָּה: בֹּאֲכָה סְדֹמָה וַעֲמֹרָה, וְאַדְמָה וּצְבֹיִם--עַד-לָשַׁע.

١٥- ملحمة اليهود – مصدر مذكور.

١٦- هذا يؤكد أن اللطم طقس ديني قديم وأن الديانة اليهودية عرفته. راجع كتابنا: المناحة العظيمة لمزيد من التفاصيل – مصدر مذكور في السيرة الذاتية.

١٧- هذه الإشارة تؤكد أن كاتب السفر والملحمة هما الشخص نفسه (الكهنة أنفسهم) الذين كتبوا سيرة (سار/ بيت سبأ: إيلشرح وقبيلة سبأ).

١٨- وفي محافظة البيضاء المجاورة هناك موضع يحمل الاسم نفسه: محافظة البيضاء، مديرية الملاجم، عزلة آل منصور الملاجم، قرية القوعه.

١٩- الإكليل: انظر النسخة في موقع الوراق http: //www.alwarraq.com

٢٠- التيجان: عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري، أبو محمد، جمال الدين (المتوفى: ٢١٣هـ) يرويه عن أسد بن موسى عن أبي إدريس ابن سنان عن جده لأمه وهب بن منبه رضي الله عنهم. تحقيق: مركز الدراسات والأبحاث اليمنية، صنعاء – الجمهورية العربية اليمنية.

٢١- إن أسماء الأنبياء والملوك والأبطال غالباً ما تترك في الجغرافيا، واليمن نموذج فريد في هذا التقليد.

٢٢- ياقوت الحموي، ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي شهاب الدين أبو عبد الله: معجم البلدان: بيروت، دار صادر- ١٩٩٣:

أيـا سـيّدي نجـران لا أوصينكـما ... بنجـران فيـما نابهـا واعتراكـما

فـإن تفعـلا خـيرا وترتديـا بـه ... فإنكـما أهـل لـذاك كلاكـما

وإن تكفيـا نجـران أمـر عظيمـة ... فقبلكـما مـا سـادها أبواكـما

وإن أجلبـت صهيون يوماً عليكما ... فإن رحى الحرب الدكوك رحاكما

٢٣- ظهر في بغداد العاصمة العراقية اسم زيونة (زيون) دون أن تكون لدينا أي معطيات تاريخية عن الوقت الذي ظهر فيه الاسم، لكن من المحتمل أن يهود بغداد هم من أطلق الاسم على هذا المكان قبل أو أثناء الاحتلال البريطاني ١٩١٧.

٢٤- حسب التقويم الحميري (٤٥ ق.م).

٢٥- عيد المظال اليهودي: يستغرق الاحتفال بهذا العيد سبعة أيام (ثم يوم أخير يسمى يوم الراحة: يو٧:٣٧). تبدأ أيام العيد السبعة في الخامس عشر من شهر «تشرى- تشرين»، وهو الشهر السابع من شهور السنة الدينية، تمتاز احتفالات اليهود اليمنيين بعيد تشرين (المظال) بمظاهر الفرح والرقص وإعداد الولائم حيث يذبح المبتهجون الكثير من الذبائح (تث١٦:١٤). وفي اليوم الثامن يختتم بسكب الماء على الأرض مصحوباً بتلاوة نشيد دينيّ من المزامير (مزمور ١١٣-١١٨).

٢٦- الهمداني في الصفة: (٢٢١). وزاد ابن سعد أن الرسول صَلى الله عَليه وسلم عوض الأبيض بن حمال «أرضاً وغيلًا بالجوف جوف مراد». ونسبته في المراجع (الحميري) لنسبه، و(السبئي) لاستيطانه أرض سبأ من مشارق اليمن، و(المأربي) لتديره مأرب. وتخطئ بعض المراجع فتقول: (المازني) وهو تصحيف لحرفي الراء والباء. وفد على النبي عليه السلام، فأفرشه رداءه، وأقطعه جبل المِلْح من سهل مأرِب. فقيل له: يا رسول اللهّ أقطعتَه الماءَ العِدَّ ولا ملح لأهل اليمن غيره. انظر عنه أيضاً: طبقات خليفة (١/ ٢٧٢)، الاستيعاب لابن عبد البر: (١/ ١٣٨) الإِصابة: (١/ ١٤).

مثيولوجيا وتاريخ

في هذا القسم من السفر التوراتي، لا شيء يحظى بتأييد التاريخ الرسمي المكتوب؛ فلا التاريخ الروماني، ولا التاريخ اليمني، وبطبيعة الحال التاريخ الفلسطيني، يعرف أي واقعة وُقِّعَت خلالها معاهدة صلح بين كهنة أورشليم والرومان. وبكل تأكيد، لا يعرف تاريخ فلسطين أي شيء عن ثورة يهودية على الرومان تعقبها معاهدة صلح معهم، ذلك أن تاريخ احتلال الرومان لسورية وجنوبها (فلسطين) وقع بعد هذا العصر، والفارق الزمني بين الأحداث المروية في السفر، واحتلال الرومان لسورية التاريخية قد يصل إلى ما يزيد على ١٠٠ عام حسب التقويم الميلادي.

كل ما لدينا عن هذا الجانب من السردية التوراتية، هو تأويلات استشراقية كتُبت في ضوء فهم سطحي وخاطئ لقصة شعبية يمنية تقليدية، اختلط فيها التاريخ بالمثيولوجيا. إن ما يدعى الملك الإسكندر هو– كما قلنا في صفحات سابقة – ملك مقاطعة إسكندر وليس (الملك الإسكندر). وهذه من المقاطعات البحرية في محافظة الحديدة، حيث تسيطر هناك أسرة تنتسب إلى ملوك سبأ. لقد استغلّ هؤلاء، وهم من قبائل الساحل السبئية القوية المُطالبة

بالعرش السبئي، اضطرابات (المخاليف - الممالك الحميرية) والصراع الديني، ليتوسعوا وليفرضوا سيطرتهم على أجزاء واسعة من أرض اليهودية. لكن منافسيهم في مقاطعة أخرى، محاذية لحدودهم مع أرض اليهودية في تعز، فرضوا عليهم أن يتحركوا للتصالح مع كهنة أورشليم في العُدين، استباقاً لأي تطورات قد تقصيهم من أي مكاسب. إن السرد التوراتي لقصة خطب ودّ الكهنة من جانب ما يزعم أنهم الرومان لا يبدو معقولاً، والتاريخ الروماني لا يعرف مثل هذا التملق، وبحيث إن روما العظيمة تعطي تنازلات مخزية للكهنة لقاء التفاهم معهم. ومع ذلك، بدا هؤلاء في وضع متشكّك. لقد اتخذت الحرب الأهلية في أرض اليهودية خلال هذه الآونة، طابعاً جديداً واستثنائياً، إذ لم تعد صراعاً بين كهنة مرتدّين وكهنة محاربين في المدينة المقدسة أورشليم، بل بين الساحل اليمني ومقاطعاته البحرية التي تحكمها أسر سبئية (من الشمال)، وبين المقاطعات الجنوبية التي أحكم يهود الجنوب السيطرة عليها، خلال معاركهم مع الأقيال/ الملوك في ما يعرف اليوم بمحافظتي تعز وإب.

والتاريخ اليمني القديم، منذ صعود دور أسرة كرب إيل وتر بن ذمار علي في ما يعرف بمحافظة ذمار (نحو ٦٥٠ ق.م) حتى سقوط مملكة سبأ، هو صراع يقوم في الأصل على فرض النفوذ والسيطرة على الساحل، لضمان التجارة العالمية. وكنا قد رأينا في المؤلفات السابقة، كيف أن التحوّل التاريخي لطرق التجارة من الطرق البرية إلى النقل عبر الموانئ، قد تمّ بفضل سيطرة القبائل المعينية على الساحل، وهذا ما مكّن مملكة معين الجوف من قيادة تجارة البخور واللبان عبر الموانئ. إن تنافس قيلين/ ملكين في مقاطعتين، إحداهما في قلب الساحل وأخرى في قلب الجنوب، ينعكس في هذه الرواية الشعبية التي يختلط فيها التاريخ بالمثيولوجيا في صورة تنافس، لخطب ودّ كهنة أورشليم (في العُدين). وبالطبع لا أثر للرومان في هذه الرواية. وهكذا، وما إن:

٤٦: سمع يوناتان والشعب هذا الكلام، لم يثقوا به، ولا قبلوه لأنهم تذكروا ما أنزله ديمتريوس بإسرائيل من الشرّ العظيم والضغط الشديد.

٤٧: فآثروا إسكندر لأنه بدأهم بكلام السلام وبقوا على مناصرته كل الأيام.

٤٨: وجمع ملك إسكندر جيوشاً عظيمة ونزل تجاه ديمتريوس.

٤٩ : فنشب القتال بين الملكين، وانهزم جيش ديمتريوس فتعقبه ملك إسكندر وهجم عليهم.

٥٠ : واشتدّ القتال جداً إلى أن غابت الشمس وسقط ديمتريوس في ذلك اليوم.

٥١ : ثم بعث إسكندر رسلاً إلى بطلماوس وملك مصر بهذا الكلام قائلاً:

٥٢ : إذْ قد رجعت إلى أرض مملكتي، وجلست على عرش آبائي واستتبّ لي السلطان وكسرت ديمتريوس واستوليت على بلادنا.

٥٣ : إذْ ألحمت عليه القتال، فانكسر أمامنا هو وجيشه وجلست على عرش ملكه.

٥٤ : فهلمّ الآن نوالي بعضنا بعضاً، وهبْ لي ابنتك زوجة، فأصاهرك وأهدي إليك هدايا تليق بك.

لنلاحظ إن الملك الروماني المزعوم إسكندر، يخاطب القبائل هكذا: (رجعت إلى أرض مملكتي، وجلست على عرش آبائي واستتبّ لي السلطان وكسرت ديمتريوس واستوليت على بلادنا). وبكل يقين، فمن غير المنطقيّ تخيّل ملك/ إمبراطور روما يخاطب القبائل في فلسطين أو اليمن، سواء بسواء، بأنه عاد إلى (أرض مملكته) وإلى (بلاده – موطنه). في الواقع، وعدا عن أن التاريخ الروماني لا يعرف هذه المعركة، كما لا يعرف أي شيء عن تنافس مميت بين ملكين رومانيين حول أورشليم؛ فإن سرد القصة بهذه الطريقة، يعطي انطباعاً قوياً بأحد أمرين: إمّا أن سارد النصّ كتب حكاية خيالية ذات طابع بطولي، وهو أمر مألوف في التاريخ السردي للقبائل، وإمّا أن مترجم النصّ اليوناني عن النصّ العبري، قرأ النصّ العبري بطريقة مغلوطة. لكننا، إذا ما قمنا ببناء السرد التوراتي في ضوء التاريخ اليمني، فسنلاحظ ما يأتي:

أولاً:

إن قيل/ ملك مقاطعة إسكندر (في محافظة الحديدة الساحلية) هو في الآن ذاته قيل/ ملك بني بطل – بطلم، وقد وجد في طموح ذو متراس (دو متروس – ديمترويس) خطراً يهدد مخططاته للاستيلاء على أرض اليهودية، ولذلك بدا متحفظاً حيال محاولات الصلح أو

التسوية، وسعى إلى استباقها بمحاولة عقد صلح مماثل مع يهود تعز وإب. ويبدو من سياق نص يوسفيوس وسفر المكابيين، إن عامل القرابة أدى دوراً حاسماً في تفضيل كهنة أورشليم لإسكندر على منافسيه، فهو ينتسب إلى شبكة القرابات ذاتها التي تضمّ الكهنة. وهذا هو مغزى طلبه المصاهرة من ملك بطلم (بطلماوس).

ثانياً:

إن روما لا تعرف هذين الملكين ولا المقاطعتين المتنافستين، ففي هذا العصر، كانت روما تستعد للانتقال من العصر البطلمي إلى العصر البيزنطي. وطوال هذا التاريخ، لم يكن هناك أيّ صراع حول أورشليم، بينما يمكننا بسهولة، أن نفهم أسباب صراع مقاطعات الساحل اليمني ودوافعه ضد اليهودية في الداخل اليمني، حيث تنافست مقاطعة إسكندر وسكانها من أحفاد ملوك سبأ مع جارتها. وهذا ما يفسّر لنا سبب مخاطبة ملك مقاطعة إسكندر لملك مصر وملك بطلماوس. وما علاقة مصر بصراع ملكين رومانيين؟ علماً أن روما لا تعرف مكاناً بهذا الاسم، ولا ملكاً منافساً يحمل هذا الاسم. وإذا كان إسكندر ملكاً رومانياً في مصر، فمنْ هو الملك الآخر الذي يطلب مصاهرته؟

هذا يعني أن ملك مقاطعة إسكندر البحرية، خاطب ملكاً من بقايا ملوك مملكة معين الجوف المصريين (معين مصرن). وهؤلاء كانوا حكام وملوك الساحل في الماضي، وذلك بهدف تلقي مساعدة منهم لدحر منافسه. وبالطبع، فمن غير المنطقي تخيّل أن ملكاً رومانياً طلب مساعدة ملك مصر لدحر ملك روماني منافس. مثل هذه الواقعة لا أصل لها في التاريخ الرسمي الروماني، وتبدو غير منطقية، لأن مصر العصر البطلمي كانت رومانية - بيزنطية، فكيف تطلب روما مساعدة من ملك مصر؟

ثالثاً:

وما يُدلّل على أن السفر رواية شعبية بطولية تقليدية، أن سارد النصّ اختلق قصة زواج كليوباطرة كحل تفاوضي بين الملكين؟

٥٥: فأجاب ملك بطلماوس قائلاً: ما أسعد اليوم الذي رجعت فيه إلى أرض آبائك، وجلست على عرش ملكهم.

٥٦: وإنيّ صانعٌ ما كتبت إليّ به، فهلمّ إلى بطلمايس فنتواجه وأصاهرك كما قلت.

٥٧: وخرج – ملك – بطلماوس من مصر، هو وكليوباطرة ابنته ودخلا بطلمايس في السنة المئة والثانية والستين.

٥٨: فلاقاه الإسكندر الملك فأعطاه كليوباطرة ابنته، وأقام عرسها في بطلمايس على عادة الملوك باحتفال عظيم.

٥٩: وكتب إسكندر الملك إلى يوناتان أن يقدم لملاقاته.

٦٠: فانطلق إلى بطلمايس في موكب مجيد، ولقي الملكين وأهدى لهما ولأصحابهما فضة وذهباً وهدايا كثيرة فنال حظوة لديهما.

في هذا النص سأسجل الملاحظات الآتية:

أولاً:

إن صاحب الخيال الاستشراقي وحده، منْ يمكنه تصديق حكاية لا تاريخية من هذا النوع، وبحيث يجعل كاهن أورشليم الضعيف والمهزوم، طرفاً في تسوية بين ملكين رومانيين متنافسين، وأن يشهد بنفسه عرس كليوباطرة؟

إن التاريخ الرسمي الروماني يقول إن كليوباترا كانت ملكة في روما البطلمية عام ٥١ ق.م أي إنها أصبحت ملكة بعد الإنزال الروماني الفاشل في عدن بسنة واحدة فقط. فكيف نصدق أنها تزوجت عام ١٦٢ ق.م حسب التاريخ المزيف الذي وضعه اللاهوتيون للسفر التوراتي، وكيف نصدق أن كاهن أورشليم حضر عرسها؟ إن الفارق الزمني بين الرواية الشعبية والتاريخ قد يتجاوز ١٠٠ عام؟ فأين الخطأ في سرد القصة؟

ثانياً:

يكمن الخطأ، ببساطة في الترجمة من النص العبري إلى اليوناني. لم تكن هناك كليوباترا، ولم يكن هناك ملوك من روما يتنافسون لخطب ودّ كهنة أورشليم. إن النص (رقم ٥٨ يقول: فلاقاه الإسكندر الملك - أي لاقى الملك بطلميوس - فأعطاه كليوباطرة ابنته، وأقام عرسها في بطلمايس على عادة الملوك باحتفال عظيم). وهذه ترجمة خاطئة للنص الأصلي في العبرية الذي يقول: (فلاقى ملك إسكندر في البترا، ملك بطليموس وأعطاه ابنته، وأقام عرسها في بني البطلم - بطلموس - على عادة الملوك باحتفال عظيم). والبترا هذه هي ما يدعى اليوم (البتراء) في محافظة الحديدة. والغريب أن مقاطعة إسكندر والبترا- البتراء، تقعان في عزلة جبلية واحدة تدعى الضامر، ضمن ما يعرف بمديرية ماجل في الحديدة، والماجل في السبئية تعني أحواض الماء، أي أنهما في المكان نفسه من مقاطعة إسكندر. ولمّا كنا شرحنا كيف أن مصر اليمن (معين مصرن) كانت تسيطر على الساحل اليمني في الحديدة، فسيكون مفهوماً لنا، لماذا يقول النصّ إن ملك بني بطلم (بطلميوس) هو ملك مصر. ولو كان إسكندر هذا هو ملك/ إمبراطور روماني يحكم مصر (ويدعى حسب المزاعم اللاهوتية أنه هو نفسه أنطيخوس حاكم مصر) فسيكون علينا في هذه الحالة، أن نعترف بأن التاريخ قُلبَ رأساً على عقب، وأصبح لمصر في هذا العصر ملكان، أحدهما إمبراطور روماني والآخر يدعى (ملك مصر)، وهو في الآن ذاته ملك اليونان ومصر، بل ويظهر كملك ضعيف أمام ملك منافس يدعى ديمتريوس، ثم كملك يخطب ودّ كهنة اليهود. هذا تاريخ سقيم لا يمكن تصديقه. أما الحقيقة، فهي ببساطة تقول ما يأتي:

إن ملك إسكندر في ساحل محافظة الحديدة، وهو من أصول سبئية ومُطالب بالعرش، قام بسلسلة خطوات تكتيكية لتعزيز نفوذه من خلال المصاهرة مع قيل/ ملك منافس هو ملك مقاطعة بني بطلم - بطلموس - فطلب مصاهرته، وهذا خرج مع ابنته إلى البترا المجاورة، وهناك أقام عرساً مهيباً، وكان ذلك يعني أنه خطب ودّ بني إسرائيل كهنة أورشليم وزعيمهم يوناتان، حين دعاه إلى حضور العرس. وهكذا، فقد سارت الأحداث في طريق آخر، فقد

تحرّك (المنافقون من بني إسرائيل) لإحباط هذا التطور في العلاقات. لكن إسكندر لم يرضخ لضغوطهم، وقام بتكريم الكاهن.

٦١: واجتمع عليه رجال مُفسدون من إسرائيل. رجال منافقون ووشوا به فلم يُصغ الملك إليهم.

٦٢: وأمر الملك أن ينزعوا ثياب يوناتان، ويلبسوه أرجواناً ففعلوا وأجلسه الملك بجانبه.

٦٣: وقال لعظمائه: أخرجوا معه إلى وسط المدينة، ونادوا أن لا يتعرّض له أحد في أمر من الأمور ولا يسوءه بشيء من المكروه.

٦٤: فلما رأى الذين وشوا به ما هو فيه من المجد، وكيف نودي له وأُلبس الأرجوان هربوا جميعهم.

٦٥: وأعزّه الملك وجعله من أصدقائه الخواص، وأقامه قائداً وشريكاً في المُلك.

٦٦: فعاد يوناتان إلى أورشليم سالما مسروراً.

٦٧: وفي السنة المئة والخامسة والستين، جاء ديمتريوس - من - ديمتريوس إلى أرض آبائه.

٦٨: فسمع بذلك ملك إسكندر فاغتم جداً، ورجع إلى أنطاكية.

٦٩: وفوّض ديمتريوس قيادة الجيش إلى أبلونيوس والى بقاع سورية، فحشد جيشاً عظيماً ونزل بيمنية، وراسل يوناتان الكاهن الأعظم قائلاً:

٧٠: إنه ليس لنا من مقاوم إلا أنت، وبسببك قد أصبحتُ عرضة للسخرية والتعيير، فعلام أنت تناهضنا في الجبال.

في هذا المقطع من النص (٦٩: وفوّض ديمتريوس قيادة الجيش إلى أبلونيوس والى بقاع سورية، فحشد جيشاً عظيماً ونزل بيمنية، وراسل يوناتان الكاهن الأعظم) نحصل على

رواية شعبية خيالية غير قابلة للتصديق. لا يمكن تصديق أي شئ ممّا ورد فيها، لا تاريخياً ولا جغرافياً، فكيف يفوِّض ملك روماني أمر قيادة الجيش إلى شخصين، أحدهما والي البقاع السورية وآخر ضابط يدعى أبلونيوس، ثم يدخل أحدهما يمنية- اليمانية؟ بينما يغتمّ الإسكندر الملك فيرحل إلى أنطاكيا؟ ها هنا جغرافيا غير قابلة للتصديق، فكيف يمكن جمع روما مع اليمن مع سورية مع أنطاكيا في معركة واحدة؟ دون أدنى شك، ثمة ترجمة غرائبية، خلطت الوقائع بشكل فظيع. لكننا، إذا ما أعدنا بناء هذا الجزء من النص بطريقة علمية، فسيكون علينا أن نقرأه في الصورة الآتية:

أولاً:

فوّض ملك مقاطعة ذو متراس (وليس ديمتريوس) أمر قيادة المعركة ضد خصومه إلى اثنين من أقوى حلفائه، أحدهما في مقاطعة نيوس، وهذه من مقاطعات تعز في مديرية ماوية ضمن عزلة حوامرة الجبلية، حيث توجد حتى اليوم قرية تدعى شعرة، فيها موضع قديم يعرف باسم النيوس (أبو النيوس – ملك، صاحب النيوس).

ثانياً:

إن ملك مقاطعة المسوري- وليس سورية بإسقاط الميم الحميرية – وهي مقاطعة مجاورة لمقاطعة نيوس، كان من حلفائه المخلصين. تقع نيوس في مديرية ماوية أيضاً على حدود محافظة لحج، وهي تعدّ تاريخياً أهم مواطن الحميريين الجنوبيين. وهاكم اسم والي سورية (ملك مخلاف السوري): محافظة تعز، مديرية المعافر، عزلة السواء، قرية الخيامي، محلة المسوري. ولذلك، سارع هذا لاحتلال يمنية[1]، وهذه مقاطعة قريبة من المعافر حيث وجدنا موضع السوري، وسنجدها هناك حتى اليوم في محافظة تعز، مديرية مقبنة، باسم (عزلة اليمن). أي إن أحد حلفائه سارع لاحتلال جزء من أرض اليهودية (مقبنة). وهذه كما أشرنا كانت مسرح ما يُدعى حروب المكبيين. أما أنطاكيا التي رحل إليها إسكندر، فهي ما يعرف بـ(نطاق- نطاكه) وهي اليوم قرية (النطاق) في محافظة تعز، مديرية حيفان، عزلة الأعروق، قرية نطق- نطكه (وهذا مكان آخر لا صلة بالموضع الذي يحمل الاسم نفسه في صنعاء

قرب البابلي). والنص يشير إلى أن كاهن أورشليم كان يقاوم من منطقة جبلية حصينة، وهو ما يؤكد لنا بنحو قاطع أن بيئة القصة الشعبية هي بيئة الجبال اليمنية. وهل يمكن تصديق أن ملك روما شعر بالضيق واغتمّ، فذهب إلى أنطاكية على الحدود السورية/ التركية عام ١٦٥ ق.م؟ هذا يعني أن روما احتلت سورية قبل ١٠٠ عام من التاريخ الحقيقي؟ وهذا أمر عجائبي، لأن التاريخ الرسمي يقول إن روما احتلت حلب عام ٦٣ ق.م؟ هذا يعني أن الرواية تدور في اليمن. وهكذا أيضاً دار الحوار بين القيل/ الملك أبولونيوس والكاهن الأعظم يوناتان:

٧١: فالآن، إنْ كنت واثقاً بجيوشك، فانزل إلينا في السهل فنتبارز هناك؛ فإن معي قوة (المصريين)،

٧٢: واعلمْ من أنا ومنْ الذين يؤازرونني؛ فإنه يقال إنكم لا تستطيعون الثبات أمامنا لأن آباءك قد انكسروا في أرضهم مرتين،

٧٣: فلست تُطيق الثبات أمام الفرسان، وجيشٌ بمثل كثرة جيشي وفي سهل لا حجر فيه ولا حصاة؛ فلن تجدوا ملجأ تهربون إليه.

هذا الحوار المشوّق لا يمكن أن يدور بين إمبراطور (ملك) روماني وكاهن يهودي، وبحيث يطلب منازلته في السهل (مقاطعة السهلة) متباهياً بأن (المصريين) يؤازرونه، متوعداً بهزيمته كما هزم آباءه مرتين من قبل. هذا الحوار في الواقع دار بين قيل يمني من أقيال تعز في (مقاطعة ماوية)، وهو ممن ارتدّوا عن اليهودية، ويدعى ملك (أبولونيوس/ أبو النيوس) والكاهن يوناتان، وذلك مغزى قوله إنه يحظى بدعم (المصريين) أي قبائل معين مصرن، وهذه قبائل معادية للسبئيين.

٧٤: فلما سمع يوناتان كلام أبولونيوس، اضطرب غيظاً، واختار عشرة آلاف رجل وخرج من أورشليم ولحق به سمعان أخوه لمظاهرته.

٧٥: ونزل تجاه يفو- يافا فأغلقوا في وجهه أبواب المدينة، لأن حرس أبولونيوس كان فيها فحاصرها.

الاستيلاء على يافا

ترسم التوراة اسم يافا بالعبرية في صورة (يفو: יפו). وهذا الرسم مماثل لرسم اسم موضع يمني شهير يدعى (ءيفو). ولكن اليمنيين ينطقونه اليوم في صورة (ءيفوع/ أيفوع) بزيادة حرف (ع). وهذا الحرف يستخدم في سائر اللهجات المحلية في الشمال والجنوب كحرف صوتي، فاليمني يقول في العامية (برع، أي برا – اخرج) وهو يعني أخرج خارجاً بإضافة حرف (ع) لكلمة (برا)، اذهبْ من هنا، ارحلْ، والأصل كما نرى هو: ءيفو. وهاكم اسم المكان الذي قصده يوناتان ثم سمعان، بعد أن خرجا من أورشليم: محافظة تعز، مديرية شرعب السلام، عزلة أيفوع (أيفوع أعلى). بهذا المعنى تصبح دلالة اسم يافا: الخارجة (السافرة أي التي تخرج وتسفر عن نفسها). لكن ثمة دلالة موازية للاسم نفسه، فهو يعني الجميلة التي تظهر للناس؛ ولذا يعني جذر كلمة (يفه [illegible]) العبري: السافرة/ الجميلة. وهذا يعني أن سمعان وشقيقه يوناتان غادرا ما يعرف بمديرية العُدين ودخلا شرعب السلام، وهما وحدتان إداريتان متجاورتان.

٧٦: فخاف الذين في المدينة وفتحوا له، فاستولى يوناتان على يافا.

٧٧: وسمع أبولونيوس فتقدم في ثلاثة آلاف فارس وجيش كثير.

٧٨: وسار نحو أشدود، كأنه عابر سبيل ثم عطف بغتة إلى السهل، إذْ كان معه كثير من الفرسان الذين يعتمد عليهم، فتعقبه يوناتان إلى أشدود والتحم القتال بين الفريقين.

عندما استولى يوناتان على يافا، أصبحت (يافا) العزلة الجبلية الحصينة في قبضته، وذلك ما أثار فزع خصمه أبو- النيوس (ابولونيوس)، فقد أصبحت (شرعب السلام وشرعب الرونة) كليّاً تحت سيطرة كهنة أورشليم بسقوط يافا/ إيفوع (مديرية شرعب السلام، عزلة إيفوع أعلى). ولمواجهة تداعيات هذا التطور سارع أبولونيوس إلى الاستيلاء على موضع ءسدود- السداد في مديرية جبل حبشي، عزلة البريهـــة، قرية عناقب، حيث يوجد موضع هناك يعرف حتى اليوم باسم محلة السداد.

٧٩: وكان أبولونيوس قد خلف ألف فارس وراءه في خفية.

٨٠: إلا أن يوناتان كان عالماً أن وراءه كميناً، ولم يلبثوا أن أحدقوا بجيشه يرمون الشعب بالسهام من الصباح إلى المساء.

٨١: أما الشعب فبقي في مواضعه كما أمر يوناتان حتى أعيت خيل أولئك.

٨٢: حينئذ برز سمعان بجيشه، واشتدّ القتال، لأن الخيل كانت قد وهنت فكسرهم فهربوا،

٨٣: وتبددت الخيل في السهل، وفروا إلى أشدود ودخلوا بيت داجون معبد صنمهم لينجوا بنفوسهم.

وهكذا، فقد هرب فرسان أبو- لونيوس من إسدود/ أشدود[٢] التي سقطت في يد يوناتان، واتجهت فلولهم نحو مكان جبلي حصين في منطقة جبل حبشي يدعى بيت دجون، وهو موضع عبادة الوثنيين في تعز. وهاكم اسم المكان: محافظة تعز، مديرية جبل حبشي، عزلة البريهة، قرية الموسطة، محلة شعب دجن (الوزن العبري: دجون).

٨٤ : فأحرق يوناتان إسدود والمدن التي حولها وسلب غنائمهم، وأحرق هيكل داجون والذين انهزموا إليه بالنار.

٨٥ : وكان الذين قتلوا بالسيف مع الذين قد أحرقوا ثمانية آلاف رجل.

٨٦ : ثم سار يوناتان من هناك ونزل تجاه أشقلون- أشكلون فخرج أهل المدينة للقائه بإجلال عظيم.

لنلاحظ مرة أخرى، أن يوناتان أحرق (هيكل/ بيت מבנה) آخر يدعى (מבנה דָּגוֹן هيكل دجون/ دجن) وهو بيت عبادة جماعة وثنية في تعز. ذلك يؤكد لنا أن مسألة تدمير الهيكل الثاني لليهود على يد ملك/ إمبراطور روماني هي قصة ملفقة، لأن سفر المكابيين وملحمة يوسفيوس، يتحدثان عن تدمير (هياكل) كثيرة على طرفي الصراع. وهذا العدد الهائل من (الهياكل/ بيوت العبادة) لا تعرفه فلسطين القديمة قط. بكلام آخر، يجب أن توضع مسألة

تدمير هيكل اليهود (هيكل الرب) في سياق هذه الحروب الأهلية المتواصلة، حيث حُطِّم عدد كبير من (الهياكل). كل جماعة منتصرة تهدم بيت عبادة الجماعة المهزومة. وهذا سلوك قبلي تقليدي. والسؤال المثير الذي يجب طرحه هنا: لماذا ركّز اللاهوتيون فقط على (هيكل أورشليم) وتناسوا (هياكل) الجماعات الأخرى التي دمرت وأحرقت؟ إنه أمر مماثل لما فعله أسلافهم خلال الحرب العالمية الثانية، حين احتكروا فاجعة (محرقة هتلر) وتناسوا جرائمه بقتل أكثر من ٤٠ مليون أوروبي وسوفياتي! إن قصة تدمير الهيكل، تلفيق استشراقي لا أساس له. لقد كان المتصارعون يحطم بعضهم (هياكل) بعض، وهذا أمر مفهوم في سياق صراع قبلي يتخذ في بعض صوره، شكل (صراع ديني) عنيف. إن النص العبري من التوراة لا يقول كلمة (هيكل) بل يقول كلمة ((מבנה/ مبنى، بناء، بيت). ولا يوجد، قط في النصّ العبري من التوراة، أي إشارة أو تلميح لكلمة (هيكل) بالمعنى الذي أشاعه اللاهوتيون، بل يقول إنه (بيت عبادة : مبنى ديني: מבנה). وهكذا، وبعد أن تمكن من قهر خصمه أبو – النيوس (أبولونيوس) عاد يوناتان إلى أورشليم، عبر مديرية شرعب الرونة مبتهجاً بالنصر، واجتاز عزلة الأسد ثم قرية الوعيرة فدخل ءشكلون وهي اليوم تدعى محلة الشكيلية.

٨٧: ورجع يوناتان بمن معه إلى أورشليم ومعهم غنائم كثيرة.

٨٨: ولما سمع ملك – مقاطعة – إسكندر بهذه الحوادث، أصبح يوناتان في عينية ممجداً.

٨٩: وبعث إليه بعروة من ذهب، كما كان يعطى لأصهار الملوك ووهب له عقرون وتخومها ملكاً.

وعقرن – العقر، هذه تقع في مديرية شرعب الرونة، عزلة الزراري، قرية جريس، محلة العاقر. إن التدقيق في محتوى هذا النص لا يشير إلى أن ملك مقاطعة ساحلية يهب مكاناً لخصمه (في عمق اليمن). الأدق أن (وافق) على اجتياح يوناتان لمقاطعة عقرون (العقر) وهي علي الطريق من شرعب إلى العُدين، بعد أن أدرك أنها ستسقط لا محالة في يده، وكان ذلك تعبيراً عن رغبة ملك مقاطعة إسكندر في استمالة كهنة أورشليم لتحالف جديد.

«مصر اليمن» تدخل الصراع

أثارت هذه التطورات مخاوف قبائل الجوف وأجزاء من صنعاء القديمة المتاخمة لمأرب، وبشكل أخص ملك مقاطعة (مصري). وهذا الموضع لا علاقة له بمملكة معين مصرن القديمة التي ظهرت في الجوف. ومردّ قلق هذه القبائل، أنها كانت تخشى من انفراد جماعة واحدة في فرض السيطرة على الساحل، وهو ما يفرض عليها التحرك بسرعة لملاقاة النتائج العسكرية. ولذا:

١: جمع ملك مصري جيوشاً كثيرة، كالرمل الذي على ساحل البحر، وسفناً عديدة وحاول الاستيلاء على مملكة إسكندر بالمكر وإلحاقها بمملكته.

٢: فقدم سورية متظاهراً بالسلم، ففتح له أهل المدن ولاقوه، إذ كان إسكندر الملك قد أمر بلقائه لأنه صهره.

بالطبع، ستبدو هذه الجغرافيا خيالية، فملك مصر الذي لا نعرف من هو- مع أن هذا العصر كما يُفترض هو العصر الروماني المتأخر ومركز الإمبراطورية كان في مصر- يسارع للصدام مع ملك مقاطعة إسكندر، ويعلن أنه سيضمّ مملكته إلى مملكة مصر، لكنه بدلاً من تنفيذ تهديداته، يختار مواجهته بعد أن يصل إلى سورية؟ وهكذا، تصنع القراءة اللاهوتية جغرافيا خيالية لا سبيل لفهمها، كما تصنع/ تلفق تاريخاً خياليّاً. إن ملك مصر المزعوم هذا، ملك مخلاف صغير يدعى (مصري، بيت مصري). ويمكننا أن نجد هذه المملكة الصغيرة في مديرية مناخة التابعة للعاصمة صنعاء، وهي في الآن ذاته مديرية متاخمة لساحل الحديدة، أي على مقربة تماماً من إسكندر. هاكم اسم مصر- مصري: صنعاء، مديرية مناخة، عزلة بني برّة، قرية المعين، محلة بيت المصري (ولنلاحظ أن بيت المصري تقع في قرية المعين، ولنتذكر أن اسم المملكة القديمة في منطقة الجوف كان يدعى معين مصرن). ماذا يعني ذلك؟ أنه يشير إلى جماعات سبئية كانت تعيش في الجوف في عصر مملكة معين مصرن، وأقاموا (مملكة صغيرة) في ضواحي صنعاء.

في هذا الوقت كانت مملكة معين – مصرن تختفي عن المسرح التاريخي، لكن بقايا الأسر

المصرية في صنعاء والساحل والجوف، لم تكفّ عن مواصلة الاشتباك مع القبائل السبئية والحميرية التي كانت هي الأخرى، تتشوّق لإعادة تأسيس ممالكها المنهارة. وفي خضمّ هذا الصراع، استعدّ ملك بيت مصري (المصري القريبة من ساحل الحديدة) للدخول في المعارك، لتوسيع مخلافه والتمدد حتى الساحل، وكنا قد قلنا إن مديرية مناخة التي يقيم فيها بيت المصري تطلّ على الحديدة.

٣: وكان بطلماوس عند دخوله المدن، يُبقي في كل مدينة حرساً من الجند.

٤: ولما وصل إلى إسدود (السدود)، أروه هيكل داجون المحترق. لكنه رأى بعينيه أن إسدود وضواحيها المهدّمة كانت قد احترقت هي الأخرى، والجثث تُركت في العراء بعد أن أحرقها يوناتان بقسوة، كذلك فقد كان من وضع الصخور على الطرق لعرقلة تقدم خصومه (أي إنهم كانوا قد أغلقوا عليه الطريق).

٥: وحدّثوا الملك بما فعل يوناتان بتجرمة (ما فعل بموضع قبائل تجرمة)[٣] فسكت الملك.

وتجرمة جرم هذه تدعى اليوم الأجروم – لاحظ التاء كيف أدّت دور أداة التعريف المنقرضة تجرم/ الأجرم – في محافظة تعز، مديرية الشمايتين، عزلة بني شيبة الغرب، قرية الأجروم. وكنا قد حددنا مقاطعة إسدود (السدود) في تعز. وقبائل جرم (تجرم/ التاء أداة تعريف يمنية قديمة/ الجرميون) من القبائل اليمنية الشهيرة في التاريخ العربي.

٦: ولاقى يوناتان الملك في يافا، بإجلال وسلّم بعضهما على بعض وباتا تلك الليلة فيها.

٧: ثم شيّع يوناتان الملك إلى النهر الذي يقال له الوترس ورجع إلى أورشليم.

في هذا الجزء من النصّ يتكشف لنا الجانب المخياليّ من الرواية الشعبية، ويتكشف الدور الذي أداه مترجم النّص العبري إلى اليونانية في تصوير الأحداث بطريقة خالية من أي منطق جغرافي؛ فها هو يوناتان يخرج في وداع ضيفه حتى وادي (نهر) الوترس، بينما هو في يافا، وكان يخوض صراعاً ضد مصر وروما؟ هاكم أولاً اسم وادي الوترس هذا في جغرافيا مديرية شرعب السلام: محافظة تعز، مديرية شرعب السلام، عزلة الشريف،

قرية عدن أتروس. وهذا النهر (الوادي) قريب من يفو- يافا (أيفوع) التي سقطت في قبضة يوناتان.

٨: فاستحوذ الملك بطلماوس على مدن الساحل إلى سلوق والسحول وكان مضمراً للإسكندر السوء.

وبالطبع، فلو سلمنا جدلاً أن (سلوق) هي سلوقيا الرومانية - البيزنطية، فسيكون علينا تبرير معنى الاسم (السحول)؟ فأين تقع هذه المدينة؟ هل هي في الساحل، وأي ساحل؟ وهل هناك ملك يدعى بطلماوس استولى على مدن مهمة في الساحل لقطع الطريق على خصمه؟ وهل هناك ملك روماني استولى على (سلوق) في هذا العصر؟ وأين؟ هل هناك أي سجل تاريخي يؤكد ذلك؟ كل ما في الأمر، أن مترجم النصّ العبري اختلق مدناً لا وجود لها، بسبب فهمه الخاطئ للنص ورسمه غير العلمي للأسماء. هاكم الأسماء في صيغها الحقيقية: تقع سلوق - سلوقية في تعز، ضمن مديرية خدير - وهي تدعى حتى اليوم خربة سلوق. ومنها انطلق للاستيلاء على السحول، وهي قرية عامرة في محافظة تعز، تقع ضمن مديرية الشمايتين وفي عزلة جبلية تدعى المقارمة، حيث نجد هناك حتى اليوم قرية تحمل اسم السحول (قرية السحولة). وهاتان مديريتان - اليوم - قرب بعضهما ضمن التقسيم الإداري الجديد.

٩: ثم أنفذ رسلاً إلى ديمتريوس الملك قائلاً: هُلمّ فنعقد عقداً بيني وبينك، وأهبُ لك ابنتي التي عند الإسكندر وتملك ملك أبيك.

١٠: فإنيّ قد ندمت على إعطائي ابنتي له لأنه رام قتلي.

١١: وتجنىّ عليّ طمعاً في ملكي.

١٢: ثم استرد ابنته وأعطاها لديمتريوس، وأصبح معادياً لإسكندر وتفجرت بينهما العداوة.

١٣: ثم إن بطلماوس دخل أنطاكية، ووضع على رأسه تاجين، تاج آسية وتاج مصر.

وبكل تأكيد، فوالد كليوباترا الرومانية، لم يرغمها على الطلاق من زوجها والزواج بشخص آخر. وتاريخ روما لا يعرف مثل هذه الواقعة الخياليّة، بل إن التقاليد الإمبراطورية الرومانية

لا تعرف واقعة من هذا النوع، وبحيث يرغم أب ابنته وهي (ملكة مصر) على الطلاق من زوجها/ الإمبراطور، ليهبها لملك آخر؟ هذا سلوك جماعات قبلية وليس سلوك ملوك. ومن المعيب بالفعل أن الاستشراقيين واللاهوتيين مرروا مثل هذه الأكاذيب علينا، وبعضنا يصدّق سخافة من هذا النوع.

في هذا المقطع من السفر، سنعلم أن ملك مقاطعة بطلم (الأبطال - بطلمس بالصيغة اليونانية بإضافة السين اللاحقة) اتخذ قراراً صعباً، بتطليق ابنته من ملك ذي متراس (ديمتريوس)، ليعيد تزويجها من ملك مقاطعة إسكندر، ليضمن تحالفاً جديداً معه. وبفضل هذا التحالف الجديد، تمكن من الاستيلاء على مقاطعة نطاق - نطاقة (نطاكة) في محافظة تعز، مديرية حيفان، عزلة الأعروق، قرية نطاق (نطاكة). وضمّ إلى أراضيه، أراضي منطقة أخرى تدعى أسية. وهكذا أيضاً أصبح بفضل هذا التقدم ملكاً على مكانين في أراضي ما يعرف اليوم بمحافظتي تعز وإب، وهما قرية (نطاق- نطاكة) وقرية أسية. وهذان الموضعان هما: نطاكة في مديرية حيفان (حيفا) بتعز، وقرية آسية في مديرية حزم العدين. وهاكم اسم الموضع الذي يرسم في صورة أسية، وفهم منه بعض كتاب التاريخ أن المقصود (قارة آسيا): عزلة الشعاور، قرية الطرف، محلة الأسية؟ وبالطبع، لا يعرف تاريخ مصر أن أحد ملوكها لبس تاج قارة آسيا ومصر في وقت واحد بعد أن طلق ابنته من الإسكندر. وهكذا في إطار الصراع بين ملوك القبائل والمقاطعات اليمنية، نشأت تحالفات وانهارت أخرى، ومن بين أهم هذه التحالفات، تلك التي نشأت في الساحل. كان الساحل اليمني في هذا الوقت من التاريخ نحو عام ٤٧ - ٥٠ في التاريخ الحميري (وهو كما قلنا تاريخ تصاعدي يماثل التقويم العبري؛ بل إن التقويم الحميري هو الأصل في التاريخ العبري التصاعدي)، يخضع لنفوذ زعيمين قويين من بقايا ملوك مملكة معين مصرن، وقد اعتبرا نفسيهما من سلالة ملوك مملكة معين مصرن القديمة التي تلاشت من مسرح التاريخ، ومن سلالة ملوك مملكة سبأ التي تفككت، وكان هدفهما من الصراع توسيع نطاق الأراضي التي يمكن انتزاعها من قبائل الشمال والجنوب. هذان الملكان القبليان هما ملك بطلم (بطلموس) الساحلية، وملك مقاطعة إسكندر الساحلية (محافظة الحديدة). وكانت بين الملكين القبليين علاقة مصاهرة، فقد تزوج ملك إسكندر ابنة قيل/ ملك بطلموس، لكن هذا التحالف سرعان ما انهار، فقام

قيل/ ملك بطلموس بتطليق ابنته، وفكّ صلاته الأسرية مع ملك إسكندر، ثم قام بتزويجها لملك مقاطعة متراس - ديمتريوس، ليتمكن من توسيع أراضيه في تعز. بيد أن هذا التحالف سرعان ما انهار، حين شعر ملك متراس - ديمتريوس (ذو - متريوس) بأن ملوك الساحل اليمني كانوا أكثر طمعاً، وأنهم سيتوجهون من تعز صوب إب. وهذا ما حدث، إذ استولى ملك بطلموس على قرية أخرى في محافظة إب تدعى قلقل (كلكل/ كلكيلية/ قليقية في الترجمة السائدة).

١٤: وكان ملك إسكندر إذ ذاك في قلقل/ كيليكية، لأن أهل تلك البلاد كانوا قد تمردوا.

يمكن شرح هذا المقطع من النصّ على النحو الآتي:

لمّا كان قيل/ ملك مقاطعة بطلماوس- البطلم، قد تمكن من السيطرة، بفضل تحالفه مع إسكندر ملك المقاطعة الساحلية في الحديدة على نطاق - نطاك (نطاكه)، فقد ضمن لنفسه السيطرة على أجزاء جديدة ممّا يعرف اليوم بمحافظتي تعز وإب. لكن هذا الوضع سرعان ما أدّى إلى انهيار التحالف، لأن حليفه إسكندر وصهره (زوج ابنته) وجد في إعلانه ملكاً على مناطق شاسعة من تعز وإب، تحدياً له، ووجد فيه باعثاً على اضطراب في منطقة حسّاسة هي منطقة كليكلة - قلقل، حيث حشد قواته هناك. ولذا حدث صدام آخر بين الحليفين - الصهرين الجديدين في موضع يُرسم اسمه في صورة قلقيلية. إن التاريخ الرسمي لروما لا يعرف صراع ملكين/ صهرين حول قلقيلية في فلسطين، بينما هما يقاتلان كهنة أورشليم. تقع كليكلة- قليقلة هذه في محافظة إب، مديرية العدين، عزلة السارة، قرية الإيوان، حيث توجد حتى اليوم محلة تدعى محلة القلقل - الكلكل. وبكل تأكيد يستحيل تخيّل أن الصراع بين الإسكندر وملك مصر دار في أنطاكية على الحدود مع سورية وتركيا وفي قلقيلية الفلسطينية في آن واحد؟

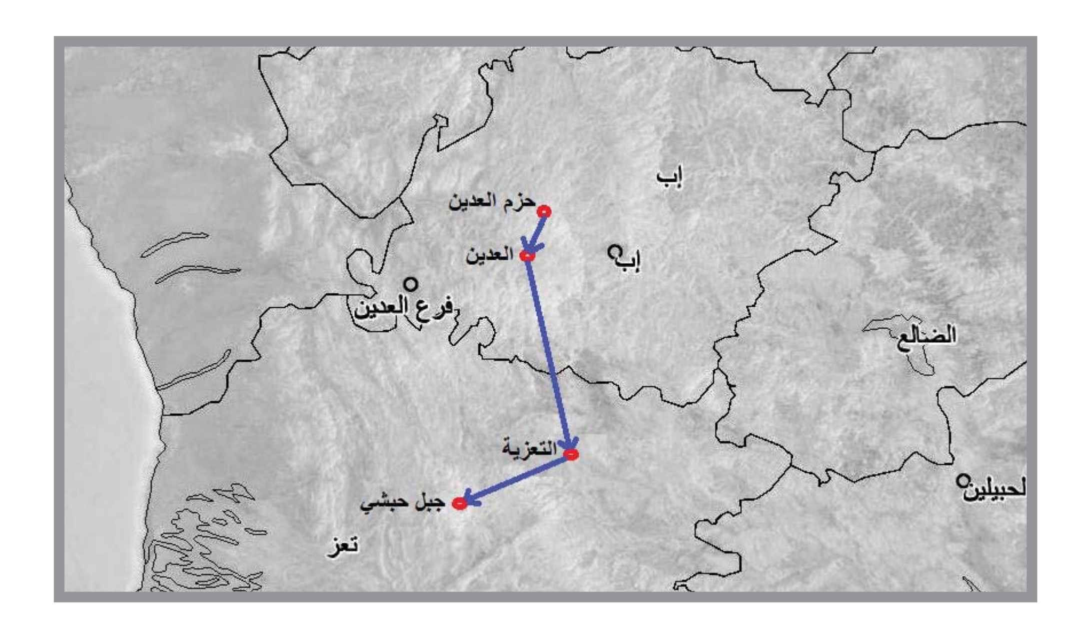
١٥: فلما سمع ملك إسكندر قدم لمقاتلته، فأخرج بطلماوس جيشه ولاقاه بعسكر شديد فكسره.

١٦: فهرب ملك إسكندر إلى ديار (عربة) مستجيراً بهم وعظم أمر بطلماوس الملك.

إن التاريخ الروماني – مرة أخرى – لا يعرف واقعة من هذا النوع، وبحيث إن ملك (إمبراطور روما) يهرب أمام ملك/ إمبراطور روماني آخر، ويستجير بقبائل مقاطعة (عربة). لكننا، إذا ما وضعنا هذا الحدث ضمن التاريخ اليمني، فسنعثر على الجغرافيا الحقيقية. كان (القيل/ الملك) أي ملك – مقاطعة بطلموس – البطلم، قد توغل في ما يعرف بقرية (قلقل) في مديرية العُدين، ثم أعلن سيطرته على قرية (أسية) في مديرية حزم العدين المجاورة، أي أنه توغل في عمق ما يعرف اليوم بمحافظة إب. وسمّى نفسه ملك (مصر وآسية). وحين حدث الصدام العنيف مع صهره السابق ملك إسكندر، وجد هذا نفسه مضطرّاً ليهرب من أرض المعركة مع فرسانه نحو وادي العربة، وهذه تقع في الطريق من إب إلى تعز، أي أنه عاد أدراجه. هاكم اسم المكان الذي فرّ إليه: محافظة تعز، مديرية التعزية، عزلة الجندية السفلى، قرية العربة (وكذلك في: مديرية التعزية، عزلة الجندية السفلى، قرية العربة، محلة العربة العليا، وأيضاً: مديرية التعزية، عزلة الجندية السفلى، قرية العربة، محلة العربة السفلي). لكن، فجأة حدث تطور خطير، فقد دخل المعركة، ملك آخر طامح يدعى ملك زبيد (زبدئيل-الزبيدي). كان إسكندر يعسكر بقواته في ما يعرف اليوم بمديرية التعزية، فزحف نحوه ملك زبيد (الزبيدي) واشتبك معه وتمكن من قتله:

١٧: فقطع زبديئيل العربي رأس إسكندر وبعث به إلى بطلماوس.

وملك زبد – ئيل هذا (أي ملك مخلاف الزبيدي) ينتسب إلى مقاطعة جبل حبشي في محافظة تعز، حيث يمكننا أن نجد في عزلة بلاد الوافي، وعلى وجه التحديد في قرية وهر، موضعاً يدعى (محلة شعب الزبيدي)[٤]. استغل ملك زبد ءيل (الزبيدي) لحظة اضطرار ملك إسكندر إلى الفرار من المعركة، والتوجه صوب طريق العربة التي تتبع مديرية التعزية المجاورة لجبل حبشي، فقام بمهاجمته ودحر قواته ثم قطع رأسه وأرسله لبطلموس. وبطبيعة الحال، فالتاريخ الروماني لا يعرف واقعة من هذا النوع، قتل فيها ملك أو ضابط روماني على يد ملك عربي يدعى (زبد إيل/ زبدئيل/ الزبيدي). لكن ملك بطلموس سرعان ما توفي فجأة في ميدان المعركة. في هذا الوقت صعد ملك متراس – ديمتريوس (ذي – متراس) ليعلن نفسه ملكاً في مقاطعات جديدة.



خريطة رقم ٩

معركة ديمتريوس وإسكندر مع ملك الزبيدي/ زبد إيل

١٨: وفي اليوم الثالث مات بطلماوس الملك، فأهلك رجال الجند الحراس الذين في الحصون.

٩: وملك ديمتريوس في السنة المئة والسابعة والستين.

٢٠: في تلك الأيام جمع يوناتان رجال اليهودية لفتح القلعة التي بأورشليم، ونصب عليها مجانيق كثيرة.

٢١: فانطلق قومٌ من مبغضي أمتهم من الرجال المنافقين إلى الملك، وأخبروه بأن يوناتان يحاصر القلعة.

٢٢: فلما سمع (ذلك)، استشاط غضباً وسار من ساعته قاصدا بطلمايس[٥]، وكتب إلى يوناتان أن يكفَّ عن محاصرة القلعة، وأن يبادر إلى ملاقاته في بطلمايس للمواجهة.

يحتاج هذا المقطع إلى سلسلة توضيحات لفهم مقاصده، وسأتولى ذلك على النحو الآتي:

١: كان ملك ذي متراس - ديمتريوس حسب الترجمة اليونانية للنص العبري - يراقب الأوضاع وتطورات حروب (ملوك الطوائف)، فلاحظ أن الكاهن المحارب يوناتان، يسعى لفرض سيطرة الكهنة اليهود من جديد على أورشليم وتطهيرها، وأنه لهذا الغرض حاصر منطقة القلعة. وهذا أمر أزعجه كثيراً، ولذا طلب منه برسالة عاجلة أن يكفّ عن تهوّره، وأن يواجهه في منطقة الأبطال (بطلمس) في ما يعرف اليوم بمديرية الشمايتين بتعز. (محافظة تعز، مديرية الشمايتين، عزلة القريشة، قرية الأبطال). وهذا مكان آخر لا صلة له باسم بني بطل (بطلم) في محافظة الحديدة المجاورة.

٢: ولنلاحظ أن النصّ يستخدم صيغتين من الاسم (بطلماوس)، فمرة يرسمه في صورة بطلمايس، ومرة أخرى في صورة بطلماوس. في الحالة الأولى، يقصد به اسم المقاطعة في الساحل، وفي الثانية يريد مكاناً بعينه ضمن محافظة تعز، خذوا هذه الجمل مثالاً: (١٨: وفي اليوم الثالث مات بطلماوس الملك، فأهلك رجال الجند الحراس الذين في الحصون)، ثم (٢٢: فلما سمع استشاط غضباً وسار من ساعته قاصداً بطلمايس، وكتب إلى يوناتان أن

يكفّ عن محاصرة القلعة وأن يبادر إلى ملاقاته في بطلمايس للمواجهة). وفي هذا النص كما يلاحظ، تكرر للاسم نفسه في صيغتين، مرة هو اسم ملك، وأخرى اسم مكان، مرة في صورة بطلمايس ومرة في صورة بطلماوس.

٣ : وسنلاحظ، كيف أن يوناتان تمكن بفضل شجاعته وتعقّله من الحصول على معاهدة سلام مع أقوى القبائل، وبما يضمن له استعادة مكانته بوصفه كبير كهنة أورشليم؛ فبعد مصرع منافسه وغريمه ملك مقاطعة إسكندر على يد ملك مخلاف زبد – ئيل أو الزبيدي، أصبح بإمكانه التفاهم مع ملك – ذي متراس – دمتريوس، وأن يوسّع حدود بلاد اليهودية، وبحيث تضم ثلاث مدن متنازع عليها.

٢٣: فلما بلغ ذلك يوناتان، أمر بأن يستمروا في فرض الحصار، واختار بعضاً من شيوخ إسرائيل والكهنة وخاطر بنفسه.

٢٤: وأخذ من الفضة والذهب والحُلل وسائر الهدايا شيئاً كثيراً، وانطلق إلى ملك بطلمايس فنال حظوة لديه.

٢٥: ووشى به قوم من الأمّة من أهل النفاق.

٢٦: إلا أن الملك عامله كما كان أسلافه يعاملونه، وعظّمه لدى أصحابه جميعاً.

٢٧: وأقرّه في الكهنوت الأعظم، وفي كل ما كان له من الاختصاصات وجعله في مقدمة أصحابه.

٢٨: وسأل يوناتان الملك، أن يعفي اليهودية والمدن الثلاث، وأرض السامرة من كل جزية، ووعده بثلاث مئة قنطار (ذهب؟).

٢٩: فارتضى الملك، وكتب ليوناتان كتباً في ذلك كله وهذه صورتها.

٣٠: من ديمتريوس الملك إلى يوناتان أخيه وأمة اليهود سلام،

٣١: نسخة الكتاب الذي كتبناه في حقكم إلى لسطانيس قريبنا، كتبنا بها إليكم لتقفوا على مضمونها.

توسيع حدود بلاد حمير (بلاد اليهودية)

تؤكد لنا هذه النصوص، أن من بين أكبر مفارقات التاريخ اليمني المتأخر (٦٠-٢٠ق.م- حسب التاريخ الحميري) أن حدود بلاد حمير (بلاد اليهودية) توسّعت بفضل عاملين مركزيين، أولهما ظهور ملك قوي هو إيلشرح يحضب الثاني، ثم أسرته (أشقاؤه الحكام/ الكهنة وبشكل أخصّ الكاهن سمعان)، وثانيهما نشوب (حروب ملوك الطوائف)، أي الأقيال/ الملوك الذين انهارت ممالكهم، ودخلوا في صراعات توسعيّة على الأرض، وهذا أمر شبيه بما شهدته أوروبا القرون الوسطى، حين دخل النبلاء في صراعات دامية بعضهم ضد بعض، فنجم عن ذلك توسّع في أراضي (الدوقيّات) وتقلص أخرى. وهكذا بفضل (حروب ملوك الطوائف) توسعت (دوقيّة إيلشرح يحضب وأشقائه الكهنة) في أرض حمير (بلاد اليهودية) في تعز وأطرافها من جهة محافظة إب، فقد حصلت في عام ٥٢ ق.م (التقويم الحميري) على مقاطعات جديدة كانت موضع خلاف مع سائر الملوك القبليين الذين شاركوا في هذه الحروب. وهذا كله أمكن تحقيقه، لأن كاهن أورشليم الأعظم يوناتان، ظل مصرّاً على اعتبارها جزءاً من أرض اليهودية القديمة. ولذلك رأى أن أهم ما يجب أن تنصّ عليه معاهدة الصلح مع ذي متراس - ديمتريوس، أن تُعاد المقاطعات اليهودية الثلاث إلى ملكية (أرض حمير) التاريخية. إن نصوص التوراة عن المقاطعات الثلاثة في جبل شمير/ السامرة التي ألحقت باليهودية، وكانت موضع نزاع دائم، لا يمكن أن تفهم إلا في إطار التاريخ السبئي/ الحميري، حين اعترف الأقيال/ الملوك المتمردون (المرتدّون عن اليهودية) بأن هذه المقاطعات جزء من حدود مملكة يهوذا (مملكة حمير).

وهكذا كتب ذي متراس (ديمتريوس) في نسخة معاهدة السلام:

٣٢: من ديمتريوس الملك إلى لسطانيس أبيه سلام

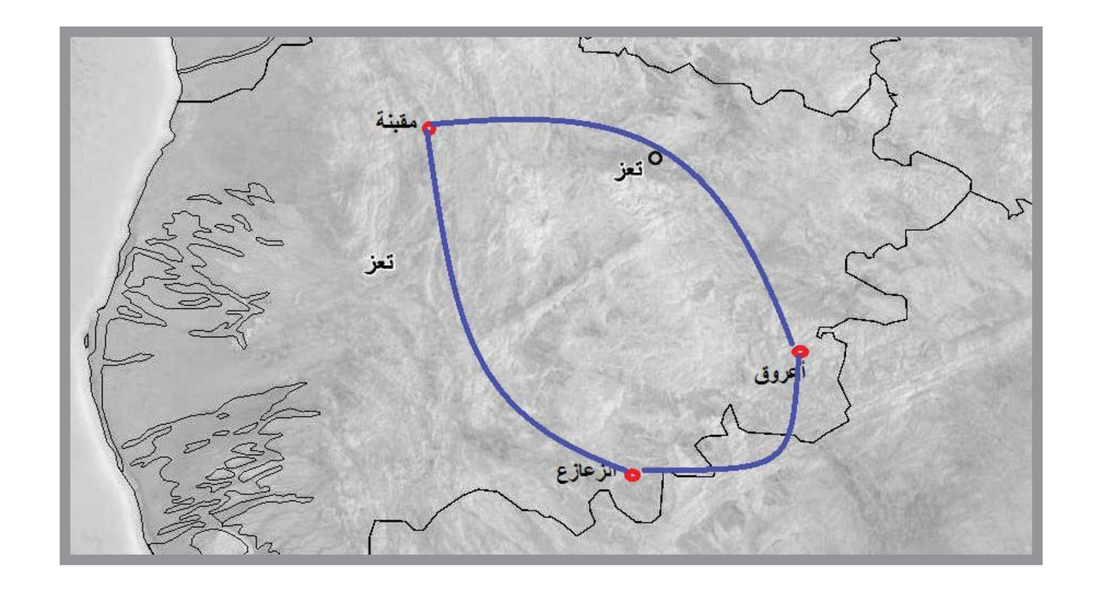
٣٣: لقد رأينا أن نحسن إلى أمّة اليهود، أولياءنا المحافظين على ما يحق لنا، وفاءً بما سبق من برّهم لنا.

٣٤: فجعلنا لهم تخوم اليهودية، والمدن الثلاث، وهي أفرمة ولدّة والرامتائيم التي ألحقت

باليهودية من أرض السامرة وجميع توابعها، فتكون لجميع الذين يذبحون في أورشليم بدل الضرائب الملكية التي كان الملك يستخرجها منهم، قبلاً في كل سنة من عطاء الأرض وثمر الأشجار.

من الواضح أن تعبير (من ديمتريوس الملك إلى لسطانيس أبيه سلام، الفقرة ٣٢) تؤكد أن المُخاطب كاهن كبير، وليس مجرد شخص يرتبط به برابطة قرابة، أي أن تعبير (أبيه) لا يعني والده، بل الأب الكاهن، وأنه مُلزم بإبلاغه نص المعاهدة مع اليهود، لكنه من جانب آخر، يؤكد لنا أن ذي متراس هو بكل تأكيد ليس ملكاً رومانياً، بل قيلاً من الأقيال، إذ مهما كانت مكانة الكاهن، فالملك الروماني في خاتمة المطاف هو من يقرر ولا يوجد سبب يلزمه بأخذ موافقة كاهن. وهذا برأيي سبب كافٍ لدحض خرافة وجود (ملوك رومان) كانوا يتصارعون في أورشليم. إن المدن الثلاث التي حصل عليها يوناتان بفضل معاهدة السلام هي: ءفرمه – ءفرم، ولدّة، ورماتئيم – الرامة. وهذه المدن، هي اليوم في المكان نفسه: محافظة تعز، مديرية حيفان، عزلة الأعروق، قرية مساهر، محلة الفره – فرم (بإلحاق الميم الحميرية آخر الاسم). وفي المديرية نفسها (حيفان) عزلة الأعبوس، سنجد قرية الرام. وفي مديرية الشمايتين المجاورة، وضمن عزلة الزعازع، قرية الأعمور، سنجد لدّة، وهي اليوم هناك في صورة: محلة اللود/ اللودة (لدّة– نعيد تأكيد قاعدة التأنيث والتذكير في أسماء المواضع).

هذا يعني أن حدود اليهودية عام ٥٢ ق.م، بلغت مديرية الشمايتين وأجزاءً من مديرية حيفان.



خريطة رقم ١٠

توسيع حدود مملكة اليهودية (بلاد حمير)

في عصر الكاهن يوناتان

(٥٢ التاريخ الحميري)

كذلك نصّت معاهدة الصلح على ما يأتي:

٣٥ : سائر ما يحق لنا من العشور والوضائع وتلال الملح والأكاليل.

٣٦: هذا كله قد أنعمنا عليهم به، تبرعاً ومن الآن لا يُلغى شيء من هذا الإنعام ما طال الزمان.

٣٧: فالآن اكتبوا نسخة من هذا الرسم، ولتسلّم إلى يوناتان ولتوضع في الجبل المقدس في موضع مشهود.

٣٨: ورأى ديمتريوس الملك، أن الأرض قد اطمأنت لديه لا ينازعه منازع، فسرّح جميع جيوشه كل واحد إلى موضعه، ما خلا الجنود الغرباء الذين جاء بهم من جزائر الأمم (القبائل). فأثار ذلك عليه سخط قادة جيوش آبائه كلهم.

٣٩: وكان تريفون من أحزاب الإسكندر[٦] قبلاً – أي مناصراً لإسكندر– فلما رأى أن الجيوش جميعها تتذمر على ديمتريوس، انطلق إلى إيملكوئيل العربي وكان يربي أنطيوكس بن إسكندر.

سأتوقف هنا – من جديد – لتوضيح المقاصد الحقيقية لهذا الجزء من السردية الشعبية:

بكل تأكيد، لا يعرف التاريخ الروماني – البيزنطي، أي ملك تربّى في كنف زعيم قبلي عربي يدعى إيملكوئيل (ملك وائل/ وئيل). وهذا تأكيد آخر أن سفر المكابيين، يروي قصص الحروب وأخبارها، التي انغمست بها مخاليف اليمن الممزق. كذلك فإن التاريخ الروماني لا يعرف ضابطاً كبيراً كان مناصراً للإسكندر في روما، ويعرف باسم تريفون – طريفون. وأي إسكندر هذا؟ إن روما لا تعرف شخصاً بهذا الاسم. الغريب أننا نجد شخصاً آخر يحمل اسم أنطيخوس، هو ابن صغير (ابن بكر) وقد أخذ ليتربى في بيت ملك روماني مزعوم يدعى إيمليكوئيل العربي. ومع ذلك، يمكن الافتراض أن فارساً من الفرسان يدعى تريفون – طريفون، كان موالياً لملك مقاطعة الإسكندر، ولكنه كان قائداً لفرسان ديمتراس (ديمتريوس) في الوقت نفسه. ولذا ثارت ثائرته حين شاهد فرسانه يتبعثرون في أماكن

بعيدة، وذلك ما حمله على أن يتجه لعقد تحالفات جديدة مع قبائل عربية، منها قبيلة يقودها ملك قوي وتدعى ملك وئيل/ ملك وائل.

إن صيغة الاسم إيمليكوئيل- ملك وئيل/ وائل، صيغة يمنية تقليدية نجدها في النقوش. فاليمنيون يرسمون، مثلاً، اسم ملك يكرب في صورة (ملكيكرب). ليس ملكوئيل هذا سوى ملك قبيلة بني وائل - بني وئيل، وهي من أقوى قبائل اليمن، ونحن نجد اسمهم حتى اليوم في عزلة جبلية شهيرة في محافظة إب، مديرية حزم العدين، وتدعى عزلة بني وائل. أما تريفون - طريفون، فليس سوى زعيم قبلي (قيل من الأقيال/ الملوك)، ونحن نجد اسمه حتى اليوم في قرية (الطرف: لا يوجد في اليونانية حرف الطاء ويستبدل به التاء أو الثاء) في المديرية نفسها: حزم العدين، عزلة الشعاور، قرية الطرف (الوزن العبري: طرف - طريفون).

وهناك صيغة أخرى من ظريفون- تريفون، نجدها في اسم موضع ضمن محافظة إب وفي مديرية السياني، داخل عزلة ذي شراق يدعى قرية الظرافة - ترافة (تريفون). وأيّاً يكن الأمر، فنحن أمام زعيم قبلي صغير في مقاطعة صغيرة، كان يعمل تحت إمرة ذي متراس (دمتريوس)، ولكنه كان مؤيداً لقيل/ ملك مقاطعة إسكندر. وبطبيعة الحال، لا يعرف تاريخ روما العسكري قائداً بهذا الاسم في هذا العصر، دخل في صراع مكشوف مع قائد روماني آخر يدعى ديمتريوس. إن أي إصرار من جانب القرّاء الهواة أو كتّاب التاريخ التقليدي (المستسلمون عادة للرواية الاستشراقية) على وجود هذين القائدين في تاريخ روما، هو نوع من عبث يستمد مبرراته من الخيال السقيم وحسب. في هذا النصّ يسرد علينا محرر السفر وقائع جديدة، فقد تفاقم النزاع بين ذي - متراس (ديمتروس) وطريفون، وبات هذا في وضعيّة الخصم العنيد الذي يتآمر علناً، حتى إنه سعى إلى خلع الملك واستبدال ابنه به، وكان يجد في الضغط على إمليكوئيل (ملك بني وائل) أفضل وسيلة لتحقيق هذا الهدف. بالطبع، لا أحد يعرف في التاريخ الروماني واقعة من هذا النوع، كان فيها ملك روماني يترك أحد أولاده ليتربى عند قبيلة عربية. المثير للدهشة أن هذه القصة استعارها المؤرخون المسلمون، ورووها على أنها تخصّ الملك المنذر بن ماء السماء عام ٥٥٤م في العراق، حيث زعموا أنه كان يربي بهرام جور بن الملك الفارسي يزدجرد[٧]، وأن الصبي الصغير كان عليلاً يتطببّ في الصحراء، وأن الصراع الذي نشب في البلاط الفارسي دفع الملك المنذر

للتدخل، وأنه نصّب بنفسه بهرام جور ملكاً على فارس. وإذا ما أخذنا هذه القصة الشعبية على محمل الجدّ، فسيكون علينا أن نسقط من التاريخ الرسمي للعرب قصة بهرام جور، لأن لا أصل لها، وجذورها تمتد عميقاً في تربة الروايات الشعبية اليمنية في عام ٥٠ ق.م. بيد أن ملك بني وائل (أمليكوئيل) لم يُبدِ ما يكفي من الحماسة، فقد كان الصبيّ الصغير في ضيافته. في هذا الوقت هبّ يوناتان لنجدة ذي - متراس (ديمتريوس) وأرسل إليه مساعدة عسكرية جنبته هزيمة منكرة. فضلاً عن كل هذا، لا يعرف تاريخ روما العسكري ملكاً يدعى ديمتريوس توسل لكهنة أورشليم أن يساعدوه في القتال ضد ضابط روماني آخر.

٤٠: فألحّ عليه أن يسلمه إليه لكي يملك مكان أبيه، وأخبره بما فعل ديمتريوس وبما له في الجيوش من العداوة ومكث هناك أياماً كثيرة.

٤١: وأرسل يوناتان إلى ديمتريوس الملك، أن يخرج الجنود الذين في القلعة من أورشليم والذين في الحصون لأنهم كانوا يحاربون إسرائيل.

٤٢: فأرسل ديمتريوس إلى يوناتان قائلاً: سأفعل ذلك، لك ولأمتك، بل سأعظّمك أنت وأمتك تعظيماً متى وافقتني فرصة.

٤٣: والآن فإنك تحسن الصنيع، إذا أرسلت إليّ رجالاً يكونون في نجدتي، فإني قد خذلتني جيوشي كلها.

٤٤: فوجه يوناتان ثلاثة آلاف رجل، أشداء البأس إلى أنطاكية (نطاكه) فوافوا الملك ففرح الملك بقدومهم.

٤٥: واجتمع أهل المدينة في وسط المدينة، وكانوا مئة وعشرين ألف رجل يحاولون قتل الملك.

٤٦: فهرب الملك إلى داره فاستولى أهل المدينة على طرق المدينة وشرعوا في القتال.

٤٧: فدعا الملك اليهود لنجدته، فاجتمعوا إليه كلهم ثم تفرّقوا بجملتهم في المدينة، فقتلوا في المدينة في ذلك اليوم مئة ألف رجل.

٤٨: وأحرقوا المدينة وأخذوا غنائم كثيرة في ذلك اليوم وخلصوا الملك.

٤٩: فلما رأى أهل المدينة أن اليهود قد استولوا على المدينة يفعلون ما شاؤوا، انخلعت قلوبهم وصرخوا إلى الملك متضرعين وقالوا:

٥٠: عاقدنا ليكفّ اليهود عن الإيقاع بنا وبالمدينة.

٥١: فألقوا السلاح وعقدوا المصالحة، فعظم أمر اليهود عند الملك وعند جميع أهل مملكته، ثم رجعوا إلى أورشليم بغنائم كثيرة.

٥٢: وجلس ديمتريوس الملك على عرش ملكه وهدأت الأرض أمامه.

٥٣: فأخلف في جميع ما وعد وتغير على يوناتان، وكافأه بخلاف ما صنع إليه من المعروف وضيق عليه جداً.

٥٤: وبعد ذلك رجع تريفون ومعه أنطيوكس، وهو غلام صغير، فملك أنطيوكس ولبس التاج.

٥٥: فاجتمعت إليه جميع الجيوش التي سرحها ديمتريوس، وقاتلوا ديمتريوس ففرّ منهم منهزماً.

٥٦: فاستولى تريفون على الفيلة ثم فتح أنطاكية.

ما يقوله هذا المقطع، يفضح مرة أخرى القراءة الزائفة التي رأت في سفر المكابيين صراعاً بين الرومان وكهنة أورشليم. إن التاريخ الرسمي لروما لا يعرف قط، واقعة طلب فيها الرومان من كهنة أورشليم مساعدة عاجلة، وبحيث يستدعي كاهن أورشليم قوات من أنطاكية. ومتى كانت أورشليم تتولى السيطرة على شمال سورية. هذا أمر خيالي (٤٤: فوجه يوناتان ثلاثة آلاف رجل، أشداء البأس إلى أنطاكية/ نطاكه) فوافوا الملك ففرح الملك بقدومهم). في هذه الحالة يصبح كهنة أورشليم والرومان حلفاء، فلماذا يهدّمون هيكلهم؟ حسب هذه الترجمة الرديئة، أصبح كهنة أورشليم (مخلّصين) للرومان، وهم من أنقذهم

من هزيمة محققة، حين استدعوا قواتهم من شمال سورية. وهذا أمر خيالي إلى النهاية. ها هنا ملك مقاطعة تدعى طريفون (الطرف) يستولي على مكانين، أحدهما يسمى (الفيلة) والآخر أنطاكية (نطاكة). وهذان موضعان في فضاء جغرافي واحد. تقع الفيلة في محافظة تعز، مديرية المعافر، عزلة السواء، قرية الملكة، محلة شعب الفيل. أمّا أنطاكية المزعومة فهي قرية نطق (نطكه) في محافظة تعز، مديرية حيفان، عزلة الأعروق، قرية نطق - نطكه. وفي التاريخ الروماني الرسمي يستحيل على المؤرخ أن يجد وقائع من هذا النوع العجائبي، حيث ملوك روما يتقاتلون، فيتدخل كهنة أورشليم وينقذون ملكاً رومانياً من الهزيمة. أي تصديق لهذا الهراء اللاهوتي/ الاستشراقي لا يعني أي شيء سوى الاستسلام لرواية زائفة. لا توجد في تاريخ روما مثل هذه الأحداث قط.

سأوضح أمراً آخر في غاية الأهمية: إن واقعة وجود طفل/ صبي ابن قيل/ ملك قبلي، يتربى في كنف قيل/ ملك قبلي آخر، لا يمكن أن تُفهم إلا من خلال فهم منظومة وقواعد الحكم التي أسسّها المكاربة واستيعابها، وظل السبئيون (وسائر القبائل الحليفة) ملتزمون إيّاها لوقت طويل، وهي تقوم على أساس أن الابن البكر (لكل قيل، أو ملك/ أي الابن البكر السبئي الذي يولد داخل طبقة العائلات الأرستقراطية، يوضع تلقائياً تحت إشراف قيل/ ملك (كاهن) آخر ورعايته، ليتعلم طرق الحكم وأصوله، وهو مثله مثل كل (الأبناء البكر) الآخرين في قبائل سبأ، يخضعون للقواعد والأنظمة ذاتها. وهذا ما يفسّر لنا سبب وجود الطفل/ الصبي أنطيخوس تحت رعاية قيل/ ملك آخر، سعى خصومه بكل الوسائل لاسترداده وتنصيبه بدلاً من والده. وكنتُ قد أشرت إلى نص سترابون حول هذه القواعد.

٥٧: وكتب أنطيوكس الصغير إلى يوناتان قائلاً: إني أقرّك في الكهنوت الأعظم، وأقيمك على المدن الأربع وأتخذك من أصدقاء الملك.

٥٨: وأرسل إليه آنية من الذهب لخدمته، وأباح له أن يشرب في الذهب، ويلبس الأرجوان بعروة الذهب.

٥٩: وأقام سمعان أخاه قائداً من عقبة صور إلى حدود مصر.

بموجب هذه المراسيم الملكية، أصبح سمعان حاكماً على قطاع يمتد من قرية الصور، وهي اليوم عزلة جبلية تدعى الأصيور في محافظة إب، مديرية حزم العدين، حتى حدود (مصر) التي يقصد بها حدود منطقة السحول التي كانت تدعى مصر اليمن. وبكل تأكيد، فمن غير المنطقي تخيّل طفل روماني يصبح إمبراطوراً يحكم إمبراطورية تمتدّ من صور لبنان حتى مصر! هذا حدث خيالي. هاكم الاسم: محافظة إب، مديرية حزم العدين، عزلة بني سليمان، قرية الصلبة، محلة أكمة شط السحول (وكانت تدعى مصر اليمن). وهما، أي الأصيور/ صور والسحول/ مصر، منطقة جغرافية واحدة. وبالطبع سيكون أمراً خيالياً صارخاً، لو أننا افترضنا أن سمعان كان يحكم بلاداً تمتد من صور اللبنانية حتى مصر؟

٦٠: وخرج يوناتان وطاف في (عبر) و(النهر) وفي المدن، فاجتمعت لإسناده جميع جيوش (سورية) وقدم أشقلون فلاقاه أهل المدينة باحتفال.

بحسب هذا الوصف الجغرافي، يكون يوناتان قد خرج وطاف في مناطق عدة، بدءاً من منطقة (عبر) ثم (نهر- نهار) حتى بلغ أشقلون - ءشكلون، حيث استقبلته القبائل بحفاوة، كما رحبت به جيوش قادمة من السوري - مسوري. وإذا ما سرنا خلف خطاه، فسنبدأ بالخروج معه من مديرية حزم العدين، عزلة بريس، حيث قرية (عبر)، ومنها سننتقل إلى محافظة تعز، مديرية شرعب الرونة، عزلة الأشراف، قرية نجد الحداد، حيث نجد محلة (النهاري - نهر). وهناك سندخل معه إلى أشقلون- ءشكلون في محافظة تعز، مديرية شرعب الرونة، عزلة الأسد، قرية الوعيرة، محلة الشكيلية. وهكذا يمكن ببساطة (عقلنة) الجغرافيا الجامحة التي اخترعها اللاهوتيون.

٦١: وانصرف - عاد - من هناك إلى غزة - عزة، فأغلق أهل غزة - عزة الأبواب في وجهه، فحاصرها وأحرق ضواحيها بالنار ونهبها.

ما يقوله هذا المقطع من النصّ، أن يوناتان استولى على عزة بعد أن طاف في حزم العدين وشرعب الرونة، وجمع الفرسان من حوله. ليست غزة هذه سوى بيت عزة في مديرية حزم العدين، عزلة الأحكوم، قرية العرم، محلة بيت العزي (هناك غزة أخرى وردت في نقوش الآشوريين وتقع في محافظة حجة، مديرية حجة، عزلة الغـزي).

على هذا النحو فقط، يمكن لجم جماح الرواية الخيالية التي اختلقها مترجم النصّ العبري من سفر المكابيين.

لغز دمشق

نقرأ في المقطع الآتي اسم دمشق الذي لطالما بدا لغزاً محيّراً:

٦٢: فسأل أهل (غزة – عزة) يوناتان أن يعطيهم الأمان، فعاقدهم وأخذ أبناء رؤسائهم رهائن، وأرسلهم إلى أورشليم ثم جال في البلاد إلى دمشق.

لأجل توضيحات ضرورية حول لغز دمشق في التوراة، يتعيّن عليّ أن أتوقف لتسجيل بعض الملاحظات. لطالما انصرف ذهن كل قارئ للتوراة- وهو يرى اسم دمشق- إلى أن المقصود العاصمة السورية (دمشق). وممّا فاقم من قوة هذا الانطباع الخاطئ، وجود رسم لاسم سورية بهذه الصورة، كما نرى ذلك في آيات كثيرة من سفر المكابيين. ولو أننا سلّمنا جدلاً، أن كهنة أورشليم تمكنوا من قهر الرومان ودخلوا غزة، وهذا ما لم يحدث في التاريخ، فكيف نفسّر سرعة دخولهم دمشق؟ وهل حقاً تمكّن كهنة أورشليم من الانتصار على الرومان، ثم استولوا على دمشق؟ هذا غير منطقي. وأين غزة من دمشق جغرافياً؟ إن المساحة الجغرافية الهائلة بين غزة على حدود مصر الصحراوية ودمشق، تجعل من المستحيل تقبّل هذه الواقعة اللاتاريخية؛ إذ لم يحدث قط في تاريخ دمشق أن احتلها كهنة أورشليم. بيد أن ما يزيد الالتباس التباساً، أن السفر يتحدث عن حامية رومانية مزعومة في سورية، وفي الآن ذاته يتحدث عن (عاصمة) في مكان آخر قرب أورشليم وغزة تدعى دمشق. وهذا مخالف لأي منطق. فهل عرفت سورية حامية رومانية سمحت لكاهن بعد أن هزم روما العظيمة بأن يتجوّل متبختراً. وهل يعرف التاريخ مدينة تُدعى دمشق قرب أورشليم وغزة في الآن ذاته؟ إن اسم دمشق الذي ورد في التوراة، وأثار الحيرة في عقول ملايين القرّاء ووجدانهم، لا يقصد به (دمشق العاصمة السورية) أبداً. والآن، دعونا نسير خلف سارد النصّ، ونقرأ مقاصده بطريقة عقلانية بعيدة عن (الهوس الديني). لقد تمكن يوناتان، وهو يدافع عن موقعه بوصفه كاهن أورشليم الأعظم، من دخول بيت العزي – عزة، وألقى القبض على عدد من أعدائه وأرسلهم أسرى

إلى أورشليم في العُديْن، ثم واصل طريقه ليتوغل في دمشق. أي إنه انتقل من حزم العدين إلى مكان قريب. هاكم اسم دمشق اللغز. لقد توغل يوناتان عميقاً في أرض محافظة إب، حتى وصل مديرية إب، ودخل عزلة بني محرم، ثم قرية سواد، ليستولي على أرض مملكة دمشق القديمة التوراتية، وهي تدعى حتى اليوم: الدمشقي (محلة مغربة الدمشقي). أي إنه انتقل من حزم العُدين إلى مديرية إب، وهما مديريتان متجاورتان. وبذلك يصبح أمراً منطقياً أنه نقل أسراه من مكان إلى مكان آخر قريب.



خريطة رقم ١١

دمشق التوراتية

خريطة حزم العدين–مديرية إب

٦٣: وسمع يوناتان أن قوّاد ديمتريوس قد بلغوا قادش والجليل في جيش كثيف، يريدون أن يعزلوه عن الولاية.

في هذا الوقت، اندفعت قوات (ذي متراس/ ديمتريوس) صوب العُديْن لتستولي على قدش- قدس، ثم الجليل - جلل. وهذان الموضعان هما في: محافظة إب، مديرية العُدين، عزلة قداس. وفي محافظة تعز، مديرية شرعب الرونة، عزلة بني زياد، قرية القلاع، محلة الجلالي/ جلل. ومديريتا العُدين وشرعب متجاورتان.

٦٤: فزحف لملاقاتهم وخلّف سمعان أخاه في البلاد.

وكنا قد أشرنا في الفقرات السابقة إلى أن يوناتان كان في دمشق، وهي مخلاف صغير كان موجوداً في ما يعرف اليوم بمديرية إب يدعى دمشق (الدمشقي). ولذا، توجه لملاقاة الخطر الجديد في قلب أورشليم التي أصبحت مهدّدة بالسقوط، فترك أخاه سمعان في المكان نفسه. وحتى اليوم، يمكننا أن نجد ذكرى هذه الواقعة بوجود اسم سمعان في هذه المديرية: محافظة إب، مديرية إب، عزلة شعب يافع، قرية ذى شيبة، محلة سمعان.

٦٥: فحاصر سمعان بيت صور/ الأصيور وحاربها أياماً كثيرة وأحاط بها.

وبينما كان سمعان يحاصر مقاطعة الأصيور- صور في حزم العدين، كان يوناتان يقاتل في العُديْن المجاورة. ثم وصل يوناتان إلى حصور- حضور، ونزل عند ماء جنازر (جنزر) ففوجئ بهجوم مضاد يستهدف قواته:

٦٦: فسألوه أن يعقد معهم هدنة، فأخرجهم من هناك وفتح المدينة وأقام فيها حرساً.

٦٧: وأما يوناتان وجيشه، فنزلوا على (ماء جنازر/ جنزر) وقبل الفجر زحفوا إلى (سهل حصور).

وهكذا، وبعد أن اجتاز (مياه جنازر/ جنزر) في محافظة إب، مديرية فرع العُديْن، وعبر عزلة الأهمول، ووصل قرية الغارب، دخل محلة الجزير (الجنزير- بإضافة النون الكلاعية). وهذا ما مكّنه من التوغل في العمق، فتوجه صوب حصور- حضور، وهي ما سيعرف

اليوم في محافظة إب بمديرية ذي السفال، عزلة حبير، قرية حدقات، باسم محلة الحضور.

٦٨: فإذا بجيش (الأجانب[٨]/ الغرباء) يلاقيهم في السهل، وقد انتظروهم في (كمين) وفي الجبل، بينما هم يتقدمون تجاههم.

٦٩: وثاروا من مواضعهم (الكمين) واشتبكوا في قتال عنيف.

لقد بلغت ترجمة النصّ العبري إلى اليونانية من السوء حدّاً لا يوصف، إذ توحي ترجمة هذا المقطع، أن يوناتان تعرض لكمين في الجبال، بينما المقصود أن المعركة نشبت في موضع يدعى الكمين. وهذا الموضع نجده في المكان المجاور لذي السفال الذي دخله يوناتان. هاكم الاسم: محافظة إب، مديرية السيّاني، عزلة الهادس، قرية عتاب، محلة (حول كمين). وهذا هو المكان المقصود (كين).

٧٠: ففرّ رجال يوناتان جميعاً، ولم يبقَ منهم أحد، إلا متتيه بن أبشالوم، ويهوذا بن حلفي قائدا الجيوش.

ويهوذا هذا، فارس ينتمي إلى موضع معروف، يدعى (حلف) في محافظة إب، مديرية القفر، عزلة بني مسلم، قرية السوفعي، محلة (ذي حلف). أما متنيا بن أبشالم – أبسالم، فهو ينتمي إلى بني سالم/ شالم، وهذا اسم لمكان بالاسم نفسه في محافظة إب، مديرية القفر، عزلة بني مسلم. لاحظ هنا أن اسم الفارس في النص المترجم هو ابن أبشالم، أي من مكان يدعى شالم/ سالم). هذا يؤكد لنا أن كلمة – بن هنا لا تعني ابن، بل – من – وهذه تقاليد كتابية عند السبئيين الذين يكتبون (بن) بمعنى (من) مثل يهوذا بن حلفي/ يهوذا من حلفي/ حلف.

٧١: فمزّق يوناتان ثيابه وحثا التراب على رأسه وصلى.

٧٢: ثم عاد إليهم يقاتلهم فانهزموا وهربوا.

٧٣: ولما رأى أن الذين هربوا من رجاله رجعوا، تعّقبوا العدو معه إلى (قدش) حيث معسكرهم ونزلوا هناك.



خريطة رقم ١٢

معارك في شرعب

٧٤: فسقط من الأجانب في ذلك اليوم ثلاثة آلاف رجل. ورجع يوناتان إلى أورشليم.

هذا يعني أن الفرسان أعادوا تجميع فلولهم خلف كاهن أورشليم، وشنّوا هجوماً بطولياً تمكنوا خلاله من تعقب العدو حتى العُدين: محافظة إب، مديرية العدين، عزلة قداس. وهذه حدود دمشق التوراة، وهي مقاطعة لا علاقة لها بمقاطعة (السوري - سورية المزعومة).

مصرع الكاهن يوناتان

يروي هذا الجزء من السفر القصة المأسويّة لمصرع كاهن أورشليم الأعظم يوناتان. كانت معاركه البطولية في سبيل تحرير أورشليم من رجس المرتدّين عن اليهودية ومن الوثنيين أيضاً، والتخلص من (الكفار والمنافقين بالمصطلح القرآني) قد خلبت لبّ سارد السفر، فخلط في سرده بين الأسطوري والتاريخي وجاءت سيرته الشعبية - التي يبدو أنها كتبت لأغراض التعلّم الدينيّ للتاريخ اليهودي في اليمن - لتفرض منطقها المثيولوجي في النهاية. لذلك، ولأجل إعادة بناء القصة الشعبية، سنعيد النظر في الكثير من الصياغات العشوائية، والأسماء المرسومة بطريقة مخالفة لأي منطق.

١: ورأى يوناتان أن لديه فرصة ملائمة، فاختار رجالاً وسيّرهم إلى (رومية)، ليقرّوا الموالاة بينهم ويجدّدوها. وأرسل معهم إلى إسبرطة- إسبرته، وأماكن أخرى كتباً في هذا المعنى.

في هذا المقطع، لا ينبغي أبداً، تصديق الخداع في رسم الأسماء، لأن الجغرافيا لا يمكنها أن تجمع إسبارطة اليونانية بروما؟ وأين عصر روما من عصر إسبارطه؟ كذلك لا ينبغي أن تنصرف الأذهان إلى رومية بمعنى روما. ومع الاعتراف بأنها صيغة مخادعة قد يفهم منها أن المقصود روما؛ فإن التاريخ لا يعرف هذا الجمع غير العقلاني بين روما وإسبارطة، فهو يشبه القول: إن شخصاً ما زار أثينا القديمة (في عصر الإسكندر المقدوني) ثم اتجه صوب موسكو! لقد تلاشت إسبارطة الأسطورية من التاريخ المثيولوجي كليّاً، حين ظهرت روما، فكيف يمكن كاهناً يهودياً في فلسطين، أن يرسل مندوبين عنه إلى روما وإسبارطة؟ هذا شيء خيالي، كما لو أن مؤرخاً في التاريخ الأوروبي يقول: إن البابا بولس الخامس أرسل مندوبين عنه للقاء الملك الآشوري نبوخذ نصر! إن المسرح الحقيقي للمعارك ينحصر في

بقعة صغيرة من أرض حمير (بلاد اليهودية) في اليمن، وهي تمتد من العُديْن حتى وادي السيّاني وأطراف تعز المتاخمة لمحافظة إب. تقع رومية هذه، كما أشرنا من قبل في محافظة إب، مديرية حبيش، عزلة ربع ظلمة، حي ظلمة، حيث توجد حتى اليوم هناك محلة – موضع يدعى: محلة الرومية. أمّا إسبرطة، فليست سوى رسم خاطئ للاسم إسبرتة – السبرتة. والتاء في الاسم لاصقة مألوفة في النقوش اليمنية: هاكم اسمها: محافظة إب، مديرية السبرة (ءسبرتة). وبالطبع، لا يعقل أن يُرسل كاهن يهودي الرسائل إلى روما وإسبرطة، وهما في عصرين مختلفين وجغرافيتين مختلفتين؛ بينما يمكن تخيّل كاهن يهودي يمني يرسل مبعوثين إلى ما يعرف اليوم بمديرية حبيش ومديرية السبرته/ السبرة.

٣: فانطلقوا إلى رومية ودخلوا الشورى، وقالوا إنّا مرسلون من قبل يوناتان الكاهن الأعظم وأمّة اليهود، لنجدّد ما بينكم وبينهم من الموالاة والمناصرة كما كان من قبل.

٤: فأعطوهم كتباً للعمال في الأقاليم حتى يبلغوهم أرض يهوذا بسلام.

٥: وهذه نسخة الكتب التي كتبها يوناتان إلى أهل إسبرتة – إسبرطة:

٦: من يوناتان الكاهن الأعظم وشيوخ الأمة، ومن الكهنة وسائر شعب اليهود إلى أهل إسبرطة– ءسبرتة، أخوتهم سلام

٧: إن آريوس الملك فيكم، كان قديماً قد أنفذ كتباً إلى أونيا الكاهن الأعظم، يشهد أنكم أخوتنا على ما هو في نسختها.

في هذا الكتاب الذي يخاطب فيه كاهن أورشليم الأعظم في العُدين، سكان مقاطعة السبرة– ءسبرتة في محافظة إب، يرد اسم ملك موضع يدعى آريوس – أروس. ولأن التاريخ الروماني– اليوناني لا يعرف اسم هذا الملك في هذا العصر، فضلاً عن أن من غير المعقول تاريخياً اعتباره هو ذاته (أريوس الكاهن اليوناني لأن هذا عاش في عصر متأخر نحو ٣٤٠ م)، فمن المنطقي أن تنصرف أذهاننا إلى الرسم الخاطئ للاسم، فهو الروس. هاكم الاسم: محافظة إب، مديرية إب، عزلة الروس(ءروس)[٩]. لقد كانت مقاطعة السبرة (إسبرتة/ إسبرطة) تابعة ذات يوم لحكم قيل/ ملك مقاطعة الروس. وهناك اليوم،

مديرية تحمل الاسم نفسه (الروس) في ضواحي صنعاء حيث أقام السبئيون حكمهم.

٨: فتلقى أونيا الرسول بإكرام، وأخذ الكتب المصرح فيها بالمناصرة والموالاة.

٩: فنحن، وإنْ لم تكن بنا حاجة إلى ذلك، بما لنا من التعزيّة في الأسفار المقدّسة التي في أيدينا،

١٠: قد آثرنا مراسلتكم لنجدّد الإخاء والموالاة، لئلا نُعَدّ من الأجانب عندكم، إذْ قد مضى على مكاتبتكم لنا زمان مديد.

١١: وإنّا في كل حين في الأعياد وسائر الأيام المفروضة، لا نزال نذكركم في الذبائح التي نقدمها وفي الصلوات كما ينبغي ويليق أن يذكر الأخوة.

١٢: ويسرنا ما أنتم عليه من العزّ.

١٣: أما نحن، فقد أحاطت بنا مصائب كثيرة، وحروب عديدة، وقاتلنا الملوك الذين من حولنا.

١٤:لكننا كرهنا أن نثقل عليكم وعلى سائر مناصرينا وأوليائنا في تلك الحروب.

١٥: فإن لنا من السماء مدداً يمدنا وقد تخلصنا من أعدائنا وأذللناهم.

١٦: والآن فقد اخترنا نومانيوس بن أنطيوكس، و(أنتي/ أنطي بن ياسون) وأرسلناهما إلى الرومانيين لنجدد ما كان بيننا قبلاً من الموالاة والمناصرة.

من المهم للغاية ملاحظة أن صيغة الاسم نومانيوس توحي بالفعل بأنها صيغة رومانية- يونانية، لكن لا وجود لهذا الاسم في السجلات التاريخية الرومانية. ومع ذلك نجد في جغرافية اليمن، وحيث دارت الأحداث في بقعة صغيرة، صيغة شبيهة من الاسم هي المانيوس. هاكم الاسم: محافظة إب، مديرية حزم العدين، عزلة الأجعوم، قرية خبات، محلة المانيوس (النون في نومانيوس هي النون التي تستخدم كأداة تعريف ألف ولام: المانيوس)[١٠]. وهذا يعني أن المقصود من الجملة (قيل/ ملك) مقاطعة نومانيوس/ المانيوس في مديرية حزم

العُدين، أما الاسم ياسون فهو البناء العبري من الاسم (إلياس/ ياسون في البناء العبري أو ياسين في البناء العربي). هاكم الاسم: محافظة إب، مديرية القفر، عزلة بني جماعة، قرية الحشاشي، محلة جربة الياس. ونضيف مرة أخرى، أن صيغة (بن) تعني (من) موضع (ياس - ياسون). ولنلاحظ أن صيغة الاسم أنتي/ أنطي بن ياسون، تعني: أعطى/ عطية، بينما نجد صيغة الاسم باتير- يتير في اسم الموضع الذي لا يزال قائماً حتى اليوم في محافظة إب، مديرية فرع العدين، عزلة بني أحمد والثلث، وفي قرية وادي بوك، في صورة اسم: محلة شعب بتير. كل هذا يعني أن الكاهن الأعظم لأورشليم سعى للتهدئة مع وكلاء الرومان في الجنوب. في هذا الوقت كان إيغالوس يُجلي آخر حامياته الرومانية من هناك. وكنا قد رأينا من رواية سترابون كيف أن قواته ضاعت بين الجبال، ومات جنوده من الجوع والعطش في مأرب.

٧: وأمرناهما بأن يقدما إليكم ويقرئاكم السلام، ويسلما إليكم الكتب من قبلنا في تجديد إخائنا.

١٨: ولكم جميل الصنع إنْ أجبتمونا إلى ذلك.

١٩: وهذه نسخة الكتب التي أرسلها إلى أونيا،

٢٠: من أريوس ملك الإسبرتيين إلى أونيا الكاهن الأعظم سلام،

٢١: وبعد فقد وجد في بعض الكتب، أن الإسبرتيين واليهود أخوة من نسل إبراهيم،

٢٢: وإذْ قد علمنا ذلك، فلكم جميل الصنع أن راسلتمونا في ما أنتم عليه من السلام.

٢٣: والآن فإن جوابنا إليكم أن مواشيكم وأملاككم هي لنا، وأن ما لنا هو لكم هذا ما أوصينا بأن تبلغوه.

٢٤: وبلغ يوناتان أن قوّاد ديمتريوس قد عادوا لمحاربته بجيش يزيد على جيشه الأول.

٢٥: فخرج من أورشليم ووافاهم في أرض حمّة ولم يمهلهم أن يطأوا أرضه.

هذا الوصف الجغرافي دقيق للغاية، إذ توجد حمّة في محافظة إب، وتدعى الحيمة وهي في مديرية العدين، عزلة قصل، قرية القبقاب، وتدعى محلة الحيمة. لقد قرّر يوناتان مواجهة قيل/ ملك ذي متراس/ دمتريوس، بعد أن ضمن تحالف مقاطعة إسبرتة (السبرة) وأبرم معهم معاهدة صلح قبلي/ ديني، بوصفهما جماعتين تنتميان إلى شبكة القرابات الدينية القديمة.

٢٦: ثم أرسل جواسيس إلى محلتهم فرجعوا وأخبروه أنهم مزمعون أن يهجموا عليهم في الليل.

٢٧: فلما غربت الشمس، أمر يوناتان الذين معه بأن يسهروا تحت السلاح الليل كله، استعداداً للقتال وفرّق الحرس حول المحلة.

٢٨: وسمع العدو بأن يوناتان والذين معه متأهبون للقتال، فداخل قلوبهم الرعب والرعدة فأضرموا النيران في محلتهم وهربوا.

٢٩: إلا أن يوناتان والذين معه لم يعلموا بما كان، إلا عند الصبح لأنهم كانوا يرون ضوء النيران.

٣٠: فتعقبهم يوناتان فلم يدركهم لأنهم كانوا قد قطعوا نهر الوترس.

وكنا قد أشرنا إلى أن نهر الوترس – أتروس يقع في محافظة تعز، مديرية شرعب السلام، عزلة الشريف، قرية عدن أتروس. لقد تعقّبهم يوناتان حتى مديرية شرعب السلام، حين علم أنهم اجتازوا وادي عدن أتروس/ الوترس.

٣١: فارتد يوناتان إلى العرب المسمّين بالزبديين وضربهم وسلب غنائمهم.

هذا يعني أن يوناتان هاجم قبائل زبيد، وهم من بدو اليمن في المكان نفسه: محافظة تعز، مديرية شرعب الرونة، عزلة الأسد، قرية الوعيرة، محلة شعب الزبيدي.

٣٢: ثم ارتحل وأتى دمشق وجال في البلاد كلها.

وبالطبع، يستحيل على المرء، إذا ما تقبّل القراءة اللاهوتية/ الاستشراقية، القائلة إن الأحداث جرت في فلسطين، تصديق مثل هذه الرواية الخيالية، فيعتقد أن كاهن أورشليم خلال مطاردته لملك روماني يدعى ديمتريوس، قهر بدو زبيد (الزبديين) ثم دخل دمشق. في الواقع، ليست دمشق هذه كما قلنا سابقاً، سوى دمشق في محافظة إب، مديرية إب (عزلة بني محرم، قرية سواد، محلة مغربة الدمشقي). أي إن يوناتان طارد فلول القيل/ الملك من شرعب السلام حتى مديرية إب في محافظة إب (عزلة دمشق).

٣٣: وأما سمعان فخرج وبلغ إلى أشقلون والحصون التي بالقرب منها، ثم ارتدّ إلى يافا واستحوذ عليها.

٣٤: لأنه سمع أنهم يريدون أن يسلموا الحصن إلى أحزاب ديمتريوس، وأقام هناك حرساً يحافظون على المدينة.

٣٥: ثم رجع يوناتان وجمع شيوخ الشعب، وطلب منهم عوناً لبناء الحصون.

ينتهي هذا الإصحاح ببناء يوناتان أسوار جديدة لأورشليم، ستفصل القلعة عن المدينة الدينية القديمة (وهذا ما سنقوم بتحليله والكشف عن أسماء الأسوار في كتابنا القادم ضمن المجلد الثاني: «اكتشاف أورشليم» وكنا قد حددنا في السابق مكان أشقلون السقل – الشقل). كذلك يتناول الإصحاح قصة مصرع الكاهن يوناتان بعد معركة بطولية. كان يوناتان يحثّ الخطى لتحصين أورشليم، بينما كان سمعان يبني مدينة جديدة سمّاها (حديد) وحصّنها بالأبواب والمزاليج. يقول المقطع ٣٨ من الإصحاح ١٢: «وابتنى سمعان – مدينة – حديد في السهل وحصّنها بالأبواب والمزاليج». وهاكم اسم المدينة التي بناها سمعان: محافظة إب، مديرية حزم العدين، عزلة حقين، قرية حديد.

في هذه الأثناء كان قيل/ ملك تريفون – طريفون، يسعى إلى فرض وصايته على الملك الصغير أنطيخوس (الابن)، ليتمكن من الاستيلاء على عرش مقاطعة الأسية – أسية (المقطع ٣٩: وحاول تريفون أن يملك على آسية، ويلبس التاج ويلقي يده على أنطيوكس الملك). وهاكم اسمي المكانين (طرف وأسية) مرة أخرى، وفقط لأغراض توضيح الجغرافيا التي

تدور فيها الأحداث، ولاحظوا أن ملك تريفون – طريفون أراد الاستيلاء على الأسية، لأنه قيل/ ملك مقاطعة مجاورة تدعى الطرف، وهما تشكلان بالفعل مقاطعة واحدة: محافظة إب، مديرية حزم العدين، عزلة الشعاور، قرية الطرف، محلة الأسية. وها هنا طرف والأسية. بيد أنه كان قلقاً من موقف يوناتان حيال هذا التوسع، ذلك أن توسعه بالنسبة إلى كهنة أورشليم، وخصوصاً باتجاه ما يعرف اليوم بحزم العُدين، يعني أنه أصبح قريباً جداً من أورشليم، وأن الاستيلاء على موضع الأسية يجعل من ملك طريفون، قطباً قوياً من أقطاب الصراع. ولذلك، عدّل من خطته واتجه صوب بيت شان – سان (المقطع ٤٠: لكنه خشي من يوناتان أن يمنعه ويحاربه، فطلب سبيلاً لأن يقبض على يوناتان ويهلكه فسار وأتى إلى بيت شان). وهذا الموضع لا يزال بذات الصيغة، وفي ذات المكان حتى اليوم. هاكم الاسم: محافظة إب، مديرية ذي السفال، عزلة بني عبد الله، قرية الطيني، محلة شانة (ونعيد التذكير بالقاعدة: قلب المذكر إلى مؤنث والعكس). ولذا خرج يوناتان لملاقاته في معركة شرسة، كان المشاركون فيها نحو أربعين ألف رجل (وهذا رقم مثيولوجي مألوف في السير الشعبية). وهكذا وقعت معركة بيت شان – شانة (المقطع ٤١: فخرج يوناتان لملاقاته في أربعين ألف رجل منتخبين للقتال وأتى إلى بيت شان). ويبدو أن ملك مقاطعة طريفون (تريفون) عدل في اللحظة الأخيرة عن خوض المغامرة واختار الدبلوماسية بدلاً من المجابهة العسكرية.

٤٢: فلما رأى – ملك – تريفون أن يوناتان قد أقبل في جيش كثيف، لم يجسر أن يمدّ يده إليه.

٤٣: فتلقاه بإكرام وأوصى به جميع أصحابه وأهدى إليه هدايا، وأمر جيوشه بأن يطيعوه طاعتهم لنفسه.

٤٤: وقال ليوناتان، لِمَ ثقلت على هؤلاء الشعب كلهم وليس بيننا حرب؟

٤٥: أطلقهمْ إلى بيوتهم وانتخب لك نفراً قليلاً يكونون معك، وهلُمّ معي إلى بطلمايس فأسلمها إليك، هي وسائر الحصون، ومن بقي من الجيوش وجميع المقلدين على الأمور، ثم انصرف راجعاً فإني لهذا جئت.

٤٦: فصدّقه وفعل كما قال، وأطلق الجيوش فانصرفوا إلى (أرض يهوذا).

سأقوم هنا بتوضيح ضروري للقرّاء:

إن صيغة الاسم (أرض يهوذا) تختلف جذرياً من المنظور اللغوي والجغرافي عن صيغة الاسم المألوف (أرض اليهودية). إن المقصود في هذه الجملة، أن يوناتان كاهن أورشليم، أمر فرسانه بالانسحاب صوب مكان يدعى يهوذا - يهوذه. وهذا الموضع قريب من أرض المعركة. هاكم اسم المكان: محافظة تعز، مديرية صبر الموادم، عزلة النجادة، قرية ينان، محلة هود - هوذه (ولنتذكر قاعدة التأنيث والتذكير). وكنا قد أشرنا إلى أن مقاطعة بطلمايس التي طلب طريفون من يوناتان أن يتسلمها لقاء الصلح، هي بطلم/ بطلمس في تعز ضمن ما يعرف اليوم بمديرية الشمايتين.

٤٧ : واستبقى لنفسه ثلاثة آلاف رجل، ترك ألفين منهم في الجليل وصحبه ألف رجل.

٤٨ : فلما دخل يوناتان بطلمايس، أغلق أهل بطلمايس الأبواب وقبضوا عليه، وقتلوا جميع الذين دخلوا معه بالسيف.

٤٩ : وأرسل تريفون جيشاً وفرساناً إلى الجليل - الجلل، والبرية الواسعة، لإهلاك جميع رجال يوناتان.

وهكذا، تعرض الكاهن المحارب يوناتان لخدعة قاتلة، حين ظن أنّ خصمه ملك تريفون - طريفون سيعطيه موضع بطلمايس (قرية الأبطال - بطلم) التي استولى عليها. وبلغ الخداع ذروته حين أقنعه بأن لا حاجة له بكل هذا الجيش، ولذا أمر يوناتان فرسانه بالتراجع صوب أرض هود - هوذه في تعز، ثم سار مع ملك طريفون بألف فارس فقط، صوب مديرية الشمايتين، ثم دخل عزلة القريشة. هناك شاهد قرية الأبطال، الحصينة بأبوابها المحكمة. ها هنا بطلمس (بطلم - الميم أداة تعريف والسين لاصقة يونانية). محافظة تعز، مديرية الشمايتين، عزلة القريشة، قرية الأبطال (بالحرف السبئي بطلم). وما إن دخل يوناتان حتى أغلق سكان المدينة الأبواب وألقوا القبض عليه. ولكنهم لم يسارعوا لقتله كما فعلوا مع فرسانه. ويبدو من هذا الإصحاح، أن ملك تريفون كان يفكر في إبقاء يوناتان رهينة لديه لابتزاز كهنة أورشليم، وحملهم على تقديم تنازلات حقيقية.

وإثر ذلك، أرسل فرقة لملاحقة فرسان يوناتان في الجليل – جلل، وهو سهل من سهول مديرية التعزية، كانوا قد عادوا إليه بأمر منه. والجليل هذه هي جليل تعز في مديرية التعزية ضمن عزلة الحيمة العليا، قرية شقب، وتدعى اليوم محلة دار الجلال (الجلل). في تلك اللحظات، كان يوناتان الأسير والذليل، يرنو ببصره صوب أورشليم التي أضحت تحت التهديد.

٥٠: لكنهم لمّا علموا أن يوناتان والذين معه قد قبض عليهم وهلكوا، شجعوا أنفسهم وتقدموا وهم متضامنون متأهبون للقتال.

٥١: وإذْ رأى طالبوهم أنهم مستبسلون رجعوا عنهم.

٥٢: فوفدوا جميعهم بالسلام إلى أرض يهوذا، وناحوا على يوناتان والذين معه واشتّد خوفهم وكانت عند جميع إسرائيل مناحة عظيمة.

٥٣ : وطلبت القبائل (كل الأمم) التي من حولهم أن يدمروهم لأنهم قالوا:

٥٤: إنهم لا رئيس لهم ولا ناصر، فلنقاتلهم ولنمح ذكرهم من البشر.

وكنتُ قد حددت (أرض يهوذه) من خلال النقش السبئي[١١] من القرن السادس قبل الميلاد، عصر الملك (يثع بين بن أمر ملك سبأ)، الذي عثر عليه في منطقة الجوف، وهو نقش يسمي أرض يهوذه في هذه الصورة (١٤ *w-wf* s^{1}*lm w-ywm Yhd* □*hgr t w-* / ١٤: ومدن يهوذا (هجر يهوذه[١٢] وعندما كان آمناً). وفي النص الإنكليزي من النقش (١٤: *and the towns of Judah; and when he was safe*).

يُختتم هذا الجزء من الإصحاح بمشهد مصرع الكاهن اليهودي الأعظم يوناتان وصعود شقيقه سمعان.

صعود سمعان

بوقوع يوناتان في أسر خصمه وتبعثر فرسانه في الجليل – جلل، أي في ما يعرف اليوم بمديرية التعزية، أصبحت أورشليم دون كاهن أعظم. ولم يقتصر الأمر على وجود خطر

يتهدّد أورشليم والديانة اليهودية؛ بل إن أرض اليهودية كلها، أصبحت تحت سطوة جيوش القبائل المرتدّة. كانت بلاد اليهودية في هذه الحقبة (نحو ٣٩ - ٤٩ ق.م) تحتضر ككيان سياسي/ دينيّ. وخشي سمعان أن يهاجمه ملك طريفون في موضع هوذه - هود، وأنه يمكن أن يحطّمه هناك ويحاصر المدينة، ولذا قرر أن يصعد باتجاه أورشليم (نحو ما يعرف اليوم بمحافظة إب) ليواجهه هناك.

١: وبلغ سمعان أن تريفون قد جمع جيشاً عظيماً، ليغير على أرض يهوذا ويدمرها.

٢: ورأى أن شعبه قد داخله الرعب والرعدة، فصعد إلى أورشليم وجمع الشعب.

٣: وشجّعهم وقال لهم، قد علمتم ما فعلتُ أنا وأخوتي وأهل بيت أبي من أجل السنن والأقداس، وما لقينا من الحروب والشدائد.

٤: قد كان في ذلك هلاك أخوتي جميعاً لأجل إسرائيل وبقيت أنا وحدي.

٥:والآن فحاشا لي أن أضنّ بنفسي في كل موقع ضيق؛ فإني لست خيراً من أخوتي.

٦: بل أنتقم لأمتي وللأقداس ولنسائنا وأولادنا، لأن الأمم (القبائل) بأسرها قد اجتمعت لتدميرنا بغضاً.

٧: فلما سمع الشعب هذا الكلام ثارت نفوسهم.

٨: وأجابوا بصوت عظيم قائلين: أنت قائد لنا مكان يهوذا ويوناتان أخيك.

٩: فحارب حربنا ومهما قلت لنا فإنّا نفعله.

١٠: فحشد جميع رجال القتال وجدَّ في إتمام أسوار أورشليم وحصّنها مما حولها.

١١: ثم وجه يوناتان، بن أبشالوم إلى يافا في عددٍ وافٍ من الجيش، فطرد الذين كانوا فيها وأقام هناك.

١٢: وزحف تريفون من بطلمايس في جيش عظيم، قاصداً أرض يهوذا ومعه يوناتان رهينة.

١٣: وكان سمعان إذْ ذاك في (حديد) قبالة السهل.

١٤: وعلم تريفون أن سمعان قد قام في موضع يوناتان أخيه، وأنه مزمع أن يشعل الحرب معه فأنفذ إليه رسلاً.

١٥: يقول: إنّا إنما قبضنا على يوناتان أخيك، لمالٍ كان عليه للملك فيما باشره من الأمور.

١٦: فالآن أرسل مئة قنطار فضة وابنيه رهينة، لئلا يغدر بنا إذا أطلقناه وحينئذ نطلقه.

١٧: وعلم سمعان أنهم إنما يكلمونه بمكر، إلا أنه أرسل المال والولدين مخافة أن يجلب على نفسه عداوة عظيمة من قبل الشعب ويقولوا:

١٨: لقد هلك بسبب أنه لم يرسل إليه المال والولدين.

١٩: فوجه الولدين ومئة قنطار. إلا أن تريفون أخلف ولم يطلق يوناتان.

٢٠: وجاء تريفون بعد ذلك ليغير على البلاد ويدمّرها، ودار في الطريق إلى (أدورا) وكان سمعان وجيشه يقاومونه حيثما تقدم.

كان من الواضح بالنسبة إلى سمعان، أن قيل/ ملك مقاطعة تريفون - طريفون (ظريفون) الذي خدع يوناتان من قبل، وأوقعه أسيراً في قبضته يخطط لعمل مماثل، لكنه لم يجد مناصاً من العمل بسرعة أكبر، لتخليص شقيقه وقبول العرض، ولذا جهز المال المطلوب كفدية، ووضع ولدي يوناتان رهينتين حتى إتمام صفقة التبادل لكن القيل/ الملك المخادع لم يف بوعده، وبدلاً من مبادلة يوناتان الأسير بالمال، شن هجوماً مباغتاً على أدورا - الدور لمحاصرة سمعان في عقر داره. تقع أدورا - الدور هذه في مديرية العدين، عزلة السارة، قرية ذي خساع وهي تدعى اليوم محلة الدور. ويبدو أن الهجوم المباغت كان فاشلاً، برغم مناشدات المحاصرين من أنصاره في القلعة، أن يسرع لتحريرهم.

٢١: وأنفذ الذين في القلعة رسلاً إلى تريفون يلحّون عليه أن يأتيهم في طريق البرية ويرسل لهم الطعام.

٢٢: فجهّز تريفون جميع فرسانه للمسير في ذلك الليل، لكن إذْ تكاثر الثلج جداً منعهم الثلج من المسير فارتحل وأتى إلى أرض جلعاد.

أريد هنا أن أشير إلى أن منطقة العُدين تعرف تساقط الثلوج بكثافة في موسم الشتاء على قمم الجبال، وهي عموماً من المناطق الباردة جداً. لقد عاق الثلج جيش القيل/ الملك من التوغل في المنطقة، ولذا استدار صوب منطقة تدعى شكمة/ شكمي (وترسم خطأ في النص العربي من السفر في صورة شكيم/ سقيم).

٢٣ : وما إن وصل شكمة/ شكمي حتى قام بقتل يوناتان ودفنه هناك.

وشكمة هذه، تقع في المكان نفسه: محافظة إب، مديرية السياني، عزلة الهادس، وتدعى قرية الشكامي، وهي من المناطق التي تشهد تساقط الثلوج في قمم الجبال شتاء.

٢٤: ثم رجع تريفون وانصرف إلى أرضه.

٢٥: فأرسل سمعان وأخذ جثمان يوناتان أخيه ودفنه في مودين مدينة آبائه.

٢٦: وناح عليه كل إسرائيل نوحاً عظيماً وندبوه أياماً كثيرة.

٢٧: وشيّد سمعان على قبر أبيه وأخوته بناء عالياً، منظوراً بحجارة نُحتت من وراء ومن أمام.

٢٨: ونصب على القبور سبع علامات، واحداً بإزاء واحد، لأبيه وأمه وأخوته الأربعة.

٢٩: وزينها بفنون ونقوش، وجعل حولها أعمدة عظيمة، مرسوماً على الأعمدة أسلحة تخليداً لذكرهم، وبجانب الأسلحة، قوارب منقوشة وكانت منظورة لجميع سكان (جبل بحري).

٣٠: وهذا هو القبر الذي صنعه بمودين باقٍ إلى هذا اليوم.

٣١: وسلك تريفون بالغدر مع أنطيوكس الملك الصغير وقتله.

٣٢: وملك مكانه ولبس تاج (آسية) وضرب الأرض ضربة عظيمة.

٣٣: وبنى سمعان حصون اليهودية، وعزّزها بالبروج الرفيعة والأسوار العظيمة والأبواب والمزاليج وادخر مؤونة في الحصون.

٣٤: وانتخب سمعان رجالاً وأرسل إلى ديمتريوس الملك، أن يعفي البلاد لأن كل ما فعله تريفون، إنما كان اختلاساً.

٣٥: فبعث إليه ديمتريوس الملك بهذا الكلام، وأجابه وكتب إليه كتاباً هذه صورته:

٣٦: من ديمتريوس الملك إلى سمعان الكاهن الأعظم، وصديق الملوك وإلى الشيوخ وشعب اليهود سلام

٣٧: قد وصل إلينا إكليل الذهب والسعفة التي بعثت بها، وفي عزمنا أن نعقد معكم سلماً وثيقاً ونكاتب أرباب الأمور أن يعفوكم مما عليكم.

٣٨: وكل ما رسمنا لكم يبقى مرسوماً، والحصون التي قمتم ببنائها تكون لكم.

٣٩: ولكن ما فرط من هفوة وخطأ إلى هذا اليوم، نتجاوز عنه والإكليل الذي لنا عليكم وكل وضيعة أخرى على أورشليم نعفيكم منها.

٤٠: وإنْ كان فيكم أهل للاكتتاب في جندنا، فليكتتبوا ولكن فيما بيننا سلم.

٤١: وفي السنة المئة والسبعين خُلع نيرالأمم (القبائل)عن إسرائيل[١٣].

٤٢: وبدا شعب إسرائيل يكتب في توقيع الصكوك والعقود في السنة الأولى لسمعان الكاهن الأعظم قائد اليهود ورئيسهم.

٤٣: وفي تلك الأيام نزل سمعان على غزة – عزة وحاصرها بجيوشه وصنع حواجز وأدناها من المدينة وضرب حصناً من الحصون واستولى عليه.

٤٤: وهجم على المدينة، فوقع اضطراب عظيم فيها.

٤٥: وصعد الذين في المدينة مع النساء إلى السور، ممزقة ثيابهم وصرخوا بصوت عظيم إلى سمعان يسألونه الأمان.

٤٦: وقالوا لا تعاملنا بحسب مساوئنا بل بحسب رأفتك.

٤٧: فرقّ لهم سمعان وكفّ عن قتالهم، وأخرجهم من المدينة وطهّر البيوت التي كانت فيها أصنام ثم دخلها بالتسبيح والشكر.

٤٨: وأزال منها كل رجس، وأسكن هناك رجالاً من المتمسكين بالشريعة وحصّنها وبنى له فيها منزلاً.

٤٩: وأما الذين في قلعة أورشليم؛ فإذْ كانوا قد مُنعوا من الخروج، ودخول البلد ومن البيع والشراء، اشتدت مجاعتهم ومات كثير منهم.

٥٠: فصرخوا إلى سمعان يسألون الأمان فأمّنهم وأخرجهم من هناك وطهّر القلعة من النجاسات.

٥١. ودخلها في اليوم الثالث والعشرين من الشهر الثاني في السنة المئة والحادية والسبعين[١٤]، بالحمد والسعف والكنارات والصنوج والعيدان، والتسابيح والأناشيد لهزيمة العدو الشديد لإسرائيل.

٥٢: ورسم أن يعيّد ذلك اليوم بسرور كل سنة.

٥٣: ثم حصّن جبل الهيكل الذي بجانب القلعة، وسكن هناك هو والذين معه.

٥٤: ورأى سمعان أن يوحنا ابنه، رجل بأس فجعله قائداً على جميع الجيوش وأقام في جزر.

نهاية حروب «ملوك الطوائف»

بنهاية حروب ملوك اليمن الذين يعرفون في التاريخ اليمني بملوك الطوائف، عام ١٧١ بالتقويم الحميري، تكون أورشليم قد شهدت في عصر الكاهن الأعظم سمعان، استقراراً لا مثيل له،

فقد اعترفت سائر المخاليف بحق اليهود في العيش بسلام داخل مدينتهم المقدّسة. لكن هذا التطور لم يكن مقدّراً له أن يصبح حقيقة واقعة إلا بعد سنتين داميتين، تمكن خلالهما ملك طموح موالٍ لليهود، هو ملك مفاريس وميدي (شعب ميدي في مقاطعة العُدين)، من دحر أشرس الملوك المرتدّين عن اليهودية. إن تسلسل الأحداث في هذه الحقبة من تاريخ بلاد اليهودية وأورشليم، يشير إلى أن الفضل في حسم الصراع، يعود إلى الدور الذي أدّاه ملك هاتين المقاطعتين (وهو تلّقب بلقب روماني على جري عادة ملوك الطوائف في اليمن). لقد تمكن أرساكيس من وضع حدّ للصراع، وترك لليهود حرية العبادة والعيش بسلام في أورشليم، وذلك ما دفع بالكاهن الأعظم سمعان (بن متنيه/ متّى) إلى اغتنام هذه الفرصة التاريخية وعقد معاهدة سلام معه. مهّد هذا التطور، وبشكل مفاجئ إلى اعتراف ملوك صغار آخرين في مواضع كثيرة كانت منخرطة في القتال، لعل أهمها ما كان يعرف بإسبرتة – السبرة، وهي اليوم مديرية من أهم مديريات محافظة إب، وتعرف في النص باسم إسبرطة/ ءسبرتة. وهؤلاء سارعوا إلى التصالح مع الكاهن الأعظم سمعان، وضمنوا له الولاء التقليدي.

١: وفي السنة المئة والثانية والسبعين جمع ديمتريوس الملك جيوشه، وسار إلى ميدي بأمل أن يحصل على مساندة لقتال تريفون.

٢: وبلغ أرساكيس ملك مفارس وميدي، أن ديمتريوس قد دخل تخومه فأرسل بعض رؤسائه ليقبض عليه حياً.

من الواضح أن ملك مفارس وميدي- ميدي، كان قيل/ ملك مخلاف مؤلف من مقاطعتين متجاورتين، وهما تشكلان بالفعل (مخلافاً – مملكة) صغيرة. هاتان المقاطعتان نجدهما في محافظة إب، مديرية العدين، عزلة العمارنة، قرية الزنجي، محلة المفاريس، وفي المديرية نفسها العدين، وداخل عزلة خباز، وفي قرية حرض، سنجد هناك محلة شعب المدي.

في هذا الفضاء الجغرافي المحدود، الذي لا يتجاوز مساحة مديرية واحدة من مديريات اليمن المعاصر، دارت معارك شرسة حول أورشليم، أدى فيها ملك قبلي صغير موالٍ لليهود، دوراً حاسماً في منع تمدد خطر ملك مرتدّ عن اليهودية. إن الصيغة اليونانية لاسم هذا الملك تثير الاشتباه، فلا وجود لمثل هذا الاسم في الثقافة الرومانية أو اليونانية. ولمّا

كان هذا الملك القبلي الصغير، ملكاً على مقاطعة صغيرة مؤلفة من عزلتين (مقاطعتين) جبليتين في ما يعرف اليوم بمديرية العُديْن، فهذا يعني أن لاسمه صلة بمكان مجاور. هاكم الصيغة اليمنية للاسم: أرساكيس – أرزاقس – أرزاق/ أرزاك (+س) بإسقاط السين اللاحقة اليونانية. هذا يعني أن أرساكيس ليس اسم الملك، بل اسم مقاطعته، فهو ملك منطقة أرزاق (أرزاكس – بالتصويت اليوناني). وهاكم الصيغة الأصلية: شعب رزق: محافظة إب، مديرية المخادر، عزلة المعشار، قرية عفينة، محلة شعب رزق. ومديرية الخدير مجاورة تماماً لمديرية العُدين.

٣: فذهب وضرب جيش ديمتريوس وقبض عليه، وأتى به أرساكيس فجعله في السجن.

٤: فهدأت أرض اليهودية كل أيام سمعان، وجعل همّه مصلحة أمته، فكانوا مبتهجين بسلطانه ومجده كل الأيام.

في سياق هذا السرد المنظّم لقصة حروب (ملوك الطوائف) خلال وبعد الغزو الروماني، يورد المترجم النصّ الغرائبي الآتي:

٥: «وفضلاً عن ذلك المجد كله، جعل يافا مرسى، وفتح طريقاً لجزائر البحر».

هذا المقطع يحتاج لإعادة بناء وتوضيحات، فالترجمة خاطئة كليّاً ولا معنى لها. كانت مقاصد النصّ الأصلي تذهب إلى تسجيل واقعة تقول إن ملك مقاطعتي مفارس وشعب المدي في العُدينْ، الموالي لليهود والمتحالف مع الكاهن الأعظم الجديد سمعان، تمكن من بسط نفوذه في يافا والمرسه وفتح وجزر وجبل بحري، بما يعني أن نفوذه تعاظم حتى توسعت مملكته الصغيرة، وبحيث شملت مناطق جديدة خضعت لنفوذه. وهذه المواضع هي: في تخوم مديرية العُديْن مع ما يعرف اليوم بمحافظة تعز. وهاكم الاسم: مديرية شرعب السلام، عزلة أيفوع أسفل، قرية الريسي، محلة دي مريش (مريس). وها هنا يفو– يافا (أيفوع) وفيها قرية مريس – مرسه. وفي مديرية حزم العدين، عزلة بني سليمان، قرية بني حرب، محلة فتح. وها هنا جزر محافظة تعز، مديرية شرعب السلام، عزلة أيفوع أسفل، قرية خباءة، محلة عدن جزر، وكذلك في مديرية العدين، عزلة جبل بحري.

٦: ووسّع تخوم أمته واستحوذ على البلاد.

٧ : وجمع أسرى كثيرين وامتلك جزر وبيت صور والقلعة، وأخرج منها النجاسات ولم يكن من يقاومه.

ما يؤكده هذا المقطع، أن ملك مقاطعتي مفاريس - وشعب المدي في العُديْن، توسّع في أراضٍ جديدة خارج ما يعرف اليوم بمحافظة إب شملت جزر في تعز، وبيت صور والقلعة التي قام بتطهيرها من الأوثان، هاكم أسماء هذه الأماكن: محافظة تعز، مديرية شرعب السلام، عزلة أيفوع أسفل، قرية خباءة، محلة عدن جزر. ومحافظة تعز، مديرية خدير، عزلة الشويفة، قرية صومة، محلة نجد الصور. وفي محافظة إب، مديرية العدين، عزلة بني هات، قرية السبلة، محلة القلعة (وهناك قلعة أخرى في ذات العزلة الجبلية: محافظة إب، مديرية العدين، عزلة بني هات، قرية أهاين، محلة القلعة).

٨: وكانوا يفلحون أرضهم بسلام والأرض تعطي محاصيلها وأشجار الحقول أثمارها.

٩: وكان الشيوخ يجلسون في الساحات يتفاوضون جميعاً في مصالح الأمة، والشبان مُتسربلون بالبهاء وعليهم حلل الحرب.

وهذا النص يتطابق حرفياً مع وصف سترابون لبُنى المجتمع القبلي وأشكال الحكم، تماماً كما استقاها من مصادره الدقيقة (تقارير إيغالوس قائد الحملة الرومانية)[١٥]. يقول سترابون ما يأتي:

«وبسبب وفرة الغلال، ينغمس هذا الشعب في اللهو ويعيش لا مبالياً. وينام البسطاء هنا متوسدين جذوع الأشجار التي يقطعونها. وتصل البضائع دائماً إلى الذين يعيشون على مقربة منهم، فيحملونها إلى الذين يقطنون بعدهم من القبائل الأخرى، وصولاً إلى سورية وبلاد ما بين النهرين. وإذْ يتعطّرون بالعطور، فهم يتخلصون من الخدر/ التعب، بإحراق الأعشاب أو أي شيّ من رؤوس الماعز. وتدعى مدينة السبئيين مأرب التي تقع على جبل تكسوه غابة كثيفة. ويقيم فيها الملك الذي يقضي بين الناس ويفصل في خلافاتهم. ولا يسمح للملك أن يغادر القصر الملكي؛ وإذا [ما خرج من القصر]، فإن

الكاهن يوعز فوراً لحشد من الناس فيرميه بالحجارة. ويعيش الملك وحاشيته عيشة باذخة منعّمة. ويعمل قسم من الناس العاديين بالزراعة، والقسم الآخر بتجارة العطور واللبان».

إن هذا النص الذي سجله سترابون، يتطابق حرفياً في الوصف، مع سفر المكابيين، (الآية ٩: وكان الشيوخ يجلسون في الساحات يتفاوضون جميعاً في مصالح الأمة، والشبان مُتسربلون بالبهاء وعليهم حلل الحرب). وهذا الوصف الدقيق، هو وصف لمجتمع يمني، كان قادراً برغم الحروب الأهلية الطويلة على التماسك وبناء (سلطة) تدير شؤونه تحت سلطة حاكم/ كاهن. وهكذا يمكننا استنباط تاريخ حقيقي من هذه الأحداث، وأن نؤرخها في ٢٤ ق.م حين ترك الرومان اليوم (في التاريخ الحميري التصاعدي ١٧١).

١٠: وكان سمعان يزود المدن بالطعام، ويهيئ فيها أسباب التحصّين حتى صار ذكر مجده إلى أقاصي الأرض.

١١: وقرر السلم في أرضه فلبث إسرائيل في فرح عظيم.

١٢: وجلس كل واحد تحت كرمته وتينته ولم يكن من يهدّدهم.

١٣: ولم يبق في الأرض منْ يحاربهم، وقد انكسرت الملوك في تلك الأيام.

١٤: وقوي كل من كان ضعيفاً في شعبه، وغار على الشريعة واستأصل كل أثيم وشرير.

١٥: وعظّم الأقداس وأكثر من الآنية المقدسة.

١٦: وبلغ خبر وفاة يوناتان إلى (رومية والسبرة) فحزنوا عليه حزناً شديداً.

١٧: وإذْ بلغهم أن سمعان أخاه قد تقلد الكهنوت الأعظم مكانه، وصارت البلاد وما بها من المدن تحت سلطانه.

١٨: كتبوا إليه على ألواح من نحاس، يجددون معه ما كانوا قد قرروه مع يهوذا ويوناتان أخويه من الموالاة والمناصرة.

١٩: فقرئت الألواح بمشهد الجماعة في أورشليم، وهذه صورة الكتب التي أنفذها الإسبرتيون.

٢٠: من رؤساء الإسبرتيين، ومن المدينة إلى سمعان الكاهن الأعظم، وإلى الشيوخ والكهنة وسائر شعب اليهود أخوتنا سلام.

٢١: لقد أخبرنا الرسل الذين أرسلتموهم إلى شعبنا بما أنتم فيه من العزّة والكرامة فسررنا بوفدهم.

٢٢: ودونّا ما قالوه في دواوين الشعب، هكذا قد قدم علينا نومانيوس بن أنطيوكس وأنتي باتير ابن ياسون رسولا اليهود ليجدّدا ما بيننا من الموالاة.

٢٣: فحسن لدى الشعب أن يلتقي الرجلين بإكرام، ويثبت صورة كلامهما في سجلات الشعب المخصصة لتكون تذكاراً عند شعب الإسبرتيين، وقد كتبنا بنسختها إلى سمعان الكاهن الأعظم.

٢٤: وبعد ذلك أرسل سمعان، نومانيوس إلى (رومية) ومعه ترس عظيم من الذهب وزنه (ألف منّ)[١٦] ليقرر المناصرة بينه وبينهم.

٢٥: فلما سمع الشعب ذلك الكلام قالوا بماذا نكافئ سمعان وبنيه؟

٢٦: على ثباته هو وأخوته وبيت أبيه ودفعه عن إسرائيل أعداءه، وكتب في ألواح من نحاس جعلوها على أنصاب في جبل صهيون

٢٧: ما صورته: في اليوم العاشر من شهر أيلول/ كصلت في السنة المئة والثانية والسبعين[١٧] وهي السنة الثالثة لسمعان الكاهن الأعظم في سرمال.

ما يقوله هذا المقطع، بترجمته السيئة من العبرية، أن مراسم تنصيب الكاهن الأعظم لأورشليم، جرت في موضع يدعى سرمال - شرم/ ءيل. في الواقع أن جملة (وهي السنة الثالثة لسمعان الكاهن الأعظم في سرمال) لا تبدو مفهومة. فماذا تعني (في

سرمال)؟. ولأن الكلمة لا تبدو مفهومة، وليس لها أيّ مكافئ عبري أو يوناني، فقد ساورني الشكّ أثناء تحليل النصوص، في أن مترجم النصّ العبري إلى اليونانية، لم يكن يعرف الجغرافيا، وأن المقصود، من الجملة هو الآتي: إن مراسم تنصيب الكاهن الأعظم جرت في مكان يدعى سرمال – شرم آل. وسسنجد هذا المكان باسمه هذا في محافظة إب وفي مديرية بعدان، عزلة بني منصور، قرية بيت القطيني، محلة شرم (شرم – إيل/ الشرمل). وهكذا، حظي سمعان باعتراف غير مسبوق بفضله وفضل أسرته في خلاص أورشليم وأرض اليهودية.

٢٨: وفي مجمّع عظيم من الكهنة والشعب، ورؤساء الأمة وشيوخ البلاد، ثبت عندنا أنْ قد وقعت حروب كثيرة في البلاد.

٢٩: وأن سمعان بن متتية من بني ياريب وأخوته، قد ألقوا بأنفسهم في المخاطر وناهضوا أعداء أمتهم صيانة لأقداسهم والشريعة وأولوا أمتهم مجداً كبيراً.

٣٠: وأن يوناتان جمع شمل أمته وتقلد فيهم الكهنوت الأعظم ثم انضمّ إلى قومه.

٣١: فهمّ أعداؤهم بالغارة على أرضهم، ليدمروا بلادهم ويلقوا أيديهم على أقداسهم.

٣٢: حينئذ نهض سمعان وقاتل دفاعاً عن أمته وأنفق كثيراً من أمواله، وسلّح رجال البأس من أمّته وأجرى عليهم الأرزاق.

٣٣: وحصن مدن اليهودية وبيت صور التي عند حدود اليهودية، حيث كانت أسلحة الأعداء من قبل وجعل هناك حرساً من رجال اليهود.

٣٤: وحصن يافا و– جبل – بحري وجزر التي عند حدود أشدود حيث كان الأعداء يقيمون فيها من قبل، وأسكن هناك يهوداً وجعل فيهما كل ما يؤدي إلى إعزاز شأنهم.

٣٥: فلما رأى الشعب ما فعل سمعان، والمجد الذي شرع في إنشائه لأمته، أقاموه قائداً لهم وكاهناً أعظم لما صنعه من ذلك كله، ولأجل عدله والوفاء الذي حفظه لأمته والتماسه إعزاز شعبه بجميع الوجوه.

٣٦: وفي أيامه تم النجاح على يديه بإجلاء الأمم (القبائل) عن البلاد، وطرد الذين في مدينة داود بأورشليم، وكانوا قد بنوا لأنفسهم قلعة، يخرجون منها وينجّسون ما حول الأقداس ويفسدون الطهارة إفساداً عظيماً.

٣٧: وأسكن فيها رجالاً من اليهود، وحصّنها لصيانة البلاد والمدينة ورفع أسوار أورشليم.

٣٨: وأقرّه الملك ديمتريوس في الكهنوت الأعظم.

٣٩: وجعله من أصدقائه وعظّمه جداً.

٤٠: إذْ بلغه أن الرومانيين يسمّون اليهود أولياء لهم، ومناصرين وأخوة وقد تلقوا رسل سمعان بإكرام.

٤١: وأن اليهود وكهنتهم قد حسن لديهم أن يكون سمعان رئيساً وكاهناً أعظم مدى الدهر إلى أن يقوم نبي أمين.

٤٢: ويكون قائداً لهم ويهتم بالأقداس، ويقيم منهم أناساً على الأعمال والبلاد والأسلحة والحصون.

٤٣: ويتولى أمر الأقداس، وأن يطيعه الجميع وتكتب باسمه جميع الصكوك في البلاد، ويلبس الأرجوان والذهب.

٤٤: ولا يحلّ لأحد من الشعب والكهنة أن ينقض شيئاً من ذلك، أو يخالف شيئاً ممّا يأمر به أو يجمع مجمعاً بدونه في البلاد، أو يلبس الأرجوان وعروة الذهب.

٤٥: ومن فعل خلاف ذلك ونقض شيئاً منه فهو مجرم.

٤٦: وقد رضي الشعب كله بأن يقلد سمعان جميع ما ذكر.

٤٧: وقبل سمعان ورضي، أن يكون كاهناً أعظم وقائداً ورئيساً لأمة اليهود وللكهنة وحاكماً على الجميع.

٤٨: ورسموا بأن تدوّن هذه الكتابة في ألواح من نحاس، توضع في رواق الأقداس في موضع مشهود،

٤٩: وتوضع صورها في الخزانة حتى تبقى لسمعان وبنيه.

قد تكون الآية (رقم ٣٢: وحصن مدن اليهودية وبيت صور التي عند حدود اليهودية، حيث كانت أسلحة الأعداء من قبل وجعل هناك حرساً من رجال اليهود) أفضل نموذج للسجال ضد خرافة (وجود جغرافية فلسطينية في سفر المكابيين)، أو أن اليهود ثاروا على الرومان؛ إذ يستحيل تخيّل أن (صور) اللبنانية كانت على (حدود بلاد اليهودية) وأن الكاهن سمعان هو من أعاد بناء (صور اللبنانية) وحصّن أسوارها وأقام فيها الحصون، أو أنه ترك فيها (حرساً) من اليهود. هذا أمر لم يحدث أبداً في التاريخ. لكننا سنجد هذه الجغرافيا حين نضعها ضمن جغرافية اليمن وتاريخه، فقد كانت (صور/ الأصيور) ولا تزال بالفعل على تخوم (أرض اليهودية) أي أرض حمير في مديرية حزم العُدين، حيث توجد عزلة جبلية وعرة وحصينة تدعى عزلة الأصيور- صور.

هوامش

١- هذا مكان آخر لا صلة له بموضع اليمانية في إب كما أشرنا إليه في موضع آخر (محافظة إب، مديرية المخادر، عزلة الشرف، قرية العوادي، محلة اليمانية).

٢- ورد اسم أسدود في نقوش سرجون الثاني بالتلازم مع اسم (مصرن). انظر النقش في الملحق:
(u Pir برعو) ملك مصر(ن) الأمير الذي لم يستطع إنقاذهم، أرسلوا الهدايا (الرشى) وحاولوا أن يكسبوه حليفاً لهم. (عندئذ) أنا، سرجون، الحاكم العادل الذي يخاف من لعنة (Shamash) و (Marduk) والذي يحافظ على أوامر آشور (عبرت) نهر (تجرس Tigris) (والفروت Euphrates) عند فيضانهما الأكبر، في مياه الربيع المرتفعة من السنة، عبرتها بقوارب ووصلت إلى اليابسة. أما (Iamani المعيني) ملكهم الذي كان يثق بقوته الخاصة والذي لم يخضع لحكمي، فقد سمع بقدومي من بعيد، ودب فيه الرعب من [سيدي آشور]........ ضفة النهر........ عمق المياه........ مسافة....... هرب......أسدود (Ashdod).
ANCIENT RECORDS OFASSYRIA AND BABYLONIA By DANIEL DAVID LUCKENBILL
مكتبة المتحف البريطاني.

٣- قبيلة جرم: استناداً إلى ما رواه النسابة الصحاري (سنة ٥٥٠هـ/ ١١٥٤م فإن (جرم بن ربان بن حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة، ومن بنو جرم قدامة)، وهذا رأي ابن حزم الأندلسي (المتوفى سنة ٤٥٦هـ/ ١٠٦٣م). وقال النسابة ابن الكلبي إنهم من قضاعة. وقال أبو عبيد البكري الأندلسي (المتوفى سنة ٤٨٧هـ/ ١٠٩٤م) إن جرم وكلب من قضاعة وهم أول من نزلوا الشام عند هجرتهم من اليمن.

٤- ويمكننا أن نجده في مديريات أخرى، مثلاً: (محافظة تعز ـ مديرية شرعب الرونه ـ عزلة الأسد ـ قرية الوعيرة ـ محلة شعب الزبيدي، ومحافظة إب، مديرية السياني، عزلة العربيين، قرية الزرائب، محلة الزبيدي، ومحافظة إب، مديرية العدين، عزلة بني عمران، قرية الوادي، محلة زبد.

٥- هذا يؤكد أن صيغة بطلموس هنا تشير إلى مقاطعة وليست اسم الملك

٦- هناك موضعان يحملان اسم إسكندر، أحدهما في محافظة إب، مديرية جبلة، عزلة الشراعي، قرية شعفات، محلة بيت إسكندر. والآخر في محافظة الحديدة، مديرية باجل، عزلة الضامر، قرية المشاعبة، محلة اسكندر.

٧- روى هذه القصة كثيرون ونقل عنهم أبو الفداء عماد الدين إسماعيل بن علي بن محمود بن محمد بن عمر بن شاهنشاه بن أيوب، الملك المؤيد، صاحب حماة (المتوفى: ٧٣٢هـ) المطبعة الحسينية المصرية: المختصر في أخبار البشر (وكان ليزدجرد ولد اسمه بهرام جور وكان أبوه يزدجرد قد أسلمه عند المنذر، ملك العرب ليربيه، بظهر الحيرة، فنشأ بهرام جور هناك وقدم على أبيه قبل هلاكه، وبهرام جور في غاية الأدب والفروسية. فأذاقه أبوه الهوان، ولم يلتفت إليه، ولا رأى منه خيراً، فطلب بهرام جور العود إلى العرب، حيث كان، فأمره بذلك، وعاد بهرام جور إلى المنذر، ومات أبوه وهو عند المنذر. فاجتمع جميع الفرس على أنهم لا يملّكون أحداً من ولد يزدجرد، لما قاسوه منه، وأيضاً فإن بهرام جور قد نشأ عند العرب وتخلق بأخلاقهم، فلا يصلح للفرس. وولوا شخصاً يسمّى كسرى من ولد أزدشير، وبلغ ذلك بهرام جور فانتصر بالمنذر وبابنه النعمان ملك العرب، وجرى

بين العرب وبهرام جور وبين الفرس في ذلك مراسلات كثيرة، وآخر الأمر أن بهرام جور تملك موضع أبيه يزدجرد واستقل بالملك)

٨- الجويم: أي القوم (عامة الناس).

٩- شكلياً قد تبدو هناك صلة للاسم باسم الكاهن اليوناني المسيحي المنشق آريوس. ومع أن آريوس لم يظهر في المسرح التاريخي إلا في القرن الثالث الميلادي، فإن من المحتمل أن يكون لاسمه صلة بتيار مسيحي ظهر في هذا الجزء من اليمن، قاده كهنة وقساوسة من أصول يهودية وتحوّلوا للمسيحية، وكانت لديهم وجهات نظر فلسفية عميقة. وهذا هو معنى وجود مقاطعة تدعى الروس.

١٠- ويوجد موضع آخر يحمل صيغة من الاسم: محافظة إب، مديرية حبيش، عزلة بني معين، قرية المهاجمة، محلة دار المنياس.

١١- نقش (هجر يهوذه) وبقية النقوش في كتاب النقوش القادم.

١٢- في السبئية والحميرية (هجر- هجرة: مدينة دينية) يقيم فيها المتدينون والحرفيون والصناع.

١٣- من التاريخ الحميري.

١٤- حسب التقويم الحميري.

١٥- سترابون – المصدر نفسه ٣٣٩.

١٦- وحدة وزن قديمة لا تزال موجود في جنوب العراق ويتعامل بها المزارعون.

١٧- حسب التقويم الحميري.

يهوذا الثاني

يعجّ الجزء التالي من سفر المكابيين بأخطاء فادحة في رسم الأسماء، وبحيث أضفى المترجم على النصّ الشعبي، كل ما من شأنه أن يجعل منه رواية لا تاريخية بالفعل، فقد زعم- بسبب الترجمة الخاطئة - أن الرومان جهزوا حملة بحرية لمهاجمة أورشليم، وهذا غير منطقي، لأن أورشليم التي جرى تخيّلها في فلسطين، لا يمكن الوصول إليها من البحر، أما أورشليم اليمن التي حدّدنا موقعها الحقيقي والتاريخي في العُدين، فإنها داخل عزلة جبلية حصينة وليست على البحر. إن المقاطع التالية تنسف خرافة احتلال الرومان لأورشليم في فلسطين، فهي تقول إن هؤلاء هاجموها من البحر. وبالطبع، لا يمكن مهاجمة (القدس) من البحر. ولتسهيل إطلاع القرّاء على طبيعة هذه الأخطاء، سأكتب تعليقات تحت كل مقطع من السفر.

١: وأرسل أنطيوكس بن ديمتريوس الملك، كتباً من (جزائر البحر) إلى سمعان الكاهن رئيس أمة اليهود وإلى الشعب أجمع.

في الواقع، لم يرسل أنطيخوس هذا رسائل من (جزائر البحر). وهذه جملة لا تبدو مفهومة، فما الحاجة لإرسال رسائل إلى أمم تقيم في (جزائر البحر) ما دام الأمر يتعلق بكاهن؟ كل ما

فعله هذا القيل/ الملك اليمني الصغير الذي توسعت حدود مملكته، وبحيث أصبحت تضمّ أورشليم (في العُدين) ضمن ما يعرف اليوم بمحافظة إب، أنه أبلغ الأقيال/ الملوك في عزلات جبلية مجاورة، بأنه يريد التفاهم مع سمعان كاهن أورشليم الأعظم، وأنه لأجل ذلك أرسل له رسائل وديّة. إن جملة و(جزائر البحر) هذه، ليست سوى إشارة إلى أنه أبلغ بعض سكان المقاطعات الصغيرة المجاورة وملوكها في موضعين مجاورين لأورشليم، هما (جزر وجبل بحري). وهذان الموضعان متجاوران داخل العُدين، يدعى أحدهما جبل بحري (محافظة إب، مديرية العدين، عزلة جبل بحري) والآخر يدعى جزر، ويقع اليوم ضمن ما يعرف بمديرية شرعب السلام المجاورة. هاكم الاسم: محافظة تعز، مديرية شرعب السلام، عزلة أيفوع أسفل، قرية خباءة، محلة عدن جزر. وفي هذه الحالة، يصبح أمراً منطقياً، أن القيل/ الملك اليمني الصغير، خاطب جيرانه بأنه يريد السلام مع الكاهن، ولهذا الغرض أرسل إليهم رسائل.

٢: هذه فحواها: من أنطيوكس الملك إلى سمعان الكاهن الأعظم رئيس الأمة وإلى شعب اليهود سلام.

٣: أنه إذ كان قومٌ من ذوي الفساد قد تسلطوا على مملكة آبائنا، كان من همّي الآن أن استخلص المملكة حتى أعيدها إلى ما كانت عليه من قبل، وقد حشدت جيوشاً كثيرة وجهزت (أسطولاً) للحرب.

هذا المقطع الغرائبي هو استطراد في الترجمة الغرائبية، إذ من المؤكد وطبقاً لسياق فهمٍ مغلوطٍ للنصّ، أنّ المترجم تصرّف حيال (الكلمات الغامضة) على نحو يتسم بالارتجال. وبما أنّه ترجم كلمة (بحري) إلى (بحر) فقد وجد نفسه يترجم كلمة (قوات) إلى (أسطول)، معتقداً أن هذا هو فحوى الرسالة. ونعيد التأكيد هنا، أن تخيّل حدوث معركة بحرية في مواضع جبلية، أمر ناجم عن فهم خاطئ للنص الأصلي لا أكثر. في هذه الرسائل التي وصلت الكاهن سمعان، اعتراف صريح به وبالمدينة المقدّسة أورشليم، ولكن فقط بوصفها مدينة دينية يحكمها كاهن، ضمن مملكة صغيرة جديدة تدين باليهودية، ستعرف باسم بلاد اليهودية، أو (أرض اليهودية) وهي مملكة حمير الأصغر في التراث اليمني. ويبدو من الرسائل أن الملك الطموح سعى إلى مصالحة الكاهن، وقدّم له امتيازات تعزّز مكانته، فقط

لأجل حشد كل القوى لمواجهة خصومه. ولهذا الغرض أبلغه أنه جهز قوات كافية حشدها في جبل بحري (وليس أسطولاً بحرياً)؟

٤: وأنا عازم على أن أتقدم على البلاد لأنتقم من الذين أفسدوا في بلادنا، وخرّبوا مدناً كثيرة في المملكة.

٥: فالآن أقرّ لك بكل ما قرّره الملوك من قبلي، وكل ما أعفوك منه من التقادم.

٦: وقد أبحت لك أن تضرب في بلادك سكة خاصة (أي تسكّ النقود).

٧: وأن تكون أورشليم والأقداس، حرّة وكل ما جهزته من الأسلحة، وبنيته من الحصون التي في يدك فليبقَ لك.

٨: وكل ضريبة ملكية كانت فيما سلف، أو تكون فيما يأتي، تعفى منها من الآن على طول الزمان.

٩: وإذا فزنا بمملكتنا أعززناك أنت وأمتك والهيكل، إعزازاً عظيماً حتى يتلألأ مجدكم في الأرض كلها.

١٠: وفي السنة المئة والرابعة والسبعين[١]، خرج أنطيوكس إلى أرض آبائه فاجتمعت إليه جميع الجيوش، حتى لم يبق مع تريفون إلا نفر يسير.

١١: فتعقبه ملك أنطيوكس، فانطلق هارباً إلى (دورا) التي على البحر.

ما يقوله هذا النصّ، أن الملك الطموح طارد خصمه، حتى (دورا التي على البحر). وهذه ترجمة خاطئة لجملة (وطارده حتى أدورا قرب عزلة – جبل – بحري). هاكم اسم الموضعين: مديرية العدين – عزلة جبل بحري، قرية حمر، محلة الدوير (ءدورا). وهكذا، سيكون واضحاً أن صراع ملوك الطوائف في اليمن ظل مستمراً حتى عام ١٧٤ حميري،

١ حسب التاريخ الحميري.

وأنّ أورشليم كانت تتمتع بالاستقرار، وكاهنها الأعظم تمكن من الحصول على اعتراف الأقيال/ الملوك الأقوياء.

١٢: وإذْ أيقن أن قد تراكم عليه الشر وخذلته الجيوش.

١٣: نزل أنطيوكس على (دورا) ومعه مئة وعشرون ألفاً من رجال الحرب وثمانية آلاف فارس.

١٤: وأحاط بالمدينة وتقدّم (الأسطول من البحر) فضايق المدينة (براً وبحراً) ولم يدع أحداً يدخل أو يخرج.

ولأجل بناء صورة دقيقة عن مسار المعركة، فسنعيد تركيبها على النحو الآتي:

(١٤: وقام ملك أنطيوكس بتطويق دورا- الدوير من جهة عزلة بحري، وهاجمها مانعاً السكان من الدخول أو مغادرة جبل بحري).

١٥: وقدّم نومانيوس والذين معه من رومية، كتباً إلى الملوك والبلاد كتب فيها هكذا:

١٦: من لوكيوس وزير(وكيل) الرومانيين إلى بطلماوس الملك سلام.

١٧: لقد أتانا رسل اليهود، أولياءنا ومناصرينا، يجددون قديم الموالاة والمناصرة، مرسلين من قبل سمعان الكاهن وشعب اليهود.

١٨: ومعهم ترس من ذهب وزنه (ألف مَنْ)،

١٩: فلذلك رأينا أن نكتب إلى الملوك والبلاد، أن لا يطلبوهم بسوء ولا يقيموا عليهم حرباً، ولا على شيء من مدنهم وبلادهم ولا يناصروا من يحاربهم.

٢٠: وحسن لدينا أن نقبل منهم الترس.

٢١: فان فرّ إليكم من بلادهم بعضٌ من رجال الفساد، فأسلموهم إلى سمعان الكاهن الأعظم، لينتقم منهم على مقتضى شريعتهم.

٢٢: وكتب مثل ذلك إلى ديمتريوس الملك، وأتالس وأرياراطيس وأرساكيس،

٢٣: وإلى جميع البلاد إلى لمسكس وإسبرطة وديلس ومندس وسيكيون وكارية وسامس وبمفيلية وليكية واليكرنسس ورودس وفسيليس وكوس وسيدن وارادس وجرتينة وكنيدس وقبرس والقيروان.

تحليل النصّ

قبل تحليل القائمة التي تعجّ بأسماء ممالك ومدن غريبة، سأتوقف عند تعبير (من لوكيوس وزير/ وكيل الرومانيين إلى بطلماوس الملك سلام). إن هذا التعبير ينطوي دون أي لبس على فكرة وجود (وكلاء محليين) تركهم الرومان خلال الغزو الفاشل، وأن هؤلاء ليسوا ملوك روما، بل زعماء قبائل (متأغرقين) عملوا في خدمة الاحتلال. ولعل اسم لوكيوس - لوقيوس (من الاسم لوق بإضافة السين اليونانية) اسم مألوف في مواضع كثيرة في جنوب اليمن، منها موضع في شبوة لتجمع قبائل بدوية يدعى (تجمع اللوق): محافظة شبوة، مديرية الطلح، عزلة الطلح، قرية تجمع اللوق (لوقيوس بالرسم اليوناني ومنه جاء الاسم لوقا كاتب الإنجيل المعروف باسمه). لقد دخل بدو الجنوب الحميري - الذين تعاونوا مع الرومان خلال الغزو- على خط الأزمة الجديدة الناشبة بين كهنة أورشليم وملوك قبائل الشمال والجنوب. إن الرسائل المرسلة من هؤلاء إلى سائر المدن (والممالك الصغيرة) تؤكد هذا المنحى من التأويل، فهذه القائمة من أسماء المدن، لا وجود لها في أي خريطة قديمة لروما ومدنها. وهي مرسومة بطريقة لا تترك أي مساحة للاعتقاد، بأنها يمكن أن تكون أسماءً رومانية أو يونانية. إن تحليل قائمة الأسماء هذه، سيضعنا أمام الحقيقة البسيطة التالية، أن مترجم النص العبري إلى اليونانية، رسم الأسماء بحسب التصويت اليوناني بإضافة السين اللاصقة. مثلاً:

إن (لمسكس- المسك - س) هي التهجئة الخاطئة مثلاً، لاسم موضع يدعى المسك (المسكس) وموضع (رود) أصبح (رودس) إلخ.

وسنبدأ من الاسم لوكيوس الذي حمل كتب الملك القبلي إلى سكان مختلف المقاطعات. إن الاسم في رسمه العربي هو قيل/ ملك اللوق - لوقا. ولمّا كانت صيغة الاسم توحي

بصلة من نوع ما باسم لوقا في المسيحية، وهو يسمّي نفسه وزير الرومان (وكيل الرومان) فهذا يؤكد أن حروب المكابيين، دارت من الناحية التاريخية إثر احتلال الرومان لعدن وتوغلهم في أرض اليمن، وهم أقاموا وكلاء لهم من زعماء القبائل الحميرية الجنوبية. ومن بين هؤلاء زعيم قبلي ينتسب إلى بني لوقا/ لوق. وهاكم اسم هذا الزعيم القبلي: محافظة شبوة، مديرية الطلح، عزلة الطلح، قرية تجمع اللوق. كذلك نجد في المديرية ذاتها، والعزلة الجبلية ذاتها، أي في محافظة شبوة، مديرية الطلح، عزلة الطلح، تجمعاً آخر يدعى: قرية تجمع بني الألواق. وكنا رأينا سارد النص يكتب الجملة الآتية (أنه والذين معه من رومية). وهذا يعني أنهم وجهاء من مكان مجاور يدعى رومية. وهاكم الاسم: محافظة البيضاء، مديرية الصومعة، عزلة العروين، قرية الرومية.

ولو كان لوقيوس/ لوق هذا ملكاً رومانياً، فلماذا يتلقى رسالة من ملك روماني آخر، ثم يردّ عليها (أنه والذين معه في رومية)؟ أكثر من ذلك، أن التاريخ الرسمي الروماني لا يعرف ملكاً بهذا الاسم تلقى إشعاراً من ملك آخر بخصوص كهنة أورشليم! هذه واقعة من تلفيق خيال اللاهوتيين.

هنا القائمة وما يقابلها بالتهجئة الصحيحة (والرسم الصحيح للحروف بإسقاط حرف السين اليوناني):

لمسكس – المسك: تقع المسك في محافظة حجة – مديرية كعيدنة – عزلة الغربي– قرية ظهر الحارق – محلة المسك. إسبرطة إسبرتة: محافظة إب وتدعى اليوم مديرية السبرة. دي لس/ ذي لس، اللسي: تقع ذي– لس في محافظة ذمار، مديرية ميفعة عنس، عزلة الأثلاء، وتدعى اليوم قرية اللسي (جبل اللسي). مندس/ منادس: تقع في محافظة الضالع في مديرية الحصين، عزلة الحصين، وتدعى اليوم قرية المنادي. سيكيون/ سكون: وهذا اسم قبيلة حميرية شهيرة تدعى السكون وهو السكون بن أشرس بن كندي. سامس/ شامس: تقع شامس في محافظة تعز، مديرية شرعب السلام وتدعى اليوم عزلة أشموس. كارية/ قارية: تقع قارية في محافظة حجة – وتدعى اليوم مديرية قارة. بمفيلة/ الفيلة، يقع موضع الفيل في محافظة الحديدة، مديرية اللحية، عزلة البعجية، قرية العرمة، محلة الفيل (وهناك موضع

باسم الفيل في عمران ويدعى ظهر الفيل، ويوجد موضع آخر في محافظة المحويت باسم قلعة الفيل). ليكيه/ لقيه: تقع لقيه في محافظة تعز، مديرية الشمايتين، عزلة البذيجة، قرية بندح، وتدعى اليوم محلة قحفة اللق (لكيه – لقيه). اليكرنسس – اليكرن: تقع الوكرن في محافظة ريمة، مديرية الجبين، عزلة خضم، قرية السلف، وتدعى اليوم محلة الوكرة. رودس/ رود: تقع رود في محافظة حجة، مديرية كعيدنة، عزلة الثلث، قرية شابرة، وتدعى اليوم محلة ذراع الرود. فسيلس/ فسيل، تقع الفسيل في محافظة حجة، مديرية أفلح اليمن،ع زلة جباح، قرية المقابل، وتدعى اليوم محلة الفسيل. كوس/ قوس، تقع قوس في محافظة تعز، مديرية شرعب السلام، وتدعى اليوم عزلة أقيوس. سيدن/ صيدن: تقع صيدن في محافظة تعز، مديرية المواسط، عزلة الأعلوم، قرية شعب زريع، وتدعى اليوم محلة قحفة صيده.

جرتينة/ الجرت: تقع جرتن (الجرات) في محافظة تعز– الشمايتين – عزلة المساحبن – قرية المحابرة – وتدعى اليوم محلة الجرات. كنيدس/ كندة، تقع كندة في محافظة تعز، مديرية التعزية، عزلة مخلاف أسفل، قرية العزلة، وتدعى اليوم محلة كندة. قبرص/ كبرس، تقع كبرس في محافظة إب، مديرية جبلة، عزلة الشهلي وتدعى اليوم قرية عدن الكبر (القبر). القيروان: قروان. تقع القيروان في محافظة صنعاء، عزلة سنحان وبني بهلول، عزلة وادي الجبار، قرية قروان.

هذه هي مدن اليمن الممزق التي وصلتها رسائل بدو الجنوب (وكلاء الغزاة) الرومان...

٢٤: وكتبوا بنسخة تلك الكتب إلى سمعان الكاهن الأعظم.

٢٥: وعاد أنطيوكس الملك، فحاصر دورا ولم يزل يضايقها وينصب عليها المجانيق.

٢٦: فأرسل إليه سمعان ألفي رجل منتخبين، نصرة له وفضة وذهباً وآنية كثيرة.

٢٧: فأبى أنطيوكس أن يقبلها، ونقض كل ما كان عاهده به من قبل.

٢٨: وأرسل إليه أتينوبيوس أحد أصحابه ليفاوضه قائلاً: إنكم مسؤولون على يافا وجزر والقلعة التي بأورشليم وهي من مدن مملكتي.

٢٩: وقد خرّبتم تخومها وضربتم الأرض ضربة عظيمة، وتسلطتم على أماكن كثيرة في مملكتي.

٣٠: فالآن، أسلموا المدن التي استحوذتم عليها، وأدّوا خراج الأماكن التي تسلطتم عليها خارج تخوم اليهودية،

٣١: وإلا فأدّوا عنها خمس مئة قنطار فضة، وعن ما أتلفتموه وعن خراج المدن خمس مئة قنطار أخرى وإلا وفدنا عليكم مقاتلين.

٣٢: فجاء أتينوبيوس صاحب الملك إلى أورشليم، وشاهد مجد سمعان وخزانة آنيته الفضية والذهبية وأثاثاً وافراً فدهش وأخبره بكلام الملك.

٣٣: فأجاب سمعان وقال له، إنّا لم نأخذ أرضاً لغريب، ولم نستول على شيء لأجنبي، ولكنه ميراث آبائنا الذي كان أعداؤنا قد استولوا عليه ظلماً حيناً من الدهر.

٣٤: فلما أصبنا الفرصة استرددنا ميراث آبائنا.

٣٥: فأما (يافا وجزر) اللتان تطالب بهما، فإنهما كانتا تجلبان على الشعب في بلادنا نكبات شديدة، غير إنّا نؤدي عنهما مئة قنطار. فلم يجبه أتينوبيوس بكلمة.

٣٦: ورجع إلى الملك مغُضباً وأخبره بهذا الكلام، وبمجد سمعان وكل ما شاهده. فغضب الملك غضباً شديداً.

٣٧: وركب تريفون في سفينة وفرّ إلى أرطوسياس.

أريد أن أتوقف هنا ومرة أخرى، لإعادة تركيب هذا النص، لتخليصه من نتائج القراءة الخاطئة: في الواقع هرب تريفون (ملك ظريفون) نحو موضع يدعى (السفينة) ولم يركب سفينة، فليس ثمة بحر في هذه الجغرافيا، ومنها أخذ طريقه صوب عزلة جبلية تدعى (أرطسياس) أرطي- أرضي. والموضعان في مكانين متجاورين في محافظة حجة: ها هنا السفينة: محافظة حجة، مديرية الشاهل، عزلة جانب اليمن، قرية الجسر، محلة السفينة، بينما تقع أرطي - أرضي في

محافظة حجة أيضاً، ولكن في مديرية مجاورة تدعى مديرية أفلح اليمن، عزلة جباح – قرية علكمة – محلة الأرضي.

٣٨: ففوّض الملك قيادة الساحل إلى كندباوس وجعل تحت يده جنوداً من الرجالة وفرساناً

ولذا فوّض الملك قيادة الجيش لأحد فرسانه من قبيلة جندب (جندبو في النقوش الآشورية: كندبو+ س) على أن يتولى حكم مقاطعة السحول (وليس الساحل؟). تقع مقاطعة السحول في محافظة إب ضمن مديرية المخادر، وتدعى حتى اليوم عزلة السحول. أما الاسم كندباوس- جندباوس، فهي اليوم في محافظة إب، مديرية النادرة المجاورة، ضمن عزلة حدة وفي قرية السكنة، حيث يوجد موضع يدعى: محلة جندب (وفي النطق اليوناني جندبس- كندبس). ومن هناك بدأ زحفه نحو أرض اليهودية في ما يعرف اليوم بمديرية مقبنة.

٣٩: وأمره أن يزحف على اليهودية، وأوعز إليه أن يبني قدرون، ويحصن الأبواب ويقاتل الشعب، ثم أن الملك تعقب تريفون.

٤٠: فبلغ كندباوس إلى يمنية، وجعل يرغم الشعب ويغيّر على اليهودية ويسبي في الشعب ويقتل ثم بنى قدرون (أي حصن وادي قدرون)،

٤١: وجعل فيها فرساناً وجنوداً ليخرجوا وينتشروا في طرق اليهودية كما رسم له الملك.

وهكذا وصل القيل/ الملك المرتدّ عن اليهودية (البدوي) ملك قبائل جندب – كندبوس إلى قلب (مقبنة) أي أرض اليهودية، واستولى على يمنية، وهي اليوم تعرف باسم عزلة اليمن وهاكم اسمها: مديرية مقبنة، عزلة اليمن. في هذا الوقت من التاريخ (١٧٢ حسب التاريخ الحميري. ولنلاحظ أن التاريخ الحميري هنا تاريخ تصاعدي يبدأ من ١٦٣) تكون بلاد اليهودية قد نعمت باستقرار لا مثيل له في ظل حكم الكاهن الأعظم سمعان. وهو العام الذي توّج فيه الكاهن سمعان في أورشليم، كأعظم كاهن في تاريخها، فقد تمكن بحكمته ورجاحة عقله وقوة شخصيته من فرض هيبته كفارس (كاهن محارب). والمدهش أنه سمّى ولديه باسمي شقيقيه الصريعين يهوذا وحنا، بأمل أن يعيدا المجد القديم. وأكثر من ذلك، أنه طلب منهما أن يعيدا أمجاد البطلين، برغم علمه أن التحدّيات كانت أكبر من أن تُقاوم، ولذا

أوكل ليهوذا الثاني قيادة المقاتلين، وأوكل إلى يوحنا مساعدة شقيقه في القيادة، تماماً كما فعل جده الكاهن متنية/ متّى. وفي تلك اللحظات المأسوية، بدا أن التاريخ يُعيد نفسه ولكن بطريقة مأسوية حين تمكن قيل/ ملك قبائل جندب البدوية من الاستيلاء على أهم معاقل اليهودية في مقبنة: يمنية (أو عزلة اليمن).

سقوط أورشليم

كان الشقيقان يهوذا الثاني، ويوحنا الثاني – وهما ابنا سمعان سمّاهما على اسمي أخويه الكاهنين – في قلب لحظة تاريخية فاصلة من المواجهات الدامية مع ملوك الطوائف، ولم يكن بوسعهما أن يمنعا القدر الذي كان يستعد لسحق أورشليم ومحوها من الوجود. ومع ذلك، سعيا بكل الوسائل لمواجهته ببسالة.

١: فصعد يوحنا من جزر وأخبر سمعان أباه بما صنع كندباوس

حين وصل يوحنا، الشقيق الأصغر إلى جزر، أرسل من يبلغ والده سمعان، أن ملك جندب توغل في العمق، وأن الكثير من المدن سقطت في يده. كانت جزر التي تقع على تخوم العُدين، مركزاً حساساً للغاية، وكان الاقتراب منها يعني أن أورشليم أصبحت أقرب للسقوط. وجزر هذه هي اليوم، كما كانت في الماضي، باسمها هذا في محافظة تعز، مديرية شرعب السلام، عزلة أيفوع أسفل، قرية خباءة، وتدعى محلة عدن جزر.

٢: فدعا سمعان ابنيه الأكبرين يهوذا ويوحنا، وقال لهما إنّا لم نزل، أنا وأخوتي وبيت أبي نحارب حروب إسرائيل منذ صغرنا إلى هذا اليوم، وقد تحقق على أيدينا خلاص إسرائيل مراراً كثيرة.

٣: والآن؛ فإني قد شخت وأنتما برحمة الله قد بلغتما أشدّكما، فقوما مقامي ومقام أخي واخرجا وقاتلا عن أمتكما وليؤازركما النصر من السماء.

٤: وانتخب من البلاد عشرين ألفاً من رجال الحرب والفرسان، فزحفوا على كندبوس وباتوا بمودين – مدين.

يُفهم من هذا النصّ أن سمعان وولديه، جمعوا فرساناً من مدن كثيرة، وحُشدوا في قرية مودين – مدين، قبل أن يطلب منهما الزحف صوب جزر في شرعب السلام. ومدين هذه لا تزال باسمها هذا في محافظة إب، مديرية يريم، عزلة أرياب، قرية مدين. وكنتُ قد أشرت مراراً إلى أن (يريم) كانت عاصمة الحميريين (وقد دعيت باسم ظفار).

٥: ثم قاموا في الغد، وانطلقوا إلى السهل؛ فإذا في مواجهتهم جيش عظيم من الرجال والفرسان وكان بين الفريقين وادٍ.

٦: فنزل يوحنا بإزائهم هو وشعبه، وإذْ رأى الشعب خائفاً من عبور الوادي، عبر هو أولاً، فلما رآه الرجال عبروا وراءه.

٧: ففرّق الشعب، وجعل الفرسان في وسط الراجلين، وكانت فرسان العدو كثيرة جداً.

٨: ثم نفخوا في الأبواق المقدسة، فانكسر كندباوس وجيشه وسقط منهم قتلى كثيرين، وفرّ الباقون إلى الحصن.

٩: حينئذ جرح إليهم يهوذا شقيق يوحنا، وتعقّبهم يوحنا حتى بلغ كندباوس إلى قدرون التي بناها.

وقدرون، هي اليوم (ذي القودري) في محافظة إب، مديرية العدين، عزلة العمارنة، قرية سنعات العمارنة، محلة ذي القودري. لقد نشبت المعركة في العزلة الجبلية الفاصلة بين شرعب السلام والعُدين، حيث خشي جنود يوحنا من عبور الوادي. وما إن نشب القتال حتى فرّ جنود العدو صوب أماكن قريبة، يسحبون ذيول الهزيمة:

١٠: ففرّوا إلى (المجدل) التي بأرض أشدود، فاحرقها بالنار فسقط منهم ألفا رجل، ثم رجع إلى أرض اليهودية بسلام.

في معركة وادي قدرون – القودري، تمكن الكاهن الشاب يوحنا من كسر العدو، وحمله على التراجع صوب المجدل (تترجم خطأً إلى البروج). وهذا موضع في مديرية مجاورة للعُدين هي مديرية التعزية.هاكم الاسم: محافظة تعز، مديرية التعزية، عزلة حذران، قرية الأذمور،

محلة المجدلة. وهذا المكان جزء من أرض واسعة كانت تدعى أسدود- أشدود أي السد. وهاكم اسم المكان في المديرية الملاصقة للتعزية: محافظة تعز، مديرية صبر الموادم، عزلة العارضة، قرية حصان، محلة أكمة السد. في هذا الوقت كان بطلماوس بن أبوبس، قائداً لمنطقة تدعى بقعة (نجد) أريحا. لقد ترجمت كلمة شده שדה العبرية إلى (بقعة)، وهذا خطأ والصحيح نجد، أي مرتفع. وهذا المكان لا يزال قائماً باسمه هذا حتى اليوم: محافظة تعز، مديرية التعزية، عزلة الربيعي، قرية الظهرة، نجد الريح/ نجد يريحو (وهذه العزلة تعرف باللقب الذي يحمله مؤلف هذا الكتاب/ عزلة الربيعي).

١١: وكان بطلماوس بن أبوبس قد أقيم قائداً في بقعة (نجد) أريحا، وكان عنده من الفضة والذهب شيء كثير.

إن اسم بطلماوس هذا، وهو شخص آخر غير بطلماوس في عصر يهوذا الأول/ المكبيّ، يثير الاهتمام، فهو يدعى (بطلماوس بن أبوس)، إن هذه الصيغة لا صلة لها باللاتينية، والأقرب إلى المنطق أنها صيغة يمنية تقليدية، فالاسم ينصرف إلى أبو يابس (ءبوس) وهذا المكان هو اليوم في محافظة إب، مديرية العدين، عزلة بني عمران، قرية الوادي، ويدعى محلة شعب يابس، أي أن بطلماوس هذا ينتمي إلى منطقة في العُدين، ولكنه عُيّن قائداً حربياً في ما يعرف اليوم بمديرية التعزية، وهي مديرية متاخمة للعُدين. لكن بطلماوس بن أبوبس هذا كان صهر يهوذا ويوحنا، فهو متزوج شقيقتهما. وبطبيعة الحال لا يعرف تاريخ روما ملكاً رومانياً وثنياً تزوج شقيقة كاهن يهودي. هذا خيال ما بعده خيال. ولذا يؤكد سفر المكابيين أنه: (المقطع ١٢. كان صهر الكاهن الأعظم). وهذا يؤكد لنا بنحو قاطع، أن ما يبدو لنا أسماء ملوك وضباط من روما، إنما هي ألقاب رومانية اتخذها بعض ملوك اليمن الصغار، أو، في حالات أخرى، أن مترجم النص العبري رسمها بالتصويت اليوناني، وهذان احتمالان حقيقيان كما رأينا من أمثلة كثيرة؛ إذ لا يعقل أن ملكاً رومانيا تزوج خلال الغزو يهودية في هذا العصر، وهي شقيقة الكاهن الأعظم في أورشليم. ثم حدث أثناء القتال، أن الكاهن الأعظم سمعان وولديه يهوذا الثاني ويوحنا تلقوا من صهرهم دعوة إلى المجيء إلى نجد الريح (يريحو). فلبّى سمعان وولديه دعوة صهرهما، وكان الأمل الذي يراودهم، أن تكون هذه فرصة للتداول بشأن القتال الذي ظل متواصلاً، ولصدّ أي خطر عن أورشليم. وفي اللحظات الأخيرة فقط، غيّر الكاهن

الأعظم من خططه، فقرر أن يصحب ابنه الأصغر متنية الثاني معه، بدلاً من يوحنا الذي كان ينشغل آنئذٍ في حشد المقاتلين. كان الكاهن الأعظم سمعان، يعرف جيداً طموحات صهره، ولم يغب عن ذهنه قط، أنه كان رجلاً مغروراً ويضمر الشرّ لأقرب حلفائه. بيد أن كل هذه الهواجس تلاشت في أجواء الحماسة لحشد القوى ومواصلة القتال دفاعاً عن أورشليم. في هذا الوقت كان بطلماوس بن أبوبس يخطط للغدر بصهره وولديه (المقطع ١٣: فتشامخ في قلبه وطلب أن يستولي على البلاد، وقد نوى الغدر بسمعان وولديه حتى يهلكهم). وفي هذا الوقت كان الكاهن الأعظم لأورشليم، يتفقد مواضع القتال من حول المدينة المقدّسة، ويسأل عن أحوال المدن التي جرى فيها قتال عنيف، ثم واصل جولاته حتى دخل أريحا (يريحو)، وكان برفقته في شتاء هذا العام (شباط) متنية الابن الأصغر ويهوذا الثاني (المقطع ١٤: وكان سمعان يجول في مدن البلاد، ينظر في مهماتها فنزل إلى أريحا، هو ومتنية ويهوذا، ابناه في السنة المئة والسابعة والسبعين في شهر شباط).

أي أنه انتقل من العُدين إلى التعزية (محافظة تعز، مديرية التعزية، عزلة الربيعي، قرية الظهرة، محلة نجد الريح). ما إن وصل الكاهن الأعظم إلى أريحا (يريحو) حتى وجد صهره (بن أبو–يبس) في انتظاره (المقطع ١٥: فأنزلهم ابن أبوبس بحصن يدعى حصن دوق، كان قد بناه بنفسه، وهو يضمر لهم الغدر، وصنع لهم مأدبة عظيمة وأخفى هناك رجالاً). كان حصن دوق هذا في عزلة جبلية تتبع اليوم محافظة الضالع، مديرية الضالع، عزلة الضالع، حي الضالع، محلة دوقه. وحين دخل الكاهن وولداه يهوذا ومتنية إلى الحصن، أبقى سلاحه في حوزته (المقطع ١٦: فلما سكر سمعان وبنوه، قام بطلماوس ومن معه وأخذوا سلاحهم ووثبوا على سمعان في المأدبة وقتلوه هو وابنيه وبعضاً من غلمانه).

١٧: وخان خيانة فظيعة وكافأ الخير بالشرّ.

١٨: ثم كتب بطلماوس بذلك وأرسل إلى الملك، أن يوجه إليه جيشاً لنصرته فيسلم إليه البلاد والمدن.

١٩: ووجه قوماً إلى (جزر) لإهلاك يوحنا، وأنفذ كتباً إلى رؤساء الألوف أن يأتوه حتى يعطيهم فضة وذهباً وهدايا،

٢٠: وأرسل آخرين ليستولوا على أورشليم وجبل الهيكل،

٢١: فسبق أحدهم وأخبر يوحنا في جزر، بهلاك أبيه وأخويه، وأن بطلماوس قد بعث من يقتله.

٢٢: فلما سمع ذلك بهت جداً، وقبض على الرجال الذين أتوا ليقتلوه وقتلهم لعلمه أنهم يريدون إهلاكه.

٢٣: وبقية أخبار يوحنا وحروبه وما أبداه من الحماسة وبناؤه الأسوار التي بناها وأعماله.

٢٤: مكتوبة في كتاب أيام كهنوته الأعظم منذ تقلد الكهنوت الأعظم بعد أبيه.

وهكذا سقطت أورشليم في قبضة القبائل المرتدّة عن اليهودية عام ١٧٢ في التاريخ الحميري، وباتت منذ الآن مدينة آثمة (مدينة خطايا). وهذه النصوص الواضحة لا تشير قط إلى وجود (الرومان) أو أنهم دمروا الهيكل. من دمّر الهيكل هو صهر الكاهن الأعظم لأورشليم الذي غدر به لصالح أقيال/ ملوك كانوا من أشرس منافسيه. هذا هو سفر المكبيين (الذي قمنا بمطابقة روايته مع رواية يوسفيوس وسترابون) وهو يؤكد الحقيقة الآتية التي جرى التلاعب بها:

ليس ثمة ثورة يهودية في أورشليم على الرومان، والملوك والشخصيات والأبطال الذين تسمّوا بأسماء رومانية. هم، كما كشف تحليل نصوص السفر، شخصيات ملوك وأبطال صغار، انخرطوا في صراعات قبلية على أساس ديني، وقبلي ضد كهنة أورشليم في حقبة الغزو الروماني. ومن المؤكد أن الرومان تركوا خلفهم وهم يهربون من مسرح الغزو، قبائل ممزقة تورطت في نزاعات معقدة وطويلة، ووكلاء يواصلون نيابة عنهم تقاسم الغنائم لمصلحة الإمبراطورية.

وفي هذا الصراع هُدم الهيكل في أرض حمير، وتحديداً في قلب عاصمتها التاريخية (يريم). ومع سقوط أورشليم في قبضة المرتدّين عن اليهودية، فقد تضعضعت أسس هذا الدين وأركانه كلياً. ليس ثمة أي دليل تاريخي يؤكد أن الرومان هم من هدم الهيكل.

لقد آن الأوان للتخلص من ترهات الرواية اللاهوتية الاستشراقية.

ملحق النقوش

النقش الأول: امرؤ القيس

Jamma 576.

الترجمة العربية لمقاطع من النصّ

١: إيلشرح يحضب وشقيقه يزأل بين، ملكا سبأ وذي ريدان إبني فرعم ينهب ملك سبأ نذراً للإله المقه ثهوان سيّد أوام تسعة أصنام من الفضة حمداً وشكراً، لأنه حمى (حفظ) وآزر عبده إيلشرح يحضب في هزيمة كل الجيوش والقبائل التي شنت الحرب في الشمال والجنوب والساحل

٢: واليابسة، وبفضل عون الإله المقه تمكن من هزيمة ملك كدة وقبيلة كدة وتمكن من أسر أميرهم امرئ القيس بن عوفم (عوف) ملك (خصصتن) وكبار رجال قبيلة كندة ووضعه في السجن بمدينة مأرب، وأخذوا رهائن وأسرى من أبناء أشراف وسادات كدة و

٣: وأخذوا غنائم كثيرة خيولاً وإبلاً. فحمداً وشكراً للإله الذي مكن عبده إيلشرح يحضب من أن ينزل الرعب في قلوب أعدائه ويصدّ غارات الأعداء من الأحباش وإلحاق الهزيمة بهم في سهرتم (السهرت) التي قام بها ضد شمر ذي ريدان وقبائل حمير وحلفائهم الذين

نقضوا عهد السلام والقسم، وصعدوا من مأرب إلى صنعاء في حملة ضد شمر ذي ريدان وقبائل حمير ومذحج وردمان.

٤: الملك إيلشرح وبعض الأقيال وجيشه وفرسانه اتجهوا صوب أرض حمير وأحلافها، فدمروا واستولوا على قصر ذي شأمتن ومدينة دلل، وقصر يهر ومدينة أزور على حدود أرض أكسوم بعد غارة شنوها على المنطقة بين المدينتين فعاد سالماً مع الأقيال.

٥: وجيشه وفرسانه ثم توغلوا في أرض مدينة بوسان، لملاقاة الجنود الذين أرسلهم شمر ذي ريدان، لإسناد قبائل حمير وحماية المنطقة وحدودها. وبعد ذلك وقعت مواجهة في مدينة بوسان وتم القضاء على الجنود وغنموا الغنائم وأخذوا منهم أسرى ثم ساروا حتى

٦: بلغوا برية دركان، لكن الريدانيين كانوا قد فروا تفادياً للمواجهة، ولذا أغاروا على أرض مأنف/ م ثم توغلو في أراض منأنف/ م وتمكنوا من قتل وأسر الكثيرين وأخذوا منهم الغنائم، ثم اتجهوا صوب ذي يلرن وأغاروا على مدينة تعرمن ونهبوها واستولوا عليها ثم عادوا من حربهم

٧: ومعهم أسرى وغنائم من الأبناء والنساء ومن جميع (الناس). ومن هناك عادوا باتجاه مدينة ناعط، وكانت بعض جيوشهم متمركزة هناك، والملك إيلشرح يحضب وجنوده إلى جواره وهو بين فرسانه ورجاله، فسار بهم حتى بلغوا الجزء الشرقي من أرض أكسوم واستولوا على مدينة عيوم وهدموا قصورها، وتوغلوا شرق أكسوم وأوقعوا فيهم القتل وأخذوا أسرى وتركوا المدينة

٨:وعادوا إلى مدينة ناعط. الملك إيلشرح يحضب وقسم من جيشه وفرسانه ساروا صوب أرض مهنفم/ مأنف فاستولوا عليها وعلى قريتي عثي (العث) وواصلوا أعمال القتل والنهب والسلب وأخذوا الغنائم ثم عادوا إلى مدينة دفو، وهناك جابهتهم قبائل مران (مرم) وقبائل مهنفم/ مأنف في القيعان فاشتبكوا مع طلائعهم.

٩: ثم دخلوا مدينة دفو. وتوجهت طليعة منهم إلى مدخل المدينة لصدّ الريدانيين، الذين أرسلوا إلى مخلاف يكلى طالبين العون والحماية من القتل، فدخلوا المدينة. وهكذا فقد

نشبت معركة أخرى مع حمير وأحلافها من المرانيين في القيعان المجاورة ليكلى، فأوقعوا فيهم القتل والسلب والنهب ثم تركوا مدينة

١٠: ناعط، فدعا حمير ومن حالفها للقتال، فمضوا نحو وادي نجر/م (نجر)[١] والملك إيلشرح يحضب وسط أقواله وجنوده وفرسانه، فسار بهم حتى القيعان المروية (المسقية) من مخلاف يكلى، حتى غدا الحميريون داخل منطقة قتال مفتوح فأوقع بهم وبحيواناتهم القتل وسلب منه الغنائم وأخذ منهم أسرى.

النص الإنكليزي

text:

1 ʾls^{2}rḥ Yḥḍb w-ʾ(ẖy)-(hw)[Yʾzl Byn mlky S^{1}bʾ]w-ḏ-Rydn bny Frʿm Ynhb mlk S^{1}bʾ [hqnyy ʾlmqh-Ṯhwn-bʿl-ʾwm ts^1]ʿtn ((s^{1}bʿtn)) ʾṣlmn ʾly ṣrfn ḥmdm b-ḏt hws^{2}ʿ w-hrdʾn ʿbd-hw ʾls^{2}rḥ Yḥḍb b-s^{2}kr kl ʾẖms^1 w-ʾs^{2}ʿb tns^{2}ʾw b-ʿly-hmw ḍrm bn ʾs^{2}ʿb s^{2}ʾmt w-ymnt w-b[ḥ]—

2 rm w-ybs^{1}m w-l-ḏt hws^{2}ʿ-hmw (ʾlmqh) (b)-(ʾẖḏ) Mlkm mlk Kdt w-s^{2}ʿbn Kdt b-ẖfrt hẖfr Mlkm ʾlmqh w-m(l)k(nhn) Mrʾlqs^1 bn ʿwfm mlk Ḫṣṣtn w-ʾẖḏ-hw hwt Mlkm w-ʾkbrt Kdt b-hgrn Mrb ʿdy hgbʾw hwt ***ġlmn Mrʾlqs^1*** *w-whbw ʾwṯqm bn s^{2}ʿbn Kdt brw-hw w-bny mrʾs^1 w-ʾkbrt Kdt whb—*

3 w ẖfrt ʾlmqh w-mlknhn ʾfrs^{1}m w-rkbm w-gmlm w-ḥmdm b-ḏt hws^{2}ʿ ʾlmqh ʿbd-hw ʾls^{2}rḥ Yḥḍb b-ẖrʾn w-s^{2}kr w-nqm ʾḥzb Ḥbs^{2}t w-ḏ-S^{1}hrtm w-S^{2}mr ḏ-Rydn w-ʾs^{2}ʿb Ḥmyrm b-ḥbl ḥblw bʿd s^{1}lm w-gzm gzmw w-ys^{3}mkw bn hgrn Mryb ʿdy hgrn Ṣnʿw l-ḍbʾ w-hṣrn b-ʿly S^{2}mr ḏ-Rydn w-ʾs^{2}ʿb Ḥmyrm w-Rdmn w-Mḍḥym

4 w-yʿdwn mlkn ʾls^{2}rḥ w-ḏ-bn ʾqwl-hw w-ẖms^1-hw w-ʾfrs^1-hw ʿdy ʾrḍ

Ḥmyrm w-ṯbrw w-hbʿln w-qmʿ w-hs^{1}bʿn byt ḏ-S^{2}mtn w-hgrn Dll w-byt Yhr w-hgrn ʾẓwr b-wṯnn b-ʾrḍ Qs^{2}mm b-ywm hġrw w-ylfyw bn hnt hgrn mhrgtm w-s^{1}bym w-ġnmm ḏ-ʿs^{1}m w-bn-hw f-hwṣlw ʿdy byn hgrnhn w-bn-hw f-ybḥḍn mlkn ʾls^{2}rḥ Yḥḍb

5 w-b-ʿm-hw ḏ-bn ʾqwl-hw w-ḫms^1-hw w-ʾfrs^1-hw w-ybḥḍw ʿdy ḫlf hgrn Bʾs^{1}n w-qdm-hmw ʾs^{1}d hys^{1}r S^{2}mr ḏ-Rydn bn ʾs^{2}ʿb Ḥmyrm l-hʿnn ʿdy wṯnn w-ytqdmw b-ʿm-hmw b-ḫlf hyt hgrn Bʾs^{1}n w-ḫmr-hmw ʾlmqh hs^{1}ḥtn hmt ʾs^{1}dn ʾḥmrn w-yhrgw bn-hmw mhrgm ḏ-ʿs^{1}m w-tmlyw s^{1}by w-qny hyt hgrn Bʾs^{1}n w-bn-hw f-hṣrw ʿdy

*6 ḏt mẓʾw ʿdy brrn ḏ-Drgʿn w-tflw mṣr ḏ-Rydn w-ʾl qdm-hmw w-bʿd-hw f-yṣbʾw b-ʿly ʾrḍ Mhʾnfm w-yhys^{1}rw bḥḍm ḏ-bn ḫms^1-hmw b-ʿly ʾrḍt Mhʾnfm w-lfyw b-hw mhrgtm w-s^{1}bym w-ġnmm ḏ-hrḍw-hmw w-bn-hw f-**s^{3}mkw mqln ḏ-Ylrn ((Ygrn)) w-nḥbw hgrn Tʿrmn** w-ḫmr-hmw ʾlmqh hbʿln hyt **hgrn Tʿrmn w-ylfyw** b-hw mhrgtm w-*

*7 ys^{1}byw kl ʾwld w-ʾnṯ-hw w-ymtlyw kl ʾbʿl-hw w-bn-hw f-ytʾwlnn ʿdy hgrn Nʿḍ w-rtʿ b-ʿm-hw ḏ-bn ḫms^1-hmw w-yhṣr mlkn ʾls^{2}rḥ Yḥḍb w-ʾs^{1}d qrbw b-s^{3}n-hw bn ḫms^1-hmw w-ʾfrs^1-hmw w-yhṣrw b-ʿly ms^{2}rqt ʾrḍ Qs^{2}mm w-yhs^{1}bʿw w-hs^{3}ln **hgrn ʾyḍmm w-ybḥḍw** kl ms^{2}rqt Qs^{2}mm w-ylfyw b-hw mhrgtm w-s^{1}bym ḏ-ʿs^{1}m w-bn-h—*

8 w f-ygbʾw ʿdy hgrn Nʿḍ w-bn-hw f-yhṣrn mlkn ʾls^{2}rḥ Yḥḍb w-ḏ-bn ḫms^1-hw w-ʾfrs^1-hw ʿdy ʾrḍ Mhʾnfm w-yqmʿw w-hbʿln hgrnhn ʿṯy w-ʿṯy w-ylfyw b-hw mhrgtm w-s^{1}bym w-mltm w-ġnmm ḏ-ʿs^{1}m w-bn-hw f-ytʾwlw b-ʿly hgrn Ḍfw w-ykbnn b-hw ḏ-Mḏrḥm w-s^{2}ʿbn Mhʾnfm w-yhbrrw s^{2}ʿbn Mhʾnfm b-ʿly mqdmt-hm—

*9 w w-hs^{1}ḥt-hmw mqdmt-hmw ʿ**dy ḏt ḥml**-hmw hgrn Ḍfw w-yhrgw bn-hmw mhrgm ḏ-ʿs^{1}m w-bn-hw f-ytʾwlw ʿdy ḫlf hgrn Yklʾ w-ykbnn b-hw ḏ-bn ʾqwl ḏ-Rydn w-mṣr Ḥmyrm w-hbrrw w-tqdmn b-ʿm-hmw w-hs^{1}ḥt-hmw bn Mrḥḍn ((mrḥḍn)) ʿdy ḏ-ḥml-hmw s^{3}ʾd Yklʾ w-lfyw bn-hmw mhrgtm ḏ-ʿs^{1}m w-bn-hw f-tʾwlw ʿdy h[g]—*

10 rn Nʿḍ w-yʾdb-hmw hmt ʾḥmrn k-l-yqdmnn l-mhrgtm ʿdy s^{1}r Ngrrm w-yhṣrn mlkn ʾls^{2}rḥ Yḥḍb w-ḏ-bn ʾqwl-hw w-ḫms^1-hw w-ʾfrs^1-hw ʿdy ḏt mẓʾw s^{3}ʾd Yklʾ w-ʾl hbrrw hmw ʾḥmrn l-mhrgtm w-gbʾw w-tʾwlw ʿdy hgrn Nʿḍ w-bn hgrn Nʿḍ f-ytʾwlw ʿdy hgrn Ṣnʿw b-hwbltm w-mhrgtm w-ʾḫyḏtm w-s^{1}b—

11 ym w-ġnmm ḏ-ʿs^{1}m w-bʿd-hw f-nbl b-ʿbr-hmw S^{2}mr ḏ-Rydn l-mḥkm b-ḥblm w-hʾ S^{2}mr ḏ-Rydn f-nbl b-ʿbr ʿḏbh mlk ʾks^{1}mn l-nṣrm b-ʿly ʾmlk S^{1}bʾ w-yhṣrn mlkn ʾ—

12 ls^{2}rḥ Yḥḍb w-ʾqwl-hw w-ḫms^1-hw w-ʾfrs^1-hw bn hgrn Ṣnʿw drm ṯntm b-ʿly S^{2}mr ḏ-Rydn w-ʾs^{2}ʿb Ḥmyrm w-Rdmn w-Mḍḥym w-ybḥḍn mlkn ʾls^{2}rḥ Yḥḍb w-ḏ-bn ʾqwl-hw w-ḫms^1-hw w-ʾfrs^1-hw brrn ḏ-Ḥrwr w-ʿrṣm w-Drgʿn w-ylfyw b-hmw mhrgtm w-s^{1}bym w-ġnmm w-mltm ḏ-ʿs^{1}m w-hdrkt-hmw ḥyrt-hmw ʿdy Qrb w-Qrs^1 w-wṯrw kl ʾbʾr-hmy w-qmʿw hgrn Qrs^1 w-bn-hw f-ybḥḍw mlkn ʾls^{2}rḥ Yḥḍb w-ḏ-bn ʾqwl-hw w-ḫms^1-hw w-ʾfrs^1-h—

13 w ʾrḍt Yhbs^{2}r w-Mqrʾm w-S^{2}ddm w-lfyw b-hw mhrgtm w-s^{1}bym w-ġnmm ḏ-(ʿ)s^{1}m w-hbʿlw bytn Rʾs^1 w-kl mḥfdt kwnw ʾwmr-hw w-qdmt-hmw ḥyrt-hmw ʿdy ḫlf [......] s^{1}bʿw hyt hgrn Rʾs^{1}w w-byt ḏ-S^{1}nfrm w-ynbln-hmw kl qrn s^{2}ym b-hw ḏ-Rydn w-bn-hw f-hṣrw ʿdy ḫlf hgrn Ẓ—

14 lm w-yhwkbnn b-hw mqtt w-ʾrgl w-qrn ys^{1}r S^{2}mr ḏ-Rydn l-s^{2}rḥ-hw w-fḫr-

hmw l-S^{1}bʾ w-ṯhb-hmw nkfm w-gbʾw w-nḥbw hyt hgrn w-ḫmr-hmw ʾlmqh ṯbr hyt hg[rn...... w-ylfyw b-hyt]hgrn mhrgtm w-s^{1}bym w-ġnmm ḏ-ʿs^{1}m w-bn-hw f-yhṣrw ʿdy byn hgrnhn Hrn w-Ḏmr w-ys^{3}mkn mlkn ʾ—

15 ls^{2}rḥ Yḥḍb w-b-ʿm-hw ḏ-bn ʾqwl-hw w-ḫms^1 mʾnm w-ʾlfm ʾs^{1}dm w-ʾrbʿy ʾfrs^{1}m w-ykbnn S^{2}mr ḏ-Rydn w-b-ʿm-hw s^{1}ṯt ʿs^{2}r ʾʾlfm ʾs^1[dm bn ʾs^{2}ʿb Ḥmyrm w-]Rdmn w-Mḍḥ[ym......]k-rʾ ḏ-Rydn w-mṣyrt Ḥmyrm b-ws^{1}ṭ hgrn Ḏmr w-s^{3}mkw bn ḥyrt-hmw Mhs^{1}knm w-ʾfrs^1-hmw b-ʾnḥ—

16 rm w-ṭrydm w-hmw ʾḥmrn f-ʾs^{1}yw l-hmw wkym ʿdy ḏt mẓʾw ḫlf [hg] r[n] w-hbrr ḏ-Rydn w-mṣyrt Ḥmyrm b-ʿly-h[mw......]hm[w] m[......]m S^{2}mr ḏ-Rydn w-mṣyrt Ḥmyrm wld-ʿm w-hs^{1}ḥt-hmw ʿdy ḏ-ḥml-hmw mṣrʿt hgrn Ḏmr w-S^{2}mr ḏ-Ryd±[n......]

17 f-hrg frs^1-hw w-hmw f-ʿdww l-hgrn Zḫnm w-hrgw bn mṣyrt Ḥmyrm w-Rdmn w-Mḍḥym mhrgm ḏ-ʿs^{1}m w-mlkn ʾls^{2}rḥ Yḥḍb w-ʾs^{1}d s^{1}ṯṯqf [.]nm[..] bn ḫms^1-[hw] w-ʾfrs^1-hw f-tʾwlw[ʿ]dy [...h]mw ḏ-Trznn b-wfym w-ḥmdm w-mhrgtm ḏ-ʿs^{1}m [......]

18 b-ʿm((bʿd)) ḥyf ḥyf-hmw S^{2}mr ḏ-Rydn w-ʾs^{2}ʿb Ḥmyrm wld-ʿm w-fḫrw b-ʿbr S^{2}mr ḏ-Rydn w-mṣr-hw l-tqdm(n) kl hmt ymtn w-tṣnʿw b-wṣt hgrn Ḏmr w-gbʾw w-tʾwlw ʿdy hgrn Nʿḍ w-bn hgrn Nʿḍ f-gbʾw w-hṣrw ʿdy byn hgrnhn w-lfyw b-hw mh[rgtm w-s^{1}bym w-ġnmm ḏ-ʿs^{1}m w-bn-h]—

19 w f-tʾwlw ʿdy hgrn Ṣnʿw b-wfym w-ḥmdm w-ʾḥllm w-s^{1}bym w-ġnmm w-mltm ḏ-ʿs^{1}m w-bʿd-hw f-ʿdw Grmt wld ngs^{2}yn w-b-ʿm-hw ʾḥzb Ḥbs^{2}t w-ḏ-S^{1}hrtm ḍrm b-ʿly ʾmlk S^{1}bʾ ḥg-n k-s^{1}tṣr-hmw S^{2}mr ḏ-Rydn w-ḫmr-hmw ʾlmqh-Ṯhwn-bʿl-ʾwm ḥs^{1}m kl hm[t...... S^{2}mr]

20 ḏ-Rydn w-bʿd-hw f-hdrk-hmw mlkn ʾls^{2}rḥ Yḥḍb w-b-ʿm-hw ḏ-bn ʾqwl-hw w-ʾlfm ʾs^{1}dm bn ḫms^1-hmw w-s^{1}ṯ w-ʿs^{2}ry ʾfrs^{1}m l-nqm b-ḥrbt ḥrbw w-hṣrn S^{2}mr ḏ-Rydn bʿd gzm w-s^{1}lm kwn byn ʾmlk S^{1}bʾ w-Ḥbs^{2}t w-ḥrbw ḫms^{1}t ʾdyrm bn[...... w-lfy]—

21 w bn-hmw mhrgtm w-s^{1}bym w-mltm w-ġnmm ḏ-ʿs^{1}m w-yhʿnw b-ʿly-hmw ḏ-bn ʾḥbs^{2}n w-ḏ-S^{1}hrtm w-yhdrk-hmw ʿnt hmt ʾḥbs^{2}n b-kdnn ḏ-ʾḥdqm w-ytqdmw b-ʿm-hmw rglm w-ḫmr-hmw ʾlmqh hs^{1}ḥtn w-ṯbr ʿnt hmt ʾḥbs^{2}n w-ytʾwln mlkn ʾls^{2}rḥ Yḥḍb [w-ʾqwl-hw w-ḫms^1-]

22 hw ʿdy hgrn Ṣnʿw b-wfym w-ḥmdm w-ʾḥllm w-s^{1}bym w-mltm w-ġnmm ḏ-ʿs^{1}m w-ḥmdm b-ḏ-ḫmr-hmw ʾlmqh s^{2}kr w-nqm Grmt wld ngs^{2}yn mlk ʾks^{1}mn b-tnblt ḥbl ʾs^{1}d b-ʿbr-hw ʾmlk S^{1}bʾ w-ḥmdm b-ḏt hws^{2}ʿ-hmw ʾlmqh b-s^{2}kr ʾns^1 Ṣḥbm bn [Gys^{2}m......]—

23 ys^1 bn mlk ʾlmqh w-yhys^{1}rw mqtwy-hmw Nwfm bn Hmdn w-ḏ-Ġymn w-b-ʿm-hmw ḏ-bn mqtyt-hmw w-ḏ-bn s^{2}ʿbynhn Ḥs^{2}dm w-Ġymn w-ḫmr-hmw ʾlmqh tʾwln mqtwy-hmw Nwfm b-wfym w-ʾs^{1}d s^{1}tṯqf b-ʿm-hw w-s^{2}kr hwt ʾys^{1}n Ṣḥbm bn Gys^{2}m w-ʾwlw rʾs^1-hw w-y[dy-hw w......]

24 s^{2}ʿbn Ḫwln Gddm w-ḥmdm b-ḏt hws^{2}ʿ-hmw ʾlmqh b-wḍʿ s^{2}ʿbn Ngrn b-kn qs^{1}dw w-nzʿ ydm bn ʾmrʾ-hmw ʾmlk S^{1}bʾ b-ʿbr ʾḥbs^{2}n w-yḏbʾn b-ʿly-hmw mlkn ʾls^{2}rḥ Yḥḍb w-ḏ-bn ʾqwl-hw w-ḫms^1-hw w-ʾfrs^1-hw w-yẓwrw hgrn Ẓrbn ṯny wrḫn w-fḫr[w b-ʿbr......]

25 ṯhb-hmw k-yẓwynn ʾmrʾ-hmw ʾmlk S^{1}bʾ k-hʿs^{1}mw hḫṭʾn w-wʿd-hmw k-yṣryn-hmw mlk Ḥḍrmwt b-ʿbr ʾmrʾ-hmw ʾmlk S^{1}bʾ w-wʿd-hmw s^{2}ʿbn Ngrn ṯny wrḫyn l-tṣryn b-ʿbr ʾmrʾ-hmw ʾmlk S^{1}bʾ w-ytʾwln mlkn ʾls^{2}rḥ Yḥḍb w-ʾqwl-

hw w-ḫms^1-hw ʿdy hgr[n......Ng]—

26 rn w-ys^{1}mʿw k-nblw hmw ʾgrn b-ʿbr ʾḥzb Ḥbs^{2}t l-hʿnn ʿqb ngs^{2}yn b-hgrn Ngrn w-s^{2}ʿbn Ngrn w-hmw f-nẓrw mwʿd ʾgrn l-tẓryn b-ʿbr ʾmrʾ-hmw ʾmlk S^{1}bʾ w-hḫw-hw b-mwʿd-hmw l-nṣr ʿnt ʾḥbs^{2}n w-bʿd-hw f-ys^{1}rw mqtwyy-hmw Nwfm bn Hmdn w-ḏ-Ġymn w-k[......-h]—

27 mw w-nẓr-hmw w-ḏ-bn s^{2}ʿbnhn Ḥs^{2}dm w-Ġymn w-ʾrbʿ-ʿs^{2}r-hw ʾfrs^{1}m w-yḥrb-hmw b-s^{1}rnhn Ngrn w-yʾtyw b-ʿbr mrʾy-hmw mlknhn ʿdy hgrn Ṣnʿw b-wfym w-ḥmdm w-mhrgtm w-s^{1}bym w-ġnmm ḏ-ʿs^{1}m w-bʿd-hw f-yḍbʾn b-ʿly-hmw mlkn ʾls^{2}rḥ Yḥḍb w-b-ʿm-hw [...... b-ywm h]—

28 ġrw b-ʿly-hmw bn mġwn-hmw ḏ-s^{1}rn Rkbtn w-ylfy-hmw kl mrʾs^1 w-ʾḥrr s^{2}ʿbn Ngrn b-ms^{1}lmn w-yhrgw bn hmt ʾgrn mhrgm ḏ-ʿqdm w-b-ṯlṯm ywmm f-fḫrw hmw ʾgrn tḍrʿm b-ʿbr mrʾ-hmw ʾls^{2}rḥ Yḥḍb mlk S^{1}bʾ w-ḏ-Rydn w-ʿqb-hmw Ḥbs^{2}yn S^{1}bqlm s^1[......h]—

29 w w-ʾs^{1}d hbʾs^{1}w w-hs^{2}tʾw qs^{1}dtn f-nblw b-ʿm-hw w-whbw bny-hmw w-bnt-hmw ʾwṯqm w-ḥmlw ʿdy hgrn Ẓrbn ʿqb wqh mrʾ-hmw mlkn ʾls^{2}rḥ Yḥḍb l-ʿqb b-hyt hgrn Ẓrbn w-s^{1}ry-hw Ngrn w-tgʿr kl ḏ-hḍrʿ bn hgrn Ẓrbn w-s^{1}ry-hw [Ngrn......]

30 ʾmlk S^{1}bʾ b-ḍbyʾ ḍbʾ b-ʿly-hmw mlkn ʾls^{2}rḥ Yḥḍb w-ʾgys^2 w-ġzwy hys^{1}r l-ḍbʾ b-ʿly-hmw w-yhrgw bn s^{2}ʿbn Ngrn ʾrbʿt w-ʿs^{2}ry w-ts^{1}ʿ mʾnm ʾs^{1}dm w-ṯny w-s^{1}ṯy w-ḫms^1 mʾnm ʾs^{1}bym w-yqmʿw b-s^{1}rnhn Ngrn ṯmn w-s^{1}ṯy hgrm w-ygbḏ[w......s^1]—

31 ṯy ʾʾlfm ʾʿmdm w-yṯrw s^{1}bʿ w-ts^{1}ʿy ʾbʾrm w-ḥmdm b-ḏt hws^{2}ʿ ʾlmqh-

Ṯhwn-bʿl-ʾwm ʿbd-hw ʾls^{2}rḥ Yḥḍb mlk S^{1}bʾ w-ḏ-Rydn s^{1}tʾwln hwʾ w-ʾqwl-hw w-ḫms^1-hw w-ʾfrs^1-hw w-rkb-hw w-ḥṣq-hmw bn kl hn[t ḍbyʾn......]

32 s^{1}bʾw b-ʿly ʾmlkm w-ḫms^{1}m w-ʾs^{2}ʿbm ḏ-tns^{2}ʾw b-ʿly-hmw ḍrm w-ytʾwlw bn kl hnt ḍbyʾn w-s^{1}byʾn b-wfym w-ḥmdm w-mhrgtm w-s^{1}bym w-ġnmm ḏ-hrḍw ʿbd-hw ʾls^{2}rḥ Yḥḍb mlk S^{1}bʾ w-ḏ-Rydn w-ḥmdm b-ḏt ḫmr-hmw ʾ[lmqh-Ṯhwn-bʿl-ʾwm......bytn S^{1}l]—

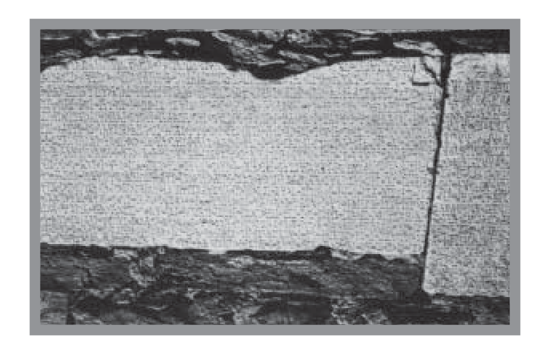
33 ḥn w-Ġndn w-mḥrmnhn w-hgrn Mryb w-Ṣnʿw w-Ns^{2}qm w-kl mqwl-hmw b-wfym bn kl ʾḍrr tns^{2}ʾ b-ʿly-hmw w-l-ḏt yzʾn ʾlmqh-Ṯhwn-bʿl-ʾwm hws^{2}ʿn ʿbdy-hw ʾls^{2}rḥ Yḥḍb w-ʾḫy-hw Yʾzl Byn mlky S^{1}bʾ w-ḏ-Rydn w-ḫms^1-hmw ḫm[s^1 S^{1}bʾ...... ʿbd]—

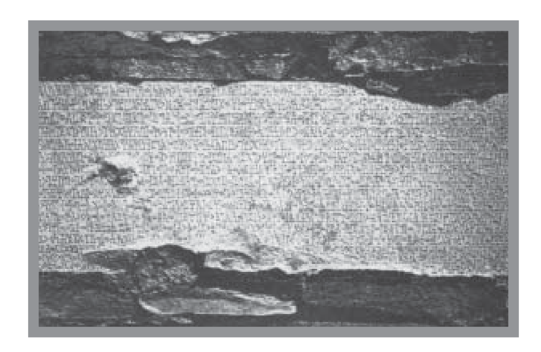
34 y-hw ʾls^{2}rḥ Yḥḍb w-ʾḫy-hw Yʾzl Byn mlky S^{1}bʾ w-ḏ-Rydn b-wḍʿ w-ṯbr w-hms^{1}n w-hkms^{1}n kl ḍrm ḏ-yzʾn yfʿ-hmw bn s^{2}ʾmt w-ymnt w-bḥrm w-ybs^{1}m w-ḥmdm b-ḏ-hws^{2}ʿ-hmw b-mqyḥt ṣdqm w-ḥmdm b-ḏt ḫmr ʾlmqh ʿbd-hw ʾls^{2}rḥ Yḥḍb b-nʿm ʾlbb ḫms^1-hw ḫms^1 S^{1}bʾ b-[......]

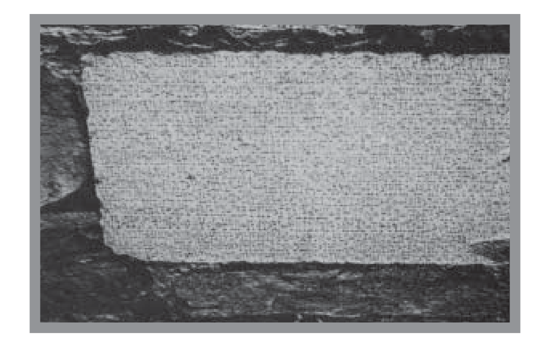
35 ʾls^{2}rḥ Yḥḍb w-l-ḏt nʿmt w-tnʿmn l-(h)mw w-l-bytn S^{1}lḥn w-Ġndn w-l-ṯbr w-wḍʿ w-ḍrʿn w-hms^1 w-hkms^{1}n kl ḍr w-s^{2}nʾ ʾls^{2}rḥ Yḥḍb w-ʾḫy-hw Yʾzl Byn mlky S^{1}bʾ w-ḏ-Rydn bny Frʿm Ynhb mlk S^{1}bʾ b-ʿṯtr w-Hbs^1 w-ʾlmqh-Ṯhwn-bʿl-ʾwm w-b-ḏt Ḥmym w-b-[ḏt Bʿdn]

صورة نقش امرئ القيس

Ja 576+Ja 577 Ja 576=Ry 535; Ja 576=MaMB 212; Ja 577=MaMB 219







النقش الثاني: مدن يهوذا

B-L Nashq Demirjian 1

1Ṣbḥϟhmwbn ʿms^{2}fq bn Rs^{2}wn

2Ns^{2}qyϟn hqnyʾlmqhbʿl My—

3fʿm ms^{3}ϟndn w-hwṯb-hw w-kl w—

4ld-hw w-ϟkl-qny-hw b-Ns^{2}qm w-s^1—

5yr-h ywmϟḍbʾ b-ʿm S^{1}bʾ w-Rkb—

6n rglm w-ϟbʿwmṣrMʿnm b-ʾs^1—

7flʾtmyϟw-ywmḍbʾ b-ʿm s^{2}ʿb-

8hwRkbn b-ϟʿmmṣr S^{1}bʾ ʿdʾr—

9ḍ Ḥḍrmt w-yṯbrw s^{2}lϟ[ṯ......]—

10bn w-bʿwMyfʿt w-fϟ[......]

11mfgrt ((Mfgrt)) w-bʿwKḥd ḏ-ϟ[...... ʿ]—

12brt w-bʿwKḥd ḏ-Tdnϟ[......]

*13w)-yw(m) rkl w-**mṣr**ʿdDd(n)ϟ[w-Ġz]—*

*14t w-ʾhgr **Yhd w-ywm s^{1}lm w-wf**—*

15y ḏ-ys^{1}r bnĠztʿdKty b-ḍr

16Ks^{2}dm w-Ywn w-ywmhwṣt-hw w-

17ltʾk-hwYdʿʾlBynbnYṯʿ—

18ʾmrmlk S^{1}bʾ ʿdʾrḍḎkrm((Ḏkrm)) (w)-L—

19ḥyn((Lḥyn)) w-ʾbʾs^1((ʾbʾs^1)) w-Ḥnk((Ḥnk)) ʾlhnʾrbʿ

20ʿs^{2}r-hw ʾrglm w-hwfy kl ḏ—

21t tlʾk-hw w-hwṣt-hwYdʿʾl|

22w-hṯb l-hwYdʿʾltʾmnt w-

23s²lṯ s²rʿtm w-hmḫḍ-hwʾlf

*24 [w]ɀ(r)qm/1000/ w-ks³w-hw w-*ḫ*mr-hw (l)-*

25 [... r]ɀ(g)ln w-ywmḍbʾ b-ʿm s²ʿɀ—

26 [bn......]

Translation:

1Ṣbḥhmw son of ʿms²fq, of the family Rs²wn,

2the one from Ns²q, dedicated to ʾlmqh, Lord of

3Myfʿm, the inscription and its support (?), all

4his sons and all his properties in Ns²qm and in its

5territory, when he fought with Sabȧ and Rkbn

6on an expedition (?) and overcame the army of Maʿīn in the lower

7part of ʾtmy; and when he fought with his tribe

8Rkbn with the army of Sabȧ into the land of

9Ḥaḍramawt and they destroyed three [......]

10and he overcame Myfʿt and [they made]

11a sally (?) and overcame Kḥd ḏ-[......]

12ʿbrt and overcame Kḥd ḏ-Tdn[......];

13and when he traded and led a caravan to Ddn and Ġzt

***14and the towns of Judah**; and when he was safe*

15and sound, he who was sent from Ġzt to Kty, during the war

16between Chaldea and Ionia; and when Yd‘’lByn

*17son of **Yṯ‘’mr** king of Sabȧ appointed him and sent*

18him as a messenger to the land of Ḏkrm and

19Lḥyn and ʾbʾs¹ and Ḥnk in those fourteen

20expeditions (?) and he accomplished all that

21Yd‘’l had charged him as a messenger and for which he had appointed him.

22Yd‘’l bestowed him gratitude and

23three equipments and granted him a thousand

24pieces of gold and clothed him and granted him

25 [......] and when he fought with the tribe

26 [......]

الترجمة من السبئية إلى العربية:

١ : صبحم (الصباح) بن عم شفق من أسرة رشوان

Ṣbḥhmw son of ʿms²fq, of the family Rs²wn

٢ : أحد سكان نشق أهدى تمثالاً من البرونز تقرّباً للإله المقه

٣: رب ميفعت – ميفعة ونقش عليه

٤ : لبركته وحمايته هو وأبنائه وجميع ممتلكاته في نشق

٥ : لعودته من القتال مع سبأ وركبن (الركب)

٦ : حين تغلبوا على معين مصرن في السفل

*n rglm w-ϟbʿ**wmṣrM**ʿ**nm** b-ʾs¹—*

٧: وفي (عتمة) يوم قاتل مع قبيلته

٨: ركبن – الركب سوية مع قوات سبأ في أرض

٩: حضرموت ويوم قاد ثلاثة قوافل

Ḥaḍramawt and they destroyed three

١٠ إلى ميفعت (ميفعة) و [ ]

١١ وسلي (؟) كدة – [......]

١٢ وعبرت (عبرة) ثم إلى ديثنة [......]؛

١٣ ويوم تاجر مع مصر، وددن وغزة *Ġzt*

١٤ ومدن يهوذا (هجر – يهوذه)[٢]؛ وعندما كان آمناً

١٥ وصله خبر أن الحرب وقعت من *Ġzt* إلى كتي

١٦ وعندما كان وسط كلدة وعوين أرسل له اليدع بين *Yd››lByn*

١٧ بن يثع أمر ملك سبأ رسولاً وطلب منه

١٨ أن يذهب كمبعوث منه إلى أرض كرم و

١٩ ولحيان و(بعشه) و(حنك و *Ḥnk*) وتلك كانت هي المرة الرابعة عشرة

٢٠ التي يرسله في بعثة (؟) وقد أنجز كل ذلك

٢١ فكان رسول الملك وعينه

٢٢ فأعطى له الامتنان و

٢٣ ومنحه ثلاث عطيات وألف

٢٤ قطعة من الذهب وقطيفة له

٢٥ [...] يوم قاتل مع القبيلة

٢٦ [......]

النقش الثالث: السميفع أشوع والأحباش

rep - epigr. 2633



السميفع أشوع

Text:

1 *S^1myf’ ‘s^2w’ w-bny-hw S^2rḥb’l Ykml w-M’dkrb Y’fr bny Lḥy’t |*

2 *Yrḫm ‘lht Kl’n w-ḏ-Yz’n w-Gdnm w-Mṯln w-S^2rqn w-Ḥbm w-Yṯ’n*

3 *w-Ys^2rm w-Yrs^3 w-Mkrbm w-’qht w-Bs^3’yn w-Ylġb w-Ġymn w-Yṣbr*

4 *w-S^2bḥm w-Gdwyn w-Ks^3rn w-Rḫyt w-Grdn w-Qbln w-S^2rgy w-bny Mlḥm*

5 w-'s²'b-hmw Wḥẓt w-'lhn w-S¹lfn w-Ḍyft(n) w-Rṯḥm w-Rkbn w-Mṭlf<t>—

6 n w-S¹'kln w-S³krd w-kbwr w-mḥrg S¹yb(n)(ḏ)-Nṣf s¹ṭrw ḏn ms³ndnb-'—

7 rn Mwyt k-ṯwb-hw gn't-hw w-ẖlf-hw w-m'glt-hw w-mnqlt-hw

8 k-s¹tṣn'w b-hw k-gb'w bn 'rḍ Ḥbs²t w-'s¹yw 'ḥbs²n zrf—

9 tn b-'rḍ Ḥmyrm k-hrgw mlk Ḥmyrm w-'qwl-hw 'ḥmrn w-'rḥbn

10 wrẖ-hw ḏ-Ḥltn ḏ-l-'rb'y w-s¹ṯ m'tm ẖrftm

Translation:

1 S¹myf' 's²w' and his sons fils, S²rḥb'l Ykml and M'dkrb Y'fr, sons of Lḥy't

2 Yrẖm, those of Kl'n, ḏ-Yz'n, Gdnm, Mṯln, S²rqn, Ḥbm, Yṯ'n,

3 Ys²rm, Yrs³, Mkrbm, 'qht, Bs³'yn, Ylġb, Ġymn, Yṣbr

4 S²bḥm, Gdwyn, Ks³rn, Rẖyt, Grdn, Qbln, S²rgy, banū Mlḥm

*5 and their tribes Wḥẓt, 'lhn, S¹lfn**, Ḍyftn, Rṯḥm, Rkbn**, Mṭlft–*

6 n, S¹'kln, S³krd and the kabirs and the governors of S¹ybn ḏ-Nṣf wrote this inscription in the

*7 **fortress of Mwyt,when they repaired** its walls, its gate, its cisterns and its routes of entry,*

*8 when they are fortified in it, when they came back from the land of **Abyssinia,** and the Abyssinians sent the army*

*9 **to the land of Ḥimyar,** when they **killed the king of** Ḥimyar and his 'qwl, Ḥimyarites and Raḥbanites.*

10 The month of Ḥltn of the six hundred forty.

الترجمة بمقاربة النص السبئي مع النص الإنكليزي :

١ : السميفع أشوع وولداه شرحب إيل الكامل ومعد كرب يعفر من بني لهيئع

٢: يرخم (يرحم) وهم سادة وأشراف ذي يزن قدمن (قدم) كهنة شرقن وسدنة

٣: وخدم المكاربة وحراس بيت غيمان المقدّس

٤: وشعبهم غيمن هزموا قبائل رهيت كردن وبني الأصفر

٥: والقبائل التي حالفتهم (علهن وشفتن وذي ثرن ورتهم وركبن) ومن التف حولهم

٦: كتبوا هذا النقش لتخليد ذكرى معارك شعبهم وناسهم حين اضطروا

٧: إلى الاحتماء بحصن موة، وعندما قاموا بإصلاح جدرانها، وبواباتها، وخزاناتها وطرق دخولها

٨: وتحصنوا فيها لمواجهة الأحباش حين أرسل الأحباش جيشاً إلى أرض حمير

٩: وقتلوا ملك حمير والأقيال والكهنة

١٠: كتب عام ٦٤

The month of Ḥltn of the six hundred forty.

10 wrḫ-hw ḏ-Ḥltn ḏ-l-ʻrbʼy w-s¹ṯ mʼtm ḫrftm

النص السبئي: كتب (أرخ) في سنة أربع وستين

النص الإنكليزي: كتب في شهر هتن من عام ٦٤٠

النقش الرابع: نقش معفرن (نقش النصر كرب إيل وتر ٦٥٠ ق.م)[٣]

RES:3945 = Gl : 1000 (ن‍رفعم)



النص السبئي بالحرف اللاتيني:

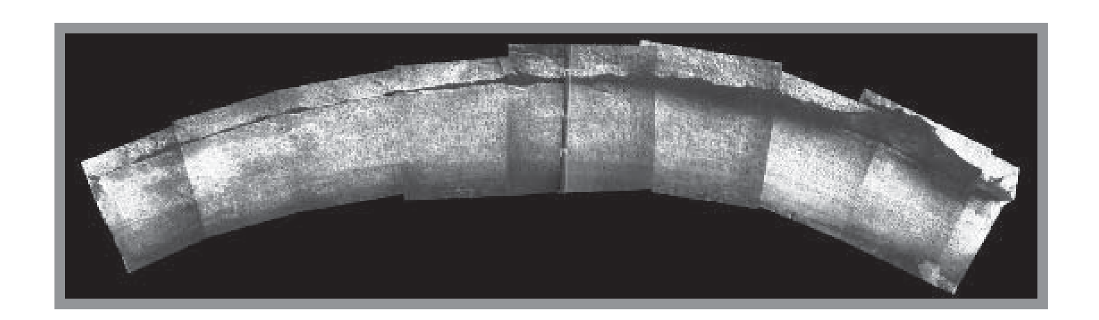
1 [ʾl]t hfṭn Krbʾl Wtr bn Ḏmrʿly mkrb S^1*bʾ b-mlk-hw l-ʾlmqh w-l S*^{1}*bʾ ywm hwṣt kl gwm ḏ-ʾlm w-s*^{2}*ymm w-ḏ-ḥblm w-ḥmrm w-ḏbḥ ʿṯtr s*^{2}*lṯt ʾḏbḥm/3/ w-n[yl Hwbs*^{1} *w-ʾl]m ʿṯtr w-hnr b-Trḥ w-whb ʿṯtr w-Hwbs*^{1} *ẖlfm w-ywm hʿḏ(b) mʿs*^{2}*rt S*^{1}*bʾ w-yʾtmmw w-yḥtẓyw mns*^{2}*ʾ-hmw k-ʾḥd b-ʿs*^{1}*y ṣ—*
2 dqm w-yns^2*ʾ ʾs*^{1}*m l-mtʿ qny-hw w-ywm ṣdq ʿṯtr w-ʾlmqh ḥg-hmy w-yhṯb mwy ḏhb-hw Rymn w-ykn fnwtm fnwtm w-ḏyrm ḏyrm w-ḥmy ḥrt-hw ʿhl l-Mʾwdn((mʾwdn)) bn k-ḏ tḍʾn brḥm l-ḏhbnhn w-l-ʾrʿn w-hṯb zm ḥmy Mwtrm*

ḏ-s¹twdn bn Hwdym w-ʿs¹y Ḥṣṣm w-Ṯʿrtm ḏhb Mydʿm kl ms¹qy zm Wtr w-
3 Wqh w-b-f Krbʾl wdy w-tʾw zm Wtr w-Wqh w-ywm mẖḍ S¹ʾdm w-wfṭ Nqbtm w-kl ʾhgr Mʿfrm w-hbʿl Ẓbr w-Ẓlmm w-ʾrwy w-wfṭ kl ʾhgr-hmw w-qtl-hmw s²lṯt ʾlf[m]/3000/ w-s¹by-hmw ṯmnyt ʾlfm/8000/ w-hṯny s³lʾ-hmw w-bḍʿ b-ʿl-hmw b-ʿm s³lʾ-hmw bqrm w-s¹frtm ḏ-yẖbw b-ʿm s³—

الترجمة إلى الإنكليزية:

1 Of that Krbʾl Wtr, son of Ḏmrʿly, mkrb of Sabȧ, transferred the possession, during his reign, to ʾlmqh and to Sabȧ, when he settled the entire community, that of the god, of the patron, that of the territory, of the people. He made three (3) sacrifices in honour of ʿṯtr and carried out a ritual to Hwbs¹; organized the sacred banquet for ʿṯtr and offered a burnt sacrifice in Trḥ and presented dress to ʿṯtr and Hwbs¹. And then, when he held the tribal assembly of Saba', so that they might gather (under his leadership) and succeeded in their calls to arms, unanimous in doing what was right
2 so that every man acted to safeguard its property. And then, when he fulfilled his duty towards ʿṯtr and ʾlmqh, according their will, so that he might water (bring again waters of) his fertile plain Rymn and he might arrange (it) anal by canal and field by field; he protected his canal ʿhl up to Mʾwdn (or up to the boundary) in order that it might not flow out uncontrolled toward the two plains and toward ʿrʾn, and he watered (brought again water flow of) the protected territory Mwtrm, which received its irrigation from Hwdym. He took possession of Ḥṣṣm and Ṯʿrtm, the plain of Mydʿm, and all the land irrigated by the water flood of (the channels) Wtr and
3 Wqh; and by the order of Krbʾl the water flood of Wtr and Wqh flowed

and were collected. And then, when he broke S¹ʿdm and burned Nqbtm and all the cities of Mʿfrn and took possession of Ẓbr and Ẓlmm and ʾrwy and burned all of their cities and killed three thousand (3,000) and took prisoner eight thousand (8,000) and doubled their tribute and required of them, in addition to their tribute, livestock of large and small size of which they remained indebted in addition to their



الترجمة من السبئية

١: هذا ما أمر به كرب إيل وتر بن ذمر علي مكرب سبأ خلال عهده، أن ينقل سلطته إلى المقه وسبأ بعد أن استقر المجتمع بأكمله، لأنه الإله الراعي للمملكة والناس. وقدم ثلاثة (٣) تضحيات تكريماً لعثتر، كما أقام الشعائر لـ (هوبس) وقدّم قرباناً للإله ترعت *ṯtrʾ* ومُحرّقة في تارح *Trḥ* وكسا تمثالي – نصبي– ترعت *ṯtrʾ* وهوبس بحضور أشراف وزعماء قبائل سبأ، حتى يتمكنوا (تحت قيادته) من جمع الشعب وتوحيده، ودعوة الشعب إلى السلاح، بالإجماع للقيام بكل ما هو صالح.

٢: ولكي يعمل كل رجل على حماية ممتلكات المعابد، فقد أوصى بأن يتولى الأشراف (الكهنة) مسؤولية جمع وحماية أموال المعابد، ووقف جزء منها على أعمال سقاية الأراضي في السهول الخصبة وصيانة الصهاريج (قنوات الماء) من مودن حتى خارج المعابد، ويضمنوا أن لا تخرج السيول عن السيطرة نحو (ارن) وأن يجلبوا المياه من موثر(م) هوشم وترعت (م) وسهل مدع (م) وجميع الأراضي المسقية من مياه الفيضانات وصهاريج الماء (القنوات).

٣: وبأمر من كرب إيل، فقد تمّ ضمان جريان الماء من (وتر) وتمّ جمعها (في الصهاريج). وبعد ذلك، عندما كسر (سدم) وأحرق (نقبتم) وجميع (مدن معفرن) واستولى على زفار(ظفار) *Ẓbr* و(زلم/ سلم) *Ẓlmm* و(أروى) وحرق كل مدنهم وقتل ثلاثة آلاف منهم، وأخذ ثمانية آلاف (٨٠٠٠) من الأسرى وضاعف عليهم الجزية من المال والحيوانات الكبيرة والصغيرة وهم مدينون له بها.

مقتطف من نقش سرجون الثاني

(أشدود/ أسدود)

195 of its neighborhood, a moat 20 cubits down they reached the nether waters. To the ‘kings1 of the lands of Piliste (Philistia), Iaudi (Judah), rEdom\ Moab, who dwell by the sea, payers of tribute [and] tax to Assur, my lord, (they sent) numberless inflammatory and disdainful (messages) to set them at enmity with me, to Pir’u, king of Egypt, a prince who could not save them, they sent their presents (bribes) and attempted to gain him as an ally. (Whereupon) I, Sargon, the rightful ruler, who fears the curse of Shamash and Marduk, who observes the command of Assur, [crossed] the Tigris and Euphrates, at the high(est) flood, the high water of the spring of the year, rin boats, and] made my way on the dry land. And that Iamani, their king, who had trusted in his own strength and had not Submitted1 to my rule, heard of the progress of my march rfrom afar1, and oi.uchicago.edu io6 ANCIENT RECORDS OF ASSYRIA

the terror of [Assur, my lord], overwhelmed him and of the bank of the river , in the depth of the waters, distant fled rAshdod1

الترجمة

١٩٥ .... لما يجاورها، مستنقع..... ٢٠ ذراعاً للأسفل حتى وصلوا للمياه المنخفضة. وأرسلوا إلى ملوك أراضي الفلست (*Philiste*) (*Piliste*) وهم يهود (*Judah*) وايدوم (*Edom*) ومؤاب (*Moab*) الذين يسكنون عند (جبل) بحري، أولئك الدافعون للجزية والضريبة لسيدي لآشور، أرسلوا الكثير من (الرسائل) التحريضية المقيتة لتحريضهم على عداوتي، وأرسلوا لـ (*u Pir'*) برعو) ملك مصر (ن)، الأمير الذي لم يستطع إنقاذهم، أرسلوا الهدايا (الرشاوى) وحاولوا أن يكسبوه كحليف لهم. (عندئذ) أنا، سرجون، الحاكم العادل الذي يخاف من لعنة (*Shamash*) و(*Marduk*) والذي يحافظ على أوامر آشور (عبرت) نهر (تجرس *Tigris*) (والفروت *Euphrates*) عند فيضانهما الأكبر، في مياه الربيع المرتفعة من السنة، عبرتها بقوارب ووصلت إلى اليابسة. أما (*Iamani* المعيني) ملكهم الذي كان يثق بقوته الخاصة والذي لم يخضع لحكمي، فقد سمع بقدومي من بعيد، ودب فيه الرعب من [سيدي آشور]........ ضفة النهر........ عمق المياه........ مسافة....... هرب...... أسدود (*Ashdod*).

النقش *SOYCE 688*

as-Sawdāʾ 51 CIH 604; RES 2876

النص:

1 *(w)-(ʾ)l b-ʾydw w-(ʾl) s^{3}n w-ʾlʿbr (k)l (ʾ)ns^{1}m bhṯm w-qṭnm s^{2}(ʾ)[m......]*

2 *nḫl w-ʾʿnb w-mḏrʾ w-mwhtn w-mqbltqnyw w-qblnʾmlk S^{1}bʾ b-(ḫ)[......]*

3 *qblw w-wrd w-w(h)r w-trdnhntnʾrḍtn w-ʾnḫln w-ʾʿnbn w-mḏrʾn w-mwht(n) [......]*

4 *wtfn k-l-k-ḏy l-yknn s^{1}ʾl-hw w-s^{2}ʾmt-hw w-ʾṯwbt-hw w-ʿlm-hw w-ṯq-hw*

s^3ẖ[l......]

5 [h](n)t ʾrḍtn w-ʾnẖln w-ʾʿnbn w-mwhtn w-mqbltn w-bn w-ʿln ʾs^1dn w-ʾbytn q[......]

6 [mq](bln) ḏ-qnyw w-yqnynnʾhnn [...]w l-yrdnn w-y(f)ʿ (ḏn s^2ʾmtn w)-(ʾṯ) [wbtn] (w)-[......]

YM 11749 TYA 14

النص:

1 l-ʾs^1ʿd S^2s^3ʿn ʿm-n ʾws^1ʿṯt w-hʾ f-qdmyḏn s^1ṭrn s^1ṭr l-k mṯbt s^1ṭr s^1ṭrk w-hʾ k—

2 rʾ hys^1r l-k ṯny mqbln w-tʿlm b-hmy w-hmyhfn-k((hknk)) f-tʿlmn b-hmy w-hys^1rn l-hwʾḥdmq—

3 blm w-ʾḥd l-ygzyn b-ʿm-k w-ʾnt f-hʿlmnʾḥṣn-k ḥg-n tʿkrn w-b hḍmn l-k bnmqb—

4 l mṭrn((Mṭrn)) f-tʿbrhḍmn ḏ-yftḥnblb-hw b-knthʿlmn w-lkmyhʿn-h f-l ġyr-k ʾlhfnw

هوامش

١- نجر/ م.

٢- في السبئية والحميرية هجر: مدينة.

٣- انظر نص النقش في (مجلد النقوش)، وهو المجلد الثالث.

مصادر ومراجع

١: يوسفيوس: *’וסף בן -מתת‹הו [‹וספוס פלון‹וס] : תולדות מלחמה ‹הוד‹ם עם הרומא‹ם* *PRINTED IN ISRAEL 1968*: حروب اليهود.

٢: سترابون: الجغرافية/ الكتاب السادس عشر، دار علاء الدين- دمشق ٢٠١٧.

٣: ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد بن محمد، ابن خلدون أبو زيد، ولي الدين الحضرمي الإشبيلي، ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر- المحقق: خليل شحادة - دار الفكر، بيروت - الطبعة: الثانية، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م.

٤: موسوعة تاريخ أقباط مصر- القاهرة، دون اسم الدار وتاريخ النشر (*Coptic history*).

٥: د. جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام - الناشر: دار الساقي- الطبعة الرابعة ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م .

٦: *Beeston, A.F.L.; Ghul, M.A.; Müller, W.W.; Ryckmans, J. (1982). Sabaic Dictionary. University of Sanaa, YAR. p. 134. ISBN 2-8017-0194-7.*

٧: فريا ستارك: البوابات الجنوبية لجزيرة العرب: رحلة إلى حضرموت ١٩٣٤، ترجمة وفاء الذهبي، أبو ظبي - دار الكتب الوطنية ٢٠١٣.

٨: *Wissman H.Von Himyar Aneint History 1964-PP495-498*

٩: ابن العبري غريغوريوس أبو الفرج بن هارون الملطي: تاريخ مختصر الدول دار النشر/ دار ابن حزم - بيروت - ١٩٩٧م.

١٠: محمد عبد القادر بافقيه، علاقة القيل بمواليه – دراسات يمنية، العدد ٤٢، ١٩٩٠.

١١: نشوان بن سعيد الحميري، منتخبات من أخبار اليمن، تصحيح عظيم الدين أحمد، مطبعة بريل – لندن ١٩١٦.

١٢: أزهار كامل ناصر: الأذواء والأقيال في التاريخ اليمني – رسالة ماجستير ٢٠١٤ جامعة البصرة – العراق.

١٣: الهمداني، الحسن بن أحمد، الإكليل: تحقيق: محب الدين الخطيب– الدر اليمنية ١٩٨٧.

١٤: نشوان بن سعيد الحميري، منتخبات من أخبار اليمن، منتقاة من كتاب شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، تحقيق وتصحيح: عظيم الدين أحمد، طبعة: بريل ليدن، الطبعة: الأولى ١٣٣٤هـ.

١٥: ميخائيل بتروفسكي: اليمن قبل الإسلام والقرون الأولى للهجرة حتى القرن الرابع الميلادي، ترجمة محمد الشعيبي، دار العودة – بيروت ١٩٨٧.

١٦: أحمد حسين شرف الدين، تاريخ اليمن الثقافي – دار الكتب، صنعاء ٢٠٠٤.

١٧: أحمد صالح محمد العبادي: اليمن في المصادر القديمة: ٤٨٥–١٠٠ ق.م، صنعاء، وزارة الثقافة والسياحة، ٢٠٠٤.

١٨: لطفي عبد الوهاب يحيى: العرب في العصور القديمة – الندوة العالمية الأولى لدراسات تاريخ الجزيرة العربية – الكتاب الأول – جامعة الرياض ١٩٧٧.

١٩: سيد أحمد علي – الصراع على البحر الأحمر في عصر البطالمة – دراسات تاريخ الجزيرة العربية – الكتاب الثاني – جامعة الرياض ١٩٧٩.

٢٠: *Pliny – Natural History Translated by H.Rackham M.A William Heinemann London.*

٢١: بولس الفغالي، أبو الفرج ابن العبري: حياته وآثاره، مجلّة دراسات في الآداب والعلوم الإنسانيّة – كلّية التربية في الجامعة اللبنانية، السّنة ١٥، العدد ٢٣/ ٨٨، عدد خاص «ابن العبري في المئوية السّابعة لوفاته».

٢٢: مطهر علي الإرياني: حول الغزو الروماني لليمن: دراسة تاريخية: دراسات يمنية – العدد الخامس عشر ١٩٨٤م، آذار/ مارس – ١٩٨٤.

٢٣: مرشد الطالبين إلى كتاب الحق الثمين– طبعة بيروت، ١٩٣٧ دون ذكر اسم دار نشر.

٢٤: نشوان بن سعيد الحميري: نشوة الطرب في أخبار جاهلية العرب: مكتبة الأقصى – عمان ١٩٨٢.

٢٥: الهمداني: صفة جزيرة العرب، أشرف على طبعه الشيخ حمد الجاسر– دار اليمامة بالرياض عام ١٣٩٧هـ.

٢٦: الطبري: محمد بن جرير الطبري: جامع البيان – تفسير الطبري، الجزء الرابع والعشرون، تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي – الناشر: دار هجر للطباعة والنشر.

٢٧: ابن الكلبي، أبو المنذر هشام بن محمد بن السائب الكلبي، نسب معد واليمن الكبير، المحقق: الدكتور ناجي حسن، الناشر: عالم الكتب، مكتبة النهضة العربية، الطبعة: الأولى، ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨ م.

٢٨: ياقوت الحموي: معجم البلدان: بيروت– دار صادر ١٩٩٣.

٢٩: لطفي عبد الوهاب يحيى: العرب في العصور القديمة – الندوة العالمية الأولى لدراسات تاريخ الجزيرة العربية – الكتاب الأول – جامعة الرياض ١٩٧٧.

٣٠: *Pliny – Natural History Translated by H.Rackham M.A William Heinemann. London.*

٣١: سيد أحمد علي – الصراع على البحر الأحمر في عصر البطالمة – دراسات تاريخ الجزيرة العربية– الكتاب الثاني – جامعة الرياض ١٩٧٩.

٣٢: غوستاف لوبون: حضارة العرب: ترجمة عادل زعيتر، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة – مصر ١٩٥٦.

٣٣: د. أحمد صالح محمد العبادي – اليمن في المصادر القديمة: اليونانية والرومانية ٤٥٠–١٠٠ ق.م – صنعاء وزارة الثقافة والسياحة ٢٠٠٤.

٣٤: إرنست ويل: ضمن كتاب اليمن في بلاد مملكة سبأ – ترجمة بدر الدين عرودكي – مراجعة د. يوسف محمد عبد الله – معهد العالم العربي – باريس – دار الأهالي – دمشق ١٩٩٩ – *Herodotus Book 1.p.v11.x :35*

٣٥: ديفيد كريستال، ص ١٩٨، مطبعة جامعة كامبريدج — *ISBN 978-0-521-42443-1*.

٣٦: إيريس حبيب المصري: قصة الكنيسة القبطية، جـ٣ طبعة ١٩٧١.

٣٧: الهمداني: الحسن بن أحمد، كتاب الجوهرتين العتيقتين المائعتين من الصفراء والبيضاء، تحقيق أ.د. أحمد فؤاد باشا، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ١٤٣٠ هـ/ ٢٠٠٩ م.

٣٨: غوستاف لوبون: حضارة العرب: ترجمة عادل زعيتر، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة – مصر ١٩٥٦.

٣٩: الطبراني، سليمان بن أحمد بن أيوب الطبراني أبو القاسم، المعجم الأوسط (معجم الطبراني الأوسط) المحقق: طارق بن عوض الله بن محمد أبو معاذ – محسن الحسيني، الناشر: دار الحرمين، سنة النشر: ١٤١٥ – ١٩٩٥.

٤٠: الربيعي، فاضل: نظرية في إعادة ترتيب الأديان والعصور (ينشر لاحقاً).

٤١: حنان عيسى جاسم: السياسة الرومانية اتجاه جنوبي شبة الجزيرة العربية: مجلة

الدراسات التاريخية والحضارية (المجلد ٥ -العدد ١٧) حزيران ٢٠١٣م – شعبان ١٤٣٤هـ.

٤٢: نينا فكتورفنا بيغوليفسكيا: العرب على حدود بيزنطة وإيران من القرن الرابع إلى القرن السادس الميلادي، ترجمة صلاح الدين عثمان، المجلس الوطني للثقافة والفنون و الآداب، الكويت، ١٩٨٥.

٤٣: ظلال جواد كاظم، الأهمية الاستراتيجية لجزيرة سقطرى/ اليمن (رسالة دكتوراه) جامعة الكوفة، كلية الآداب ٢٠١٢.

٤٤: بريان: اليونان وسبأ – باريس ١٩٥٥ *Jacqueline Pirenne, La Grece et Sabe, Paris, 1955, p. 313*

٤٥: محمود عبد الباسط عطية السيّد، الحياة الدينية في مملكة أوسان في ضوء النقوش الجنوبية، مجلة جامعة الملك سعود – الرياض ٢٠١٤.

٤٦: الطواف في البحر الأحمر ودور اليمن البحري: ترجمة وتعليق حسين علي الحبيشي ونجيب عبد الرحمن الشميري، دار جامعة عدن للطباعة والنشر، صنعاء ٢٠٠١.

٤٧: هانز هوليفريتز، اليمن من الباب الخلفي، ترجمة هنري حمّاد، بيروت ١٩٦١.

٤٨: *McLynn, Frank. Marcus Aurelius: Warrior, Philosopher, Emperor. London: Bodley Head, 2009. ISBN 978-0-224-07292-2.*

المؤلف